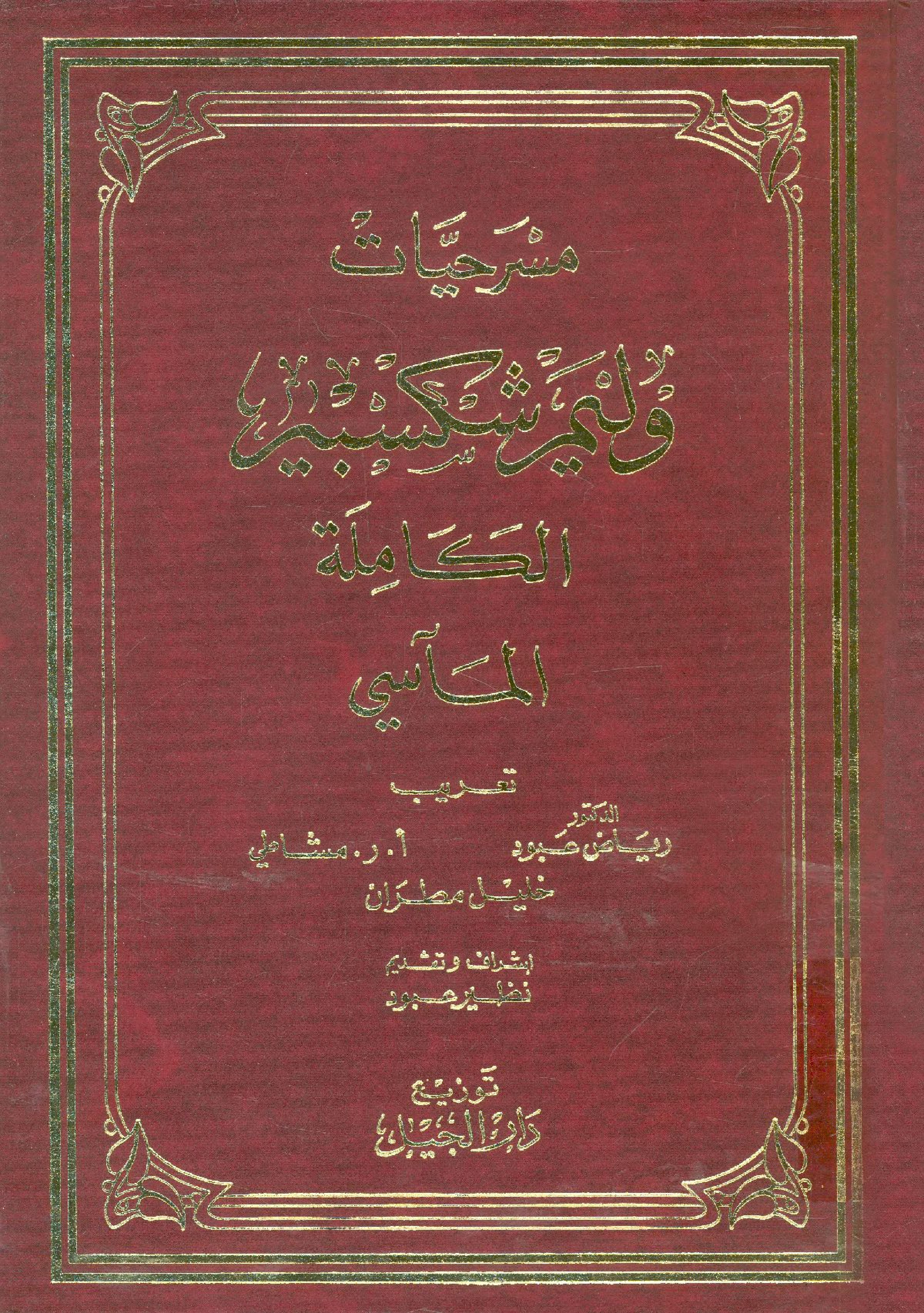

مسرحيات
وليم شكسبير
الكاملة
المآسي
تعريب
الدكتور
رياض عبود
أ. ر. مشاطي
خليل مطران
إشراف وتقديم
نظير عبود
توزيع
دار الجيل



مَسرحيات

وليَم شكسْبير

الكامـلة

المَآسي

(٤)

تعريب

الدكتور رياض عبود

أ. ر. مشاطي

خليل مطران

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود

ص.ب : ١١/٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢- ٩٢٤٧١٤

يحتوي هذا المجلد على

صفحة



عُطَيْل

تعريب

خليل مطران



مقدمة

رغب إليَّ جورج أفندي أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه، في ترجمة هذه القصة، فترددتُ زمناً، ثم أتيح لي أن رأيته يمثل تجربة من « أديب » فأعجبني إتقانه وإتقان بعض أعوانه واستخرتُ الله في نقل عُطيل إلى لغتنا الشريفة.

فلأذكر أولاً ما دعاني إلى إختيار اسم عطيل رداً على بعض المعترضين.

كان عطيل في زعم القصَّاص الذي نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية، بدوياً مغربياً جلا إلى البندقية وخدم في جيشها حتى أصبح قائده الأكبر، وعقيده في الملمَّات[1]. والمغاربة يومئذ خليط من العرب والبربر المستعربة. فأما أن يكون قد دعي منذ مولده باسم إفرنجي فغير محتمل، وأما أن يكون قد دعي باسم عربي حرَّفته العجمة، فهو الأصح عقلاً. فإذا رددنا أوتلُّو إلى لسانه الأصلي، فالذي يستخرج من حروفه أحد اثنين: عطاء الله أو عُطَيل. فأما عطاء الله فلم أتوصل إلى تحقيق أن مغربياً واحداً سمِّيَ به، ولهذا ضربتُ عنه صفحاً، وأما عطيل فقد اعتقدت أنه الأخلق بالاختيار لسببين: أحدهما أنه أشبه بما جرت به عادة العرب على تسمية الزنوج به من ألفاظ التحبب أمثال مسعود ومسرور وزيتون ومرجان للذكور، وخيزران وضياء للجواري. ومعلوم أن عطيلاً تصغير تحبّب لصفة عُطل

(١) الملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدنيا.

بمعنى عاطل أو خلوّ من الحلية، فتسمية أحد الزنوج به إنما هي محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب. وثانيهما لأن « عطيل » بضمّ ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب إلى أوتلو من كل اسم سواه.

بقي في هذا الصدد أن أقول مروراً للذين تمنوا لو أبقيت اسم أوتلو كما أورده المؤلف، إنني لم أوافقهم على هذا لأنني كرهت أن أثبت في العربية اسماً من أسمائها على الرطانة[1] التي حرَّفته اليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التي اكتسبها على تلك الصورة، في حين أنه لا يتعذّر إكسابه مثلها وهو مردود إلى أصله التقديري أو التحقيقي من غير أن نسوم مسامعنا جراحة تحريفه. ذلك أوحى إليَّ اليقين أنه خير وأولى.

بعد هذا التفسير الذي تقاضتني إياه بعض الصحف، ونفر من الأصدقاء، أرجع إلى الرواية، ولي فيها مبحثان موجزان، من جهة الأصل، ومن جهة التعريب.

* * *

أما من جهة الأصل فأقول إن واضع هذه القصة إنما هو نابغة الأدهار في فنه وأعني به شكسبير. وضعها لإظهار الغيرة وتأثيرها في الرجل بأقوى وأصدق ما دلَّ عليه الاختبار من أمرها، ولذلك اختار عاشقاً إفريقياً بدوي الفطرة، ليكون وثَّاب الشعور عنيفه، عسكري المهنة، ليكون سريع التصديق والانخداع، مكتهلاً أي في أول الانحدار من سنّ الأربعين، ليكون أشد في التعشق كما هي شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب، وليكون أيضاً في الحالة التي يتهم فيها الإنسان نفسه بفقدان أكثر الخلال التي يقضيها الغرام ولا سيما حينما يكون المستهام أسود البشرة

---

(١) الرطانة: التكلم بالأعجمية ـــ كلام غير مفهوم.

من أحلاس[1] الحروب، والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الأخلاق مترفين.

ذلك هو الغرض الأساسي العام الذي رمي اليه شكسبير فأصاب به دقائق الحقائق إصابة كانت في جملة ما حمل أكابر المفكرين وأعاظم الكتبة على الشهادة له بأنه أخبر خبير بخفايا القلوب، وأمهر كشاف لخباياها.

ثم إنه أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين: أحدهما إثبات أن العفة لا تنتفي من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكناً من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جيرتها وفي عشيرتها والثاني تبيين الاحتيال ونهاية ما يبلغه من نفس رجل ذكي مطماع خسيس أصم الضمير، مستبيح كل محرم، مستهين كل منكر في سبيل غايته.

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة في ألوف الجزئيات التي تؤدي إلى تصوير الغرض الكلي والغرضين الملحقين به؟ ذلك ما يقف عليه القارىء أول وهلة من مطالعته للقصة فإنه يشعر قليلاً قليلاً أن الأسماء تمحي ويستبدل بها أشخاص مقوَّمون في أصلح تقويم لكل منهم. ويدخل متدرجاً من الوهم في الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مُشاهد مما ألفه في الحياة لا يرده إلى كونه قارئاً سوى انتهائه إلى دفة الكتاب.

ومن جهة هذا التصوير الأخَّاذ الذي يصوّر به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد أن ذلك الأستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التي يرسمها الفن. صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود، وهل مثل العقل الذي رُزِقَهُ كان مما يقيد بقيود؟

الشاعر الذي افتتن «فكتور هوجو» بغرابة شعره، وجد عند فراسته وطلاقته وقوة تمثيله للمعنويات بالحسيات. مبدأ المذهب الحر الذي ذهب اليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنة الكتاب في العالمين.

الكاتب المنقب المتعمق في مظاهر الخلائق ومضمراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة في الاختيار وبراعة في التأليف وسلطة على اللفظ يستدني

(١) الحلس: الذي لونه بين السواد والحمرة، أيضاً الشجاع.

به أبعد المعاني ويقيد أوابد الوجدانات الذي أعجب به المؤرخ الفيلسوف « تاين » وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده.

الأديب الذي تترجم مكتوباته على وفرتها إلى كل لغات الدنيا، وفي بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتتنوع ويجيز أحاسنها المجمع الأدبي الأكبر كما أجيزت ترجمة « مونتيجو » و « ليتورنور » وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الألسنة والأجناس والأذواق والملل والنحل على مكتوباته سواء في أصلها أو في غير أصلها، وتقرّها في أعلى منزلة عندها لجمعها المُذهِب والمطرب إلى المفكه والمفيد والمبكي والمضحك إلى الزاجر والمؤنس.

أهذا الذي يُطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظة ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها.

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمًّا فعل. ولو أبقاه في عنقه لما اشرأبَّ صعداً إلى مناجاة أجرام السماء، ولا أطاق الإكباب إلى أبعد أغوار الأسرار في الطبائع البشرية.

من ذلك المنجم العظيم نجمت « عطيل » وهي إحدى آيات مستخرجاته، ولما كنت أعهده فيها من نادر المزايا وجدتُ من كلفي بها معواناً على معاناة تعريبها.

* * *

فأما من جهة التعريب فأقول إن في نفس شكسبير شيئاً عربياً بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان في نفس فكتور هوجو. أقرأ لغتنا أم نُقلت اليه عنها بعض المترجمات الصحيحة؟ لا أعلم. ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكلة محيرة، فإن عنده مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة وذهاباً بضروبها في كل مذهب، وله مثل ما لنا كلفٌ بالتنقل الوثبي من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد إلى القصد وشيكاً وعليك أن تتمهل في فكرك وتجد الرابطة، وبه مثل ما بنا من الهيام في المبالغة التي لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين في تصوُّرهم حدَّة وجماح كما يكون عادة عند الشرقيين وخصوصاً عند العرب. وعلى الجملة

ففي كل ما يكتبه شكسبير شيء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرَّة.

تناولتُ الرواية لأعرِّبها وكأنني أنوي ردّها إلى أصلها كما رددتُ اسم عطيل، وقبل أن أشرع فيها تفكرتُ في الاسلوب الذي أختاره لها.

أهو ذلك الأسلوب المخرّق الذي تشفُّ الفصاحة فيه عن رقع العامية؟ لا وألفاً لا.

فتالله لو ملكتُ تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلي إياها إلا منتقماً لمجد فوق كل مجد، نزلتْ من هيكله الذهبي الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزفيتين القذرتين فهو فوقهما متداعٍ وبهما مشوَّه، منتقماً لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التي مزّقتها في الشرق والغرب كل ممزَّق، منتقماً للفصاحة نفسها وأية فصاحة في خشَارة[1] لا تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد تلوّث بذريرات لا تحصى من أوضار[2] الرطانات بأنواعها.

بُعداً لهذا الاسلوب إذن! ولنختر غيره... أتؤثر الاسلوب الجزل المتين القديم؟

لا ولا! لأن الروايات إنما تُكتَب ليفهمها القوم ويستفيدوا منها مغزى بجانب التفكهة. أفنعكس عليهم تلك السنَّة الشريفة التي سنّها النبي القرشي بقوله: أُمرتُ أن أخاطب الناس على قدر عقولهم.

بعد هذا وذاك لم يبقَ إلا الأسلوب الوسط وهو الذي تكون بمقتضاه الألفاظ كلها فصيحة لكن سهلة، وتفكك الجمل تفكيكاً يقرّب مدلولاتها من الأفهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة من غير أن يفوتنا الالتفات في ذلك التفكيك إلى أشتات ما صنع أدباء العرب من مثله لدواعي حال مخصوصة وإن لم يألفه جمهور الكتّاب الاحتفاليين.

هذا هو الاسلوب الذي آثرتهُ وأرجو أن أكون قد وفّقت فيه بعض التوفيق،

---

(١) الخشارة: الرديء من كل شيء.

(٢) الأوضار: غسالة القصعة، مفردها وضر.

فتجتمع معه لهذه القصة مزيّتان: إحداهما أنها تكون عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكِلم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديماً وحديثاً، والثانية أنها تمثل أقوال شكسبير حرفاً بحرف ولفظةً بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الديني أو الاجتماعي الذي لها عند القوم الممثّلين فيصحُّ أن تكون هذه التجربة مثالاً للتعريب يحتذيه طلبة المدارس.

خليل مطران

أشخاص الرواية

دوج البندقية:

برابنسيو { أحد الأعيان، أعيان آخرون

غراتيانو: أخو برابنسيو

عطيل: مغربي شريف قائد جيوش في خدمة البندقية

كاسيو: ملازمه

ياجو: حامل علمه

رَدريجو: وجيه بندقي

منتانو { سالف عطيل في ولاية قبرص. مضحك وخادم لعطيل. مناد.

ديدمونه: بنت برابنسيو قرينة عطيل

إميليا: زوجة ياجو

بينكا: خليلة كاسيو

ضباط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ...

* * *

المشهد الأول يجري في البندقية وسائر المشاهد في مرفأ من مرافىء قبرص.

الفصل الأول

المشهد الأول
في البندقية ـــ طريق

(يدخل ردريجو وياجو)

ردريجو: كفى. كفى. لا تخاطبني عنه بعد الآن. أنا آسف جداً لأنك تنسَّمْتَ[1] خبر هذه المسألة يا ياجو... وأنت أنت الذي بددت ما شئته من مالي وصرّفت يديك في نقودي كأنها من حرٍّ مالك.

ياجو: العجب أنك لا تريد أن تصغي إلى كلامي ولعمري لو أنني فكرت مرة في خديعتك لكان لك أن تمقتني كل المقت.

ردريجو: قلت لي إنك حانق على هذا الرجل.

ياجو: إذا لم يكن ذلك حقاً فلا كانت لي كرامة عندك. ثلاثة من كبراء المدينة سَعَوْا وتوسلوا اليه ليجعلني ملازماً له. وبحق الرجولة إنني لأعرف قيمة نفسي وأعرف أنني كفء لتلك المنزلة. أما هو فإنه لم يصغ إلا إلى مشورة كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه فتخلص من إجابة سؤلي بعبارات

---

(١) تنسم الخبر: تلطف في التماسه شيئاً فشيئاً.

منفوخة مشحونة بالألفاظ الحربية ختمها بقوله للموصين بي: « لقد اخترت ملازمي ». ومن هو ذلك الضابط؟ الله الله... هو حسَّاب ماهر... يدعى ميشيل كاسيو... رجل فيورنتي.. فتى ذهبت بلبه النساء الحسان ولم يُسَيِّرْ قط كتيبة في معترك ولا يعرف من تدبير واقعة أكثر مما تعرف الفتاة العانس[1] اللهم إلا من جهة العلم النظري المستظهَر من الكتب وهو علم يحسنه القساوسة كإحسانه إياه فجملة معرفته العسكرية ثرثرة محض بلا عمل. ذلك يا سيدي هو الذي وقع عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبليته أنا من البلاء الحسن في رودس وفي قبرس وفي أمصار أخرى مسيحية ووثنية.. يسومني[2] قبيحَ الصبر على هذا التأخير ويُقدِّم عليَّ من فوق رأسي ذلك المدوّن الرقّام الكاتب الصيرفي يتخذه ملازماً له وأنا — حمداً لله وسروراً بهذا اللقب — أبقى حامل عَلم لسيادته المغربية.

ردريجو: تالله لو كنت مكانك لأصبحت جلاده.

ياجو: داء لا دواء وهو من آفات الخدمة. الرقي يُنال بالوصاة والصداقة لا بالسَّبْق الزمني الذي كان ينبغي بمقتضاه أن يجعل كل ثان خلفاً للأول.. بعد هذا يا سيدي أعمل رأيك فيما إذا كان يسعني أن أحب ذلك المغربي.

ردريجو: لو نالني منه ما نالك لما تبعته.

ياجو: حلماً يا سيدي وهدوء بال. إنما أتبعه لأنتقم منه. لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع السادة أن يجدوا خدماً أمناء.. إنك لتلفي[3] بين أولئك الخدم غير واحد من البُلْه الخانعين ذوي الركب اللينة يعجبهم رقهم الثقيل فيفنون أعمارهم على شاكلة الحمير التي تُرهَق[4] بالأحمال حتى إذا بلغوا من السن عِتِيّاً[5] طُردوا بضرب السياط طرد المجرمين. غير أنه يوجد أيضاً بين الخدم أناس غير أولئك يظهرون بكل

---

(١) العانس: الفتاة التي كبرت وبقيت في بيت أبيها ولم تتزوج.

(٢) يسومني: يكلفني.

(٣) تلفي: تجد.

(٤) ترهق: تحمل فوق طاقتها.

(٥) عتياً: كبر حتى شاخ.

مظاهر الطاعة ويستعيرون كل أشكال الرعاية لكنهم يصونون ضمائرهم لخدمة أنفسهم، ومع ما يبدونه من الإمتثال لولاتهم يوجهون مساعيهم لقضاء مآربهم حتى إذا وشوا ملابسهم بالذهب حبسوا تكرماتهم على ما اكتسبوه من رفعة القدر. أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر أنني واحد منهم. بل أزيدك يا سيدي تصريحاً عن حقيقة لا تقل عن حقيقة كونك ردريجو وهي أنني لو كنت المغربي ما أردت أن أكون ياجو فإذا اتبعته فإنما إياي أتبع ويشهد الله أنني لا أوقره. ولا أطيعه. غير أنني أداجيه بالتوقير والطاعة توسلاً بهما إلى أغراضي، هذه خطتي وهي الكتمان فإذا جاء زمان باح فيه ظاهري للرجل ببعض ما في باطني لم ألبث أن أضع قلبي على ردن قميصي[1] لتنقره الحدآت[2] الخواطف. أنا غير ما يرى مني.

ردريجو: إنني لأستعظم على ذلك الأسود الوبري ما يقع اليه من السعد الذي لا يدانيه سعد فيما لو حصل على تلك الغانية أو حظي بقربها.

ياجو: ناد أباها.. أيقظه من نومه.. ناوىء ذلك المغربي.. دس السم في هناءته.. أجهر باسمه في الأسواق.. استشط على الفتاة أهلها... ثم أياً كان المرتع الخصيب الذي يحله ذلك الرجل فاقتله بذبابه ومهما تكن سعادته هي السعادة بحقيقتها فأدركه بالوخز والمضايقة حتى يمتقع[3] في عينيه لونها الزاهي ولو قليلاً.

ردريجو: هذا بيت أبيها. سأناديه صادعاً[4].

ياجو: افعل واجعل نداءك رهيباً مستطيلاً مع حزن كما يكون في ظلام الليل وأمن الراقدين صوتُ الذي يستكشف النار في مدينة كثيرة الأهلين.

ردريجو: ياهو. يا من هنا. برابنسيو. سنيور برابنسيو.

ياجو: استيقظ. يا هو. برابنسيو. اللصوص اللصوص. ارقُبْ بيتك. بنتك. أكياسك. اللصوص اللصوص.

---

(١) ردن: كم القميص، طرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدنانير.

(٢) الحدآت: نوع من الطيور.

(٣) يمتقع: يتغير إلى إصفرار.

(٤) صدع: صاح بصوت عال.

برابنسيو: ما الموجب لمناداتي بهذا الصَّخَب المرعب؟ ما الخبر؟
ردريجو: هل كل أهل بيتك في البيت يا سيدي؟
ياجو: هل أبوابك مقفلة بإحكام؟
برابنسيو: لِمَ هذا السؤال؟
ياجو: السؤال يا سيدي لأنك سُرقت. سُرق منك شرفك. إلبسْ رداءك. إن قلبك قد كُسِر وإن شطرةَ روحك قد فُقِدَتْ. أنا أكلمك وفي هذه الساعة بل في هذه الدقيقة فحلٌ[1] عجوز أسود يغشى نعجتك البيضاء. إنهضْ إنهضْ. أيقظْ على قرع الجرس أهلَ المدينة النائمين وإلا استولدك الشيطان حفيداً. إنهض انهض. إني حذَّرتك.
برابنسيو: ما هذا الهذيان؟ أمجانين أنتم؟
ردريجو: يا سيدي الجليل أتعرف صوتي؟
برابنسيو: لا.. مَن أنت؟
ردريجو: أنا ردريجو...
برابنسيو: لا أهلاً ولا مرحباً. لقد طالما حذَّرتك من ارتياد أبوابي وأبلغتك بصراحة أن ابنتي ليست لك، والآن بعد أن ملأتَ جوفك وأفرغت فيه ما لا يسع من الكؤوس حتى أصابك المَسُّ[2] جئتَ بهذه المكيدة السيئة توقظني من نومي مرتعداً.
ردريجو: مولاي. مولاي. مولاي.
برابنسيو: لكن ثِقْ أن في خُلقي وفي مَجْدي ما يمكّنني منك فتندم.
ردريجو: تلطَّفْ يا سيدي الرحيم.
برابنسيو: ما تلك السرقة التي تذكرها لي؟ نحن في البندقية ومنزلي ليس بعض الأهْراء في الخَلاء.
ردريجو: يا عظيم الوقار برابنسيو، لقد جئتك بقلب صافٍ، وضمير لا كَيْدَ فيه.
ياجو: أنت يا سيدي من الذين لا يخدمون الله لو نهاهم الشيطان عن

---

(١) الفحل: الذكر من كل شيء.
(٢) مس: ضرب من الجنون.

خدمته. ألأننا جئنا نسْدي اليك معروفاً وأنك ظننتنا أهلَ بغي تَدَع ابنتك يغشاها جواد من البربر؟ لتلدَّن لك حفداء يَصْهلون في وجهك وليكوننَّ لك أبناء عمّ من الخيل وأقرباء من المهَارَى.

برابنسيو: أنت مَنْ أيها الدَّعِيُّ[1] الضُّحْكة؟

ياجو: أنا يا سيدي رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربي الآن متكوّنان في شكل حيوان ذي ظهرين.

برابنسيو: أنت سافل.

ياجو: وأنت... عضو في مجلس الأعيان.

برابنسيو: سيكون لك معي شأن. عرفتك يا ردريجو.

ردريجو: الشأن الذي تريده يا سيدي. لكن أبتهل اليك أن تنبئني: أبمشيئتك وبمقتضى حكمتك كما يكاد يثْبُت ذلك. خرجت كريمتك الجميلة في هذا الهزيع[2] الآخر من الليل إذ الناس نيام وإذ لا يزيد حارسها ولا ينقص عن أحد الفقراء الذين يخدمون الجمهور من ملاَّحة الزوارق لتستسلم بين ذراعيْ مغربي كثيف؟ فإن كان ذلك بعلم منك وسماح فقد أسأنا اليك وجَرُؤنا عليك وإلا فكأنني بك تهيننا ولا ذنب لنا. ولا تظن أنني تناسيت مقتضيات الكرامة إلى حد أن أستنزلك من مقامك العالي لمثل هذه الممازحة بل أعيد عليك أن ابنتك ــ إذا كنت لم تأذنها ــ قد ارتكبت خطأً جسيماً بمَنْحِها يدَها وجمالها وعقلها وثروتها لأجنبي شريد بدوي موطنه هذا البلد وله من كل أفْق سواه موطن. بادِرْ لتتبيَّن الهدى. فإذا كانت ابنتك في غرفتها أو في البيت فادفعني إلى عدل القضاء ليعاقبني على خِدْعَتي إياك كما فعلت.

برابنسيو: اقدحوا الأزندة.. يا رجالي.. هاتوا لي مشعلاً.. استيقظوا يا أتباعي.. استيقظوا كلكم. هذا الحادث لا يختلف كثيراً عما رأيته في حلمي.. يا لخَوْفي مما سألاقيه.. أنيروا يا رجالي أنيروا.

(ينصرف عن النافذة)

---

(١) الدعي: الذي يدعي غير أبيه في نسبه.

(٢) الهزيع: الربع أو الثلث.

ياجو: أستودعك الله، لأنه ليس من العقل ولا من المصلحة أن أبقى فأُتخَذَ شاهداً على المغربي الذي بيده منصبي، خصوصاً مع علمي أن الحكومة مهما يسؤها منه هذا الخطأ فلا تستغني بلا خطر على البلاد عن خدمة هذا الرجل ولهذا عقَدَتْ له لواء الحرب الناشبة الآن في قبرس ولو بحثَتْ عن غيره ما وَجدَتْ لها خيراً منه، فضرورات معيشتي قاضيةٌ عليَّ مع كرهي إياه أكثر من كرهي لعذاب السعير[1] أن أُظْهِرَ له الولاء. على أنها علائم لا شيء فيها غير الظاهر.. فإذا أردتَ أن تجد الرجل فوجِّهْ إلى المَعْقِل الذي فيه الضباط مَن استيقظ من القوم للبحث عنه وسأكون هناك بجانبه.. إلى الملتقى.

(يدخل برابنسيو وخدم معهم مشاعل)

برابنسيو: صدقتني النبأ وإن الخَطْبَ لجَلَل فلم يبقَ لي إلا تجرُّع الصاب[2] بعد الهوان في القليل الباقي من أيامي. قل لي يا ردريجو أين رأيتها؟ ويْلَها من فتاة شقية! أمع المغربي؟ مَن يجرؤ بعد هذا أن يكون والداً؟ كيف علمتَ أنها هي؟ واحَرَّ قلباه! خدعَتْني من وراء التصور... ماذا قالت لك؟ هاتوا مشاعل أُخَر. أيقظوا كل أقاربي... هل تزوَّجا؟ أتظن أنهما تزوَّجا؟

ردريجو: ذلك ما أظنه.

برابنسيو: يا لَلْعَجَب! كيف خرجت؟ يا لَخيانة الدم! أيها الآباء لا تأمَنوا بعد الآن نفوس بناتكم على ما يُبدين من الطهارة. ألا توجد ضروب من السحر تُغَشُّ بها الشبيبة وتُستدرَج العفة؟ ألم تقرأ شيئاً في هذا المعنى يا ردريجو؟

ردريجو: بلى يا سيدي!

برابنسيو: أيقظوا أخي. لماذا لم أرضَ بك قريناً لها. إذهبوا بعضكم من جهة وبعضكم من جهة أخرى، أتعرف أين نستطيع أن نَظْفَر بهما؟

---

(١) السعير: لهب النار.

(٢) الصاب: شجر مر إذا اعتصر خرجت منه عصارته على هيئة اللبن.

ردريجو: أظن أنني أكشفهما إذا صحبتني ومعك حرس أُمناء.
برابنسيو: أرشدْني أرشدَك الله. سأدعو الناس من كل منزل وأمري مُطاع عند الأكثرين. تقلّدوا أسلحتكم. أيقظوا بعض الضباط المنوط بهم السهر. هلمّ بنا يا ردريجو وسأعرف لك هذه المنّة.

المشهد الثاني
في البندقية ـــ طريق أخرى

(يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل)

ياجو: لقد تعودّتُ القتل في الحروب ولكنني ما زلتُ أخشى تحميل ضميري إزهاق روح عن عمد وتعوزني في بعض الأحيان مثل هذه الاستباحة لخدمة نفسي، على أنني عزمتُ تسع مرار أو عشر مرار على إيلاج[1] نَصْلَتي في ذلك الشيخ هنا تحت الأضلاع ولكن...
عطيل: كان خيراً أن تجري الامور كما هي الآن.
ياجو: والخير ما جرى. غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطعن طعنا مستفزاً في حق عليائكم بحيث إنني على قلة تقواي لم أكد أطيق الصبر على ما يقول... لكن ألا يتفضل مولاي ويخبرني هل تم القران؟ إن ذلك الشيخ الذي لقبه الشعب بالكريم محبوب حباً جماً وله في المجلس صوت أقوى مرتين من صوت الدوج ففي وسعه أن يضطرك إلى الطلاق أو أن يحول دون مرامك بكل المكايد والمشاكسات[1] التي يستمد أسبابها من القانون بما له من المقدرة والبأس.

---

(١) ولج: دخل.
(٢) المشاكسة: المخالفة.

عطيل: ليفعل ما يشاؤه حنقه. إن جلائل الخدم التي خدمت بها هذه البلاد لأبلغ في الشفاعة لي من شكاياته في الإضرار بي... وسيعلم القوم مني ــ عندما يبيح الشرف الافتخار ــ أني سليل بيت من البيوت المالكة وأن أعمالي تقف موقفها العالي بجانب أعتى[1] المناصب التي يبلغها بالتوفيق أمثالي. واعلم يا ياجو أنني لولا شغفي بديدمونة التي سحرت لبي لما رضيت بكنوز البحار بدلاً من حريتي وَبَدَاوتي اللتين لا يحدهما حد ثابت ولا تحصرهما دائرة ضائقة... أنظر أنظر... ما تلك الأنوار القادمة نحونا من هناك؟

ياجو: هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه. أولى لك أن تدخل.

عطيل: كلا يجب أن يروني بحقيقتي كما تظهرها لهم أخلاقي وألقابي وطهارة ذمتي. أتظنهم إياهم؟

ياجو: يبين لي أن القوم غيرهم.

(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)

عطيل: خدم الدوج... وملازمي... طاب ليلكم يا أصدقائي جميعاً. ما وراءكم؟

كاسيو: الدوج يهدي اليك تحياته ويرغب في حضورك حالاً وألا تبطيء عنه دقيقة واحدة.

عطيل: في أي شأن تظن؟

كاسيو: إن صدق ظني فهو شأن مخصوص بقبرص ويظهر أنه عاجل لأن السفائن أرسلت في هذا الليل اثني عشر رائداً متتابعين، وكثير من المستشارين أوقظوا وهم الآن مجتمعون في حضرة الدوج وقد التمسوك في منزلك بإلحاح فلما لم يجدوك بعثوا ثلاثة أرهاط[2] من الجند للبحث عنك.

عطيل: من التوفيق أن تكون أنت الذي لقيتني سأدخل هذا البيت مهلة كلمة تقال ثم أصحبكم.

---

(١) عتى: استكبر وجاوز الحد.

(٢) الرهط: عدد من الثلاثة إلى العشرة.

(يخرج)

كاسيو: حامل العلم ما يفعل القائد هنا؟

ياجو: كأنني به غنم في هذه الليلة سفينة من السفن الكبرى مشحونة بالخيرات فإذا أُقرَّت له فقد أصاب الثروة الخالدة.

كاسيو: لم أفهم ما تعني.

ياجو: تزوج؟

كاسيو: ممن؟

ياجو: تزوج من... (يدخل عطيل) هيا بنا أيها القائد أنمضي؟

عطيل: نمضي ولا عائق.

كاسيو: أرى جماعة أخرى قادمة في طلبك.

ياجو: هذا برابنسيو. حذار أيها القائد. إنه لينوي شراً.

(يدخل برابنسيو وردريجو وضباط بمشاعل وأسلحة)

عطيل: قفوا هنا.

ردريجو: هذا هو المغربي يا سيدي...

برابنسيو: أوقعوا به. هذا اللص.

ياجو: عليّ بك يا ردريجو. قرنك[1] أنا يا سيدي.

عطيل: أغمدوا سيوفكم اللامعة لأن الندى ينزل عليها الصدأ... يا سيدي الجليل إن شيخوختك لأصلح للأمر من سلاحك.

برابنسيو: أنت أيها السارق الخسيس؟ أين أودعت ابنتي. سحرتها يا رجل النار وأستشهد على جنايتك بأولي الألباب. أكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال... فتاة ناعمة كل النعيم... آنفة من الزواج إلى حد أنها لم ترض بواحد من أغنى وأجمل شبان أمتنا بعلاً لها.. تتعرض للسخرية العامة بخروجها عن وصاية أبيها والتجائها إلى صدر أسود دهني كصدرك الذي يدعو إلى الخوف لا إلى السرور؟ ليحكم الناس بيننا. أليس واضحاً

---

(١) قرنك: خصمك وغريمك.

وضوح البداهة أنك رقيتها[1] برقى سيئة وأنك خدعت طفولتها بعقاقير أو معادن تهيج الشهوة البدنية؟ سأضع هذه المسألة تحت البحث لأنها معقولة بل يلمسها الفكر لمساً. فأنا قابض عليك إذن ومتّهمك بإفساد أخلاق العذارى وباستعمال صنائع محرمة وغير مباحة قانونياً. خذوا بتلابيبه[2].. وإذا قاومكم فأخضعوه وعليه نتائج ما يصيبه.

عطيل: أثنوا أيديكم. لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع يدعوني اليه إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما تتهمني به؟

برابنسيو: إلى السجن حتى ينقضي الزمن الذي عينه القانون وسير القضاء فتسأل.

عطيل: إذا أطعتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب الدوج وهذه رسله بجانبي جاءت تدعوني اليه لأمر ذي بال في الحكومة.

ضابط أول: هذا حق يا أيها السيد الجليل. إن الدوج في مفاوضة وأنا واثق من أنه بعث في استدعاء ذاتك الشريفة.

برابنسيو: أيّة مفاوضة يعقدها الدوج في هذه الساعة من الليل ــ سوقوه. إن مسألتي ليست من المسائل التافهة ــ سيعلمها الدوج نفسه وسائر إخواني من أركان الدولة ويشاطرونني غمّي مما لَحِقَ بي من الإهانة كأنه لَحِقَ بهم أنفسهم وإلا فإنه لو أُبيح ارتكاب أمثال هذه الجرائم لأصبح الأرقّاء والوثنيون أولياء الأمر فينا.

---

(١) الترقية: أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية.

(٢) اللبابة: ثوب يلبس فوق الثياب عند التحزم للحرب.

المشهد الثالث

في البندقية ـــ رَدْهة المجلس

(الدوج جالساً إلى مائدة يحيط بها فريق من الأعيان
وضباط يقومون بخدمتهم)

الدوج: ليس بين هذه الأنباء من التشابه ما يُجيز تصديقها.
العين الأول: الأنباء مختلفة جداً في الحق وقد ورد في الكتب المرسَلة إليَّ أن سفنهم المحاربة سبعمائة.
الدوج: وفي الكتب التي تلقّيتها أن عدد السفن مائة وأربعون.
العين الثاني: ويُستفاد من أخباري أن السفن مائتان. غير أن الاختلاف هو في الرقم ـــ وفي مثل هذه الحالة تُرسَل الأنباء تقديراً وتخميناً وتكثر التباينات[1] ـــ أما الحقيقة الثابتة بعد ذلك من جميع المراسلات فهي أن هناك اسطولاً للعدوّ متجهاً بأشرعته نحو قبرص.
الدوج: نعم هذا ما يقوله العقل، وكل هذه الاختلافات في العدد تحدث عندي قلقاً وريْباً.
ملاح (من الخارج): ياهو. ياهو. يا من هنا.
أحد الضباط: رسول من السفن.

(يدخل الملاح)

الدوج: ما هنالك؟
الملاح: اسطول العدو ينتحي رودس وهذا بلاغ من قبل السنيور أنجلو.
الدوج: ما قولكم في هذا الانقلاب؟
العين الأول: لا يُعْقَل لأدنى تصوُّر. إنْ هي إلا محاولة ومغالطة. إذ لو تبصَّرنا فيما لقبرص من الشأن الخاص عند العدو لأدركنا من فورنا أنه

(١) تباين الشيئان: تفاوتا.

إنما يقصدها دون رودس لأنها أصلح وأسهل مأخذاً وليس فيها من وسائل الدفاع والميرة[1] ما في رودوس، وعلى هذا لا يُقْذَف في رَوْعِنا[2] أنهم يخطئون ذلك الخطأ بتركهم قبرص وراءهم على كونها تُهِمّهم أولاً وأنها لهم أفيد وإلى متناولهم أقرب ويندفعون إلى جزيرة اخرى ينبّهون عليهم منها الخطر ولا يَحْلُون[3] بطائل.

الدوج: يقيناً لا يعقل أن تكون تلك السفن مرسلة على رودس.

(يدخل رسول)

الضابط الأول: هذه أخبار أُخر.

الرسول: أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء اتجهوا إلى رودس وعزّزوا اسطولهم بأسطول مساعد.

العين الثاني: هذا ما كنت أقدِّره ـــ كم تظن تعداد ذلك الأسطول المساعد؟

الرسول: يبلغ ثلاثين شراعاً ضمّوها اليهم والآن هم عائدون ظاهراً نحو قبرص. وهذا بلاغ من السنيور منتانو خادمكم الباسل الأمين الذي يرفع اليكم تَجِلاَّته ويرجو أن تصدِّقوا بلاغه.

الدوج: تحقق إذن أن مقصدهم قبرص أليس فيها الآن مركولكسيكو؟

العين الأول: هو الآن في فيورنته.

الدوج: اكتبوا اليه من قِبَلنا وأرسلوا الأمر من الفور بريداً ببريد.

العين الثاني: هذان برابنسيو والمغربي الشجاع.

(يدخل برابنسيو وعطيل وياجو ورودريجو وضباط)

الدوج: يجب علينا يا عطيل الباسل أن نستعين بك عاجلاً على عدو الوطن (إلى برابنسيو) لم أرَك قبلاً أيها السيد الشريف، تحيةً وتكريماً. كنا في حاجة إلى مَشورتك وإمدادك في هذه الليلة.

---

(١) الميرة: الطعام.

(٢) لا يقذف في روعنا: لا يداخلنا الظن.

(٣) لا يحلون: لا يستفيدون منها شيئاً يذكر.

برابنسيو: وأنا في حاجة إلى مشورتكم وإمدادكم أيضاً. أستميح من فضل سموّكم حلماً. إن الذي انتبذ بي من مرقدي لم يكن داعيَ منصبي ولا نبأ جاءني عما نحن فيه. وليس همُّ المصلحة العامة همّي الآن بل بي حزن خاص من تلك الأحزان المجتاحة المتغلبة التي هي أشبه بالفيضان الجارف لكل ما يمرُّ به. ذلك الحزن قد طغى على سائر شواغلي واستغرقها وبقي وحده مالئاً نفسي.

الدوج: ما ذلك الخطب؟

برابنسيو: بنيتي بنيتي!

الدوج والأعيان: أماتت؟

برابنسيو: ماتت عني. خُدِعَتْ. سُرِقتْ مني. أفسدتْ بُرقى وعقاقير مشتراة من بعض الدجالين. وهل تستطيع الفِطرة ما لم يغيرها السحر أن تكون بلهاء عمياء حمقاء إلى ارتكاب مثل هذا الخَطَل(١)؟

الدوج: أياً كان الذي استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف كريمتك من نفسها ومنك فسيلقى من القصاص أشد ما تؤوِّل به نصوص قانون العقوبات الرهيب بما ندع لك الرأي في تأويله. نعم هكذا سيكون ولو أن الجاني هو ابننا بنفسه.

برابنسيو: شكراً لسموكم بكل خضوع. إن الرجل هو هذا المغربي الذي سمعت أنك استدعيته الآن لبعض أمور الدولة.

الدوج والأعيان: إننا لآسفون أشد الأسف.

الدوج: بم تجيب دفاعاً عن نفسك .

برابنسيو: بلا شيء والحق ما ذكرتم.

عطيل: يا أولى الاقتدار والرفعة والوقار سادتي الأمجاد المدربين، حق أنني أخذت كريمة هذا الشيخ بحيلة. وحق أنني اقترنت بها. غير أن ذنبي لا يتجاوز هذا القدر. إني خشن في مقالي وغير حاذق في صناعة المخاطبة باللسان السلمي العذب، ذلك لأن هاتين الذراعين، منذ بلغتا مبلغهما للسنة

---

(١) الخطل: إخطاء الرأي.

السابعة بعد مولدي إلى مبدأ التسعة الأهلة الأخيرة من عمري، لم تألفا من الرياضة أجمل مما ألفتا منها حيال الفلوات المضروبة فيها الخيام وفيما عدا وقائع الحرب والجلاد لا أجد شيئاً ينطلق به لساني إلا اليسير من أحوال هذا العالم الواسع فإذا دافعت عن نفسي فلا قبل لي بتحلية الدفاع ولا خشية عليكم من تأثير محسناتي اللفظية، ولهذا سأقص عليكم إن أذنتم بكلمات موجزة صريحة غير منمقة ولا مزدانة تاريخ غرامي وأذكر لكم أية العقاقير وأية الطلاسم وأية المؤامرات استخدمتها لإغراء كريمته فتعلموا مبلغ تلك التهمة من الصحة.

برابنسيو: فتاة تعيش خَبِيَّة هادئة خادرة تكاد تحمر خجلاً إذا أبدت حراكاً أتخالف طبعها وسنها وأمتها ومنزلتها من الجاه بل كل مسوغ مشروع لتعشق شخصاً كانت تتهيب النظر اليه؟ من قال إن الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبتر الرأي ناقصه، والذي تقضي به الضرورة لدى حدوث مثل هذا الحادث أن يبحث عن علته في حيلة من حيل جهنم، فأنا مازلت مصراً أن ذلك الرجل أثر فيها بمزيج فعَّال في الدم أو بشراب مَرْقيّ لهذا الغرض.

الدوج: الإصرار ليس بالإثبات ولا بدَّ لك من الاستشهاد بوقائع أجلى وأدق من المزاعم العرضية والتقديرات السهلة التي تدل عليها هذه الظواهر المألوفة.

العين الثاني: ليتكلم عطيل. هل اتخذت وسائل منحرفة ذات تأثير شديد لتنفث في ضمير الفتاة السم وتملكها بها، أو تذرّعت اليها بالاستعطافات والإلحاحات الجميلة التي تناجي بها النفسُ النفسَ لتستميلها؟

عطيل: أبتهل اليكم أن ترسلوا في طلب السيدة من منزلي بالثُّكْنَة ولتتكلم عني بحضرة أبيها فإذا شهدت بشيء تستقبحونه مني فلا تكتفوا بحرماني ثقتكم وعزلي من منصبي بل أوقعوا عقوبتكم على حياتي.

الدوج: لتستحضر ديدمونه.

عطيل: حامل العلمَ اذهبْ واذْلُلْهم على مكانها (يخرج ياجو وبعض الخدم) وفي انتظار قدومها سأقصُّ على مسامعكم الشريفة قصة هذا الغرام الذي ملكتُ به قلب تلك الحسناء وملكتْ به قلبي.

الدوج: اذكر لنا هذه السيرة يا عطيل.

عطيل: كان أبوها يحبني. وكان كثيراً ما يدعوني فيسألني ترجمتي مفصلةً سنةً بسنة وبيان المكافحات والمحاصرات التي شهدتها وتعديد ما أحرزته من النَّصَرات، فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبقَ في حياتي كبيرة ولا صغيرة إلا حدثته بها وذلك منذ نعومة أظفاري إلى اليوم الذي كنت أجالسه فيه. فما وصفته له الطوارىء الرائعة والفواجع المبكية التي لقيتها براً وبحراً من مثل ما جرى لي يوماً وقد أوشكت أن أُقتَل في ثُلمة[1] من ثلمات الحصار لولا لطفٌ من الله تداركني عن قيد شعرة، ومن مثل استئساري يوماً لعدو وقح باعني بيع الرقيق، ومن مثل شرائي رقبتي وضروب الغرائب التي صادفتها في أيامي. وكان في خلال إخباري بتلك الوقائع يدخل في كلامي تصوير مفاوز[2] فسيحة وصحارى قاحلة ومحاجر كالحة وصخور وجبال تشمخ بقممها إلى العنان. كل هذه الأعراض كانت تمرُّ تباعاً في أقوالي ناهيكم بمشاهداتي لأكَلة اللحوم البشرية ولأقوام أُخر جعل الله رؤوسهم تحت أكتافهم. وكانت ديدمونه تسمع هذه الأقاصيص بشغف. سوى أن بعض مشاغل البيت كانت بين آن وآن تضطرها للقيام، فإذا انصرفت لها قضتها بأسرع ما تستطيع وعادت تشرب حديثي بأذن ظمأى. فلما لمحتُ ذلك منها استدرجتُها ذات يوم في ساعة مناسبة لتسألني أن أقصّ عليها بالتمام سيرة رحلاتي التي كنت قد سمعت منها نُتَفاً ولم تتمكن من استتباعها فأعدْتُ عليها تلك السيرة كما أرادت، وكنتُ أراها غير مرة تبكي رحمةً لشبابي مما أصابني فيه من الأرزاء[3] الأليمة. وعندما ختمت قصتي كافأتني عليها بتنهُّدات لا تحصى وأقسمت أنها غريبة في الغاية وأنها محزنة إلى النهاية بحيث تمنَّتْ لو لم تسمعها، على أنها قالت في بعض ما قالت إنها كانت تودُّ لو خلقها الله رجلاً على هذا المثال، ثم شكرت لي معروفي

---

(١) الثلمة: فراغ لا يملأ. أيضاً: خسارة لا تعوض.

(٢) مفازة: فلاة لا ماء فيها.

(٣) الأرزاء: المصائب.

وكاشفتني بأنه إذا كان لي صديق يحبني فحسبي أن أعلّمه كيف يقصّ ترجمة حياتي لترضى به قريناً. هذه العبارة جرّأتني فبُحْتُ لها بما في ضميري وعلمت منها أنها أحبّتني بسبب الأخطار التي عانيتها وشعرتُ من نفسي أنني أحببتها لما تبيَّنتُ من شفقتها عليّ ورقّتها لي. ذلك هو الفنُّ الوحيد الذي توسَّلْتُ به اليها من أفانين السحر. على أنها قادمة وستسمعون شهادتها.

(تدخل ديدمونه)

الدوج: أعتقد أن قصة كهذه تُستَهْوَى بها ابنتي أيضاً. أيها العزيز برابنسيو لا تنظرْ إلى هذه المسألة من حيث تؤلمك. إن الرجال لأشدُّ دفاعاً عن أنفسهم بأسلحتهم المحطَّمة منهم بأيديهم وهي خالية.

برابنسيو: ألتمس أن تسمعوا كلامها لتعترف أنها خَطَتْ نصف الطريق، والله شهيد أن ملامتي لا تقع بشدّتها على هذا الرجل. تقدَّمي أيتها الآنسة الجميلة. أمدركة أنتِ لمن من هؤلاء الجماعة الشرفاء يجب عليكِ الطاعة؟

ديدمونه: يا والدي الشريف أجد هنا واجباً مقسوماً. أنا مدينة لك بحياتي وتأديبي ومنهما أعرف قدر ما ينبغي لك عليّ من التجِلّة[1] ومـا زلتَ خليقاً بطاعتي لأنني لم أزل سليلتك. غير أن هذا الرجل قريني وإني لَمُقِرّة بين يديك أنني مدينةٌ لهذا المغربي بمثل الطاعة التي كانت تلبّيك بها أمي مؤثرةً[2] إياك على أبيها.

برابنسيو: عافاكم الله. انتهيت. أرجو من سموِّكم أن يتحوّل اهتمامنا إلى مصالح الحكومة. كان خيراً لي أن أتبنّى طفلاً ما من أن أَلِدَ هذه. ادنُ منها أيها المغربي. أعطيك هنا عن رِضا ما كنت لا أسمح لك به لو لم تسق إلى ملكه. لكِ فضلٌ عليّ يا جوهرتي بسرور عظيم سُررتُه الآن، وهو أنني لم أُرزق سواكِ من البنات، لأن فرارك كان يضطرُّني أن أعاملهنّ بقسْوَة المستبدِّين وأجعل في أعناقهن الحبال. انتهيت يا مولاي.

---

(١) التجلة: الجلالة والعظمة.

(٢) مؤثرة: مفضلة.

الدوج: دعني أتكلم عنك وأذكر حكمة إذا عمل بها هذان العاشقان تدرجا إلى رضاك. حيث بطل نفع الأدوية زالت الآلام بزوال ما كان عالقاً بتلك الأدوية من الآمال. البكاء على ما فات مجلبة لغيره من الآفات. من عجز عن استعادة ما ذهبت به المقادير فالأجدر به أن يحول بصبره جد المصاب إلى سخرية ودعاب. الرجل الذي يسرق فيبتسم ينتقص شيئاً من السارق، أما الذي يحزن بلا طائل فهو سارق نفسه.

برابنسيو: إذن لندع الأعداء يغصبون منا قبرص ولا خسارة علينا ما بقي في استطاعتنا أن نبتسم هذه حكمة خفيفة المجرى على لسان من في قلبه مثل ما فيها من التسلية، أما الذي يحمل الألم والحكمة معاً فهو الذي يستعير من الصبر ما يدفعه إلى الحزن. أمثال تلك الحكمة، وفيها الحلو والصاب[1] مجتمعين والقوة والضعف متجاذبين، إنما هي كلم ملتبسات على أنها ألفاظ ولسن إلا ألفاظاً. وما سمعت حتى الساعة بشفاء وصل من طريق الأذن إلى قلب جريح. لنتكلم الآن في شؤون الدولة. هذا ابتهالي اليكم بكل اتضاع.

الدوج: الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرص. عطيل أنت أدرى بجهد ما تستطيعه تلك الجزيرة من المقاومة ومع أن لنا هنالك عاملاً ذكياً فيه الكفاية كل الكفاية لصيانتها إلا أن المشورة التي لها القول الفصل في تحول الأحوال هي التي آثرتك وبك تجد مزيداً من الثقة فلا بد لك من أن تشوب بهجة فرحك بأخطار هذه الحملة وضوضائها.

عطيل: العادة وهي المستبدة قد استحكمت مني أيها الأعيان المتبصرون حتى جعلت مرقد الصخر والفولاذ في الحرب ألين لي من مرقد الزغب الناعم. وإنني لأشعر بسرور طبيعي وثاب لدى مغامرة المحن القاسية. فعلي إذن تولي هذه الحرب في وجه الأعداء. وغاية ما ألتمسه منكم مع الخضوع لعظيم اقتداركم أن تجعلوا لحيلتي كفالة لائقة لمقامها فتمنحوها منزلاً وتجْروا

---

(١) الصاب: شجر عصارته مرة.

لحليلتي كفالة لائقة لمقامها فتمنحوها منزلاً وتجْروا عليها رزقاً يكونان على مناسبة شرفها وعلو محتدها[1].

الدوج: لها أن تقيم عند والدها إذا رضيت.

برابنسيو: لا أرضى.

عطيل: ولا أنا.

ديدمونه: وكذلك أنا أستعفي صيانة لوالدي من أن تحرجه رؤيتي. أيها الدوج الرحيم تقبّل مني دعاء أستمد به معونتك لجرأتي.

الدوج: ماذا تريدين يا ديدمونة؟

ديدمونه: لقد أحببت المغربي حباً يقضي عليَّ بألا أفارقه في حياتي. أثبت ذلك بما تعرضت له من سوء الأحدوثة[2] والاستسلام للقدر وقلبي يعينني على تحمل جميع المتاعب التي يقضي بها عليَّ منصب هذا السيد الذي وقفت روحي وسعادتي على مجده وبسالته. فإذا تركتموني أيها السادة الأعزاء مقيمة ههنا كالفراشة في أيام الصفاء على حين يذهب هو إلى الحرب حرمتموني إيفاء النذر الذي نذرته لذلك الشرف الذي من أجله أحببته وسمتموني عذاب هجر طويل عليَّ مهما قصر... فائذنوا لي بالسفر معه.

عطيل: إذناً بسفرها أيها السادة. أبتهل اليكم أن تجيبوها إلى سؤلها والله يشهد أنني لا ألتمس لها هذا العناء لمتاع نفسي وإخماد لواعج قلبي فقد شفيت سورته الأولى، ولكن لقضاء رغبتها بحب وكرامة. كما أنني أحاشي معاليكم الطاهرة من أن تظنوا أنني سأهمل الأعمال الجدية الجسيمة المنوطة بي لأن حليلتي تكون بجانبي. لا لا. ولو أنني استسلمت بغرام استسلاماً يغشى بنعيمه حزمي وعزمي ويفسد للذاته قيامه بواجباتي لرضيت أن تأخذ قعائد البيوت خوذتي ليصطنعن منها طاسة، وأن يباريني في شهرتي ومجدي الزعانف[3] الذين يصحبهم النحس والخجل فيظهرا علي ويسبقوني.

---

(١) محتدها: شرف، أصلها.

(٢) الأحدوثة: المديح والثناء.

(٣) الزعانف: الطائفة من كل شيء.

الدوج: ليكن من أمر حلها أو ترحالها ما تريان أنتما. الحاجة ملحَّة والخطب يقتضي المبادرة.
العين الأول: ينبغي أن تسافر الليلة.
عطيل: بكل ارتياح.
الدوج: سنجتمع ههنا الساعة التاسعة صباحاً فاستبق يا عطيل واحداً من ضباطك ليحمل اليك غداً تكاليفنا ومرسومات تنصيبك وتلقيبك.
عطيل: إذا حسُنَ لدى مرحمتك أستبقي حامل علمي. هو رجل أمين نزيه واليه سأعهد في إحضار امرأتي وحمل ما تشاء مرحمتكم إرساله إلي.
الدوج: ذلك اليك. طاب ليلكم جميعاً. (إلى برابنسيو) أيها السيد الشريف إذا صح أن الفضيلة لا تخلو قط من جمال خلاب فصهرك أجمل بكثير مما هو أسود.
العين الثاني: صحبتك السلامة أيها المغربي الباسل. أحسن معاملة ديدمونه.
برابنسيو: اسهر يا مغربي إذا كانت لك عينان ترى بهما. إنها خدعت أباها وقد تخدعك أيضاً.

(يخرج الدوج والأعيان والضباط الخ)

عطيل: أنا أضمن أمانتها بحياتي. أي ياجو النزيه إني مضطر أن أدع لك ديدمونه وأرجو أن توصي امرأتك بمنحها ما ينبغي من الخدم وعليك أن توصلها إلى الجزيرة في أحسن ما يستطاع. تعالي يا ديدمونه لم يبق لي إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدبير شؤون رحلتنا الوقت حاكم لا بدَّ من طاعته.

(يخرج عطيل وديدمونه)

ردريجو: ياجو.
ياجو: ماذا تقول يا ذا القلب النبيل؟
ردريجو: أيُّ شيء تظنني أتمناه الآن؟
ياجو: لا جَرَم أن تتمنى الذهاب إلى السرير والرقاد.
ردريجو: سأذهب لإلقاء نفسي في البحر حالاً.
ياجو: إذا فعلتها لم أحبك بعد الآن. أتفعلها أيها الشريف الأبله؟

ردريجو: البلاهة أن نعيش حيث العيش ألم، وأنجع دواء هو الموت حيث يكون الموت هو الطبيب.

ياجو: يا له من جبن! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سنّي ومنذ طفِقتُ أتبين الإساءة من الإحسان لم أجد رجلاً يحب نفسه حق الحب. أنا قبل أن أعزم على الهلاك غرقاً لهُيامي في دجاجة ما، أؤثر أن أتحول من رجل إلى قرد.

ردريجو: ما في وسعي أن أعمل. أعترف أن العشق وقد بلغ هذه الغاية عارٌ عليّ ولكنه ليس في طاقتي أن أستشفي منه.

ياجو: الطاقة؟ ما معنى الطاقة؟ نحن الذين بإرادتنا نكون كذا أو كذا. أجسامنا حدائقنا ومشيئاتنا بستانيّوها بحيث لو عَنَّ لنا أن نزرع فيها صنفاً دون آخر أو نستنبتها عشباً أو ننزع غيره أو نخدمها فتخصب أو نهملها فتُمْحِل ففي مشيئاتنا من السلطة ما يكفي لإعدادها وتنقيحها على حد ما نشتهي. ثم إنه لو لم تكن في ميزان أعمارنا كفّة من العقل لمعادلة كفة الشهوة لكانت خِسَّة طبائعنا تدفعنا إلى أوخم العواقب. غير أننا رُزِقنا العقل لإخماد ثورة غضبنا وتسكين لواعج أمانينا البدنية وكبح شهواتها التي لا لُجُم لها. ومما تقدم أستنتج أن الذي تسمّونه حُبّاً إن هو إلا فُسَيلة كسائر الفسائل أو فرع كسائر الفروع.

ردريجو: غير معقول أن يكون الحب هكذا.

ياجو: بل قل هو — وما يزيد عما أعرفه به — مطمعٌ من الدم وإذنٌ من الإرادة. تنبَّهْ وكنْ رجلاً. أتغرّق نفسك! غرّق لي بعض الهرر أو بعض الكلاب الصغيرة العمياء. لقد أبديت لك صداقتي وأجاهرك أنني مشدود إلى كرائم خلالك بحبال متينة خالدة، ولم يكن قط في وسعي أن أخدمك كخدمتي إياك الآن. ضع نقوداً في جيبك واتبعنا إلى دار الحرب مخفياً وجهك وراء لحية مستعارة. ضع نقوداً في جيبك، نصيحة مني لك إذ لا يُحتمل أن تستمر ديدمونة على حبها للمغربي.. ضع نقوداً في جيبك... ولا يحتمل أيضاً أنه هو سيستمر على شغفه بها طويلاً، ذلك بأن البداءة العنيفة في مثل هذا الاتصال يعقبها الانفصام العنيف... ضع نقوداً في جيبك

ولا تكلّفْ نفسك غير هذا العناء... إن هؤلاء المغاربة لمتقلبون في أهوائهم... إملأ جيبك نقوداً. فإن الطعام الذي يجده الساعةَ شهياً كالأناناس سيصبح في فمه مُرّاً كالعلقم. وأيضاً هي، فإنها ستبتغي منه بديلاً أنْضَر عوداً، وعندما تشبع من رسمه تتنبّه لسوء اختيارها وتريد التغيير... حتماً... على هذا ضع نقوداً في جيبك... وإن كنتُ مصِراً على التهالك بلا محيض فالتمس شيئاً أقل فظاعة من الغرق... إجمع ما تستطيعه من النقود... فإذا لم تكن قدسية الزواج وضعف اليمين التي يرتبط بها بربريٌّ شريد ورفيقة من نواعم البندقية أمرين فوق المكايد التي يفتقها فكري وفوق جميع القوى الجهنمية فإنك لا محالة متمتع بها. إذن هيِّئْ نقوداً... أتغرق نفسك؟! بئس الرأي من رأيٍ خائب. انبِذْه وفضِّلْ أن تشنق وقد قضيت مأربك على الغرق الذي يُقْصيك عن هذه الدنيا وفي نفسك تلك الحسرة.

ردريجو: أتنشط بلا ملل ولا انحراف لتحقيق آمالي إذا عزمت على هذا السفر.

ياجو: أنت على ثقة مني. اذهب وأعدد نقوداً. قلت لك مراراً وأعيد عليك قولي تكراراً إنني أكره ذلك المغربي وبغضي له متأصل في فؤادي كما هو متأصـل في فؤادك فلنجمع ثأرينا، وإذا استطعت أن تدنس عرضه كان ذلك لك سروراً وكان لي تفكهة. الليالي يحملن كثيراً من الحوادث وسيلدنها. إلى الأمام إلى الأمام. اذهب واجلب نقوداً ثم نستأنف المفاوضة غداً. أستودعك الله.

ردريجو: أين نلتقي غداً صباحاً؟

ياجو: في منزلي.

ردريجو: سأذهب اليك مبكراً.

ياجو:حين تشاء. إلى الملتقى. أسمعت؟

ردريجو: ماذا تقول؟

ياجو: أقول إياك والغرق.

ردريجو: غيرت عزمي وسأبيع أملاكي.

ياجو: اذهب موفقاً وضع نقوداً كافية في جيبك (يخرج ردريجو). بهذه الحيلة وبأمثالها جعلت هذا الأحمق موضع جيبي ولو لم أفعل لانتقصت

التجارب التي اكتسبتها، إذ لا معنى لإضاعة وقتي مع مثل هذا الفرخ الرومي ما لم أستفد منه تسلية ومالاً. أنا أمقت المغربي ويظن الجمهور أنه أعلى منصبي من تحت لحافي على أنني لا أعلم إن كان هذا الظن صحيحاً ولكن الوهم في مثل هذا يكفي عندي للحلول محل الحقيقة. الرجل يحترمني وأحترمه إياي يزيدني رجاء بإفلاح مكايدي... أما كاسيو فهو شاب جميل لنفكر في أمره هنيهة... ما العمل للحصول على منصبه بحيث أكون قد أصبت رأسين عن رمية واحدة من رميات غدري؟ أية الحيل أفضل؟ لنفكر قليلاً. خير وسيلة فيما أظن أن آخذ بمخادعة أذن عطيل فألقي فيها كلمة بمعنى أن كاسيو شديد التقرب من امرأته. على أن شكل كاسيو وحسن أدبه يريبان، وقد خلق لإغواء الغواني. ولما كان المغربي صريح الضمير بيِّن الطوية يعتقد النزاهة في كل من يرى عليه ملمحها كان الميسور لي أن أقتاده من أنفه كما يقتاد الحمار. هذه مكيدتي ظفرت بها... فليستولدها صلب الظلام من بطن جهنم خلقاً شاذاً إذا طلع عليه النهار ظهر فظيعاً رهيباً.

الفصل الثاني

المشهد الأول
مرفأ في قبرص ورواق

(يدخل منتانو ووجيهان)

منتانو: ماذا تتبين في البحر من جهة الرأس؟
أحدالحاضرين: لا أتبين شيئاً. البحر مضطرب جداً ولا أستطيع أن أرى شراعاً بين السماء والماء.
منتانو: أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن إعصاراً كان أشد على حصوننا وممتنعاتنا من هذا الإعصار. على أنه إذا كان هذا ما فعله في البحر فأيَّةُ الأشجار استطاعت أن تبقى في منابتها عندما تحاذفت عليها جبال الأمواج. أي شيء سيجيئنا من أخبار هذه العاصفة.
الوجيه الثاني: تفرَّق اسطول الأعداء. انظر من الشاطىء المضطرب ترَ الأمواج الثائرة كأنها واثبة لتضرب السحاب، بل كأنها هاجمة بعُفراتها[1] الرائعة المتعالية لتلقي ماءً على النار المتَّقدة في نجوم الدُّبّ ولتطفىء تلك الثوابت

(١) عفرات: شعر القفا من الأسد.

من حراس القطب. ما رأيت عمري غَضْبَةً للبحر الهائج كهذه الغضبة.
منتانو: إذا كان اسطول العدو لم يلجأ إلى الموانيء فإنه لغريق وتستحيل عليه المقاومة.

(يدخل وجيه ثالث)

الوجيه الثالث: أخبار جديدة يا أولادي. انتهت الحرب لأن هذه العاصفة الجموح تركت أساطيل الأعداء مكسورة الأجنحة وقد رأى غرَقها وتحطُّمها مركب قادم من البندقية.
منتانو: يا للعجب أصدقٌ ما تقول؟
الوجيه الثالث: المركب قد دخل المرفأ ونزل منه فيروني[1] يدعى ميشيل كاسيو. هو ملازم المغربي الباسل عطيل. ومن قوله إن عطيلاً في العباب الآن وإنه موفَد الينا ليكون آمراً مطلقاً في قبرص.
منتانو: أنا مسرور به لأنه حاكم جدير بهذا المقام.
الوجيه الثالث: غير أن كاسيو هذا على ما جاءنا به من الأنباء الطيبة عما حلَّ بالأعداء لا يبدو عليه الارتياح بل هو كئيب يدعو الله لنجاة المغربي لأن العاصفة بشدَّتها فرَّقت بينهما.
منتانو: لنضرعْ إلى الله أن يسلِّمه فقد خدمتُ تحت إمْرَتِه وهو قائد لا عيب فيه. هلمَّ إلى الشاطيء لنرى المركب الذي وصل ونرقب بأعيننا مَقْدَم عطيل. ولنلبث ناظرين من موقفنا حتى تختلط في أبصارنا خضرة البحر وزرقة الهواء.
الوجيه الثالث: لنفعل ذلك فإنه يرجى في كل دقيقة طروق فوج من الوافدين.

(يدخل كاسيو)

كاسيو: حمداً لك أيها الباسل حاكم هذه الجزيرة لذكرك المغربي بمثل هذا المديح. لعلَّ الله يقيه فقد ضللتُ عنه في بحر زاخر بالأخطار.

---

(١) فيروني: نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا.

منتانو: أتقول سفينته صالحة للمقاومة؟
كاسيو: سفينته متينة البناء ودليله ملاح مشهود له بالمهارة، لهذا لم يضعف أملي بمجيئه.
صوت (من الخارج): شراع. شراع. شراع.
كاسيو: ما هذا النداء؟
الوجيه الرابع: خَلَت المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطىء يصيحون: هذا شراع.
كاسيو: قلبي يحدثني بأن هذا مجيء الحاكم.

(قصفة مدفع)

الوجيه الثاني: تلك قصَفات وداد فلا بدَّ أن القادمين من أوليائنا.
كاسيو: هلاَّ ذهبت يا سيدي فأخبرتنا من القادمون؟
الوجيه الثاني: أنا ذاهب.
منتانو: أقائدك متزوج أيها الملازم الكريم؟
كاسيو: صادفته العناية فملكَ قلب فتاة لا يحيط بجمالها الوصف ولا المبالغة. فتاة تفوق بمحاسنها الفطرية أبرع ما يتخيله الكاتبون وأبدع ما يصوّره المصوّرون.

(يعود الوجيه الثاني)

كاسيو: بشِّرْنا مَن دخل المرفأ؟
الوجيه الثاني: رجل يدعى ياجو حامل علمَ القائد.
كاسيو: وُفِّق في سفره وسبَق الأوان. فلا ريب أن العواصف نفسها، والبحار الثائرة، والرياح الزائرة، والصخور التي تعترضها الأمواج والرمال المتراكمة الخائنة التي تتصيّد المركب البريء قد داخلها شبه رقة للجمال فتحوَّلت عن طبائعها المهلكة، لتفسح سبيلاً أمينة تمرُّ منها ديدمونه.
منتانو: مَن هذه الإنسانة؟
كاسيو: هي التي كنت أذكرها لك. هي قائدة قائدنا العظيم. جاءت يرعى طريقها الباسل ياجو الذي وصل بها قبل الموعد بسبعة أيام. أيها المشتري

الأكبر مالك البحر أيِّدْ عطيلاً واملأْ شراعه بنسمتك القديرة ليشرِّف هذا المرفأ بزيارة مركبه الجميل ولينعم بقرب ديدمونه وليذكي في قلوبنا ما خَبَا[1] من ضَرَم[2] الشجاعة وليمنح قبرص الأمن والسكون.

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو ورودريجو وبعض الأتباع)

كاسيو: انظروا هذه كنوز المركب قد نزلت إلى البرّ. يا سكان قبرص سجوداً لديها. تحية وسلاماً أيتها السيدة وَلْتُحِطْ بكِ النعَم من كل جانب.
ديدمونه: شكراً لك يا كاسيو المقدام. ما عندك من أخبار سيدي؟
كاسيو: لم يصل بعد ولكنه بخير فيما أعتقد. وسيكون ههنا عما قليل.
ديدمونه: أواه، أنا خائفة. كيف لا تكون مصاحبه؟
كاسيو: فرقت بيننا مكافحة الماء والسماء. لكن سمعاً هذا شراع.
صوت (من الخارج): شراع.

(قصفة مدفع)

الوجيه الثاني: قصَفات تحية للقلعة، هؤلاء هم أيضاً أصدقاء.
كاسيو: وافِنا بالنبأ (يخرج الوجيه) يا حامل العلَم الكريم مرحباً بك (إلى إميليا) وأهلاً بكِ أيتها السيدة. يا صديقي ياجو، لا تحْنَقْ إذا تماديت في مجاملتي لامرأتك فإن الأدب الذي رُبيت عليه هو الذي يحملني على تجاوز اللائق.
(يقبّل إميليا).
ياجو: لو أعطتك من شفتيها مقدار ما تعطيني من لسانها لاكتفيتَ سريعاً.
ديدمونه: أسفي عليها لَقَلَّما تتكلم.
ياجو: وذمتي إنها لتتكلم فوق الكفاية. أشعر بذلك كلما جاءت ساعة الرقاد.

---

(١) خبا: ستر، خفي.

(٢) ضرم: لهب.

لا جرَمَ أنها في حضرتك الآن تضع شيئاً من لسانها في قلبها ولكنها تختصمني في فكرها.

إميليا: لا سبب يدعوك لمثل هذا اللمز.

ياجو: كيف لا ؟ وأنتنَّ النساء حور حين تكنَّ خارج البيوت، وأجراس حين تكنَّ في الخدور، وهِرَر برية في المطابخ، وقدِّيسات حين تتصدَّينَ لأهانة أحد، وشياطين حين يجرؤ أحد على تكديركن، وبواهل[1] عواطل حين تجب خدمة المنزل، ونشيطات مشتغلات بأمور المنزل حين تدخلن الأسّرة.

ديدمونه: وَيْحٌ لك من نمَّام...

ياجو: لست بنمام، هي الحقيقة أو أنتسب لأعداء بلادي إنكن إن تنهضنَ فللتنزه أو تدخلن الأسرة فللاشتغال بمسائل البيوت.

إميليا: لو ابتغيت مادحاً لما استعنت بك.

ياجو: أولى لكِ ثم أولى!

ديدمونه: ولو كلّفت بمدحي ما تقول؟

ياجو: أيتها السيدة الشائقة لا تكلفيني عملاً كهذا لأنك إن طلبتِ مني غير الهجو صيَّرتني إلى عدم.

ديدمونه: خالفْ طبعك وجرِّبْ. أذهَب أحد إلى الميناء؟

ياجو: نعم يا سيدتي.

ديدمونه: لست منشرحة الصدر لكنني أخادع حالة بضدها. أجبني كيف تمتدحني..؟

ياجو: أفكر في ذلك فما أجد فكري ينطلق من يافوخي[2] إلا وهو منتزع دماغي وسائر ما هناك كما يفعل الغراء بالوبر الطويل وقد علق به، غير أنه إذا كان لا بد لقريحتي أن تتمخض فهذا ما تلده: « إذا كانت المرأة جميلة وذكية فجمالها لخدمة الآخرين وذكاؤها لاستخدام الجمال ».

ديدمونه: أحسنت. فإذا كانت المرأة سوداء وذكية؟

---

(١) الباهل: المتردد بلا عمل.

(٢) يافوخ: أعلى الرأس ملتقى عظام الرأس.

ياجو: إذا كانت المرأة سوداء وذكية وجدتْ رجلاً أبيض لا يرى سوادها سواداً.

ديدمونه: انتقلنا إلى أقبح مما سبق.

إميليا: فإذا كانت جميلة وحمقاء؟

ياجو: لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يُعينها على إيجاد وارث لها.

ديدمونه: هذه سفاسف قديمة قيلت لإضحاك البلهاء في الخمارات فإن استزدنا فأي شيء تقوله في البشعة الحمقاء؟

ياجو: مهما تكن بشعة وحمقاء فإنها ترتكب من الغوايات ما ترتكبه الحسناء الفطنة.

ديدمونه: ما أكثف هذا الجهل! تصف أقبح النساء بأحسن ما عندك. والآن كاشفنا برأيك في امرأة فاضلة واثقة من شرف خلالها بحيث لا تخشى اللوم ولا التثريب.

ياجو: المرأة التي عاشت جميلة ولم تتكبر، التي لزمت حدَّ الكلام الحر في مناسبته ولم تجاوزه إلى الطنطنة، التي توَفَّر الذهب بين يديها ولم يُطِشْ قلبها، التي استمالها الغرام فلم تَمِلْ وهي قائلة في نفسها لو شئت لاستطعت، التي غيظت وملكت الانتقام فأسكتت غيظها وسامحت في ألمها، التي لم تضعف عندها الحكمة حتى ترضى بذَنب كلب البحر بديلاً من رأس المرجانة، التي ذكا فكرها ولكنها لم تتجه به إلى كشف محاسن نفسها، التي لمحت المحبين يهرعون وراءها ولم تلتفت. تلك إنسانة لو وجدت ومثلها لا يوجد...

ديدمونه: لو تسنَّى وجود تلك الموصوفة فما تقول فيها؟

ياجو: أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغبياء وتدبير حسابات الفنادق.

ديدمونه: بئست النتيجة العرجاء الكسيحة. لا تتعلمي منه هذا العلم يا إميليا ولو أنه قرينك. ما رأيك فيه يا كاسيو أليس هجَّاءً شديد الاستباحة عن غير خبرة؟

كاسيو: يتكلم بلا تصَنُّع يا سيدتي ولكنه يعجبك بسيفه أكثر مما يعجبك بلسانه.

ياجو (على حدة): وضع يده في يدها. أحسنتِ أحسنت. ناجها [1] همساً. متى وجدتُ مصيدة من نسيج العنكبوت رقيقة كهذه الحاشية لم يصعب عليّ أن آخذ بها ذبابة لو بلغ حجمها حجم كاسيو. نعم ابتسمي له. تمتّعْ. سأتصيَّدك بليونة أدبك. كل ما تقوله صحيح... بلا ريب وذمتي. كان خيراً لك وأنت عازم على استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة في فمك تُوسعها تقبيلاً لترى الحسناء أنك شاب جميل... أحسنت. هكذا لثم الأصابع ما ألطف هذه المجاملة... في الغاية في الغاية... ما هذا؟ أتعيد أصابعك إلى فمك مرة أخرى؟ ما أشوقني لرؤية تلك الأصابع تتحول عند حاجتك إلى أنابيب محقنة. (يسمع بوق عسكري) لقد جاء المغربي عرفت بوقه.

كاسيو: نعم هو هوَه[2].

ديدمونه: بَدارِ لملاقاته[3].

كاسيو: بل قد أقبل.

(يدخل عطيل ورهط من أتباعه)

عطيل: يا حبيبتي الشجاعة.

ديدمونه: يا حبيبي عطيلاً.

عطيل: لا يعادل سروري بلقائك إلا إعجابي بأن أراكَ تقدمتني يا بهجة حياتي، لو كانت جميع العواصف تنتهي إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياح تزأر حتى توقظ الموتى وليت فُلْكي وهي تعاند المعاطب ترتفع بها جبال من الأمواج عالية كالأولمبس[4] ثم تنحدر بها إلى الحضيض البعيد بُعْد

---

(١) ناجه: استقبله بما يكره، رد أقبح الرد.

(٢) هذه الهاء توضع للوقف.

(٣) بدار: أسرع.

(٤) الاولمبس: اسم جبل شهير ببلاد اليونان.

جهنم عن السماء! أما والذي بيده نفسي لوددت أن أموت الآن من فرط ما أنا فيه من السعادة المطلقة التي أخشى ألا يعاودني مثلها في المستقبل المجهول!

ديدمونه: أعفانا الله من أن يُنتَقَص حُبُّنا وهناؤنا قبل أن يحين أجلنا.

عطيل: أجيب بآمين على هذا الدعاء يا أيتها السماوات الرحيمة، لا أستطيع الإفصاح عما أنا فيه من الغبطة كما أتمنى. يكاد السرور لشدته يقطع عليَّ أنفاسي، لتكن هذه القبَل (يقبّلها) غاية ما يبلغه قلبانا من الخصام والشقاق.

ياجو: أنتما الآن على أتم اتفاق ولكن أقسم بنزاهتي إلا ما أرخيت الأوتار التي تخرج هذه النغمات المؤتلِفة.

عطيل: هلمّ بنا إلى القصر، أنا حامل اليكم بشرى يا أصحابي.. انتهت حروبنا بغرق الأعداء، كيف حال الذين عرفناهم قبلاً من أهل هذه الجزيرة؟ أي حبيبتي سيقيمون لك أفراحاً عظيمة في قبرص ولي عند ساكنيها مودَّة أعتد بها، أي حبيبتي إنني أُكثر من الكلام بغير ما يجب وأكاد أهذي من وفرة ابتهاجي، أرغب اليك يا أميني ياجو أن تذهب إلى المرفأ وتحمل إليَّ أشيائي ثم ادع رئيس الملاحين إلى القلعة فهو ذو براعة فوجب له الإكرام. تعالي يا ديدمونه، على الرحب والسعة نزولك في قبرص.

(يخرج عطيل وديدمونه)

ياجو: (مخاطباً ردريجو) إصحبني حالاً إلى المرفأ، تقدمْ إن كنت شجاعاً، يزعمونْ أن سفْلة الناس متى عشقوا اكتسبوا من شرف النفس ما يفوق فطرتهم، فأصغِ إليّ: الملازم يسهر الليلة بين الحرس واعلم أن ديدمونه مغرمة متيَّمة به.

ردريجو: مغرمة به؟ هذا غير ممكن.

ياجو: أقفلْ شفتيك بإصبعك هكذا وتعلم... ألم تلمح بأية قوة أحبَّت المغربي ابتداءً وذلك لمفاخراته والأكاذيب الوهمية التي قصَّها عليها؟ أتُراها تَّحبه أبداً لأمثال هذه الثرثرات؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل، وأي شعاع تجده حينئذ برؤية ذلك الشيطان، متى بَرُدَ الدم بعد جُهد المداعبة الغرامية كان لا بد لإيقاده ولإدخال جوع شديد على الشبع من جاذب في الملامح،

وتناسب بين العمرين، وتوافق في العادات، وتشاكل في المحاسن، والمغربي خُلْوٌ من هذه الأشياء وأمثالها، فأما وهذه المشوّقات مفقودة منه فمن المحقق أن تلك النفس الرقيقة سترى كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفُواق[1] تقززاً[2] منه، وأن تقلاه وتبغضه، فحينئذ تندفع بدافع الطبيعة إلى رجل آخر تؤثره. فإذا ثبتَ هذا يا سيدي وهو تقدير بديهي لا شبهة فيه بقي أن الرجل الذي في طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضُّحكة العشاق الذي لا يتسع ضميره لأكثر من تزويق شكله بمظاهر الأدب والحشمة يخفي بها ما تحتها من أهوائه الفاسدة المنحرفة، وايمُ الحق إنه لفي أحسن جادَّة[3] تبلغه هذه الغاية خصوصاً مع ما هو عليه من الليونة والتلطف لمقاصده ومن التعود على انتهاز الفرص السانحة التي ربما خلقها بدقة نظره ورشاقة حيلته فهو هُزَأة رجيم وفوق ذلك شاب وجميل إلى سائر الصفات التي تُختَلب بها ألباب مجنونات الغرام ثم إنه يتصل كالمرض المُعْدي وحسبك منه أن المرأة قد لمحته.

ردريجو: لا أصدق ما تدَّعيه لأنها ميَّالة إلى الفضيلة كل الميل.
ياجو: كلمني عن فضيلتها وأكلمك عن أذناب التين،، لو كانت كما تتوهم لما أحبَّت المغربي. بل إن بها صلاحاً ولكنه صلاح القطعة من حلوى البودنج. ألم ترَها لاعبة بمقبض يده، ألم ترَها؟
ردريجو: بلى رأيتها غير أنها مجاملة لا شبهة معها.
ياجو: قسماً بيدي لا مجاملة، ولكن مغازلة. لم تكن السبَّابة[4] أول الدهر إلا المستهِلَّة[5] الخفيَّة لتاريخ الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية. أوشك ثغراهما أن يلتقيا وتلاثَم نفَساهما. ذلك من ضروب من الشروع

---

(١) الفواق: تعرفه العامة بالظغطة.
(٢) تقززاً: استكاراً واحتقاراً.
(٣) الحادة: الطريق القويمة.
(٤) السبابة: ثانية الأصابع بعد الابهام.
(٥) المستهلة: المفتتحة.

في الجريمة يا ردريجو، وأمثال هذه المجاملات متى افتتحت السير ففي العادة أن يتبعها القائد ومعظم الجند على الأثر والعاقبة الالتحام. خَلِّ عنك هذا يا سيدي ودَعْني أُقْدْكَ بما أنني أحضرتك من البندقية. كن في عَسَس[1] هذا الليل وسأُسِرُّ اليك الشعار[2]. كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريباً منك. استنبط وسيلة لإغضاب كاسيو سواء بمخاطبته جهراً أم بالسخرية من نظامه أو بأي سبب آخر تختاره والأسباب ستكون متوافرة في تلك الساعة.

ردريجو: سأفعل.

ياجو: إنه يا سيدي غضوب وله مفاجآت في كدره وربما ضربك. حرِّكه حتى يفعل وعندئذ أنتهز الفرصة أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرص تكون خاتمتها لا محالة عزل كاسيو وهكذا يُختَصر سفرك إلى غايته بما أكيده من المكايد لتحقيق هذه الأمنية ويزول من وجهك هذا الحائل الذي لا ندرك مع وجوده مرامنا.

ردريجو: إذا سنحت فرصة لم أتردد.

ياجو: ستجد الفرصة عن يقين. إلحقْ بي إلى القلعة بعد هنيهة وأنا ذاهب إلى المرفأ لأبعث اليه بثِقَله[3]. إلى اللقاء.

ردريجو: إلى اللقاء.

ياجو: أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقده وأن تحب هي كاسيو ذلك محتمل وسهل التصديق. المغربي ـــ على كرهي له ـــ شريف الخلق ثابت في حبه ولعله يكون لديدمونه بعلاً وفياً لكن أنا الآن احبها أيضاً لا لشهوة تقضى ـــ وإن كان الإحساس الذي يدفعني اليها لا يقلُّ عن ذلك إجراماً ـــ بل لأنها تهيِّىء لي سبيل انتقامي ذلك لأنني أظن أن المغربي الفاسق قد اندسَّ في فراشي وهو تخمين يأكل الأمعاء أكل السمّ المعدني ولا شيء يُرَفِّه[4] عن نفسي إلا أن أجعله عديلي، امرأة بامرأة، فإن لم

---

(١) عسس: حرس، سهر.

(٢) سأقول لك كلمة المرور في المواقع العسكرية.

(٣) ثقله: محمول المسافرين من ملابس ونحوها.

(٤) يرفه: يخفف.

أستطع فأن أُثير فيه من نار الغيرة ما لا يقوى عليه العقل. ولإدراك هذا المرام أرجو أن يطاوعني ذلك النشّاق[1] الحاذق الذي جلبته من البندقية بلا كمامة، فإذا تبع الأثر جيداً لم ألبث أن أملك ميشيل كاسيو عاجلاً من كليتيه وأن اسوِّد وجهه في نظر المغربي تسويداً تاماً لأنني أخشى أيضاً أن يكون بين كاسيو المذكور وبين القبَّعة التي ألبسها للنوم عداوة يسعى لإزالتها[2] ثم اريد أن يحبني المغربي وأن يشكر لي بالحمد والمكافأة جعلي إياه جحشاً بيِّناً وإقلاقي راحته وإفسادي سعادته إلى أن يُجَنَّ جنوناً. هذا مبدأ الخطة التي رسمتها هنا (يشير إلى جبهته) لمكيدتي. هي خطة لا تزال بجملتها مبهمة ولكن وجه الخديعة لا ينكشف إلا إذا أتمّت الخديعة فعلها.

المشهد الثاني
طريق

(يدخل منادٍ بيده قرطاس والشعب يتبعه)

المنادي: اقتضت مشيئة عطيل قائدنا الشريف الباسل بناءً على ما ورد من الأنباء المحققة بدمار اسطول الأعداء أن يعيِّد الأهلون سروراً بهذا الحادث، بعضهم بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام النارية وكلٌّ بالملاهي والألعاب التي يؤثرها. ذلك لأن هذا اليوم عدا ما جاء فيه من الأخبار السارَّة يومُ الاحتفال بقرانه. وقد أمرنا بإبلاغ الشعب أيضاً أن جميع مطاعم القصر ومقاصفه مفتوحة ولمن يشاء أن يأكل فيها ويشرب منذ هذه الساعة الخامسة

(١) يصف ردريجو بصفة الكلب.

(٢) إشارة إلى اشتباهه في ريبة يبويها كاسيو لامرأة ياجو.

إلى أن يُقرَع جرس الساعة الحادية عشرة. بارك الله في جزيرة قبرص وفي قائدها الشريف عطيل.

المشهد الثالث
رَذْهة في القصر

(يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونفر من الحاشية)

عطيل: يا عزيزي ميشيل ارقُب الحرس الليلة ولنعين لمسرّاتنا المدى الذي يقتضيه العقل لئلا نتجاوز نحن الحدّ الذي يجيزه التصوُّن[1].

كاسيو: أُمِرَ ياجو بما يجب وسأرقب العَسَس[2] بنفسي.

عطيل: ياجو أمين جداً، طاب ليلكم، نلتقي بكرة غد يا ميشيل لحاجة بي اليك... (إلى ديدمونه) تعاليْ يا غرامي لنذوق من جنى ما كسبنا ذلك النعيم الذي لم نذُقْهُ إلى الآن، طاب ليلكم.

(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)
(يدخل ياجو)

كاسيو: مرحباً بك يا ياجو، علينا الحراسة.

ياجو: لم تجىء الساعة العاشرة أيها الملازم، وإنما صرفنا قائدنا الليلة قبل الأوان من أجل غرامه ولا ملام عليه لأنه لم يقضِ إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه على كونها قطعة تليق للمشتري[3].

---

(١) التصون: صون النفس عما لا يحمد.

(٢) العسس: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.

(٣) المشتري: كبير الآلهة عند اليونانيين الأقدمين.

كاسيو: إنها لسيدة شهية جداً.

ياجو: ومُحِبَّة للَّعِب. أحلف لها على ذلك.

كاسيو: وعندي أنها أنضر المخلوقات وأرقُّها.

ياجو: ثم إن لها نظرة اليك أدعى ما تكون إلى البراز.

كاسيو: نظرة إقبال ولكن عن سلامة.

ياجو: وإذا تكلمتْ ألا يُخال من صوتها أن ديانا[1] تضرب نغمة الغرام على توقيع حربي.

كاسيو: هي الكمال مجسماً ولا مراء.

ياجو: لندع السعد يتبطن لحافهما وتعالَ أيها الملازم ندخل إلى هذا المكان فقد خبَأتُ فيه إبريق نبيذ وهناك بعض الكرام القبرصيين يُسَرُّون بشرب نخب في صحة عطيل الأسود.

كاسيو: لا أشرب الليلة أيها العزيز ياجو لأن رأسي من أضعف الرؤوس وأقلِّها تحمُّلاً للخمر وكان بودِّي لو أن الأدب اخترع لنا وسيلة غيرها للتودُّد والتجامل.

ياجو: الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلا كوباً واحداً، بل أشربه عنك.

كاسيو: ما تعاطيت الليلة إلا كوباً واحداً مقتولاً (بالمزج) ومع ذلك قد بدا عليَّ أثره. إني أسيف لهذا الضعف ولا أجرؤ أن أحمل نفسي كوباً آخر.

ياجو: أتصرّ على الامتناع أيها الصديق والليلة ليلة عيد وأصدقاؤنا يتمنون مساقاتنا النخوب؟

كاسيو: أين هم؟

ياجو: بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم.

كاسيو: سأفعل ذلك على أنه لا يعجبني.

ياجو: إذا استطعتُ أن أسقيه كأساً غير التي شربها قبلاً امتلأ من الخصومة والسباب كامتلاء الكلب الذي تَعُوله مولاتي الجميلة... ومن جهة اخرى فإن ردريجو رفيقي المريض الأبله الذي قلَبَ الحب دماغه قد شرب الليلة

---

(١) ديانا: إلهة الصيد.

كأساً بعد كأس تكريماً لديدمونه وسيكون مع العسس، وهناك أيضاً ثلاثة من فتية قبرص كرماء النفوس شديدو التحمس في مسائل الشرف لو اندفعوا في كريهة اندفع معهم جميع سكان قبرص الشجعان قد سقيتهم إلى الشَّرَق وسيكونون من الحراس. بقي عليّ أن أستفز كاسيو بين هذا القطيع من السكارى المدمنين لإتيان أمر يعتدونه مُهيناً للجزيرة وأهلها، لكن أراهم قادمين، ولئن طابقت النتائج مقدمات تدبيري سارت سفينتي على ما أشتهي بمعونة المد وموافقة الريح.

(يدخل كاسيو ثم منتانو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون آنية الشراب)

كاسيو: لقد أوصلوني إلى حد النشوة.
ياجو: هاتوا خمراً (يتغنى):

دعونـــي أرنّـــن الـــدنّ[1]
دعونـــي أرنّـــن الـــدنّ
مـــا الجنـــدي إلا إنســـان
مـــا العمـــر إلا دقّـــات
خلوا الجندي يشرب ما شاء
هاتـــوا نبيـــداً يـــا أولادي

كاسيو: بالله انشودة جميلة.
ياجو: تعلمتها في إنجلترا التي أهلها أقدر الناس على تفريغ الدّنان بلا نزاع، أما الدانمركيون والالمان والهولنديون ذوو البطون الكبيرة. هاتوا خمراً. فإنهم لا شيء في مقابلة الإنجليز.
كاسيو: وهل الحقيقة على ما تصف؟
ياجو: الواحد منهم يعاطي الدانمركي حتى يدَعه ميتاً من السكر وهو لم

---

(١) الدن: وعاء كبير فخاري.

يتعب، كما أنه يغلب الالماني في هذا المجال ولا يَعْرق، فإذا ناظر الهولندي أرسله يتقايأ قبل أن يملأ الزق[1] الثاني.

كاسيو: في صحة قائدنا.

منتانو: اشرب هذا النخب أيها الملازم وأنا قريعك[2] مهما ترفع الكأس.

ياجو: واهاً لإنجلترا الشائقة (ينشد):

كان الملك إتيين نبيلاً شريفاً
يشتري سراويلاته بتاج[3]
ويظنه مغبوناً بستة بنسات من الثمن نقداً
يلقب الطرْزي[4] بالضحْكة
كان شاباً بعيد الشهرة
وأنتَ لست إلا رجلاً دنيئاً
الكبرياء مضيعةٌ للأمم
فقم وتدثَّرْ بدثارك العتيق

(نبيذاً يا غلمان)

كاسيو: بذمتي لَهذه الأغنية ألطف من الأولى.

ياجو: أتريد أن أعيدها عليك؟

كاسيو: لا. لأنني أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال غير جدير بمنصبه. على أن الله فوق العباد والعباد فريقان يوم الدين: ناجون وغير ناجين.

ياجو: هذا حق أيها الملازم الكريم.

---

(١) الزق: وعاء من الجلد.

(٢) قريعك: مغالبك.

(٣) تاج: نوع من العملة.

(٤) الطرزي: خياط الملابس.

كاسيو: أما أنا فأرجو أن أكون ناجياً ولا يؤاخذني في ذلك القائد ولا أي رجل ذي مكانة.

ياجو: وأرجو النجاة لنفسي مثلك.

كاسيو: نعم ولكن بعدي لأن الملازم يجب أن ينجو قبل حامل العلَم، لكن حسبنا حديثاً في هذا المعنى... لنلتفت إلى شؤوننا. اللهم اغفر لنا خطايانا. أيها السادة لنلتفت إلى شؤوننا... لا تظنوا أني سكران يا سادتي، هذا حامل حامل علَمي، وهذه يمناي وهذه يسراي، لستُ سكران البتة. أستطيع الوقوف قويماً والتكلم حسناً.

الجميع: حسناً جداً.

كاسيو: على المرام. إذن لا ينبغي أن تظنوني سكران.

منتانو: إلى الرواق يا سادتي نرتب العسس.

(يخرج كاسيو)

ياجو: أتنظر هذا الرفيق الخارج الآن؟ هو جندي لائق للخدمة تحت إمرة قيصر ولتولي القيادة العامة. إلا أنه مصاب بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفة بالغة منه مبلغ فضله فهو بينهما شطران مستويان. غبن عظيم. وإني لأخشى أن تكون الثقة التي لعطيل به سبباً في زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يوماً على منكرة من منكراته.

منتانو: أكثيراً ما يكون على مثل هذه الحالة؟

ياجو: هذه الحالة تكون على الدوام مقدمة لمنامه. وإذا لم تُرْقِدْه النشوة فقد يقضي يومه بليله مستيقظاً.

منتانو: يحسن أن يُنبَّه القائد إلى هذه الخَلَّة فقد لا يراها فيه وقد تكون الفضائل التي يجدها عنده حاجبةً نظرَه عن عيوبه. ألا ؟

(يدخل ردريجو)

ياجو (مخاطباً إياه على حدة): ما أتى بك يا ردريجو ؟ إذهب عَدْواً وأدرك الملازم. إذهب.

(يخرج)

منتانو: من الحيف أن يعرِّض المغربي العظيم للخطر منصباً ذا بال كمنصب نائبه بتركه إياه بين يديْ رجل مصاب بآفة كهذه لا يرجى شفاؤه منها، ومن المروءة أن يفاتَح في هذا الشأن.

ياجو: أنا لا أفعل ولو أُعطيت هذه الجزيرة كلها بدلاً من إقراري لأنني احب كاسيو وبودِّي لو أستطيع شفاءه مهما أبذل فيه من مرتخص وغال لكن أسمع صوتاً... ما هذه الجلبة؟

(يعود كاسيو دافعاً أمامه ردريجو)

كاسيو: يا خسيس... يا نذل.

منتانو: ماذا جرى يا ملازم؟

كاسيو: غبيٌّ يعلمني واجبي، سأضربه ضربة تسحقه حتى يدخل في زجاجة.

ردريجو: تسحقني؟

كاسيو: أتثرثر يا دنيء؟

منتانو: حلماً يا سيدي الملازم، أضرع اليك! اكففْ يدك.

كاسيو: دعني، أنت يا سيدي، وإلا كسرتُ فكّك.

منتانو: كفى كفى أنت سكران.

كاسيو: سكران؟

(يتضاربان بالسيوف)

ياجو (مخاطباً ردريجو على حدة): طِرْ وصِحْ: فتنة فتنة (يخرج ردريجو) حلمك أيها الملازم الكريم. أسفاً يا أيها السادة. المعونة يا للناس. سيدي الملازم. سنيور منتانو. المعونة. نعْمَ الحراس (يقرع جرس الخطر) مَن يقرع هذا الجرس؟ قف. ستستيقظ المدينة. يا قوة الله. هدِّىءْ غضبك أيها الملازم، ستُلْحِق بنفسك عاراً خالداً.

(يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)

عطيل: ماذا يجري هنا؟

منتانو: تالله إن دمي ليسيل بلا انقطاع، وإني لجريح جرح الموت.

عطيل: كفًا إن كنتما تأبهان[1] للحياة.

ياجو: حسبك يا ملازم، حسبك يا منتانو، أنسيتما أين أنتما، وما يجب عليكما؟ قِفا، إن القائد يخاطبكما، اخجلا وقِفا.

عطيل: كفُّوا هذا القتال البربري، ومن اجترأ منكم أن يخطو خطوة بعد لشفاء غليله فنفسه لا قيمة لها عنده وإني لمورِدُه حتفه لأول حراك يبدو منه، أسكتوا هذا الجرس الذي يفزع الجزيرة ويوقظها في هلع. ماذا يا سادة؟ أنت يا ياجو الأمين الذي شُحبتَ شحوب الموت من الحزن، تكلم مَن البادىء بهذه الخصومة؟

ياجو: ما أدري... كانوا أصفياء منذ هنيهة كأصفى ما يكون العروسان حين يخلعان ملابسهما لدخول السرير، فما شعرتُ إلا وكأن سيارة من السماء بذرت بينهما الشقاق فانتضيا سيفيهما وتهاجما يتثاخنان. كيف كان مبدأ هذه المبارزة؟ لا أعرف. ولكنني كنت أودُّ لو فُقدَتْ ساقاي في حرب شريفة ولم تحملاني إلى هذا المشهد.

عطيل: أيُّ شيء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد؟

كاسيو: عفوك يا سيدي لا أستطيع التكلم.

عطيل: يا منتانو الشريف أنت متعوّد اجتناب المُزْرِيات[2] وكنت في أيام شبابك ساكناً وقوراً يجلّك الناقدون الحازمون، فما دعاك لإلقاء هذه الشبهة على سمعتك واستبدال لقب « معربد ليلي » بما كان لك من الكرامة العزيزة؟ أجبني.

منتانو: أي عطيل الشريف، لقد جُرِحتُ جرحاً موبقاً[3] يجهدني معه الكلام وإن ضابطك ياجو ليقدر على إنبائك بكل ما أعلم. على أنني لم أقل الليلة ولم أفعل شيئاً أُلام عليه، إلا إذا كان رفقُنا بنفسنا في بعض الأحيان عيباً، وكان دفاعنا حين يُعتدى علينا إثماً.

---

(١) تأبهان: تكترثان.

(٢) المزريات: المخجلات.

(٣) موبقاً: مميتاً.

عطيل: بالله العظيم لقد أخذ دمي يملك عليَّ جوانحي بدل الروِّية والتؤدة وطفق الرجز يتغشى بصيرتي ويدفعني إلى ما أكره، ولو خطوت خطوة أو حرَّكت هذه الذراع لسقط خيركم يتخبّط تحت غضبي. نبِّئوني كيف ابتدأت هذه الخصومة القبيحة ومَن أثارها؟ فلئن كان شقيقي وتوأمي الذي وُلد ساعة مولدي، لأقصينَّه عن نعمتي. يا عجباً!! أيَدار قتال في موقع حربي لا يزال أهله في تأثر شديد وخوف مرهق؟ ومتى؟ في ظلام الليل. وأين؟ بين فصيلة الحرس. إنه لأمر فظيع، أي ياجو مَن بدأ هذه الخصومة؟
منتانو: إذا لم تقل الحقيقة مراعاةً منك للصحبة أو للمزاملة فلستَ بجندي.
ياجو: لا تحرجوني بهذه القوة، خيرٌ لي أن يُنتزَع لساني من التفوُّه بلفظة تكدّر ميشيل كاسيو، غير أنني واثق من أن الذي سأذكره لا يُضرُّ به فتيلاً. فاسمع ما جرى أيها القائد: بينما كنا نتسامر أنا ومنتانو دخل رجل يستغيث وكاسيو متبعاً إياه يريد ضربه بسيفه المسلول فتصدَّى هذا الشريف لكاسيو يلتمس منه العفو عنه، وتبعتُ أنا ذلك الرجل المستصرخ لمنعه من اهتياج الأهلين بصيحاته كما فعل، على أن الرجل كان أسرع مني عَدْواً فما لبثت أن تركته ورجعت، فإذا أنا بنَصْلتين تتلاقيان وتَصِلاَّن وبكاسيو يقْذع[1] بألفاظه قذعاً ما سمعته منه قبل الآن، على أنني ما كدتُ أبلغهما حتى كانا قد تركا النصلتين وشرعا يتراكلان[2]، ولا أقدر أن أقول شيئاً آخر عن هذه المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يسهو ويخطىء، فلئن كان كاسيو قد أهان هذا الرجل الكريم، ومع الغضب ربما ضرب الإنسان أصدق الناس مودَّة له، فلا بد أن كاسيو قد لقي من الرجل الذي هرب إهانة بشعة ذهبت بصبره.
عطيل: يا ياجو إن نزاهتك وصداقتك تحملانك على تلطيف الأمر ليكون أقل وقراً على كاسيو، ولكن اعلم يا كاسيو أنني احبك وأنك لن تكون ضابطي أبد الدهر.

---

(١) يقذع: يشتم.
(٢) يتراكلان: يتضاربان بالأرجل.

(تدخل ديدمونه وحاشيتها)

عطيل: انظروا إن حبيبتي وخالبة لُبّي قد استيقظت بسبب الجلبة. (إلى كاسيو) سأجعلك عِبرة وعِظة.

ديدمونه: ما الذي حدث؟

عطيل: كل شيء على ما يرام الآن يا حبيبتي، عودي إلى سريرك (إلى منتانو) سأكون بنفسي آسِي[1] جراحك، انقلوه (ينقل منتانو) إذهب يا ياجو وطُفِ المدينة وأمِّن الخائفين. تعالي يا ديدمونه. من حياة العسكري أن يستيقظ من منامه على جلبة القتال.

(يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو: ما بالك؟ أأنت جريح يا ملازم؟

كاسيو: نعم وبغير شفاء.

ياجو: لا سمح الله.

كاسيو: سمعتي سمعتي، فُقد الجزء الخالد مني، وبقيت البقية الحيوانية. سمعتي، ياجو، سمعتي!

ياجو: ظننتُ وايمُ نزاهتي، أنك أُصبتَ بجرح بدني، ذلك أشدُّ خطراً من الإصابة بجرح في السمعة، وما السمعة على الحقيقة إلا أكذوبة باطلة تنال في الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب. فلستَ بفاقد سمعتك إلا إذا أذعت أنك فقدتها. تنبَّهْ يا صاحبي. لا تزال لك وسيلة لاستعادة رِضا القائد فقد عزلك في ساعة غضب لا عن سياسة ولا عن مكر بل كما يفعل الذي يضرب كلبه ولا يذنب، ليُرْهِب أسداً هَصوراً. استعطفه عليك ينعطف.

كاسيو: افضّل أن ألتمس من الناس تحقيري على خديعة مثل هذا القائد العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطاً نَزِقاً سكيراً قليل الاحتراس في هذا الحد.

---

(١) الآسي: الطبيب المداوي للجراح.

ياجو: أنت وكل حيّ عرضة للسكر في ساعة ما أيها الصديق. خذ عني الآن ما ينبغي لك عمله. إن امرأة قائدنا هي التي أصبحت قائدَنا... لأنه قد انصرف كل الانصراف إلى تمتيع نظره وقلبه بمحاسنها ومكارم أخلاقها... فاذهب اليها وأقررْ بذنبك صريحاً والتمس منها بإلحاح وإلحاف أن تعينك على العَوْد إلى منصبك فلا تلبث أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فطرتها تجد من الرذيلة عدم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها.

كاسيو: أسديتني خير نصيحة.

ياجو: كن واثقاً أنها نصيحة خُلوص وحسن نيَّة.

كاسيو: أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد الى ديدمونه الطاهرة وأبتهل اليها أن تتولى أمري فإذا لم يسعدني الحظ مع وساطتها فقدْتُ كلَّ رجاء.

ياجو: إنك لفي المنهاج السويّ. طاب ليلك أيها الملازم. يجب أن أسهر في العسس.

كاسيو: طاب ليلك أيها الصفي ياجو.

ياجو: هل لجريء أن يزعم أنني أمكر مكراً سيئاً حين أنصح نصيحة كهذه خالصة صريحة سهلة التحقيق لا وسيلة غيرها لكسر شرَّة المغربي واستعطافه؟ أو هل أكون غدّاراً حيث أشير على كاسيو بالخطَّة التي توصُله توّاً إلى فائدته؟ إيه يا آلهة سقر متى أراد الزبانية(١) الإيعاز بأشنع الخطايا صوُّروها في المبدأ بأبدع الصور السماوية كما أفعل الآن، لأنه بينما ذلك الأبله السليم الطوِّية يسعى لدى ديدمونه لاستعادة مكانته، وبينما هي تشفع له عند المغربي بقوّة، أدسُّ أنا في أُذن عطيل سُمَّ الريب في حقها بما أدخله على قلبه من أن رِقَّتها لكاسيو ليست عن مبرَّة ولكن عن شغَف أثيم. بقدر ما تزداد إلحاحاً في التماس الرأفة له يزداد تأييدها لسوء الظنّ بها عند المغربي، وهكذا آخذها في فَخٍّ فضيلتها وأستخرج من مروءتها الفخّ الذي اوقعهم فيه جميعاً.

(يخرج)

---

(١) الزبانية: الشياطين أشخاص مهمتهم دفع أهل النار اليها.

الفصل الثالث

المشهد الأول
تجاه القصر

(يدخل كاسيو وفصيلة موسيقيين)

كاسيو: يا أساتذتي اضربوا هنا، وسأكافئكم على ما تجيدون. اضربوا لحناً مختصراً لتهنئة القائد بيومه السعيد.

(تعزف الموسيقى)
(يدخل المضحك)

المضحك: مهلاً يا أساتذتي. أذهبت معازُفكم[1] إلى نابُلي[2] فعادت منها بهذه الغُنَّة الأنفية؟
موسيقي أول: ما قصدك يا سيدي؟ ما القصد؟
المضحك: هل هذه الآلات آلات هوائية؟
موسيقي أول: طبعاً يا سيدي.

---

(١) المعازف: آلات النفخ الموسيقية.
(٢) نابولي: بلدة في إيطاليا.

المضحك: هذه نقود أرسلها القائد ويرغب اليكم وُدّياً أن تكفُّوا هذه الغوغاء.
موسيقي أول: سنمتنع يا سيدي.
المضحك: إن كنتم تعرفون أنغاماً لا تُسْمَع فاضربوها. أما الموسيقى التي تُسْمَع فالقائد غير مُولَع بها.
موسيقي أول: ليست عندنا الموسيقى التي تشتهيها.
المضحك: إذن ضعوا زماميركم في أكياسكم وانطلقوا لأنني ذاهب. تلاشَوْا في الهواء. توارَوْا. (يخرج الموسيقيون)
كاسيو: أرجو أن تُحتَبَس مهاتراتك[1] عني. هذه قطعة ذهب ولي اليك رغبة: متى استيقظت السيدة التي تخدم امرأة القائد فقل لها إن رجلاً يدعى كاسيو يودّ أن تمنحه مقابلتها هنيهة... أتفعل؟
المضحك: لم يمضِ إلا دقيقة منذ هبطت عن سريرها، وسألقي اليها كلمة لتهبط إلي هذا المكان إن أرادت.
كاسيو: أفعل ذلك يا صاحبي العزيز.

(يخرج المضحك)
(يدخل ياجو)

كاسيو: ياجو، جئتَ في ميقات الحاجة اليك.
ياجو: يلوح لي أنك لم تنمْ.
كاسيو: طلع النهار قبل أن نفترق وقد اجترأت أن ارسل في طلب امرأتك رجاء أن تلتمس لي موعداً من الفاضلة ديدمونه.
ياجو: سأبعثها اليك حالاً، وأحاول بقاء المغربي بحيث تملكان الوقت الكافي للتكلم فيما لك من الشأن.
كاسيو: شكراً لك جزيلاً (يخرج ياجو) لم أعرف قَط فيورنتياً أمضى في الخير وأشدَّ وفاءً.

(تدخل إميليا)

---
(١) المهاترات: السقط من الكلام والخطأ فيه.

إميليا: صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم. أنا حزينة لما أحزنك، ولكن الأمر سيُصْلَح كما أرجو، والقائد وامرأته يتباحثان في هذه المسألة. هي تدافع عنك بقوة، وهو يجيب أن الرجل الذي جرحته عالي السمعة في قبرص وله قُربى موشوجة[1] الأعراق بين كبراء الجزيرة فكان لا مندوحة[2] له من عزلك أو يخطىء الرأي، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من الوَصَاة بك إلا ما يوحيه وُدُّه، فهو سيغتنم أول فرصة تسنح لردِّك إلى مكانك.

كاسيو: مع هذا أرجو منكِ إذا كان في الإمكان أن تهيِّئي لي اجتماعاً بديدمونه اكلمها فيه على حدة.

إميليا: تفضل واتبعني أجعلك في موضع تخاطبها فيه براحة وصراحة.

كاسيو: هذه منَّة عظيمة.

المشهد الثاني
مسكن في القصر

(يدخل عطيل وياجو ووجهاء)

عطيل: إدفع هذه الرسائل إلى الملاح ياجو وليُحْمَلْ إلى مجلس الأعيان سلامي. بعد هذا أنا ذاهب للتنزُّه ومشاهدة أعمال التحصين، فمتى عُدْتَ فالقَني هناك.

ياجو: سأفعل يا سيدي الكريم.

عطيل: والآن أيها السادة أنمضي لنرى المعاقل؟

الوجهاء: سمعاً وطاعة.

(يخرجون)

---

(١) موشوجة: مشتبكة.

(٢) لا مندوحة: لا غنى.

المشهد الثالث
في القصر

(تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا)

ديدمونه: ثِقْ يا عزيزي كاسيو أنني سأبذل جَهْدي لخدمتك.

إميليا: افعلي مشكورة يا سيدتي فإن زوجي شديد التألم لهذا المصاب كأنه مصابه.

ديدمونه: نِعْمَ الفتى الوفي! لا ترْتَبْ يا كاسيو أنني سأعيد الصداقة بينك وبين قريني كما كانت قبلاً.

كاسيو: يا سيدتي الكريمة مهما ينتهِ اليه أمر ميشيل كاسيو فإنه إلى آخر الدهر خادمك الأمين.

ديدمونه: أعتقد هذا وأحمدك عليه. أنت تحب مولاي وتعرفه من عهد طويل، فلا تحسب أنه يدَعك مقصيّاً عنه إلا مهلة ما تقتضيه السياسة.

كاسيو: أجل يا سيدتي ولكن هذه السياسة قد يطول أجلها، وقد يتخللها من المعاذير التافهة الأسباب والارتباكات التي يجيء بها تحوُّل الأحوال مدة انصرافي عن منصبي وحلول غيري محلي، ما يُنسي قائدي خُلوص حبي له وسوابق خِدَمي.

ديدمونه: لا تداخلك هذه الخشية. أضمن لك منصبك بشهادة إميليا وأيقِنْ أنني متى وَعدتُ وعداً وُدِّياً وَفَيْتُ به إلى آخر حرف منه. سأظَلُّ مُلِحّة على مولاي مكرّرة لديه التماسي حتى أردَّه عن جماحه، بل سأجعل فراشه شبه مدرسة، ومائدته شبه خلوة للاعتراف، وأدخل في كل مشاغله طلب كاسيو، ذلك لأن محاميك يؤثر الموت على ترك قضيتك.

إميليا: سيدتي هذا سيدي قادماً.

كاسيو: سيدتي إذنك بالانصراف.

ديدمونه: امكث واسمع ما أقوله له.

كاسيو: الآن لا، يا سيدتي، لأنني في أشد الانزعاج وغير كفء لخدمة مصلحتي.
ديدمونه: إفعل ما تستصوب.

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو: أفّ ما أحب هذا.
عطيل: ماذا تقول؟
ياجو: لا شيء يا سيدي... أو. لا شيء.
عطيل: ألم يكن كاسيو هذا الذي فارق امرأتي الساعة؟
ياجو: كاسيو يا سيدي؟ يقيناً لا، ما أظن... لو كان هو ما فرَّ فرار المجرم حين رآك مقبلاً.
عطيل: أظنه إياه.
ديدمونه: كنت يا سيدي أخاطب ذا حاجة. رجلاً حزيناً في الغاية لانصرافك عنه.
عطيل: مَن تعنين؟
ديدمونه: ملازمك كاسيو، أي سيدي لئن كانت لي حُظوة في عينيك وقرة على استعطافك إن رجائي أن تتفضل عليه وتصفح عنه لأنه رجل صادق الحب لك. وإنما أخطأ عن جهل لا عن عمد، وإلا خابت فراستي في وجوه الأوفياء. أبتهل أن تعيده إلى منصبه.
عطيل: أهو الذي كان منصرفاً من هنا؟
ديدمونه: نعم هو. وكان كئيباً كآبة تركت في نفسي أثراً من حزنه وشطراً من ألمه. يا حبيبي ناشدتك غرامنا إلا ما أرجعتَه.
عطيل: الآن لا، يا ديدمونتي الرقيقة، ولكن في وقت آخر.
ديدمونه: أيكون هذا الوقت الآخر قريباً؟
عطيل: أقرب ما يكون إكراماً لك يا عزيزي.
ديدمونه: أعلى العشاء الليلة؟
عطيل: الليلة؟ لا.
ديدمونه: أغداً الظهر؟

عطيل: لن أتغدى في البيت غداً لأنني سألحق بالضباط إلى القلعة.
ديدمونه: إذن غداً مساء أو الثلاثاء ظهراً أو الأربعاء صباحاً... أتوسل اليك أن تعيِّن الميقات ولا يزِدْ على ثلاثة أيام... إنه وذمتي لنادم على خطيئته وهي في رأي الأكثرين ليست من الخطايا التي تستلزم أدنى ملام إلا إذا صدقت قاعدة القائلين بأنه يجب في الحرب تأديب الأمْثَلين ليعتبر سواهم بهم. متى يعود؟ قل لي يا عطيل، إنني لأسائل ضميري عن شيء تطلبه مني ولا أجيبك اليه أو أتردد في الإجابة. عجباً! أميشيل كاسيو الذي كان أمين سرِّنا في غرامنا وكان يدافع لديَّ عنك حين أذكرك بغير ما يعجبه، ينبغي لي أن أشفع له بكل هذا الإلحاف لتصفح عنه... ما كان أسرعني لإجابتك إلى أقصى الرغائب لو بَدَتْ لي منك إشارة.
عطيل: كفى وحياتك... ليعد حين يشاء... لا أمنع لكِ سؤلاً.
ديدمونه: على أن عَوْده لا يُعدُّ إحساناً مذكوراً. سألتك إياه كما أسألك أن تلبس قفازَيْك[1] أو تتغذى بطعام أو تستدفيء من برد أو تفعل أي فعل يفيد صحتك، لكن علمت الآن أنني إذا جدَّتْ لي عندك أمنية كانت تلك الأمنية عظيمة الشأن صعبة التحقيق.
عطيل: لن أردّ لكِ أمنية فكوني متفضلة وامنحيني هنيهة أخلو فيها بنفسي.
ديدمونه: أكنت رادّة لك أمراً. لا... إلى الملتقى يا مولاي.
عطيل: سأوافيك من غير إبطاء.
ديدمونه: تعالي يا إميليا. إفعل ما يوحيه اليك الضمير. مهما تشَأ فإنني خاضعة.
عطيل: يا لها من شاطرة آخذة بالألباب. احبك ولو سامني حبك عذاب الآخرة. فإذا انصرفت عن هواك يوماً.. فهنالك تعاودني الفوضى والظلمات.
ياجو: أي مولاي الشريف.
عطيل: ماذا تقول يا ياجو؟
ياجو: أكان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما؟
عطيل: عرفه من مبدئه إلى نهايته. لمَ هذا السؤال؟

---

(١) القفاز: ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد.

ياجو: إرضاءً لفكري لا لشيء آخر ذي بال.
عطيل: وما فكرك؟
ياجو: كنت لا أتخيل أنه يعرف ما دار بينكما.
عطيل: بلى وكان يتوسط بيننا أحياناً.
ياجو: أحقاً؟
عطيل: أحقاً؟ نعم حقاً. ما ترى تحت هذا؟ أليس وفيّاً؟
ياجو: وفيّ يا مولاي.
عطيل: وفيّ. بل وفيّ.
ياجو: وفيّ يا سيدي إلى غاية ما أعلمه.
عطيل: صرّح عما في ضميرك.
ياجو: عما في ضميري يا مولاي؟
عطيل: عما في ضميري يا مولاي، بالله إنه ليجيبني كرجع الصدى كأن في طويّته شيئاً أبشع من أن يكشف عنه النقاب.. تضمر أمراً ولا تُبديه. ولقد سمعتك تقول: « أفّ ما أحب هذا » عندما كان كاسيو يفارق امرأتي. ثم لما اخبرتك أنه كان مُطَّلِعاً على أسرار غرامنا سبق لسانك فكرك وقلت: « أحقاً »، ثم انقبضتْ أهداب عينيك وتضامَّتْ كحوافي الكيس كأنك اردْتَ أن تخْبُؤ في دماغك سراً رهيباً. إن كنتَ لي مُحِبّاً فكاشفني بما تضمر.
ياجو: مولاي تعلم أنني لك مُحِبّ.
عطيل: أعتقد وُدَّك وبقدر ما أعرف من أنك مفعم ولاء ونزاهة وأنك تَزِن كلماتك قبل النطق بها فتوقعاتك في الحديث أشد موقعاً مني لأن أمثال هذه المحاذرات إنما تكون مراوغات مألوفة عند اللئيم الخبيث الكذوب كما أنها تكون عند الرجل الصالح مكاشفات مبرقعة تخرج من صدر لم يملك تأثيره.
ياجو: أجرؤ على الإقسام بأن ميشيل كاسيو وفيّ كما أعتقد.
عطيل: وكذلك أعتقده.
ياجو: كان يجب أن يكون الناس كما تنبيء عنهم ظواهرهم. بل ليت الذي خلقهم لم يجعل للمنافقين أشباهاً.

عطيل: يقين أن الرجال يجب أن يكونوا كما تنبىء عنهم ظواهرهم.
ياجو: ولهذا أظن أن كاسيو صادق الولاء.
عطيل: لا. عندك ههنا أكثر مما تبوح به. فرجائي أن تظهر لي خواطرك كما تُجيلها في خفائك وأن تُلبس القبيحة منها أقبح الألفاظ.
ياجو: عفوك يا سيدي الكريم أنا مكلف كل عمل قويم تقتضيه الطاعة ولكنني غير مكلف ما أعفي منه الأرقاء. أإظهاراً لضمائري وقد يكون منها ما هو دنيء ومنها ما هو زور؟.. أيُّ قصد لا تدخله بعض المكاره في بعض الآونة؟ وهل في الناس مَن طَهُرَ قلبه حتى لا تداخله الريب المستهجنة وتعقد فيه أحياناً محاكمها القانونية بجانب الأفكار النقية؟
عطيل: ياجو إذا ظننت أن صديقك مُهان ولم تطلعه على ما في طويَّتك فأنت من المتآمرين عليه.
ياجو: قد يكون ظني إثماً وأُقرُّ بين يديك أن من طبيعتي الرديئة إساءة الظن واختلاق خطايا قد لا تكون... فأتضرَّع اليك أن تصون حكمتك عن الأخذ بمزاعم رجل كثير الخطل في تصوُّره وأن لا تبني صرحاً من الأوهام المزعجة على أساس غير متين من ملاحظاته الناقصة فلا فائدة لك من جهة اطمئنانك وصفائك ولا لي من حيث شرفي الرَّجُلي ونزاهتي وعقلي أن تطلع على خفايا فكري.
عطيل: ما مرادك من هذا؟
ياجو: حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدي العزيز أثمن جوهرة من حلى النفس. من يسرق كيس نقودي يسرق شيئاً زريّاً كان لي وأصبح له وكان قبلنا لألوف آخرين، أما الذي يسرق حسن سمعتي فمختلس شيئاً لا يغنيه ويجعلني فقيراً جَهْدَ الفقر.
عطيل: وايم السماء لأعرفنّ أفكارك.
ياجو: لن تعرفها ولو كان قلبي في يدك فهل تصل اليها وذلك القلب في حراستي؟
عطيل: آها.
ياجو: أي مولاي احذر الغيرة. تلك الخليقة الشوهاء ذات العيون الخضراء

التي تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس. الرجل الذي يُثلم[1] عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد، سعيد بجانب ذلك الذي يقضي الدقائق الجهنمية شَغِفاً، إلا أنه مستريب. عاشقاً أشدَّ العشق، ولكن تساوره الشكوك.

عطيل: يا للشقاء!

ياجو: الفقر مع القناعة غنىً بلا جاه عريض. أما النعم التي لا تحصى فتكون فقراً عقيماً عُقْم الشتاء البارد للذي يخشى أبداً أن يصبح معسراً. اللهم يا ذا المراحم أعْفِ من الغيرة نفوس أمثالي.

عطيل: لِمَ لِمَ كل هذا؟ أتظن أنني سأعيش هذه العيشة مغيّراً ظنوني كلما تغيَّر هلال. كلا. متى نَفَذ الريب ثبتت النفس على حالة معه. تبدَّلْ مني بتيس فظيع يوم أدَع نفسي بين أيدي الشبه التي تحدثها كل دسيسة. أنا لا تُستَفَزُّ غيرتي بأن يُقال لي إن امرأتي جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحب المعاشرة وإنها طليقة النفس في أحاديثها وتغني وتلعب وتحسن الرقص. كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة. ثم إنني من جهة اخرى لا أخشى أدنى خشية منها ولا يخالجني أيسر ظنّ سيىء بها من جهة أنني فاقد المحاسن لأنها إنما اختارتني ولها عينان مبصرتان نظرتني بهما. لا لا... وما أنا بمرتاب حتى أرى فإذا ارتبْتُ فحتمٌ أن أتثبت مما يداخلني من الظنون وإذا وَضَحَ لي البرهان بعد ذلك فيومئذ فراقاً خالداً إما للحب وإما للغيرة.

ياجو: يسرُّني عزمك هذا بأنه يمكنني الآن من توكيد حبي لك وتجلّتي. وعليه يقتضيني الواجب أن اقدِّم اليك نصيحة ــ وبعدها يجيء وقت البرهان ــ راقبْ جيداً ما يكون من امرأتك ومن كاسيو... إستعملْ عينيك من غير إساءة ظن، إذ لا احب أن تنخدع فطرتك الشريفة الحُرَّة بسماحتها. أنا عليم بطبائع بلادي، والنساء في البندقية يظهرنَ من أحوالهن على مشهد

---

(١) يثلم: يطعن.

من الملأ ما لا يجرؤنَ أن يظهرنَه لبعولتهن، فالذمة عندهن لا أن يمتنعنَ عما يشتهين ولكن أن يخفينه.

عطيل: أجدٌّ ما تقول؟

ياجو: غشَّتْ أباها بتزوُّجها منك ولم تكن أشدّ هياماً بك منها حين كانت ترتجف مَهابةً من نظراتك.

عطيل: هو حقيقة ما بدا لي منها.

ياجو: فعليك والحالة هذه أن تستتبع القياس العقلي: إن التي استطاعت وهي في أنضر الصبا أن تخفي ما بها عن أبيها إخفاءً تركت معه عينيه أشدَّ إقفالاً من لُباب السنديانة... التي غافلته حتى اتهم بها السحر... صفحاً يا سيدي إني لملوم وإياك أستغفر عن فَرْط هذا الخلوص في ولائي لك.

عطيل: لن أنسى لك هذه المنَّة مدى الدهر.

ياجو: ألمح أن كلماتي قد شغلت من بالك.

عطيل: البتَّة...

ياجو: بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته منها وإنما أنطقني بها الولاء، لكن أراك واجماً فيتعين عليَّ أن ألتمس منك أمراً وهو أن لا تعطي تلك الكلمات معنى أبعد ونتيجة أوسع مما يُعطاه مجرَّد الريب.

عطيل: سأفعل.

ياجو: إذا تماديتُ في التأويل يا سيدي أصابت أقوالي من المرمى ما لا احبه. إن كاسيو لصديقي. أي مولاي أراك مضطرباً.

عطيل: بعض الشيء. أعتقد أن ديدمونه عفيفة على كل حال.

ياجو: أطال الله بقاءها وهي كما تعتقد وأطال بقاءك على هذا الظن الحسن بها.

عطيل: غير أن الطبيعة قد تضلُّ السبيل.

ياجو: وهذا هو محور المسألة وبناءً عليه أزداد جرأة معك فأقول إن في امرأة تأبى من يعرض عليها من الخطّاب المتعددين الذين هم من بلادها ولونها ومقامها مع أن الطبع يدفعها إلى إيثار أمثالهم لدليلاً على نفس فاسدة وميول غير متناسبة وأفكار مخالفة للفطرة. لكن سامحني فما أذكر هذا

لأخصها به غير أنني أخشى أن تراجعها نفسها مراجعة يتلخص فيها رأيها من أسباب الهيام فتقابل بينها وبين أبناء موطنها فتندم.
عطيل: انصرف بسلام وإذا رأيت شيئاً بعد فزدني علماً ولترقب امرأتك ما يكون. اليك عني[1] الآن.
ياجو: مولاي أستأذن.

(يتظاهر بالانصراف).

عطيل: ما الذي حملني على الزواج؟ هذا الإنسان الوفي يرى ويعلم بلا مراء أكثر مما يُبدي.
ياجو (متراجعاً): مولاي أودُّ لو أن ذاتك المبجلة لا تتعمق في تنقيب هذه المسألة بل تدع ذلك للوقت، إذ ان الوقت يُظهر المخبآت بأدق مهارة. ومع ذلك إذا بدا لك أن تُبقي الرجل مَقصيّاً إلى حين، تسنّى أن تستبطن سرائره وتعرف وسائله. ثم انظر ما إذا كانت امرأتك تُلحّ لإرجاعه بشدة وحماسة. ففي هذه الأحوال ما فيها من الأدلة. ومهما يكن مما أسلفته فاجعل أساس الرأي أنني أفرطت في الحرص عليك إفراطاً هو من معايبي، هذا مع التضرُّع إلى ذاتك المبجّلة بأن تعتدّها بريئة.
عطيل: ثِقْ أنني سأمتلك نفسي.
ياجو: أستأذن مرة ثانية.

(ينصرف).

عطيل: هذا الفتى وفيّ في النهاية ويستكشف بفكر نيِّر جميع الطوايا البشرية. لو كانت تلك المرأة بازياً[2] عالقة به ألياف قلبي لأطلقته وتركته تحت العواصف يبحث عن صيد يتصيده. لعلها مالت إلى غيري لأنني أسود وليس في كلامي من الرقة والتزويق ما في كلام اولئك المتحذلقين المختلفين إلى القصور أو لأنني في أول مهبط السنين على كون هذا التقدم

---

(١) اليك عني: إبتعد عني.
(٢) الباز: طائر يصاد به.

في السن لا يظهره شيء مني. لقد انفصلت عني وخدعتني ولم تبقَ لي تعزية إلا أن أبغضها — أواه من خيبة الزواج — أنتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلا على شهواتها؟ لأوثر أن أكون صرصاراً يعيش من أبخرة السجن على ترك جزء من الشيء الذي احبه لمتاع الآخرين. ولكن من ههنا تنبعث اللعنة التي يعيش فيها الكبراء فهم أسوأ حظاً من السوقة، كأن الإصابة بالعِرض قد حُتمتّ عليهم تحتيم الموت. ويلاه من ذلك الخطْب الناطح بقرنيه الذي يُقَدَّر علينا منذ الميلاد. هذه ديدمونه آتية. لئن كانت غادرة لقد آمنت أن السماء تسخر من نفسها. لا. لا أعتقد فيها الغدر.

(تعود ديدمونه وإميليا)

ديدمونه: بحياتك ماذا يجري أيها العزيز؟ إن ضيوفك من أعيان الجزيرة لمنتظروك والغذاء مهيّاً.

عطيل: عليَّ الملام.

ديدمونه: ما بالك تتكلم بهذا الصوت الضعيف. أتشعر بألم؟

عطيل: عندي ألم في الجبين هنا.

ديمونـه: هذا من فرْط السهر ولكن سيزول حالاً. دَعْني أعْصِب رأسك بشدة وبعد ساعة تكون معافى.

عطيل: إن منديلك لأصغر من أن يعصبني (ينزع المنديل عن رأسه فيسقط إلى الأرض ولا تتنبه له ديدمونه) خَلِّ عنكِ هذا. تقدَّمي وأنا متبع.

إميليا: بي حزن من ألمك (يخرج عطيل وديدمونه) إني فرحة بوِجدان هذا المنديل هو أول تذكار أهداه المغربي اليها وزوجي الغريب الأطوار قد لاطفني كثيراً وسألني أن أسرقه له. غير أنها تحب هذه الهدية حباً جمّاً. لأن عطيلاً أوصاها مُلِحّاً بالاحتفاظ بها أبداً، ولهذا هي تحملها بلا انقطاع وتقبّلها وتخاطبها. سأستصنع منديلاً على هذا المثال فأُعطيه ياجو ليعمل به ما يشاء مما يعلمه الله ولست أعلمه وغاية مرامي إنما هي إجابة سؤله.

(يعود ياجو)

ياجو: ماذا وقوفك هنا منفردة؟

إميليا: لا تعنّفني. عندي لك شيء ما.

ياجو: شيء لي. إنه لشيء نافع.

إميليا: أواه.

ياجو: شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء.

إميليا: أهذا كل ما عندك؟ ماذا تعطيني بدلاً من هذا المنديل؟

ياجو: أيُّ منديل؟

إميليا: أيُّ منديل!! ذلك الذي كان أول هدية من المغربي لديدمونه والذي طالما سألتني أن أختلسه.

ياجو: أسرقتِه؟

إميليا: لا وإنما سقط منها سهواً بحضوري فالتقطتُه وها هو ذا. انظر.

ياجو: نِعْمَ البُنَيَّة أنتِ! أعطِني إياه.

إميليا: ما تنوي فعله به وقد ألححتَ عليَّ ذلك الإلحاح باختلاسه؟

ياجو (مختطفاً منها المنديل): أيعْنيكِ هذا؟

إميليا: إذا لم يكن منه مقصد ذو بال فأَعِدْه إليَّ فإن تلك السيدة المسكينة سيصيبها مَسّ إذا فقدته فلم تجده.

ياجو: إحذري أن يُظنَّ بكِ وأنا في حاجة اليه . اذهبي ودعيني (تخرج إميليا) سأطرح هذا المنديل في مسكن كاسيو بحيث يجده. أمثال هذا الشيء التافه أفعلُ في الغيور من تحقيقات الكتب المقدّسة وربما جرَّ هذا المنديل أمراً. المغربي آخذ بالتغير من تأثير سمّي، على أن العقاقير الخطرة هي بطبيعتها سِمَام أول طعمها غير كريه، ولكن متى ابتدأ فعلها في الدم أحرقت إحراق مناجم الكبريت... ها هو ذا قادم، لا الخشخاش ولا غيره من المرقدات القوية يُعيد اليك بعد الآن المنام الهادىء الذي كنت تنامه أمس.

(يعود عطيل)

عطيل: أها أها، أجدها تواربني.

ياجو: حسبك يا سيدي لا تفكر في هذا بعد.

عطيل: وراء. اليك عني. لقد مددتني على خُشُب التعذيب. أقسمت إنه خير للانسان أن يُخدَع كثيراً من أن يعلم بخديعته قليلاً.

ياجو: ما بك يا مولاي؟

عطيل: أيُّ إحساس كان يخامرني في تلك الساعات الغرامية التي خالستُ بها النعيم. لم أكن لأظنّ هذه الظنّة ولا لأخطرها على بالي وكنت لا أتألم. في الليلة المنصرمة نمتُ مستقراً وبي فرح وسكينة وفكر، ولم أستكشف على شفتيها قُبَل كاسيو. لا ينبغي إبلاغ الذي سُرِق له شيء أنه سُرِق فإذا لم يفتقده فكأنه لم يختلس منه شيء البتة.

ياجو: يحزنني ما أسمعه.

عطيل: لكان يسرُّني أن يتمتع الجنود كلهم ومعهم أعوانهم الصبيان بجسمها الرقيق على أن لا أعلم. أما الآن ففراقاً أبدياً لراحة النفس. فراقاً للسرور. فراقاً للكتائب التي تزدهي خُوَذها بالريش الناصع. وللحروب الكبيرة التي تجعل الطمع فضيلة. أواه. فراقاً للخيل الصاهلة وللبوق العزّاف وللطبل الذي يشبُّ حرارة النفس وللمزمار الذي يَصْفِر في الأذن وللرايات الملكية ولسائر الأشياء التي تنجُم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخر الحربية.

وأنتِ أيتها الآلات المهلكة التي تحاكي بالإرعادات الخارجة من أفواهها الهدّارة صيحات النشور. وداعاً وداعاً، إن حياة عطيل قد انتهت.

ياجو: أهذا ممكن يا مولاي؟

عطيل: أيها النمام الواشي جئني بما يثبت أن حبيبتي مومس... لا تبطىء. أرني بعيني وإلا (يقبض على عنقه) حلفت بقيمة النفس الخالدة ليكوننَّ خيراً لك أن تكون مخلوقاً كلباً من أن تلقى هَبَّة رجزي[1].

ياجو: أَوَصلت الأمور إلى هذا الحد؟

عطيل: أرني بعيني أو أيِّدْ لي برهانك بحيث لا يفوتك ذكر جزئية أو حالة مما يعلق به الريب وإلا فتبّاً لحياتك.

---

(١) الرجز: داء يصيب الابل في أعجازها فإذا ثارت ارتعدت أفخاذها ثم انبسطت.

ياجو: أي مولاي الشريف.

عطيل: إن كنت قد فعلت لتسيء ظني بها وتعذبني فلا تُصَلِّ بعد الآن بتاتاً. اخرج عن إنسانيتك بالمرة. راكِمْ فظائع فوق فظائع. إرتكب جرائم تبكي منها السماء وتقضي لها الأرض عجباً لأنك لا تستزيد في يوم الله شيئاً على ما ستناله من العقاب الذي يفوق كل هذا.

ياجو: يا لرحمةِ الله. يا للسماء سامحيني. هل أنت رجل؟ هل لك نفس أو إحساس؟ أعانك الله. أقِلْني من خدمتي. وَيْحي من حقير أبله جعل وفاءه ذنباً له. ويل لهذه الدنيا الخؤون. اعلمي اعلمي يا دنيا ما أخيَبَ الأمانة، وما أغدَر الاستقامة. حمداً لك على هذه العظة وأبى الله بعدها أن احب حبيباً ما دام الولاء جلاباً لمثل هذه المهانات.

عطيل: لا، أقم، كان يجب أن تكون وفياً.

ياجو: كان يجب أن أكون حكيماً لأن الأمانة حمقاء ومضيعة للمثوبات[1].

عطيل: والعالمين إنني لأعتقد طهارة امرأتي ثم لأعتقد أنها غير طاهرة. بل أظنُّ أنك صادق ثم أظن أنك غير صادق، لا بدَّ لي من برهان، إن اسمها كان أنصع من وجه ديانا فأصبح الآن أقتم أسود كوجهي. لئن كان في الدنيا حبال. خناجر. سموم. نار . أنهار تُغرّق فلست بمحتمل هذا. ما أظمأني إلى ترضية لنفسي.

ياجو: أجد يا سيدي أن الغرام يَغُولك[2] وأندم على ما ألحقته بك من الأذى. أفتريد البرهان؟

عطيل: أأُريد؟! نعم أُريد.

ياجو: ذلك اليك. ولكن كيف تريد أن أجيئك بهذه الترضية يا سيدي؟ أتبتغي مني شاهداً يقف جامداً مفتوح الفم يتفرّس فيها وهي مع الرجل؟

عطيل: موت وهلاك. أواه.

---

(١) المثوبات: الجزاء على الأعمال خيرها وشرها.

(٢) يغول: يهلك، يأخذه من حيث لا يدري.

ياجو: يصعب علينا فيما أظن أن نحتال عليهما بحيث يؤخذان على هذا الشكل، بل من المستحيل أن يراهما على فراش واحد غير الشيطان. وعلى هذا... فما تكون الترضية حيث لا يحتمل أن يظهرا لأحد بهذا المظهر ولو كانا أفسَق من تيْسَين وأحمَى من قردين وأشدَّ قِحَة في البهيمية من ذئبين وأقلَّ احتراساً وحِذاراً من غبيَّين مخمورين. أما إذا كان الاستنتاج من وقائع واضحة الدلالة موصلة إلى أبواب الحقيقة كافياً لما تشاء من الترضية فالترضية بين يديك.

عطيل: أعطِني برهاناً حِسّياً أنها زانية.

ياجو: قُبِّحَتْ من خدمة. ولكن بما انني جرَيْتُ هذا الشوط البعيد في المكاشفة مندفعاً بدافع الجنون الذي ابتلتني به الصداقة والنزاهة فإنني لأزيدك بياناً: كنت بائتاً منذ ليالٍ مع كاسيو وبي ألم في الأسنان أرَّقني لشدَّته فلما انقضى الهزيع الأول تبيَّنت أن كاسيو يرى حلماً. ومن الناس أفراد خلقت نفوسهم على غير الكتمان فيذكرون شؤونهم في منامهم... ومنهم صاحبي. سمعته يقول وهو مستغرق في رؤياه: « حبيبتي الجميلة ديدمونه لِنَكُنْ حذرَيْن ولنُخْفِ غرامنا »... وحينئذ يا سيدي أمسك بيدي يشدُّها ويصيح: « يا لكِ من حسناء شهية » ثم طَفِقَ يلثمني بقوة كأنه كان يودُّ أن يقتلع القُبَل النابتة على شفتيها من أصولها، ثم ألقى بساقه على فخذي وتنهَّد واعتنقني ثم صاح: « لعن الله الحظ الذي وهبك للمغربي ».

عطيل: فظيع فظيع...

ياجو: لم يكن إلا حلماً...

عطيل: بلى ولكنه جاء دليلاً على شيء تمَّ سابقاً، وإنه لدليل قاطع على كونه مناماً.

ياجو: وبه تتعزز البراهين السالفة التي تظهر واهية.

عطيل: سأمزقها تمزيقاً.

ياجو: بلا ريب، ولكن كن متئداً إذ أننا لم نرَ بعد أمراً تمّ وقد تكون عفيفة. بقي أن تقول لي شيئاً ذا بال. ألم ترَ قط في يد امرأتك منديلاً عليه رسم الشليك؟

عطيل: أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديته اليها.
ياجو: أول ما أهديته اليها أو آخره لا أعلم. غير أنني رأيت منديلاً من هذا الشكل ــ وأعتقد أنه لها ــ بيد كاسيو، وكان يمسح به لحيته في هذا الصباح.
عطيل: إن كان هو منديلي...
ياجو: إن كان هو الذي تعنيه أو آخر ما تملكه ففيه ما ينطق بذنبها تعزيزاً لما تقدَّم من البراهين.
عطيل: ويلاه. علامَ لا يكون لذلك الشحَّاذ أربعون ألفاً من الأعمار. إن عمراً واحداً دون الكفاية لانتقامي. الآن تبيَّنت أنها في الحق زانية... انظر يا ياجو، هذه نفخة اصعِّد بها إلى السماء ذلك الغرام الناري، لقد ذهب. يا أيها الانتقام المدَلهِمّ ارتفعْ من أعماق جهنم، ويا أيها الحب تنازَلْ لاستبداد الغضب عن تاجك وعرش قلبي، ويا أيها الصدر ارْزَحْ تحت حِمْلك فإنما حِمْلك من ألسنة الأفاعي.
ياجو: لا بدّ لك من التمالك.
عطيل: دماً دماً دماً.
ياجو: تحمَّلْ، تجلَّدْ، وربما تغيَّر شعورك.
عطيل: لن يتغير... أعرفت كيف تجري التيارات القارسة الجامحة من مبعثها في بحر البُنط[1] إلى مستقرِّها في بحر الظلمات لا يردُّها الجزْر بل تنطلق إلى غايتها في منهاج قويم، كذلك عزائمي النضَّاحة بالدماء قد اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى الوراء، لن تعود إلى حِمَى ذلك الغرام الوديع، بل تستمر في سيرها حتى تغور جميعها في انتقام عظيم على قدر الإهانة. الآن وَجَبَ عليَّ بحق تلك السماء المرمرية التي أراها هناك أن أثبِت وعيدي بحيث أجعل تحقيقه خروجاً من يمين مقدسة.

(يجثو)

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود.

ياجو: لا تنهض (يجثو أيضاً) اشهدي أيتها الأنوار التي تتأجَّج في علٍ سرمداً وأنتِ أيتها العناصر المحيطة بنا من كل جانب، اشهدي أن ياجو يستخدم لإنصاف عطيل مما لَحِقَ به من العار عقله وقلبه ويده، ليأمر عطيل ومهما يكن ما يكلفني إياه دموياً موبقاً فإنني لفاعله بعقيدة أنه فِعْلُ وفاء ورحمة.

عطيل: أتلقى هذا العهد الودِّي منك لا بكلمات شكر فارغة بل بقبول حسن من قلبي. وإني لمختبر قَسَمَك حالاً. أخبرني إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو قُتِل.

ياجو: لقد هلك صاحبي وهو أمر مقضيّ بناءً على إشارتك، ولكن لِتَعِشْ هي.

عطيل: لتفترسْها النار، تلك البغي الخبيثة. لتفترسْها النار. تعالَ معي إلى مكان ننفرد فيه لأبحث عن ميتة سريعة لتلك الجنّية الجميلة. كن ملازمي منذ الساعة.

المشهد الرابع
تجاه القصر

(تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك)

ديدمونه: أتعلم يا هُزأة أين مسكن كاسيو؟

المضحك: لا أجسر أن أقول إن له مسكناً.

ديدمونه: لمَ أيها الصاحب؟

المضحك: لأنه عسكري ومن قال لعسكري إن له مسكناً تعرَّض لخنجره.

ديدمونه: غريب! وأين يقيم؟

المضحك: لو أخبرتك أين يقيم لأخبرتك أين أكذب.

ديدمونه: أيمكن تصيُّد معنىً من هذه الكلمات؟

المضحك: لا أعلم أين يقطن فإذا اخترعت له مسكناً عدَدْتُ ذلك افتراءً خارجاً من حلقي.

ديدمونه: أتستطيع السؤال عنه ومعرفته؟

المضحك: سأذهب بشيراً ونذيراً في شأنه بمعنى أنني سألقي أسئلة على الناس. ثم اجيبك بما يقولون.

ديدمونه: إبحثْ عنه، مُرْهُ أن يحضر، قل له إنني شفعتُ فيه لدى مولاي وأرجو أن تقضى حاجته.

المضحك: فعلُ هذا مما قد يسعه عقل الإنسان ولهذا سأحاوله.

(يخرج)

ديدمونه: أين تظنين أنني فقدتُ هذا المنديل يا إميليا؟

إميليا: لا أدري يا سيدتي.

ديدمونه: كان أهوَن عليَّ أن أفقد كيس نقودي ملآن قطعاً ذهبية من فقده، لأنه لم يكن سيدي الشريف عادل الضمير خليّاً من دناءات الغيرة لكان ذلك مما يثير عنده الظنون السيئة.

إميليا: أليس غيوراً؟

ديدمونه: مَن..؟ هو..؟ أظن الشمس التي وُلد تحتها أجفَّت عنده أمثال هذه الوبالات.

إميليا: انظري. ها هو ذا مقبل.

ديدمونه: سأعيد الكرَّة عليه الآن ولستُ تاركته حتى يصفح عن كاسيو.

(يدخل عطيل)

ديدمونه: كيف حالك يا سيدي؟

عطيل: على المرام يا سيدتي الكريمة. ما أصعب المراءاة. وكيف أنتِ يا ديدمونه؟

ديدمونه: كما تحب يا سيدي.

عطيل: هاتي يدك. هذه اليد نضيرة يا سيدتي.

ديدمونه: لم تشعر بعدُ بالسنين ولا بالحزن.

عطيل: تدل على قلب غني وسمح. يدك دافئة. دافئة ونضيرة. ما أحوَجهَا إلى الحجب في دير الصيام والصلاة وضروب كثيرة من أعمال التوبة والتقى ذلك لأن هناك شيطاناً فتياً سريع العَرَق قريب الثوران. إنها ليدٌ طيبة وحرة.

ديدمونه: يحق لك تقريظها لأنها هي التي أعطتك قلبي.

عطيل: أكرم بها من يد. قبلاً كانت القلوب تعطي الأيدي أما الاصطلاح الحادث الآن فأن تعطيَ الأيدي القلوب.

ديدمونه: لا كلام عندي في هذا المعنى فلأسألك عما أنت فاعل بوعدك.

عطيل: أيُّ وعد يا دجاجتي؟

ديدمونه: أرسلت أستدعي كاسيو للقائك.

عطيل: بي زكام عنيف ثقيل يزعجني. أعيريني منديلك.

ديدمونه: ها هو ذا يا سيدي.

عطيل: أريد الذي أهديته اليك.

ديدمونه: ليس معي.

عطيل: لا...

ديدمونه: لا يا سيدي.

عطيل: هذه غلطة. إن ذلك المنديل وهبته امرأة مصرية لأمي وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرف ضمائر الناس. قالت لأمي وهي تدفعه اليها: إنه يجعلها محبوبة، ويخضع لها غرام أبي ما دامت محتفظة به. فإذا فقدته أو أهدته فعين أبي تنصرف عنها انصراف بغضاء، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها. ولما حضرت أمي الوفاة أعطتنيه وأوصتني إن تزوجت أن أمنحه لحليلتي وهكذا فعلت. فأرغب اليك في استبقائه وصيانته وأن تحبيه كحدقة العين الثمينة لأنه إذا فقد كان فقده خسارة لا تستعاض.

ديدمونه: أيعقل هذا؟

عطيل: بل هو الحقيقة لأن في نسيجه سحراً وما نسجته إلا عرافة شهدت دوران الشمس مئتي مرة. أما الديدان التي أخرجت حريره فقد كانت مرقية

أيضاً. وأما الحرير فقد صبغ بعصير المومياءات مستقطراً من قلوب العذارى ومصوناً بعناية العلماء.

ديدمونه: أهذا صحيح؟

عطيل: غاية في الصحة وعليه أوصيك بالحرص كل الحرص على ذلك المنديل.

ديدمونه: إن كان ما ذكرت فليتني لم أره قط.

عطيل: لماذا؟

ديدمونه: ما بالك تتكلم هكذا بعجلة وَوَجِيف[1].

عطيل: أفقد؟ أأضعته؟

ديدمونه: رعانا الله.

عطيل: ما ردّك؟!

ديدمونه: لم أُضِلِه ولكن لو حدث ذلك...

عطيل: كيف تقولين؟!

ديدمونه: أقول لم يضع.

عطيل: جيئيني به الآن فأراه.

ديدمونه: سأفعل يا سيدي ولكن بعد الآن. إنما هي حيلة ابتدعتها لعدم إجابة التماسي. أكرر توسلي اليك يا سيدي أن تغفر لكاسيو.

عطيل: اذهبي وأحضري لي المنديل ــ تاه فكري.

ديدمونه: دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً أكفأ منه.

عطيل: المنديل...

ديدمونه: رجل وقف سعده من أول عمره على صداقته لك وشاطرك الأخطار...

عطيل: المنديل...

ديدمونه: حقيقة إنك لتلام.

عطيل: إلى الوراء.

---

(١) وجيف: ارتجاف مع انقباض.

(يخرج)

إميليا: أليس هذا الرجل غيوراً؟
ديدمونه: لم أرَ فيه قبل الآن شيئاً من مثل هذا. لا بد أن يكون في ذلك المنديل سر عجيب وإنني لشقية بأنني فقدته.
إميليا: جرت العادة أن يكون الرجال بعد سنة أو سنتين من الزواج كما هو الآن. إن هم جميعاً إلا مِعَد وإن نحن جميعاً إلا غذاء يأكلوننا بنهم فإذا امتلأوا تقايؤونا. أنظري هذا كاسيو وزوجي...

(يدخل كاسيو وياجو)

ياجو: لا وسيلة غيرها وهي وحدها التي يجب أن تنقذك. ما أسعد طالعك ها هي ذي. إذهب اليها وألحف.
ديدمونه: واهاً يا صديقي كاسيو ما عندك من النبأ عن شأنك؟
كاسيو: أنا لا أزال على التماسي الأول يا سيدتي، أبتهل اليك أن تشفعي بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش وأعود إلى صداقة الرجل الذي أجلُّه كل الإجلال. ثم بودّي أن أعرف مصيري معه في أقرب وقت، فإذا كانت هفوتي من الهفوات التي لا تغتفرها لي خدمي السابقة وندامتي الحاضرة وإخلاصي الذي أنويه للمستقبل فليكن آخر إحسان منك أن تشعريني بذلك فأقبل بما قُسِم لي على كُره مني وأختطَّ لنفسي خطة أخرى تاركاً مآلي بين أيدي الأقدار...
ديدمونه: أواه أيها الرجل النبيل كل النبل إن توسلاتي لم تجد إلى الآن وقد تنكر عليَّ مولاي منذ هنيهة حتى كان غير ما أعهده. ولو تغير وجهه كما تغير خُلقُهُ لما عرفته ــ ليت الأرواح العلوية مسعداتي بقدر ما شفعت لك عنده فلقد أصررت وكررت حتى انتهيت إلى شَفَا كدره. فلا بد لك من التجلد وسأفعل لأجلك أكثر مما أجسر على فعله لأجل نفسي فليكفك هذا.
ياجو: أمولاي غضبان؟
ديدمونه: قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب في اضطراب غريب.

ياجو: لم أعهده يغضب. رأيته والمدفع يطير بكتائبه مبعثرة في الهواء يهجم هجمة الشيطان وينقذ أخاه بيده... ثم هو الآن يغضب. لا بدّ من أمر ذي بال. سأذهب للقائه. إنه إذا حَنِق فلسبب خطير.

ديدمونه: إفعل بتوسّل مني (يخرج ياجو) لا بدّ أن يكون هناك معضلة من معضلات الحكومة أو أمر وفدَ من البندقية أو مؤامرة علمَ بتدبيرها في قبرص قد غشَّتْ عليه صفاء فكره. وفي أمثال هذه الأحوال تضطر النفوس الكبيرة الغايات أن تشتغل بالهنَات الصغائر. مثلنا بذلك كمثل الذي تؤلمه إصبعه فيجد شعور الألم في سائر جوارحه السليمة. على أن الرجال ليسوا بآلهة وما علينا أن نكلفهم على الدوام مجاملتنا كما يفعلون أيام العرس. عنِّفيني بشدة يا إميليا لأنني كنت شارعة في التظلم من قسوته لدى محكمة ضميري، أما الآن فأرى أنني رَشَوْتُ الشاهد وأنني ألقيت التهمة بغير صواب.

إميليا: لنضرعْ إلى الله أن يكون ما به أمراً من امور الحكومة كما فكرت لا جِنَّة من جِنَّات الغيرة.

ديدمونه: ويحي لم أفعل قط ما يستفزّ غيرته.

إميليا: غير أن النفوس الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تجيئها في الغالب نوباتها عن سبب بل تغار لأنها تغار وما الغيرة إلا بهيمة شاذة تلقح من نفسها وتتولد من نفسها.

ديدمونه: وقى الله قلب عطيل من تلك البهيمة.

إميليا: آمين يا سيدتي.

ديدمونه: سأذهب لأستقدمه. كاسيو تنزَّهْ قليلاً بقرب هذا المكان فإذا وجدتُه في ساعة رضى دافعت عنك وبذلت مجهودي في كسب دعواك.

كاسيو: أشكر مرحمتك بكل خضوع.

(تخرج ديدمونه وإميليا)
(تدخل بينكا)

بينكا: حيَّاك الله ورعاك يا كاسيو.

كاسيو: ما تصنعين خارج البيت؟ كيف حالك يا عزيزتي الجميلة جداً؟ تالله لقد كنت على عزم التوجه إليك...

بينكا: أنا كنت ذاهبة إلى منزلك. أيمضي اسبوع ولا تزور؟ سبعة أيام وسبع ليال، مائة وثمان وستون ساعة. على حين أن ساعات هجر العشيق أشد تبريحاً من ساعات التوقيت بمائة وستين مرة. يا لله ما أقبحها سأماً وضجراً.

كاسيو: سامحيني يا بينكا، نُكبتُ بما أقصاني عنك في هذه الأيام كلها... ولكنني سأعيض ما فات بما هو آت. أي عزيزتي الكريمة بينكا، انسخي لي مثالاً من هذا المنديل.

بينكا: من أين جاءك هذا يا كاسيو؟ لا بد أنه هدية من صديقة جديدة... لقد فهمت سبب ذلك الجفاء. سنرى سنرى.

كاسيو: تخلطين يا امرأة. ألقِ بظنونك البشعة في وجه الشيطان الذي أوحاها إليك. أتغِيرين من تخمينك أن لي رفيقة جديدة. كذبكِ وهمُكِ وعهد الوفاء.

بينكا: إذن من أين جاء هذا؟

كاسيو: لا أعلم، وجدته في غرفتي وأحببت صنعه كثيراً، لذلك سألتك صنع غيره على مثاله قبل أن يطلبه أربابه، أرجو منكِ وأتوسل إليكِ أن تنقلي لي هذا المثال. والآن دعيني.

بينكا: لماذا أدَعك؟

كاسيو: أترقب القائد هنا وليس من مصلحتي ولا أمنيتي أن يراني مع امرأة.

بينكا: ولِمَ هذا التحاشي؟

كاسيو: ليس من عدم الحب.

بينكا: بل من كونك لا تحب « إياي ». تكرَّمْ عليَّ واصحبني قليلاً وأجبني: أتزورني الليلة أم لا؟

كاسيو: لا أستطيع مرافقتك إلا بعض الخطى إذ لا محيص لي من انتظار القائد هنا. لكن سأراكِ قريباً.

بينكا: لا بأس، إني أدع التشديد الآن مراعاةً للحالة.

(يخرجان).

الفصل الرابع

المشهد الأول
قبرص ــ أمام القصر

(يدخل عطيل وياجو)

ياجو: أيداخلك مثل هذا الظن؟
عطيل: مثل هذا الظن؟
ياجو: لأجل قبلة اختُلِسَتْ على انفراد.
عطيل: قبلة غير جائزة...
ياجو: أو لأجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب في سرير واحد.
عطيل: أيُعْرَيان ويدخلان السرير بدون قصد أثيم. ياجو هذه مداجـاة[1] للشيطان. إن الذين يخْلُون هذه الخلوة لو طهُرت نيّاتهم لامتحنهم إبليس وامتحنوا الله.
ياجو: إذا لم يفعلوا شيئاً فهي هفوة عرضية، أما إذا أعطيت امرأتي منديلاً...
عطيل: فما يكون؟

(١) مداجاة: مراءاة.

ياجو: يكون عندئذ ملكاً لها ولها فيما أعتقد أن تمنحه لمن تشاء.
عطيل: هي أيضاً أمينة على عِرضها أتستطيع أن تهَبه؟
ياجو: عِرضها لا يُرى، وكثيراً ما يحدث أن الذين لا عِرض لهم هم بالذات أصحاب العِرض. أما المنديل...
عطيل: بالله العظيم لقد كنت أودُّ لو أنساه... أتمم جملتك... لكن ذكره يعود إلى رأسي كما يعود إلى البيت المتداعي غراب البَيْن ينعق بالويلات... كنت تقول إن المنديل وُجد معه؟!
ياجو: فدليل أي شيء هو؟
عطيل: كيفما كانت دلالته فما هي بالشيء النظيف.
ياجو: إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أنني رأيته يسلب عرضك أو أنني سمعته يقول كيت وكيت كما يفعل بعض الشذّاذ الذين إذا قضَوْا لبانتهم من معشوقتهم سواء بإلحافاتهم المزعجة أم بتشخيصاتهم المؤثرة، لم يملكوا الكتمان.
عطيل: وما الذي قاله؟
ياجو: إنه... فعل ما لستُ أتذكر...
عطيل: أي شيء أي شيء؟؟
ياجو: إنه بات...
عطيل: معها؟
ياجو: معها... بقربها... كما تشاء!
عطيل: معها... بقربها... خطب رائع. المنديل... الأقرارات... المنديل... ليعترف ثم ليشنقْ جزاءً وفاقاً بل ليشنق أولاً ثم ليعترف... أرتجف لمجرد تصوري تلك الخيانة. ولولا أنها وقعت وأسرّتها إليَّ الطبيعة لما بلغ الاضطراب مني هذا المبلغ. ليس الذي يقلبني عالياً إلى سافل كلمات فقط... لعنة الله عليهما... أنفاهما... آذانهما. شفاههما... أفي التصور ما كان... ليعترف — المنديل — يا للشيطان.

(يغمى عليه)

ياجو: فعلك يا طبي فعلك. الحمقى المتصدقون يؤخذون هكذا. وهكذا تقع السِّعَايةُ على كثيرات من الخواتين[1] العفيفات ــ صحواً سيدي... سيدي... صحواً عطيل.

(يدخل كاسيو)

ياجو: كاسيو؟!
كاسيو: ما أرى؟
ياجو: أغمي على مولاي... أمس مرة وهذه الثانية.
كاسيو: أُفرك صُدْغيه.
ياجو: لا... قف... لا ينبغي تحريكه في الإغماء وإلا أزبد فمه وَهَبَّ هبَّة جنون وحشي... أنظر. يضطرب... تغيَّب قليلاً. سيرجع إلى حسه وعندما ينصرف أريد أن أفاوضك في أمر ذي بال (يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح في رأسك؟
عطيل: تسخر مني؟!
ياجو: أنا أسخر منك؟ لا والسماء... عساك أن تتحمل قسمتك تحمل الرجال.
عطيل: رجل ذو قرنين لا يكون إلا خلقاً مخطأً أو حيواناً.
ياجو: يوجد إذن في مدينة مأهولة كثير من الخلائق المخطأة. وكثير من البهائم في زي الحضارة.
عطيل: هل أقرَّ بما فعل؟
ياجو: سيدي الكريم كن رجلاً، تصور أن كل ذي حلية مشدودة إلى امرأة تستطيع أن يحمل حملك. من الناس في هذه الساعة ألوف ألوف يبيتون ليلهم في مضاجع قاسمتهم إياها الجماهير ويزعمون أنها لهم خاصة أما أنت فحظك ما زال أصلح من حظوظ هؤلاء... لكن أجد من جهة أخرى أن من سخريات جهنم ومبالغات الرجيم في الرزايا عناقك لامرأة فاسقة في فراش شرعي وتحسبها طاهرة... لا... خير لك ثم خير لك

---

(١) الخواتين: النساء الشريفات.

أن تعرف كل شيء فإنني متى عرفت ما أنا عرفت أيضاً مصيري.
عطيل: أنت عاقل بلا مراء.
ياجو: إلزم السكينة قليلاً واكتفِ بالإصغاء متجلداً أسمعْكَ برهاناً جديداً... جاء كاسيو إذ كان مغمىً عليك من الألم، وهو ما لا يليق برجل مثلك، فأبعدته معتذراً بعلّتك وأوصيته أن يعود لمخاطبتي بعد هنيهة. فالتمس لك هنا مكمناً تجثم فيه والمحْ إشارات الهزء والاحتقار التي تبدو على وجهه حين اكلمه عنها، وسأحتال عليه بحيث يقصُّ عليَّ قصته مع امرأتك ويقول أين، وكيف، ومتى، وكم مرة اجتمع بها أو ينوي أن يجتمع؟ تنبَّهْ. وحَسْبُك أن ترقب حركاته. يا لله. صبراً وإلا شهدت أنك الهِزَّة مشخَّصة برأس وقدمين وأن لا شيء فيك من الرجل.
عطيل: إسمع يا ياجو سترى أنني جليد كل الجَلد ولكن اعلمْ أيضاً أنني سفاح في الغاية.
ياجو: مهما تقتل لا تدرك حق ثأرك، غير أنه يحسُن عمل كل شيء في ميقاته. أتريد أن تتوارى؟ (يختبيء عطيل) الآن سأسأل كاسيو عن بينكا العاهرة التي تبيع محاسنها وتشتري خبزاً وملابس. هذه الفاجرة مجنونة بكاسيو لأنه من مصائب البغيات أن يخدعن ألوفاً ويخدعهنّ واحد. فمتى سمع ذكرها لم يملك أن يضحك حتى يَشْرَق... أراه قادماً ومتى تبسم أصبح عطيل مجنوناً وأوّلت غيرته الفاحشة كل رمز يرمزه من تبسم وإشارة أسوأ تأويل على المسكين كاسيو.

(يدخل كاسيو)

ياجو: كيف أنت الآن أيها الملازم؟!
كاسيو: كما يكون القتيل، وإنني لقتيل بفقدي اللقب الذي تلقبني به.
ياجو: أصررْ على التماس الشفاعة من ديدمونه وثقْ بالنجاح (بصوت خافت) أما لو كانت أمنيتك عالقة برداء بينكا لتحققت سريعاً.
كاسيو: مسكينة تلك الإنسانة.
عطيل: (في مكمنه) انظر كيف طفق يضحك!

ياجو: لم أرَ قط امرأة تحب رجلاً هذا الحب.

كاسيو: ويحها من خاطئة أظن على ذمتي أنها تحبني.

عطيل: (في مكمنه) ها هو ذا ينكر الجريمة بتراخٍ لكن يضحك لذكرها كثيراً.

ياجو: أسامع يا كاسيو؟

عطيل: (في مكمنه) إنه الآن يحرجه ليحمله على الإخبار. أحسنت أحسنت.

ياجو: تُشيع أنك ستقترن بها. أهذه أمنيتك؟

كاسيو: ها ها ها...

عطيل: (في مكمنه) أفائز أيها الروماني أفائز؟

كاسيو: أنا أقترن بها. بمومس. هب عقلي شيئاً من حسن ظنك ولا يكن رأيك هذا الرأي العفِن. ها ها ها.

عطيل: (في مكمنه) كذا كذا الظافرون يضحكون.

ياجو: بذمتي إن إشاعة زواجكما متناقلة.

كاسيو: بحياتك قل لي الحقيقة.

ياجو: إن لم يكن قولي الحقيقة فلا كنت إلا محض مجرم مزور.

عطيل: (في مكمنه) طُبعت السّمَة على جبهتي لا بأس.

كاسيو: إن هي إلا إشاعة صادرة عن تلك الوقحة تظن أنني أتأهل بها عن زهو وخُيَلاء منها لا عن وعد مني.

عطيل: (في مكمنه) ياجو يشير إليَّ... سيبدأ القصة.

كاسيو: كانت هنا من هنيهة ودأبها أن تدركني في كل مكان. ومن جنونها أنها لحقت بي إلى شاطىء البحر منذ أيام وكنت أحادث بعض البندقيين فجاءت وطوقت عنقي هكذا...

عطيل: (في مكمنه) وهي تصيح: « يا حبيبي كاسيو ». أكاد أسمع ما يقوله لفصاحة إشارته.

كاسيو: علقت بعنقي وأخذت تترجح وتبكي وتدفعني وتجذبني. ها ها ها.

عطيل: (في مكمنه) يخبره كيف أدخلته غرفتها. آه إني أرى أنفك... لا بل أرى الكلب الذي سألقيه اليه.

كاسيو: لا بد لي من مقاطعتها.
ياجو: ليس بحضوري... التفت تجدها مقبلة.
كاسيو: هذه مفتونتي يسطع عطرها إلى هذا المكان.

(تدخل بينكا)

كاسيو: ما مرادك من مطاردتي هكذا؟
بينكا: طاردك الشيطان وأنثاه ما كان مقصدك من هذا المنديل الذي دفعته إليّ منذ قليل. غلبت عليَّ الغفلة فصدقت أنك تستنسخ رسمه. أمن المعقول أن تجد مثل هذا الشيء الثمين في غرفتك من غير أن يكون أحد قد تركه، هذا بلا شك هدية من عاهرة ما، وأنا أُكلف تصوير مثله. أبى الله أن أفعل. خذه وأهده عشيقتك. أياً يكن مأتاه فلن أنقله.
كاسيو: ماذا جرى يا صفيتي بينكا ماذا جرى؟
عطيل: (في مكمنه) يا لله لا بد أن يكون هذا منديلي.
بينكا: إذا أردت أن تجيء لتناول العشاء الليلة فأهلاً وإلا فتعال حين تشاء...

(تخرج بينكا)

ياجو: اعدُ وراءها أدركها.
كاسيو: لا بد لي من ذلك أو تملأ الطرق صياحاً.
ياجو: أتتعشى هناك؟
كاسيو: هذا إزماعي.
ياجو: لعلي ألحق بك إذ انني في حاجة لمفاوضتك.
كاسيو: تعالَ ولك الفضل. أتجيء؟
ياجو: كفاية لا تزِدْ.

(يخرج كاسيو)

عطيل: (في مكمنه) أية قِتلة أقتله؟ أشِرْ.
ياجو: أرأيت كيف كان يضحك من جريمته؟
عطيل: ياجو ياجو.

ياجو: وهل رأيت المنديل؟

عطيل: أكان منديلي؟

ياجو: منديلك قسَماً بيدي، ومن الغريب أن تكون هذه عنده قيمة امرأتك المجنونة التي تعطيه منديلاً ويعطيه بغيّاً.

عطيل: أتمنى لو مكثت تسع سنين أقتّله ــ امرأة جميلة، امرأة رشيقة، امرأة أنيسة.

ياجو: لا بد لك من نسيان كل هذا.

عطيل: نعم ولتذهب إلى حيث تقضي ولتهلك جسماً ونفساً في هذه الليلة... لن تعيش... لا... إن قلبي قد تحوَّل إلى حجر، أضربه ويجرح يدي. أواه ليس في العالم أعذب منها امرأة. كان يحق لها أن تقترن بملك كبير وتأمره بما تشاء.

ياجو: ليس هذا ما ستفعله معها.

عطيل: لتشنق... ولكن اذكر صفاتها. ما أبرعها في تقليب الإبرة، ما أمهرها في الموسيقى. إذا تغنّتْ أزالتْ وحشية الضاري، غير أنها مع ذلك الذكاء وتلك الفطنة...

ياجو: أجدر بالتثريب[1].

عطيل: ألف مرة أجدر. ثم ما أشرف محتدها[2].

ياجو: أشرف من أن يعبث به هكذا.

عطيل: تجاوزت حدّه بلا مراء ولكن يا لَلغبن، ياجو يا للخسارة.

ياجو: إذا كنت مغرماً إلى هذا الحد بفجورها فأعطها إجازة لارتكاب الخطايا وهذه الإباحة لا تعنى أحداً غيرك.

عطيل: سأهْشِمُها هشماً. تلك التي عرَّضتني لهذه المهانة.

ياجو: إن ذنبها لعظيم.

عطيل: تخونني مع تابعي!

---

(١) أثرب: لام، قبح عليه فعله.

(٢) محتدها: أصلها.

ياجو: وهذا ذنب أعظم.

عطيل: هيِّىء لي سمّاً يا ياجو... الليلة. لا أريد أن يجري عتاب بيني وبينها مخافة أن يتغلب جسمُها وجمالها على نفسي. الليلة يا صاحبي.

ياجو: لا تقتلها بالسم، اخنقها في نفس السرير الذي دنَّسَتْه.

عطيل: هذا العقاب أعجبني وهو أفضل.

ياجو: أما كاسيو. فدعني أتولّى القضاء عليه وستعلم بقية أمري في منتصف الليل.

عطيل: غاية في الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق؟

ياجو: رسول من البندقية بلا شك... هذا لودفيكو آتياً من قبل الدوج وهذه امرأتك تصحبه.

(يدخل لودفيكو وديدمونه وأتباع لهما)

لودفيكو: كلأك الله أيها القائد الشريف.

عطيل: مطيعك من صميم الفؤاد يا سنيور.

لودفيكو: الدوج وأعيان البندقية مرسلون اليك تحياتهم.

عطيل: أقبل الهَنة[1] الحاملة لمشيئتهم.

ديدمونه: وما وراءك من الأخبار يا ابن عمي لودفيكو.

عطيل: أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحباً بك في قبرص.

لودفيكو: شكراً لك، وكيف الملازم كاسيو؟

ياجو: حي يا سنيور.

ديدمونه: يا ابن عمي لقد قام بينه وبين مولاي خلاف أحزنني لكن أرجو أن تعيد المياه إلى مجاريها.

عطيل: أواثقة أنت من ذلك؟

ديدمونه: مولاي.

عطيل: (قارئاً) « واليك أن تفعل في هذا الأمر ما تراه ».

---

(١) الهنة: الشيء.

لودفيكو: لم يخاطبك بل كان مشتغلاً بمطالعة هذا الكتاب. أوجد شقِاقٌ بين القائد وبين كاسيو؟
ديدمونه: شقاق ساءني جداً وأرغب في إزالته كل الرغبة لما لي من العطف على كاسيو.
عطيل: لهب وملح بارود.
ديدمونه: مولاي.
عطيل: أمعك مُسكة من العقل.
ديدمونه: أتراه غضبان.
لودفيكو: لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن به على ما أظن استدعاءه إلى البندقية وتقليد منصبه لكاسيو.
ديدمونه: حبذا البشرى وما أفرحني بها.
عطيل: الله الله.
ديدمونه: مولاي.
عطيل: أنا فرح بأن أراك مجنونة.
ديدمونه: كيف يا مولاي الكريم.
عطيل: أنت شيطانة (يصفعها).
ديدمونه: لم أستحق هذا.
لودفيكو: لو أقسمت في البندقية أني رأيتك تضربها لما صدقوني. هذا فوق الطاقة. استغفرها إنها تبكي.
عطيل: يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرض تلقح بعبرات لكانت كلُّ دمعة تسقط من عيون امرأة تلد تمساحاً. اليك عني.
ديدمونه: (تتجه للانصراف) أنصرف منعاً لاستيائك.
لودفيكو: هل في السيدات أطوع منها، أبتهل اليك يا مولاي أن تدعوها.
عطيل: أيتها السيدة.
ديدمونه: مولاي.
عطيل: ما تريد منها يا سنيور.
لودفيكو: من؟ أنا يا سيدي؟

عطيل: نعم أنت رغبت إليَّ في دعوتها ولها أن تجيء وتذهب وتدور وتتقدم وتتأخر كما تشاء ولها أن تبكي ما تبكي. وهي طيّعة كما تقول يا سنيور، طيّعة جداً... واصلي البكاء... أما محتوى هذا الكتاب فهو أنني أمرت بالعودة إلى البندقية. أواه مما تُرْهِقني الآلام ـــ اذهبي وسأبعث في طلبك بعد هنيهة... سنيور إني مطيع للأمر وسأرجع للبندقية... تواريْ من هنا انصرفي (تخرج ديدمونه) سيتولى كاسيو مكاني. سنيور أرجو أن تجيب دعوتي إلى العشاء الليلة. مرحباً بك في قبرص يا سنيور ـــ تيوس وقِرَدَة.

لودفيكو: أهذا هو ذلك المغربي الذي أجمع مجلس أعياننا على امتداحه في كل شيء؟ أهذا هو ذلك الطبع الذي لا يستفزه الغضب والذي تتعالى شجاعته عن أن تنالها وَرْيَة زَنْدٍ من زناد العرض أو تصيبها رمية من سهام الطوارىء؟

ياجو: لقد تغير حتى تنكر.

لودفيكو: أهو مالك عقله، أو ليس به مس وخبال.

ياجو: هو ما ترى. لا ينبغي لي أن أنتقده. وليته كان كما يجب، بل كما يستطيع أن يكون.

لودفيكو: يا للفظاعة يضرب امرأته.

ياجو: بذمتي لم يكن عمله جميلاً ولعله لا يتبعه بأقبح.

لودفيكو: أهذه عادته أم أثر فيه هذا الكتاب تأثيراً حمله على ارتكاب هذه الهفوة.

ياجو: ليس مما يقتضيه وفائي أن أخبرك بما رأيت وعرفت. ستعلم من أفعاله ما يغنيك عن كلامي، تتبعه وارقب ما سيكون من بقية أمره .

لودفيكو: إني أسيف لما اعتقدته فيه من الخير.

ديدمونه: مولاي ما مشيئتك؟

عطيل: تعالي إلى هنا يا دجاجتي.

ديدمونه: ما الذي تريده؟

عطيل: أريني عينيكِ. انظري إليَّ مواجَهة.

ديدمونه: ما هذه الأمنية المنكرة؟!

عطيل: (إلى إميليا) أنتِ يا سَمْحة جودي علينا ببعض الخِدم التي تحسنينها. دعي العاشقين مختليين وأقفلي الباب ثم اسعلي أو همهمي إذا جاء أحد. إلى مهنتك. امضي. أسرعي (تخرج إميليا).

ديدمونه: ألتمس منك جاثية أن تقول لي ما معنى هذا الخطاب. أحسّ فيه الغضب ولكن الألفاظ لا ادرك معناها.

عطيل: أجيبيني مَن أنتِ؟

ديدمونه: زوجك يا سيدي، حليلتك المخلصة.

عطيل: أقسمي على هذا واقضِ على نفسك بعذاب الآخرة إن لم يكن حقاً. إنك لتشبهين الملائكة شبهاً يخيف الشياطين من قبضك... أقسمي مرتين على حياتك الآخرة بأنك طاهرة.

ديدمونه: السماء تعلم عفّتي بكل تحقيق.

عطيل: السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهنم.

ديدمونه: خدعتُ مَنْ يا سيدي؟ ولمن؟

عطيل: آها ديدمونه اذهبي اذهبي اذهبي.

ديدمونه: أواه من هذا اليوم المشؤوم! لماذا تبكي؟ أأنا مسبّبة هذا البكاء يا سيدي؟ إذا كنت تظن أن أبي كان الساعيَ في رجوعك فهل عليَّ ملام؟ وإذا كنت قد فقدت صداقته فقد فقدتها أنا أيضاً.

عطيل: لو أنه طاب للسماء أن تمنحنني بأشدّ البلايا فأمطرت على رأسي حاسراً صنوف الآلام والمعَرّات وأغرقتني في الفقر إلى الشفتين وسامتني الأسر وخيبة البقية من آمالي، لوجدتُ في زاوية من نفسي أدنى موضع للصبر، ولكن يا للحيف، لا صبر لي على أن أكون تمثالاً يرمقه الزمان ويشير اليه الاحتقار بإصبع يرفعها على مهل. على أنني ربما تماديت إلى

تحمّل هذا ولا بأس. إلا أن هناك مَقْدِساً أودعت فيه قلبي وهو الذي يجب أن أعيش فيه أو لا معنى للعيش. ثم إن هناك ينبوعاً يجري منه تيار بقائي وبدونه ينضب فأنا بين خطتين: إما أن أطرد من المقدس وإما أن أبقى الينبوع مباحاً كالبئر ترِدُه الصراصير القذرة وتتواقع بجانبه وتتناسل. إيهاً أيها الصبر. إيهاً أيها الملَك الوردي الثغر، تحوّلْ تجاه هذا المشهد واتخِذْ وجها قاتماً كوجه سَقر[1].

ديدمونه: أرجو أن يكون سيدي على يقين من عفتي.

عطيل: نعم، نعم كيقيني من ذباب الصيف في المجازر لا تبيض حتى تتجامع. أيتها الزهرة المتناهية رقة وجمالاً النافحة من الطيب ما يُسْكر الجوارح لماذا ولدت في الدنيا؟

ديدمونه: يا ويحي! أية خطيئة من خطايا السهو اقترفت؟

عطيل: هذه البَشرة الناعمة. هذا الكتاب الشائق المكسوُّ أكان مُعَدّاً لتخطّ على ظاهره كلمة « مومس »؟ أية خطيئة ارتكبتِها؟! يا بغيّ السوق لو ذكرت لكِ ما فعلتِه لاحمرّت وجنتاي كالتنور ولسحقَتا كل خجل سَحْقَ الرماد. أية خطيئة ارتكبتِها؟ السماء تسدُّ أنفها من رائحتها والقمر يغمض عينيه من قبْحها والنسيم الفاسق الذي يقبِّل كل ما يمرُّ به يختبىء منها في جوف الأرض ويأبى سماعها. أية خطيئة ارتكبتِها أيتها الفاجرة الوَقِحَة؟!

ديدمونه: وأَيْمُ السماء إنك لتفتري عليّ الإهانة.

عطيل: ألستِ عاهرة؟

ديدمونه: لا والذي خلقني متَّقية، وإذا لم يكن إثماً عليّ حفظي لهذا الإناء الجثماني نقياً من كل شائبة وملمس سيء فلست ما تصف.

عطيل: وكيف لستِ بغيّاً؟

ديدمونه: إني لمؤمنة ببراءتي كإيماني بنجاتي من عذاب الآخرة.

عطيل: أفي الاحتمال هذا؟

ديدمونه: غفرانك اللهم لنا غفرانك.

---

(١) سقر: جهنم.

عطيل: إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الخبيثة العاهرة من عواهر البندقية التي اقترنت بعطيل. أنت يا سمحة أنت التي تمتهنين نقيض مهنة بطرس وتحرسين أبواب جهنم.

(تدخل إميليا)

عطيل: أنتِ أنت! نعم أنت لقد قضينا لُباتنا وهذا جزاؤك من النقود. أرجو أن تغلقي الأبواب وتكتمي سرّنا.

(يخرج)

إميليا: ويلاه ماذا يتصور هذا السيد؟! كيف أنت الآن يا مولاتي الكريمة؟
ديدمونه: بين نوم ويقظة.
إميليا: ماذا جرى بينك وبين مولاي؟
ديدمونه: وبين مَنْ؟
إميليا: وبين مولاي يا سيدتي.
ديدمونه: مَنْ مولاكِ؟
إميليا: الذي هو مولاك يا سيدتي.
ديدمونه: لا مولى لي. لا تكلميني يا إميليا فما أستطيع البكاء ولا جواب بغيره عندي. أرغب اليك أن تضعي في هذا المساء على سريري أغطية العرس. لا تنسَيْ واذهبي فادعي زوجك إليّ.
إميليا: هذا تغيير عجيب.

(تخرج)

ديدمونه: عدلٌ ما عوملت به، عدل ولكن ما الذي صنعته حتى إن أكبر هفواتي أدخلت على نفسه أدنى ريب!

(تعود إميليا وياجو)

ياجو: ماذا تريدين يا سيدتي؟ ماذا جرى؟
ديدمونه: لا أقدر على ذكره، الذين يربون الأطفال يرفقون بهم ويكلفونهم

الأعمال السهلة، كان يستطيع أن يعاملني هكذا ــ لأنني طفلة متى زجرت...
ياجو: ماذا حدث يا سيدتي؟
إميليا: ويلاه إن سيدي قد أهانها كثيراً ودعاها بغياً وحقرها تحقيراً مرهقاً بألفاظ سمجة لا تطيقها القلوب الكريمة.
ديدمونه: أأنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو؟
ياجو: أية تسمية أيتها السيدة الجميلة؟
ديدمونه: التي دعاني بها مولاي.
إميليا: دعاها بعاهرة وهو ما لا يقوله الشحاذ السكران لمن هي معه.
ياجو: علام فعل هذا؟
ديدمونه: لا أدري. وأنا على ثقة من أنني لست كما زعم.
ياجو: لا تبكي لا تبكي. ويلاه. مصيبة.
إميليا: أتركتْ سائر خطابها الشرفاء وهم كثير، وتركت أباها وبلادها وأصدقاءها لتسمى عاهرة؟ أليس في هذا ما يستبكي؟
ديدمونه: قضاء من نحسي.
ياجو: لعنة الله عليه لفعله هذا، من أين أصابه هذا الجنون؟
ديدمونه: الله وحده يعلم.
إميليا: بل على عنقي. إن هناك غداراً هالكاً دساساً محتالاً شحاذاً نمَّاماً غشاشاً وَشَى وشاية لينال منصباً. على عنقي هذا ما هو كائن.
ياجو: دعي الوهم أيوجد رجل من هذا؟! محال.
ديدمونه: إذا كان موجوداً فليسامحه الله.
إميليا: بل ليسامحه حبل المشنقة ولتأكل جهنم عظامه. لِمَ دعاها بغياً... من الذي يعاشرها وأين ومتى وأي ظاهر دل. وهل هو معقول؟ لقد خدع المغربي. خدعه أحد السفلة الأدنياء المجرمين الأبالسة، أحد المكرة الممتهنين. يا للسماء لو عدلت لوجب أن تكشفي الستار عن أولئك المجرمين وتضعي سوطاً في يد كل رجل كريم يُساط به أولئك اللئام في أطراف الدنيا من الغرب إلى الشرق.
ياجو: اخفضي من صوتك.

إميليا: خيبة وعار على أولئك الناس. ألم يدخل عليك واحد منهم أن بيني وبين المغربي ريبة.

(مخاطبة ياجو بصوت منخفض)

ياجو: (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء امشي.
ديدمونه: ياجو واحسرتاه كيف أصنع لأعود إلى رضى مولاي؟ اذهب اليه يا صديقي لأنني وَايمُ هذا النور السماوي لا أعرف كيف فقدته. إنني لأجثو هنا ولئن كنت قد أخطأت إلى غرامه مرة عن قصد سواء بلساني أم بفكري أم بفعلي، بل لئن كانت عيناي أو أذناي أو أية حاسة من حواسي الأخر مالت إلى غيره، بل لئن كانت غير مقيمة على حبه الآن كما كنت أحبه وكما سأحبه أبداً حتى لو قذف بي في شقاوة الطلاق، لا كانت لي سلوى ولا تعزية في هذه الدنيا. إن القسوة لتقدر علي كثير وقسوته عليَّ قد تقتلني على أنها لا تدنس غرامي. أنا لا أستطيع أن أقول بغياً. هذه الكلمة يؤلمني لفظها فما بال العمل الذي يَصِمُ بها ولو دعتني اليه جميع أباطيل الحياة.
ياجو: صبراً صبراً إن هي إلا سحابة كدر وتنقضي. لقد أزعجته أحوال الحكومة فوقع عليك غضبه.
ديدمونه: إن لم يكن سبب إلا هذا رضيت.
ياجو: لا سبب إلا هذا، على عهدتي (تسمع أبواق) أصغي هذه الأبواق تدعوك إلى العشاء وسفراء البندقية في انتظارك للجلوس إلى المائدة انهضي اليهم ولا تبكي ثم كل شيء يجيء على المرام (تخرج ديدمونه وإميليا) ما جاء بك يا ردريجو.

(يدخل ردريجو)

ردريجو: لا أجدك تحسنُ الصنيع معي.
ياجو: ما يثبت لك ذلك.
ردريجو: كل يوم تطاولني ملتمساً عذراً جديداً ويظهر أنك تمنعني الفرص

بدلاً من أن تساعد على سنوحها. لن أتحمل هذه السيرة ولم يبق في وسعي أن أهضم بسكينة كل ما هضمته عن حمق من قبل.

ياجو: أتصغي إليَّ وتمتثل يا ردريجو؟

ردريجو: وذمتي لقد طالما امتثلت فما حلوت بطائل لأن أقوالك لا تنطبق على أفعالك.

ياجو: تتهمني بغير حق.

ردريجو: بل بحق، فلقد أنفقت ما جاوز مقدرتي والجواهر التي أعطيتك إياها برسم ديدمونه كانت تكفي لقصم راهبة من نصفها، فإن كنت قد أوصلتها كدعواك وكانت العِدات[1] التي جئتني بها منها شكراً صحيحاً فلمَ لا أجد تحقيقاً لشيء منها؟

ياجو: امض في كلامك. هذا حسن.

ردريجو: امض، كفاني ما مضى — هذا حسن. أقول إن فعله ليس بحسن. بل إنه نهاية في القبح وقد ألمح أنك عَبِثْتَ بي في هذه المسألة.

ياجو: حسن في الغاية.

ردريجو: قلت لك إنه غير حسن لا في الغاية ولا في البداية. اريد أن تعرفني ديدمونه، فإذا ردّت عليّ جواهري عدلت عن متابعتها والتمست الصفح منها عن سوء ما ندبتها له وإلا جعلتك مسؤولاً عنها وأنزلت بك عقابي.

ياجو: ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة؟

ردريجو: لم أقل إلا ما أنا مزمع فعله عن يقين.

ياجو: الآن تبينت أنك باسل، ومنذ الساعة أرى فيك رأياً لم أرَه من قبل. صافحني يا ردريجو لقد أسأتَ بي الظن ولك العذر غير أنني أؤكد لك أنني اشتغلت بمهارة لا تقبل المزيد في مسألتك.

ردريجو: مهارة لم أتبين أثرها!

ياجو: اسلّم، ولهذا أجدك حكمت بعقل. لكن إذا صحّ أن عندك ما أعتقده

---

(١) العدات: المواعيد.

الآن فيك من الشجاعة ورباطة الجأش فأرنيهما الليلة، فإذا كنت في الليلة التالية لا تتمتع بديدمونه كان لك أن تقصيني عن هذه الدنيا بخيانتي وتنصب من الفخاخ ما تشاء لإفقادي حياتي.

ردريجو: أوافق. ما الذي تبتغيه مني؟ أشيء في الإمكان أو المعقول؟

ياجو: لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو محل عطيل.

ردريجو: أصدق هذا النبأ. إذن عطيل وديدمونه يعودان إلى البندقية.

ياجو: كلا، بل يذهبان إلى موريتانيا إلا إذا اضطرت الأحوال عطيلاً أن يطيل مقامه هنا. وخير ما يستطال به مقامه أن يُحذف كاسيو.

ردريجو: ما تعني بهذا الحذف؟

ياجو: أعني أن يُعاق عن الحلول محل عطيل... أن يُهَشَّم رأسه.

ردريجو: وهذا ما تنوطه بي.

ياجو: نعم إذا جرؤت أن تملّك نفسك نفعاً وحقاً. سيتعشى الليلة عند فاجرة فالحقْ به إلى منزلها وهو ما زال يجهل النعمة التي وقعت اليه، فارقبه إن شئت بين منتصف الليل والساعة الواحدة... ومتى ألفيتني بجانبك لأعينك بحيث لا ينجو من ضرباتنا، فاعزم ولا تقف دَهِشاً متردداً بل تعالَ معي، سأريك بعينيك وجوب قتله فتجد من نفسك عاملاً على الإيقاع به. قد مضى ميعاد العشاء فلا تتباطأ لعدم فوات الفرصة، هلمّ بنا إلى العمل.

ردريجو: اريد أسباباً أدعى من هذا لارتكاب ما تكلفني إياه.

ياجو: سأوافيك منها بما تشاء. أرِحْ بالك.

(يخرجان)

المشهد الثالث
مسكن آخر في القصر

(يدخل عطيل ولودفيكو وديدمونه وإميليا وأتباع لهم)

لودفيكو: حلفت عليك إلا ما منعت عن نفسك أمثال هذه المكدرات.
عطيل: ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التنزه يفيدني
لودفيكو: طاب ليلك يا سيدتي وشكراً جزيلاً لفضلك.
ديدمونه: الشكر لك على التشريف.
عطيل: أتمضي للتنزه يا سنيور... أه ديدمونه... انطلقي وادخلي سريرك منذ الآن. سأعود بلا توازن ثم اصرفي التابعة ولا تنسي.
ديدمونه: نعم يا مولاي.

(يخرج عطيل ولودفيكو والأتباع)

إميليا: يظهر أنه أصفى مما كان.
ديدمونه: قال إنه عائد حالاً وأمرني أن أذهب إلى السرير وأوصاني بصرفك.
إميليا: بصرفي؟
ديدمونه: كذا أرادَ، فأعطيني يا عزيزتي إميليا بدلة نومي ودعيني، إذ لا ينبغي أن يفعل الآن ما يرضيه.
إميليا: كنت أَوَدّ لو لم تريه قط.
ديدمونه: ليس هذا ما أود، وإن حبي له ما زال بأُكمله ــ أرجو أن تفكي عُرى ثوبي ــ حتى إنني لأجد لطفاً وجمالاً في غَضَبِه وَزَجَراته.
إميليا: جعلت على السرير الأغطية التي أوصيتني بوضعها.
ديدمونه: أستوى عندي كل شيء. ما أعبث الجنون بنفوسنا. إذا متُّ قبلك فأمنيتي أن تلفّيني بهذه الأغطية.
إميليا: دعي دعي السفاف.

ديدمونه: كانت لأمي وصيفة تدعى بربارة وكانت تعشق رجلاً. ذلك الرجل أصيب يوماً بخبال وهجرها فكانت لا تفتأ تنشد أنشودة قديمة تعبر أحسن تعبير عن سوء بختها. ولما حضرتها الوفاة قضت نحبها وهي تتغنى بها. تلك الأنشودة تعاود فكري الليلة بلا انقطاع، وأكاد لا أملك رأسي أن يميل إلى جانب ولا لساني أن يردد أنشودة المسكينة بربارة. عجلي ولك الشكر.

إميليا: أأحضر لك قميص النوم؟

ديدمونه: لا، أعينيني على تفكيك هذه العرى، إن لودفيكو لرجل كريم.

إميليا: ومنيف في الرجال.

ديدمونه: وحَسَنُ الحديث.

إميليا: أعرف امرأة في البندقية لو وُعِدَتْ بقبلة من شفته السفلى لسافرت إلى فلسطين في طلبها.

ديدمونه: (متغنية) « ثَوت الحزينة تبكي تحت الجميزة »
« غنوا جميعاً على الصفصافة الخضراء »
« وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبتها »
« غنوا جميعاً على الصفصافة الصفصافة الصفصافة »
« وكانت المياه الباردة تجري بقربها وتتنهَّد تنهّدها.
« غنوا على الصفصافة »
« ودموعها تجري حتى تلين الصخور »
« ضعي هذه الملابس ههنا.
(متغنية) « غنوا على الصفصافة... »
بحياتك عجِّلي قد قَرُبَ معاده.
(متغنية) « ليصنع تاجي من صفصافة خضراء »
« لا تلوموه على الجفاء أفديه وأفدي إعراضه »
نسيت البقية: سمعاً... من يطرق الباب؟

إميليا: الريح.

ديدمونه: (متغنية) « دعوته بالعاشق الكاذب فماذا قال؟ »

« غني على الصفصافة... »
« إذا غازلتَ غيرك من النساء غازلتِ غيري من الرجال »
الآن اذهبي ومَسَّاكِ الله بالخير: جُفوني تَخِزُني، أَسَبْقُ شعور بأنني سأبكي...
إميليا: هذا لا يدل على شيء.
ديدمونه: كنت سمعت كلاماً في هذا المعنى، أوَّه الرجال الرجال؟ أتظنين يا إميليا وجود نساء يُهِنَّ بعولتهن إهانة غليظة كهذه؟
إميليا: توجد نساء من هذا القبيل ولا شك.
ديدمونه: لو أعطيت العالم بديلاً أكنت تقترفين خطيئة كهذه؟
إميليا: أقترفها ولا ريب... أما أنت أفما كنت لتفعلي؟
ديدمونه: لا وهذه الأنوارِ السماوية.
إميليا: أنا أيضاً لا أفعلها وهذه الأنوار[1] السماوية أما في الظلام فبلى.
ديدمونه: أتفعلينها ولو أعطيتِ العالم كله.
إميليا: العالم شيء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئة صغيرة.
ديدمونه: أظنك إذ جدّ الجد لا تقترفينها.
إميليا: إذا جدّ الجد أظنني أقترفها، وأنني بعد اقترافها أتوبُ عنها. لا جَرَم أن الهدية لو كانت خاتماً مضاعفاً أو بعض أصواف أو ثياب أو قبعات أو أي شيء حقير من هذه الدنايا لصنتُ نفسي وأما الدنيا بحذافيرها فلا. وهل توجد امرأة لا تشتري لزوجها الملك بقرنين خفِيّين. من يقلدْ بعلي التاج فقد رضيت بالأعراف[2] سبيلاً.
ديدمونه: رضيتُ بلعنة الله لو رضيتُ بالدنيا قاطبة جزاء خطيئة من هذا القبيل.
إميليا: خلي عنك، لو أوتيتِ الدنيا لما كانت خطيئتكِ فيها إلا إحدى الخطايا التي تجري في أملاكك ولك حينئذ أن تكفري عنها سريعاً بما تشائين.
ديدمونه: لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة.

(١) الأنوار في السطر السابق مكسورة على الإقسام وفي هذا السطر منصوبة باعتبار أن الواو واو المعية.
(٢) الأعراف: مكان تطهير النفوس بعد الموت.

إميليا: نعم توجد من صنفها عشرات بل بتعداد ما يكفي لعمار العالم الذي يقامرن لأجله. على أنني أعتقد أن النساء إذا عثرْنَ فالذنب للبعولة لأنهم بين خَلَّتين[1] إما أن يهملوا واجباتهم ويُلقوا بكنوزهم في أحواض أجنبيات أو أن يتفجروا عليهن غيرة فيسومونهنَّ المضايقة وآلام الضرب، وقد يبتزون أموالهن. ومهما يكن من طبائعنا فإن فيها لشيئاً من السم، ولسنا خاليات من شغف بالانتقام تحت ما يروق من مظاهرنا... ليعلم الأزواج أن لنسائهم حواس مثلهم لهن عيوناً ومناشِقَ وحُلوقاً يميزن بها الحلو من المر كما لهم. وماذا هم فاعلون حين يستبدلون بواحدة منا غيرها؟ أهي اللذة تدعوهم؟ نعم. أهو الغرام يدفعهم؟ نعم أيضاً. أهو الضعف ينتقل بهم في هذه الضلالات؟ نعم نعم نعم؟ فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن أيضاً لذات نشتهيها وسودات نبتغيها مع ضعف كضعفهم يحملنا على غير مَحْمَل؟ لهذا أقول إما أن يحسنوا معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التي نقترفها إنما هي رجع ما نتعمله من آثامهم.

ديدمونه: طاب ليلك ومُسيتِ بخير وليمنحني الله أخلاقاً تعينني لا على استخراج الشر من الشر بل على استخراج صلاح لنفسي من حيث لا يكون صلاح.

---

(١) خلتين: أمرين.

الفصل الخامس

المشهد الأول
في قبرص ــ طريق

(يدخل ياجو وردريجو)

ياجو: ههنا... قف وراء هذا الطرف من الحائط. إنه لآت حالاً. أسلل نصلتك الماضية واعطه بها جوازاً لسكنى الآخرة... عجلاً عجلاً. لا تخف شيئاً أنا بجانبك. إننا بفعلتنا فائزان أو هالكان. تذكر هذا وامكث متيناً في قصدك.
ردريجو: البث بقرب مني. أخشى أن يخور عزمي.
ياجو: هأنذا على منالك. تشجع وقف متأهباً.

(ينتحي قليلاً)

ردريجو: لا أجد من نفسي دافعاً قوياً على ارتكاب هذا العمل إلا أن ياجو ذكر لي أسباباً مقنعة. لقد قضِيَ على الرجل. تجرّد من غمدك يا سيفي. إنه لهالك.

(يقف متأهباً)

ياجو: حككت له ذلك الجرب حتى هاج وتحكم. ليقتل كاسيو أو ليقتله كاسيو أو ليتأخر كلاهما فالنتيجة أية كانت مفيدة لي. ذلك لأنه إذا بقي ردريجو طالبني بالحلي والمصوغات التي سللتها منه تباعاً بزعم أنها هدايا إلى ديدمونه، وما ينبغي أن يستردها مني. وإذا بقي كاسيو عاش عيشة رغد ومجد تكون بجانبها عيشتي حقيرة جداً. فضلاً عن أن المغربي قد يكاشفه في أمري، فأنا إذن في خطر عظيم ولا بد من قتله. صه صه. أسمعه. قادماً.

(يدخل كاسيو)

ردريجو: عرفت خطاه... هو بعينه ـــ أنت مائت يا غادر يا أثيم.

(يهجم من مكمنه ويضرب كاسيو)

كاسيو: لولا متانة درعي لكانت هذه الضربة أعدى أعدائي. سأرى الآن متانة درعك.

(يجرد سيفه ويضرب ردريجو فيجرحه)

ردريجو: آه قتلت!

(ههنا يهجم ياجو فيضرب كاسيو من وراء ضربة تصيب فخده ويتوارى)

كاسيو: كُسِرَتْ ساقي وسأعيش أعرج، يا للناس، على القاتل على القاتل.

(يسقط)
(يدخل عطيل من مسافة)

عطيل: هذا صوت كاسيو لقد وفى ياجو بوعده.

ردريجو: أواه ما أشقاني!

عطيل: صدقت!

كاسيو: المدد المدد أنيروا هاتوا آسِياً[1].
عطيل: هوَه، أي ياجو الأمين الباسل الذي يَقْدُر إهانة صديقه قدرها، إنك لتعلمني ما يجب عليّ. وا عاهرتا إن حبيبك لملقىً صريعاً، وإن أجلك ليدنو... محوت من قلبي طلاسم عينيك وسيضرج سريرك الذي شابه الفسق بشوائب من دم فاسق.
كاسيو: يا أهل المدد. ألا حرس هنا؟ ألا عابري سبيل؟ يا للقتيل من القاتلين.

(يدخل لودفيكو وغراتيانو من مسافة)

غراتيانو: هذا ولا ريب خطب جلل وصوت المستجير صوت رائع.
كاسيو: المعونة.
لودفيكو: أصغوا.
ردريجو: يا للشقي الغادر.
لودفيكو: هنا اثنان أو ثلاثة يئنّون والظلام حالك. من رأيي ألا نتقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا إذا جاء مدد جديد.
ردريجو: ألا يأتي أحد، إذن يسيل دمي حتى أموت.
لودفيكو: اسمع.
غراتيانو: هذا شخص يعدو عارياً ومعه نور وأسلحة.

(يعود ياجو ومعه مصباح)

ياجو: مَن هنا؟ مَن الذي يقلق السكون بصيحاته واستجاراته؟
لودفيكو: لا نعلم.
ياجو: ألم تسمعوا صراخاً؟
كاسيو: إلى هنا إلى هنا أغيثوني بالله.
ياجو: ماذا جرى؟
غراتيانو: هذا ضابط عطيل إن لم أكن واهماً.

---
(١) آسيا: طبيباً للجراحات.

لودفيكو: هو بعينه ونعمَ الفتى الشجاع.
ياجو: مَن أنت أيها المستصرخ بهذا الصوت المنكر؟
كاسيو: أياجو؟ ضربني. قتلني أناس من اللصوص. أغثني.
ياجو: أسفاً أيها الملازم. مَن اللصوص الذين جَنَوْا هذه الجناية؟
كاسيو: أظن أن أحدهم بقربي وحالته لا تمكنه من الفرار.
ياجو: يا للخونة الغدارين (ملتفتاً إلى لودفيكو وغراتيانو) وأنتما مَن تكونان؟... أقبلا وامنحانا مدداً.
ردريجو: أغيثوني. أنا هنا.
كاسيو: هذا أحد المعتدين عليّ.
ياجو: يا لك من شحاذ قاتل. يا لك من غدار

(يطعن ردريجو بخنجره).

ردريجو: أواه أيها الهالك ياجو أيها الكلب الوحشي.
ياجو: يقتلون الناس في الظلمات. أين أولئك اللصوص السفاكون للدماء؟! ما أسكتَ هذه المدينة..! قتيل قتيل، ترى من أنتما؟ أللخير أم للشر؟
لودفيكو: احكم لنا أو علينا بما سترى.
ياجو: السنيور لودفيكو.
لودفيكو: هو نفسه.
ياجو: ألتمس العفو. هذا كاسيو جرحه بعض المجرمين.
غراتيانو: كاسيو؟
ياجو: كيف حالك يا أخي؟
كاسيو: بُتِرَتْ ساقي شطرين.
ياجو: لا سمح الله. أنيروا لأضمِّد جرحه بقِدَّة[1] من قميصي.

(تدخل بينكا)

---

(١) قدة: قطعة.

بينكا: ماذا حدث؟ مَن كان يستصرخ؟
ياجو: من كان يستصرخ؟
بينكا: واحبيباه كاسيو، واعزيزاه كاسيو، كاسيو كاسيو.
ياجو: يا لك من عاهرة فاجرة. كاسيو أتخمِّن مَن المعتدون عليك؟
كاسيو: لا.
غراتيانو: أنا حزين لرؤيتك هكذا وكنت قد خرجت للبحث عنك.
ياجو: أعِرْني ربطة ساق. وُضعتْ. إلينا بكرسي نحمله عليه.
بينكا: ويلاه أغمي عليه! كاسيو كاسيو كاسيو.
ياجو: أيها السيدان أشتبه في هذه المرأة الغادرة الواقفة هنا أنها شريكة للمجرمين. صبراً قليلاً أي صديقي كاسيو. هلم بنا. أعيروني مصباحاً. أتعرفان هذا الوجه أم لا؟ ويلاه صديقي ومواطني العزيز ردريجو. لا لا. بلى بلى. يقيناً هو... ويلاه ردريجو.
غراتيانو: البندقي.
ياجو: هو نفسه أكنت تعرفه؟
غراتيانو: حق المعرفة.
ياجو: أأنت السنيور غراتيانو؟ عفوك يا سيدي فإن هذه الحوادث المشؤومة هي التي شغلتني عنك كما ترى.
غراتيانو: مسرور بمشاهدتك.
ياجو: كيف حالك الآن يا كاسيو؟ أسعفونا بكرسي...
غراتيانو: ردريجو.
ياجو: هو هو بعينه. واهاً. جاء الكرسي (يجلب كرسي) ليحمله أحد الحاضرين بعناية، وسأذهب لإحضار طبيب القائد. (إلى بينكا) أما أنت يا بنت فأبقي على نفسك من التعب. (إلى كاسيو) إن الذي يثوي هناك صريعاً كان صديقاً كريماً عليَّ، أي خلاف قام بينكما؟
كاسيو: لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه.
ياجو: (إلى بينكا) علامَ يمتقع هذا الوجه، رُدِّيه (يعني كاسيو) من الهواء (يحمل ردريجو وكاسيو) تخلّفوا أنتم أيها السادة. ما أشدَّ اصفرارك

يا بنت. أترَوْن شرود عينيها؟ إذا كان الرعب قد استولى عليك فلتعلمنّ نبأه بعد حين. ارمقوها، تفرّسوا فيها، انظروها... أتلمحون؟ أيها السادة ستظهر الجريمة ولو أصبح الكلام عادة مفقودة.

(تدخل إميليا)

إميليا: واحرباه! ماذا جرى؟ أيْ زوجي ماذا جرى؟
ياجو: اعتُدِي على كاسيو في الظلام. هاجمه ردريجو وآخرون فرُّوا. فأما كاسيو فصُرِع وأما ردريجو فتجندل.
إميليا: واحربا على كاسيو النبيل الكريم.
ياجو: هذا جَنى الفسوق. بحقك يا إميليا إلا ما ذهبتِ حالاً تسألين كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا) أترتجفين من هذا السؤال؟
بينكا: تعشى في منزلي ولا أرتجف البتة.
ياجو: آه تعشى في منزلك؟! آمرك باتباعي.
إميليا: قبحاً لك يا عاهرة.
بينكا: لست بعاهرة ولكنني امرأة تعيش على هواها وعندي من العفة مثل ما عندك يا شاتمتي.
إميليا: مثل عفتي؟! أقبحاً وكذباً؟
ياجو: هلم بنا سادتي الأعزاء نأسُ جراح كاسيو. تعالي أنت يا بنت ستقصين علينا قصة اخرى. إميليا عَدْواً إلى القلعة وأخبري مولاي ومولاتي بما حدث. أتتفضلون بالمسير؟ (منفرداً) هذه الليلة ليلتي فإما العَمار وإما الدّمار.

المشهد الثاني
غرفة نوم في القصر

(ديدمونه في سريرها وإلى ناحية منها مصباح يضيء)
(يدخل عطيل)

عطيل: تلك هي العلة[1] يا نفسي. علة أعتذر اليك عن تسميتها أيتها النجوم الطاهرة، ومع هذا لستُ عازماً على سفك دمها ولا على تمزيق بشَرتها النقية كالثلج الصقيلة كمرمر القبر، غير أن موتها متحتم وإلا خانت رجالاً آخرين. لنطفىء المصباح. وبعد... إن أطفأتك يا وزير النور ثم ندمت أعدتك إلى إضاءتك الأولى. ولكن متى أطفىء منك النور يا أبدع مثال من صنع الطبيعة الماهرة، فما أعلم أيَّ ضرب من المُذكِيات[2] التي يدخرها إله النار يستطيع أن يعيد اليك ذلك الرونق والبهاء. متى استؤصلت وردتُك النضيرة أصابها الذبول والجفاف لا محالة ولن أملك أن أرد عليها مقدرتها الحيوية. اريد أن أتنشقها في منبتها (يقبّلها) يا لَلعَرف الطيب الذي يكاد يُقنع العدل بكسر سيفه. قبلة ثانية ثم ثالثة. البثي هكذا حتى تموتي فأقتلك وأحبك بعدها. قبلة اخرى وهي الأخيرة. ما في سوابق الدهر قبلة أعذب ولا أنكى عقبى من هذه. يجب أن أذرف الدموع، ولكنها دموع جارحة. هذا الألم سماوي وإنما يضرب حيث يحب.

(تستيقظ)

ديدمونه: من هنا؟ عطيل.

---

(١) يريد بالعلة ضعف قدرته الرجلية.

(٢) المذكيات: النيران.

عطيل: نعم ديدمونه.

ديدمونه: أتريد المجيء إلى السرير يا مولاي؟

عطيل: هل صليت الليلة يا ديدمونه.

ديدمونه: نعم يا سيدي.

عطيل: إذا كنت تتذكرين ذنباً مبقياً فُرجة[1] بينكِ وبين رحمة الله فاستغفري حالاً.

ديدمونه: ويلاه يا مولاي ما معنى هذه الكلمات؟

عطيل: استغفري واختصري سأتمشى قليلاً ريثما تنتهين. لا أريد قتل نفسك وهي خاطئة، أبى الله. لا أريد قتل نفسك.

ديدمونه: أتذكر القتل؟

عطيل: إياه أذكر.

ديدمونه: إذن لترحمني السماء.

عطيل: آمين بكل جوارحي.

ديدمونه: أرجو ألا تفعلَ وإن تكلمت هكذا.

عطيل: هِمْ هِمْ.

ديدمونه: ومع هذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لا تُرَدّ متى كانت عيناك تدوران هكذا... لم أخاف ولا ذنب لي. ما أدري. ولكنني شاعرة بالخوف.

عطيل: فكري في خطاياكِ.

ديدمونه: لا إثم لي إلا هواك.

عطيل: لهذا ستموتين.

ديدمونه: ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه، ويلاه لم تعضُّ هكذا على شفتك السفلى، أجد بك الهِزَّة التي تهتزها حين سفك الدماء غير أنني أرجو ألا يكون تهديدها موجهاً إليّ.

عطيل: اهدئي وأصغي.

ديدمونه: سأفعل... ماذا تريد؟

---

(١) فرجة: مسافة.

عطيل: ذلك المنديل الذي كنت أحبه كثيراً وأعطيتك إياه أنت أهديته إلى كاسيو!
ديدمونه: لا وحياتي ونفسي... استدع هذا الرجل وليسأل.
عطيل: احذري يا حبيبتي احذري من الحِنْث[1] وأنت على سرير الموت.
ديدمونه: نعم ولكن لا. لا أموت الآن.
عطيل: بلى الآن. وأن تعترفي خير لك لأنك لو أنكرت كل جزء من أجزاء ذنبكِ وشفعت كل إنكار بقسم لما بددتِ قِرةَ العقيدة التي أتألم منها. ستموتين.
ديدمونه: إذن ليرحمني الله.
عطيل: آمين.
ديدمونه: ارحمني أنت أيضاً. لم أسيء اليك قط في حياتي ولم أحبب كاسيو بل ودِدْته كما أباح الله الوداد المألوف ولم أهاده لعمري بشيء ما.
عطيل: لقد رأيت منديلي في يديه، ويحك من امرأة خائنة إنك لتغيرين قلبي إلى صخر وتحولينَ إلى نوافل ما كنت أعتقده قرباناً رأيت المنديل بعيني.
ديدمونه: لعله وجده ضائعاً أما أنا فلم أعطه إياه. أرسل في طلبه وليعترف بالحق.
عطيل: قد اعترف.
ديدمونه: ماذا تقول يا مولاي؟
عطيل: إنه قضى منك مأرباً.
ديدمونه: مأرب سوء.
عطيل: نعم.
ديدمونه: لن يقول ذلك.
عطيل: أجل لأن فمه أقفل وقد صدر أمري إلى ياجو الوفي بما يجب.
ديدمونه: إن خوفي قد أدرك معنى هذه الكلمات. أمات؟
عطيل: لو كانت له أعمار عداد شعره لافترستها كلها.

---

(١) الحنث: الكذب في اليمين.

إميليا: أواه، إنها بهذه الميتة لم تزدد إلا طهارة الملَك الكريم، كما أنك لم تزدد بجنايتك إلا سواد الشيطان الرجيم.
عطيل: كانت عاهرة.
إميليا: اتهمتها كذباً ووشاية. أنت إبليس.
عطيل: كانت غشاشة الظاهر كالماء.
إميليا: وأنت جَسور كالنار بقولك إنها غشاشة. لَهْفي عليها كانت أصدق من أبرار السماء.
عطيل: كاسيو ضاجعها... اسألي زوجك عن ذلك، ولولا هذا السبب الحق لما فعلت فعلتي إلا وأنا هالك إلى أدنى قاع جهنم.
إميليا: زوجي؟!
عطيل: بعينه.
إميليا: كان يعلم أنها متعففة لوليّها؟
عطيل: نعم... وأنها زَنت مع كاسيو. على أنني لولا ذنبها هذا لو أبدلت منها بالعالم وقد جُمع إلى جوهرة واحدة ما رضيت.
إميليا: زوجي؟!
عطيل: نعم هو أول من أطلعني على سرِّها وإنه لرجل صالح يكره الحَمْأة التي تعْلَق بالأعمال السيئة.
إميليا: زوجي؟!
عطيل: ما معنى هذه الإعادات... قد قلت لكِ يا امرأة إنه زوجك.
إميليا: يا مولاي إن الغدر قد قامر الغرام مقامرة خديعة... أزوجي الذي قال إنها فاسقة؟!
عطيل: هو نفسه يا امرأة. زوجك نفسه أفهمت؟ صديقي زوجك ياجو الوفي المخلص.
إميليا: إن كانت هذه وشايته فليت نفسه الشريرة تتعفن كل يوم مرة. إنه كَذَبَ من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونة حباً بالبشع المخيف الذي اختارته بعلاً.
عطيل: الله!

إميليا: إفعل كل فظيعة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروساً لك.

عطيل: أولى لك السكوت.

إميليا: ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصف ما عندي من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله. لقد ارتكبت جريمة... لا أخاف سيفك وسأكشف أمرك حتى لو كانت لي عشرون حياة وفقدتها. الغياث الغياث. المدد المدد، المغربي قتل مولاتي. على القاتل على القاتل.

(يدخل منتانو وغراتيانو وياجو)

منتانو: ماذا جرى أيها القائد؟

إميليا: أنت يا ياجو حضرت. لا جرم أنك أحكمت سيرك فجعلت الناس يَلقونَ عليك تبعات آثامهم.

غراتيانو: ماذا جرى؟

إميليا: كذّب هذا المجرم إن كنت رجلاً. يقال إنك وشيت عنده في امرأته وأعلم أنك لم تفعل ولست ذلك الأثيم... تكلم لأن قلبي فائض بما فيه.

ياجو: قلت له ما كنت أعتقده ولم أزده على ما تحقق بنفسه.

إميليا: ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة.

ياجو: نعم.

إميليا: كذَبْتَ على الله وعليه كذباً قبيحاً مهلكاً للنفس. أهي اقترفت إثماً مع كاسيو. أقلت مع كاسيو؟

ياجو: مع كاسيو يا قوّادة، اقطعي هذا اللسان.

إميليا: لا أقطعه وسيدتي هنا مقتولة في سريرها.

الجميع: معاذ الله.

إميليا: ولم يرتكب هذا الجرم إلا بناء على سعاياتك.

عطيل: لا تدهشوا يا سادة هذا هو الحق.

غراتيانو: أمر غريب.

منتانو: عمل فظيع.

إميليا: مكيدة مكيدة مكيدة. شَعَرْت بها من قبل وما صدقت يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غماً.

ياجو: آأنت مجنونة عودي إلى البيت.

إميليا: يا سادتي ائذنوني بالكلام، يجب أن أطيعه أما الآن فلا ولعلي لن أعود أبداً يا ياجو.

عطيل: (يسقط على السرير) آه آه آه.

إميليا: نعم تقلَّبْ واجْأر لأنك قتلت أطهر وأرقّ بريئة رفعت عينيها إلى السماء.

عطيل: (ناهضاً) بل كانت زانية. لم أعرفك قبلاً أيها العم. هنا كريمة أخيك مضطجعة وهاتان هما اليدان اللتان أخمدتا أنفاسها وأن هذا العمل أعلم فظيع شديد القسوة.

غراتيانو: يا لها من مسكينة. أحمد الله أن أباها سبقها من فَرْط الحزن الذي مزق نسيج حياته، ولو كان الآن حيّاً لدفعه هذا المصاب إلى عمل هائل من أعمال اليأس يطرد به ملك الرحمة من جانبه ويستنزل عليه لعنة ربه.

عطيل: هذا محزن في الغاية ولكن ياجو يعلم أنها ضاجعت كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته اليها في أوائل الحب بيننا دليلاً على شغفي بها وأخلاصي لها، ثم إنني رأيت هديتي في يده وهي منديل كان أبي قد أهداه إلى والدتي.

إميليا: يا إله السماء!

ياجو: إخرسي.

إميليا: لا بد من إظهار الحقيقة، أأسكت أيها السدة؟ لا لا، سأتكلم بطلاقة ريح الشمال. السماء والناس والزبانية كلهم كلهم كلهم يصيحون بالعار عليَّ إذا لم أتكلم.

ياجو: تعقّلي وارجعي إلى البيت.

إميليا: كلا.

(يهجم ياجو عليها ليضربها بخنجره)

غراتيانو: عَيْبٌ رفعُ السلاح على امرأة.

إميليا: يا أيها المغربي البليد، المنديل الذي تذكره وجدته أنا بالمصادفة

وأعطيته لزوجي لأنه كان كثيراً ما يُلحُّ عليَّ بسرقته وكنت أتعجب من شدة اهتمامه بتافهة كهذه.

ياجو: يا للمومس الجانية!

إميليا: أعطته لكاسيو ــ كلا ــ واحسرتاه، أنا التي وجدته ضائعاً وأعطيته زوجي.

ياجو: تكذبين يا قذرة.

(يطعنها ويهرب)

إميليا: بالله العظيم لا أكذب يا سادتي (إلى عطيل) ويحك من قاتل أبله ما كان لأحمق مثلك أن يعايش حوراء كهذه.

عطيل: أليس في السماء حجارة غير التي تستخدم للصواعق، يا للمجرم الذي يفوق دهاؤه كل تصوُّر.

غراتيانو: هذه المرأة تميد. سقطتْ قتلها ولا شك.

إميليا: نعم، انقلوني إلى جوار سيدتي.

غراتيانو: لقد هرب.

منتانو: هو مجرم بلا مراء. خذوا هذا السلاح الذي نزعته من المغربي واذهبوا لحراسة الباب الخارجي ولا تدعوه يجتازه أو تقتلوه، أما أنا فسألحق بذلك المجرم. إنه لعبد هالك النفس.

(يخرج)

إميليا: علام كانت تدل أنشودتك يا سيدة. أصغي. أسامعة. سأموت متغنية، الصفصافة الصفصافة الصفصافة، أيها المغربي كانت طاهرة. كانت تحبك أيها القاسي. ليت نفسي تنجو بمثل ما أقول الحق وأصرّح عما في ضميري، أموت أموت.

عطيل: عندي سيف آخر في هذه الغرفة. سيف إسباني ماضٍ مجوهر ها هوذا ــ يا عمّ يجبُ أن أخرج.

غراتيانو: إذا حاولت الخروج جازفت في عمرك، لست مسلحاً وقد تقع على ما تكره.

عطيل: إذن ارجع وتعال كلمني وإلا هجمت عليك مع كوني أعزل.

(يدخل غراتيانو)

غراتيانو: ما تروم؟
عطيل: أنظر، معي حسام مما لم يتقلد مثله جندي ولقد شهدت زمناً كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف الوفي افتتح لي طريقاً بين عقبات تربو عشرين مرة على ما تتصور. ولكن يا للفخر الباطل! من الذي يخالف المقدور عليه. الآن أنا غير ما كنت فلا تخفْ ولو رأيتني مسلحاً. هذا محط رحالي ومرْبطُ شراعي وغاية سفري ــ أتتراجع من الرعب ــ رعبك لا طائل تحته. وجّه خيزرانة إلى صدر عطيل وهو الذي يتراجع. إلى أين يستطيع عطيل أن يذهب الآن ــ أريني كيف وجهك في هذه الساعة؟! يا للمرأة التي ولدت تحت طالع منحوس. إنك لصفراء بلون قميصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرؤيتك على هذه الصفة تكفي لإسقاط روحي من السماء فيلتقطها الزبانية[1] ــ هامدة يا بنيتي، قريرة كطهارة نفسك. ويل للشحاذ اللعين. أيها الشياطين اطردوني ضرباً بالسياط من أمام هذا النور السماوي واقذفوا بي أتقلب وأتدهور بين العواصف بلا استقرار، أغلوني في النفط، دحرجوني إلى أعماق بعيدة من النار السائلة. أي ديدمونه لقد متِّ آه آه...

(يدخل لودفيكو وياجو وكاسيو)

لودفيكو: أين ذلك الشقي المختبل؟
عطيل: الذي كان عطيلاً؟ هأنذا...
لودفيكو: أين ذلك الثعبان؟ هاتوا ذلك المجرم...
عطيل: أتفرّس في رجيله! هذه أعجوبة من خرافات الأولين. إذا كنت شيطاناً فلن أستطيع قتلك.

---

(١) الزبانية: الشياطين.

لودفيكو: انزعوا منه سيفه.

ياجو: جرحت يا سيدي ولكن لم أمت.

عطيل: اريد أن أعيش لأن الموت سعادة.

لودفيكو: أي عطيل الذي كنت عنوان الفضائل واستلمت لمكايد هذا الشحاذ الهالك، بأي اسم ستسمّى؟

عطيل: ليسمُّوني كما يشاؤون إن أنا إلا قاتل شريف لأنني لم أفعل فعلي عن حقد بل دفاعاً عن الشرف.

لودفيكو: هذا الحقير اللئيم اعترف بجزء من جريمته. أكنت متواطئاً معه على قتل كاسيو؟

عطيل: نعم.

كاسيو: يا قائدي العزيز لم أفعل قط ما يسوءك.

عطيل: أنت صادق وألتمس منك الصفح. أتريد أن تتفضل وتسأل هذا النصف الشيطان لماذا سحرَ عقلي وجسمي كما فعل؟

ياجو: لا تسألوني شيئاً فقد علمتم ما علمتموه وبعد هذه اللحظة لن أنبس بكلمة.

لودفيكو: حتى ولا الصلاة!

غراتيانو: إن التعذيب سيفُضُّ فاك.

عطيل: هذا هو العمل الصالح المفيد.

لودفيكو: أيها السيد يجب أن تعلم من بقية المسألة ما لم تزل تجهله فيما أظن. هذا كتاب وُجِد في جيب ردريجو الذي قتل وهذا آخر، ومن أحدهما يؤخذ أن مقتل كاسيو كان منوطاً بردريجو.

عطيل: يا للمجرم!!

كاسيو: يا للعمل الشنيع الذي لا يعمله إلا وثني.

لودفيكو: وهذا كتاب آخر وُجد في جيبه كان في عزم ردريجو على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثيم الهالك غير أن ياجو لقيه قبل إرساله وتمكن من تهدئة خاطره.

عطيل: ويحك أيها الشقي المؤذي، كيف وُجد بيدك ذلك المنديل الذي كان لامرأتي يا كاسيو؟!

كاسيو: وجدته في غرفتي واعترف هو نفسه منذ هنيهة أنه كان ألقاه بيده فيها لقصدٍ ما.

عطيل: يا مجنون يا مجنون يا مجنون.

كاسيو: ويظهر علاوةً على ما ظهر من كتاب ردريجو أن ياجو هو الذي كان باعثةً على التحرُّش بي في ليلة الحرس. ومن هذه الحادثة نَجَمَ عزلي. ثم ظهر أيضاً منذ قليل بإقرار من نفس ردريجو الذي تكلم بعد أن ظُنَّ ميتاً أن ياجو هو الذي دفعه إلى قتلي وياجو الذي ضربه بخنجره ليُجْهِز عليه.

لودفيكو: يجب عليك ترك هذه الغرفة واللحاق بنا فقد استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرص وقلَّدها كاسيو مكانك. أما هذا المجرم المتفنن فمهما تجد من ضروب التعذيب لإيلامه أبعد ما يكون أجلاً فهو ما سنعذبه به وأما أنت فتبقى سجيناً إلى أن يعلم أمرك في البندقية. هلموا اقتادوه.

عطيل: رويدكم أقل كلمة أو كلمتين. لقد خدمت البلاد بعد الخدم ويعرفونها فلا أطيل عن هذا القدر في هذا المعنى. ولكن أرغب اليكم حينما تقصون قصتي في رسائلكم أن تذكروني بحقيقتي لا بمزيد ولا بنقصان وألاَّ تدخلوا فيها شيئاً من المكر السيء فإذا فعلتم ذلك وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ولكنه كان خالص السريرة متجاوز الحد في حبه، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها إلى النهاية، رجل غلب الأسى عينيه على أنهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع أغزرَ ما تنضجه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافي. هكذا أرجو أن تصفوني وأضيفوا إلى ما تقدم أنني عندما كنت في حلب وأهان أحد الأعداء رجلاً من البندقية وثبت به وجعلت يدي في عنقه وضربته... هكذا.

(يضرب نفسه)

لودفيكو: يا للختام الرائع.

غراتيانو: قد تلاشى كل ما كنا في تدبيره.

عطيل: (زاحفاً نحو سرير ديدمونه) لقد قبلتك قبل مماتك والآن لم يبق لى إلا أن أموت فى قبلة.

كاسيو: كنت أخشى هذه النهاية لكنني لم أظن أن معه خنجراً... قضى وكان قلبه كسيراً...

لودفيكو: أين كلب إسبرطة. يا أقسى من الألم والجوع والبحر انظر هذه الجثث الطاهرة المتراكمة على هذا السرير. هذا عملك. منظر ينفثُ ناقِعَ السم في الأبصار فألقوا عليه غطاء — أي غراتيانو احرس البيت وتسلم تركة المغربي فهي اليك — وأنت أيها السيد الوالي تحكم في عقاب هذا المجرم الجهنمي بما تشاء. اضرب لذلك أجلاً وعين مكاناً واختر آلاتِ التعذيب ثم عذبه بمنتهى الشدة وبلا رحمة سأبحر من فوري عائداً إلى البندقية حاملاً إلى القوم بقلب حزين خَبرَ هذه الحادثة الفاجعة.

(تمت)



تعريب

خليل مطران

أشخاص الرواية

كلوديوس: ملك الدانيمرك
هملت: ابن الملك الراحل، وابن أخي الملك الحالي
بولونيوس: رئيس الديوان الملكي
هوراسيو: صديق حميم لهملت
لايرت: ابن بولونيوس
فولتيمان
كرنيليوس
روزنكرس: رجال الحاشية
جيلدتشترن
أوزربك
مرسلس: ضابط
برناردو: ضابط
فرنسيسكو: عسكري
رينالدو: خادم بولونيوس
ممثلون
مهرِّجان، وحفار قبور
فورتنبراس: أمير النرويج
سفراء إنجليز

السيدات

جرترود: ملكة الدانيمرك ووالدة « هملت »

أوفيليا: ابنة بولونيوس.

لوردات. سيدات. ضباط. عساكر. بحارة. مراسلون وتابعون آخرون

شبح والد « هملت »

المنظر: الدانيمرك

القرن الرابع عشر

الفصل الأول

المشهد الأول

(موقف مرصوف أمام القصر. « مسكن وقلعة »
فرنسيسكو قائماً للحراسة، وبرناردو مقبلاً عليه)

برناردو: من الزَّوْل[1]؟ تعرَّف.
فرنسيسكو: لا وإنما عليك الرد، قف، وقل من أنت ؟
برناردو: يحيا الملك.
فرنسيسكو: أ « برناردو »؟
برناردو: هو بعينه.
فرنسيسكو: جئت في الميقات بالدقة.
برناردو: سمعت ساعة انتصاف الليل. أدرك سريرك يا « فرنسيسكو ».
فرنسيسكو: ألف حمد لك على هذه المِنَّة، البرد قارس وقلبي في وحشة.
برناردو: أكانت حراستك هادئة؟
فرنسيسكو: لم يتحرك فأر في جُحر.

---

(١) الزول: العجب، الشخص.

برناردو: اذهب راشداً، طاب لك الليل، وإذا لقيت رَفِيقيَّ في العَسَسِ[1] « هوراسيو » و « مرسلس » فأوصهما بالاسراع في المجيء.

فرنسيسكو: أظنهما بمسمع مني. هيا وقوفاً. من الرجال؟

(يدخل هوراسيو ومرسلس)

هوراسيو: أصدقاء لهذا البلد.

مرسلس: ومن بِطَانَةِ ملك الدانمرك.

فرنسيسكو: طاب ليلكم.

مرسلس: انصرفْ بسلام ايها الجنديُّ الأمين. ومن حَّل محلك؟

فرنسيسكو: « برناردو » حلَّ محلي، طاب ليلكم (يخرج فرنسيسكو).

مرسلس: إيه « برناردو ».

برناردو: ماذا تريد؟ أ « هوراسيو » من أرى هناك؟

هوراسيو: بَضْعَةٌ صغيرةٌ منه، او بعضه.

برناردو: مرحباً « هوراسيو » مرحباً ايها الجواد « مرسلس ».

مرسلس: وبعد. أفعاد ذلك الطيف في هذه الليلة.

برناردو: لم أرَ شيئاً.

مرسلس: « هوراسيو » يقول إن ذلك محضُ توهم منا ولا يُطيقُ تصديقَ تلك الرؤيا الرائعة التي رأيناها نحن مرتين. لذلك ألحَحْتُ عليه بمساهَرَتِنا الليلة، دقيقةً بدقيقة، حتى إذا بدا الطيف كعادته، تحقق منه وكلمه.

هوراسيو: رويدكما، رويدكما. لن يرى ذلك الخيال.

برناردو: اجلس هنية، ودعنا نحاصر أُذنيك المستعصيتين على حديثنا مع ان ما وصفناه لك قد رأيناه ليلتين متتابعتين.

هوراسيو: فلنجلس ونسمع « برناردو » يحدثنا عن ذلك.

برناردو: في الليلة البارحة، بينما كان هذا النجم بعينه، النجم الذي مطلعه

---

(١) العَسَس: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.

إلى غَرْب القطب، قد سار سِيرتهُ حتى وصل إلى هذه الجهة التي يسطع فيها الآن من السماء، كنت و « مرسلس » في الغَسَس، والساعة عندئذٍ نحوٌ من الواحدة.

(يدخل الطيف)

مرسلس: صه. اقطع كلامك. انظر ها هو ذا عائد.
برناردو: إنما ظاهره ظاهر الملك الذي مات.
مرسلس: انت فصيح عليم. خاطبه يا « هوراسيو ».
برناردو: ألا يشبه الملك؟ تَبيَّنهُ يا « هوراسيو ».
هوراسيو: أشبه شيء به. إني لأقضي عجباً وأرتعدُ رَهَباً.
برناردو: كأنه يرغب في ان يوجه اليه الخطاب.
مرسلس: كلمه يا « هوراسيو ».
هوراسيو: من انت أيها الطارق في هذه الساعة من الليل طرُوقَ الغاصِبِ مُتلبِّساً بشكل ذلك الملك النبيل الشجاع، الذي تَمثَّلَتْ به جلالةُ الدانمرك زمناً ثم الآن دُفِنَتْ بدفنه، باسم السماء أدعوك إلى التكلم أجِبْ.
مرسلس: إنه لمغضب.
برناردو: يتولى مُترَفِّعاً.
هوراسيو: قف. تكلم. تكلم. أعزمُ عليك.

(يغيب الطيف)

مرسلس: مضى ولن يرد.
برناردو: ما بالك يا « هوراسيو » قد أخَذَتْكَ الرِّعدة، وامتُقعَ وجهُك. أليس هذا شيئاً أكثر من الوهم! ما تظن؟
هوراسيو: أعترف بين يدي ربي أنني لولا شهادة عيني لَما آمنت.
مرسلس: أليس شبيهاً بالملك؟
هوراسيو: بلى كما أنت شبيهٌ بنفسك. تلك شِكَّةُسلاحه ودرعُهُ التي ادّرَعَها حين قاتل النَّروجي الطماع، وكعُبُوسته الليلة، كانت عبوسته حين جَرَتْ

وحشة شديدة بينه وبين البولوني فاقتلعه من زحّافته وألقى به على الجَمَد[1]. يا للغرابة.

مرسلس: لقد مرَّ بموقفنا مرتين قبل هذه بمثل الهيئة الجريئة التي رأيتها، في مثل هذه الساعة الرهيبة كساعة المَوت.

هوراسيو: في أي مدار يجب ان أُدير فكري لأعلَمَ شيئاً محققاً في هذا المعنى؟ لست أدري ولكنني أميل بجملة رأيي إلى أن في الأمر ما ينذِر بانفجار غريب يوشك ان يحدث في مملكتنا.

مرسلس: كلام معقول. لنجلس وقل لي، إن كنت تعرف: لماذا هذه الحراسات المتوالية المرهقة التي يُسَامُها في كل ليلة سكان هذه المملكة؟ لماذا تُصبُّ تلك المدافع النُحاسية كل يوم، وتجلَب الذخائر الحربية من الخارج؟ لماذا يكلَّف النجارون في صنع المراكب ذلك العَنَتَ الذي لم يَدَعْ فرقاً بين « الأحد » وسائر الأسبوع؟ ما ترى هنالك من الشؤون التي يستنزف دونها عرق الجباه بمثل هذه السرعة، وتناط من أجلها بالعمل المكرر أنوار البكرات بظلمات العُشيِّ؟ أيقدر أحد على مكاشفتي بهذا السر؟

هوراسيو: أقدر على ذلك إن صَدَقَت الإشاعات. ان ملكَنا السابق الذي بدا لنا مثالُهُ الآن كان كما علمت قد دعيَ الى البراز. دعاه « فورتنبراس » النروجي متحدياً إياه عن غيرة وكبرياء. فلما التقيا لم يلبث ملكنا « هملت » (هكذا كان اسمه في العالم المعروف يومئذ) ان ظهر عليه فقتله، فراح « فورتنبراس » بموجب ذلك العقد المحرَّر بين المتنازلين وفقاً للقوانين، وللعلم، مهدور الدم خارجاً لمليكنا عن جميع أملاكه، كما ان مليكنا من جهته كان قد عاهد بموجب ذلك الاتفاق المسجل على ان يترك « لفورتنبراس » لو بقي هو الفائز ما يعادل أملاك خصمه، والآن يا صديقي قد قام نجل « فورتنبراس » وهو في مقتبل الشباب، مليء حماسة وغروراً، فجمع من تخوم « نروج » جيشاً من الأفاقين الشراد، يكفلهم طعاماً وملبساً،

---

(١) الجمد: ما صلب وارتفع من الأرض أيضاً الجليد.

مزمعاً ان يخوض بهم غمارَ كريهةٍ، فيها الظفر معقود بالشجاعة، وما تلك الكريهة « فيما تعتقده حكومتنا » سوى عزم ذلك الفتى على ان يستعيد بالسلاح، والإكراه، ما فقده « أبوه » من الأملاك، وذلك فيما أظن مبعث تلك الأهب، وسبب ما نقوم به من العسس، وما يذهب ويجيء من البُرُد العاجلة في كل مذهب ومجيءٍ من البلاد.

برناردو: يدور في خَلَدي أن العلة هي ما ذكرت، ولا سيما أن تلك الأمور تتوافق مع الهيئة الغريبة، التي يظهر بها ذلك الخيال جائساً خلال المدينة، مُدَجَّجاً بسلاحه، شبيهاً كلَّ الشبه بالملك الفقيد الذي إنما كان السبب في شُبوب هذه الحروب.

هوراسيو: إن الذرَّة من العِثْيَر[1] تقع في عين العقل فتقلقها، وتزعجها. حينما كانت روما في بسطة دولتها، وأَوْجِ صَولتها، وذلك قبيل ان يسقط « يوليوس قيصر » من سماء جبروته، خَلَت القبور من سكانها، وتمشّى موتاها في أكفانهم، يصخبون، ويئنُّون خلال الطرقات في « روما »، وقد شوهدت نجوم بأذناب نارية، وأنداء تقطر دماً، وانشقت الشمس وخُسِفَ سلطان الليل، كأن اليومَ يومُ النشور[2] ، تلك الآيات التي هي نُذُر الكوارث الكبرى، وطلائع المقادير المجتاحة، ومقدِّمات الخطوب التي سيلقيها الدهر، وقد أتت بأنبائها السماءُ والأرض في إقليمنا، وأَرَتها مواطيننا، إيذاناً بالويل والثبور، ولكن صه. صه. انظر. ها هو ذا عاد ثانية (يدخل الشبح)، سأتعرَّض له ولو مَحَقني، وقفةً أيها الوهم، إن تكن ذا صوتٍ او لفظٍ تنطق به، فتكلم. إن تكن على علم بشيء في إتمامه راحةٌ لك، او رحمة لي، فتكلم (يرتفع صياح الديك) إن تكن مستطلعاً طِلَعَ الغيب، عارفاً بما يكنّه لوطنك من خير فستنزله، وشرٍّ فستدفعه بما سبق اليه العلم. ويك. تكلم، إن تكن في حياتك قد خَبَأْتَ كنزاً سُحتاً[3]، ويقولون إن المال

---

(١) العثيرَ: التراب والعجاج.

(٢) يوم النشور: يوم القيامة.

(٣) كنزاً سُحْتاً: مالاً حراماً.

الحرام يُقلق أرواح الموتى فتهبُّ من مراقدها هائمةً، فتكلم. قف وتكلم. اعترضه يا « مرسلس ».

مرسلس: أأضربه بفاسي؟

هوراسيو: إفعلْ إذا أَبى الوقوف.

برناردو: ها هو ذا.

هوراسيو: ها هو ذا.

مرسلسو: لقد توارى (يتوارى الطيف) أخطأنا اليه وهو على تلك الجلالة بمظاهرات العنف والإكراه. إنه غير ملموس كالهواء، ولو مددْنا اليه بسوءٍ أيدِيَنا لعادت ضرباتنا التي لا تصيب إلا الفراغ من السخريات الباردة.

برناردو: كان موشكاً ان يتكلم حين صاح الديك.

هوراسيو: عندئذ وَجَفَ[1] كوَجيفِ المجرم، إذا أخذته صيحة شديدة، ثم توارى. طَرَقَ سمعي قديماً ان الديك وهو صدَّاح الصباح، يوقظ بصوته الحاد الرنان ربةَ النهار، وان الأرواح الهائمة، أفي الماء كانت، أم في النار، متى سمعت صياحه تَفَرّت سِراعاً، عائدة الى محابسها، وليس ما رأيناه الساعة إلا مصداقاً لذلك الزعم.

هوراسيو: نعم، أجل لقد تلاشى مع صياح الديك.

مرسلس: نعم. قد سمعت هذا، وإني أُومِنُ ببعضه. ولكن انظر الى الصباح وقد توشح بوشاحه الأحمر، وتقدم بين قِطَار الندى، على ذلك اليفاع[2] البادي من الشرق. لننصرف من حراستنا، ولعلك توافقني على المصير الى « هملت » الصغير فنخبرَهُ بما شاهدناه الليلة فلعمري إن الشبح الذي أبى مخاطبتنا لن يأبى مخاطبته. ألا تريان أنه يحسنُ بنا إبلاغُه الأمر، فإن ذلك يرضي مودّتنا له، ولا يخالف واجبنا؟

برناردو: لنفعلْ بإذن منكما، وأعلم اين يتاح لنا لقاؤه، في فرصة سانحة منذ الآن.

---

(١) وَجَفَ: اضطرب، خفق.

(٢) اليفاع: التل المشرف، كل ما ارتفع من الأرض.

المشهد الثاني
مزارة في القصر

(يدخل الملك. هملت. بولونيوس. لايرت.
فلتيمان. كرنيليوس. سادة وحشم داخلين)

الملك: نعم إن ذكرى وفاة شقيقنا « هملت » لا تزال متقدة الجَذْوة[1] في صدورنا، فجدير بنا ان ندع قلوبنا مسترسلة في حزنها الأليم، بل خليق بالأمة جمعاء، ان تكون ذات جبين واحد، بادٍ عليه تقطيبُ الأسف، غير ان العقل قد غالب الطبيعة فَلطَّفَ من شجاها، وأجاز لنا خلال اشتغالنا بالأسى عليه، ان نفكر قليلاً في شأننا، فمن ذلك أننا اخترنا هذه السيدة التي هي أُختنا بالأمس حليلة لنا اليوم، وشريكةً في السلطان على هذه المملكة، المتعددة الأقطار، الباسلة الشعوب، مُخالسينَ الفرح من جانب الترح، بعين تدمع سخينة، وعين تدمع بجانبها قريرة، مازجين المسرات بالأحزان، والأعراس بالمآتم، معايرين بمعيار متعادل كآبتنا وابتهاجنا.

أما بعد فالأمر الذي جمعتكم من أجله هو ما علمتم من أمر « فورتنبراس » فإن هذا الفتى لم يقدُرْ كفايتنا قدرها ولعله توهم ان وفاة أخينا المحبوب قد ضعضعت هذا الملك، وقوَّضت فيه كل نظام، فاتخذ من وهمه حليفاً لا حليف له سواه، وبعث الينا ببلاغ مهين، يسترد به الأملاك التي فقدها أبوه، والتي كسبها أخونا الشجاع محلَّلة بأمتن المحللات المشروعة إلا اننا قد أطلنا الكلام في شأنه، فلنذكر ما دعانا لعقد هذا الاجتماع. ذلك أننا كتبنا الى ملك « نروج » عم « فورتنبراس » ولما كنا على ثقة من ان ذلك الملك الذي بلغ من العمر عِتِيّاً، وأصبح مُقعَداً لا يفارق المهد،

(١) الجذوة: الجمرة الملتهبة.

لم يعلم بما أزمعه ابن أخيه، وبما هو شارع فيه بين أبناء « نروج » من اتخاذ الأهبة، وتجييش الجيوش، بدا لنا ان نقفه على ما هو جار بين رعاياه، وان نوفدك يا « كرنيليوس » المقدام، ونوفد معك « فلتيمان » هذا لتحملا سلامنا الى ذلك الملك الشيخ، غير مجيزين لكما الخروجَ عن الحدود المبينة لكما في هذه الكلمات. فسلام عليكما وليدُللنا إسراعكما على اهتمامكما بامتثال أمرنا.

كرنيليوس وفلتيمان: في هذا الشأن وفي كل شأن سواه إنا لمخلصان.

الملك: لا يخامرنا ريب فيكما، فتوجها بسلام، وبرضىً منا.

(يخرجان)

والآن يا لايرت ما جدَّ لديك، أنت لا تلتمس من لدن ملك الدانمرك إلا ما يكون معقولاً ولا تضيع فيه الأقوال سدى، فإيما سؤْلٍ كان لك فإنه لعرض منا عليك، لا طلب مرفوع منك الينا، ليس أشدَّ ارتباطاً بالقلب من أبيك بعرش « الدانمرك »، ولا الذراع بأخدَمَ للشفة الآمرة من أبيك لصاحب هذا العرش، فما بُغيتَك يا لايرت؟

لايرت: يا مولاي المهيب ألتمس إذناً بالرجوع الى « فرنسا » فقد فارقتها مسرعاً لأداء واجب التهنئة، بارتقائك السرير. والآن قد شاقني العودُ اليها، فأنا جاثٍ بين يدي كرمك للترخص في السفر.

الملك: أفاستأذنت أباك. ما يقول بولونيوس؟

بولونيوس: قد ألحَّ بالاستئذان يا مولاي، وألحف، ومازال بي حتى أذنته بكل إبطاء، فأضرع ان تمنحه الإجازة بالسفر.

الملك: تخير الساعة التي فيها رضاك، فإن وقتك منذ الآن لك، وأمانينا الطيبة تصحبك، والآن أي « هملت » أي ابن أخي بل بُنيّ.

هملت: (منفرداً) شيئاً أكثر من ابن الأخ، وشيئاً أقل من الابن.

الملك: من أين يتأتى أن سماءك لا تزال عابسة الغيوم؟

هملت: عفواً مولاي إنْ أنا إلا في الشمس الساطعة.

الملكة: حبيبي هملت دع هذه الألوان العاتمة، القاتمة، واتجه بنظر الوداد الى ملك « الدانمرك ». لا تلبث آخر الدهر منطبق الحاجب على الحاجب،

باحثاً في الثرى عن أبيك النبيل، أنت تدري أن الموت نهايةُ كل حي، وأن الدنيا إنما هي مجاز الى الخلود.

هملت: أجَلْ يا سيدتي الموت نهاية كل حي.

الملكة: إن كان الأمر كذلك فلمَ تخاله غريباً؟

هملت: إخاله؟ كلا يا سيدتي، ليس الأمر غريباً بالمَخِيلة، ولكن بالواقع، وما من معرفة بيني وبين المخيلة، يا أيتها الأُم الشفيقة ليس دثاري الأسود كالمداد، ولا سائر ما يعتد من آلات الحداد، ولا التصعيد، او التصويب للزفرات، ولا شحوب الوجه واكفهراره من الحسرات، ولا انهمال المدامع بمثل فيض المنابع، ولا علامات الحزن كافة، او ضروبه قاطبة، او شكوله جميعاً بوافية في الشهادة لي بصدق حزني، او بكافية في الدلالة على فَرْط شَجَني، ذلك مما يصحّ ان تُقال فيه لفظة « يخال »، لكن في هذا الداخل من اللاّعِج[1] والضِّرام ما لا تستطيع بيانَه المظاهر.

الملك: إن في اشتداد جزعك لدليلاً على جودة عنصرك يا « هملت »، ولكن أباك فقدَ أباه من قبل، كما أن جدّك فقدَ كذلك جدَّه، وهذه سُنّة الله، فالتشدُّد في الحزن والإصرار على استمراره الى ما وراء الزمن الجائز، أشبه بالثورة في وجه القدر، والمعصية لأمر الله، وإنك لَأقربُ الناس الينا، وأحبُّهم لدينا، فليعلم ذلك الناس وليكن لك فيه سلوان، ثم إنا لنرغب اليك في العدول عن العودة الى مدارس « ويتنبرج »، بل نضرع اليك ان تبقى بيننا قرّةً لأعيننا.

الملكة: لعلك لا تخيب رجاءَ أُمك، وابتهالَها اليك: ان تقيم معنا وتَصدِف عن الدراسة في « ويتنبرج ».

هملت: سأُطيعك يا سيدتي بما في وسعي.

الملك: حسن. هذا جواب حُنوٍّ وكياسة، ليكن مُقامك في الدانمرك كمُقامنا بلا مراء[2] . هلمّي يا سيدتي. إن هذه الرقة من « هملت » قد ولجت

---

(١) اللاعج: المُحرِق.

(٢) مراء: جدال، ريب.

قلبي باسمةً، ومن أجلها سأشرب كؤوس اليوم، على قصف المدافع حتى تتجاوب السماوات برجع الأصوات الصاعدة اليها من الأرَضين. هلمي.

(يخرج الجميع ما عدا هملت)

هملت: أوْه، ليت هذا الجثمان، وما أصلبَهُ على الرزايا والكوارث، ليته يذوب ويسيل، وينحل الى ندى، بل ليت باريء الانسان لم يحرِّمْ عليه قتل نفسه. اي إلهي، اي إلهي. ما أثقل جميع مصطلحات هذا العالم، وما أسفلها، وما أقدمها، وما أقلها جدوى. قبحاً لهذه الدنيا وتباً لها، إنها لحديقة غير مهذبة، ينمو فيها النبات فطرياً، وتستولي عليه الأعشاب السّمجة، أإلى هذا الحد وصلت الأمور؟ مات منذ شهرين او أقل، ملك، وأي ملك! جواد لا يدانيه هذا إلا إذا داني الهر الأسد، وما كان أرقه لوالدتي، وأعطفه عليها، حتى النسيم العليل لو مس وجهها بقوة لراعه وآلمه، يا للسماء! يا للأرض! بئست الذكرى، إذا تذكرت كان يعلق بها علاقة من لا يزيده تمثيل الطعام سوى تماد في الغرام، وهذا هذا ما انتهى اليه وفاؤها في شهر، لندع التفكير في ذلك، يا سرعة التحول لو سميت لسميت امرأة في شهر قصير قبل ان يعتق الحذاء الذي مشت به وراء الجنازة باكية، واي بكاء غزير! يا عجباً.. أتلك هي هذه؟ تالله لو أُصيب وحش ضار لم يوهب أدنى تعقل بما أصابها لكان إعواله أطول مدى من إعوالها، تزوجت من عمي وأين هو من أبي؟ أين « هرقل » القدير من ضعيف مثلي؟ تزوجت ولما ينقض الشهر، ولما تنصُلْ حمرة جفونها من ملح دموعها. ويلها من عجلة عجلتها إلى مهد الحرام، ساء ما عملت وساءت عقباه، ولكن تفطَّر يا قلب، ولا تنطلق يا لسان (يدخل هوراسيو ومرسلس وبرناردو).

هوراسيو: التجلة لسموكم.

هملت: يسرني ان أراكم في عافية، اما انت يا « هوراسيو ».

هوراسيو: انا هو يا مولاي. وإني لخادمك الأمين أبد الدهر.

هملت: قل يا... أعفني من قول يا سيدي، ولأدعك بيا صديقي. ماذا جاء بك وبمرسلس؟

مرسلس: يا مولاي الجواد.

هملت: أنا مبتهج برؤيتك، مسيت بخير يا سيدي، ولكن ماذا حملكما على ترك « ويتنبرج »؟

هوراسيو: فطرة البداوة يا مولاي الكريم.

هملت: لا أُجيز لألد أعدائك ان يتكلم عنك هكذا، فلا تحمل أدنى وقر هذه الشهادة منك فيك، انا أعرف أنك لست شروداً، ولا أفاقيا، فما الذي أتى بك الى « إلْسنور »؟ سنعلمك الشرب بالأكواب المترعة قبل ان تفارقنا.

هوراسيو: كان قدومي لأحضر مشهد أبيك.

هملت: أرجو يا رفيق ألا تهزأ مني، أحسبك قد قدمت لتحضر زفاف أمي.

هوراسيو: حقاً يا مولاي إن العرس والمأتم قد تعاقبا عن كَثَب.

هملت: حكمة واقتصاد يا « هوراسيو »، محض اقتصاد. اللحوم التي قُدِّمتْ حنيذةً في المناحة قُدِّمتْ باردةً في الفرح، ليتني لقيت في السماء أعدى أعدائي، ولم أرَ ذلك اليوم.

« هوراسيو » أبي كأنني أرى أبي.

هوراسيو: أين يا مولاي؟

هملت: بعيني قلبي يا « هوراسيو ».

هوراسيو: رأيته قديماً وكان هو الكمال بعينه.

هملت: كان رجلاً لن أرى له مثيلاً.

هوراسيو: مولاي كأنني رأيته في الليلة البارحة.

هملت: رأيت مَن؟

هوراسيو: أباك يا مولاي.

هملت: الملك أبي.

هوراسيو: هَدِّيءْ من رَوعك ريثما أقصُّ عليك الأُعجوبة، التي شهدها هذان السيدان، وشهدتها معهما الليلة.

هملت: ناشدتك الله تكلم.

هوراسيو: توالت ليلتان على هذين السيدين: « مرسلس »، و « برناردو »، كانا فيهما يسهران للعسس، ورأيا في الساعة الهادئة الهامدة، ساعة انتصاف

الليل، ما ستسمعه، رأيا مثالاً شبيهاً بأبيك في شِكّة تامة من السلاح، ماشياً مشية وقار، مارًّا بهما على مَهَل. ثلاث مرار خطر إزاءهما قِيدَ هذه العصا، وجفونُهما معقودة به من الرعب، فكأن جسميهما قد تحوَّلا الى شحم مُذابٍ من الخوف، وقد لبثا صامتين لا ينطقان، ثم كاشفاني بهذا السر الرهيب، فتوليت الحراسة معهما في الليلة الثالثة، وهناك رأيتُ مِصْداقَ ما وصفاه لي، ظهر الطيف في الميقات الذي عيّناه بالهيئة التي مثلاها، فعرفت أباك وما يدي أشبه بيدي من ذلك الطيف به.

هملت: اين، اين جرى ذلك؟

مرسلس: في هذا الموقف الذي نتولى منه الحراسة.

هملت: ألم تخاطباه؟

هوراسيو: خاطبته يا مولاي فلم يجب، غير أنه رفع رأسه مرة وبدأ يتحرك، كأنه سيتكلم فما هي إلا اللحظة التي بدا منه هذا العزم حتى صاح ديك الصباح صيحة عالية فاهتز لها، وتوارى على إثرها.

هملت: عجب عجاب.

هوراسيو: وحق كحقيقة وجودي. فلهذا اعتقدنا ان الواجب يقضي علينا بإطلاعك على ما كان.

هملت: إني لمضطرب ايها السيدان، أفأنتما في العسس الليلة؟

كلاهما: أجل يا مولانا.

هملت: في شكة تامة من السلاح قلتما؟

برناردو ومرسلس: نعم.

هملت: إذن لم تريا وجهه.

هوراسيو: بل رأيناه، لأن الخوذة مرفوعة عن وجهه يا مولاي.

هملت: أكان بادياً عليه الغضب؟

هوراسيو: كان ملمحه أدنى الى ملمح الكآبة منه الى الغضب.

هملت: أبه اصفرار ام احمرار؟

هوراسيو: كان لونه أصفر شاحباً.

هملت: وكان محدقاً بكما.

هوراسيو: تحديقاً. بلا تحوُّل.
هملت: ليتني كنت معكم.
هوراسيو: لو كنت لدهِشت شديداً.
هملت: لا شك، لا شك. أأقام مديداً؟
هوراسيو: عدة المائة ببعض التأني.
مرسلس وبرناردو: او تزيد قليلاً.
هملت: كانت لحيته موخوطة بالشيب.
هوراسيو: كما رأيتها وهو حي: لحمة من عنبر وسدى من فضة.
هملت: سأسهر الليلة معكم لعله يجيء.
هوراسيو: سيعود وانا الضمين.
هملت: إذا لاح لي وعليه ملامح والدي العظيم فسأخاطبه ولو نهتني جهنم عن ان أتكلم، أرجو منكم جميعاً إذا كنتم لم تفشوا سر هذه الرؤيا ان تستمروا في الكتمان، ومهما يحدث في هذه الليلة، فلْيَجُل في أذهانكم، ولكن اياكم ان تُجرُوه على ألسنتكم، سأشكر لكم خلوص ودِّكم، وسلام عليكم. الى الملتقى على الموقف المرصوف بين الحادية عشرة ونصف الليل.
كلهم: التجلة لسموكم.
هملت: ان أُريد إلا محبتكم كما منحتكم محبتي، أستودعكم الله (يخرج مرسلس وهوراسيو وبرناردو) روح أبي مسلحة بالسلاح التام، ليست الأمور جارية في أعنتها، واني لموجس كيداً خفياً ما، أبطأ الليل على الناظر، اهدأ يا روعي حتى يجيء الليل، واسكني يا نفسي، ان مساوىء الأعمال لو دفنت تحت طباق الأرض، لخرجت من مخابئها، وبرزت للعيون.

(يخرج).

المشهد الثالث

سكن في بيت بولونيوس

(يدخل لايرت وأوفيليا)

لايرت: قد جعلت أمتعتي في المركب، وبقي عليَّ ان أستودعك الله يا شقيقتي، وأن أُوصيَك متى وجدتِ ريحاً موافقة ان تبعثي إليَّ بأنبائك.
أوفيليا: أترتاب في ذلك؟
لايرت: أما « هملت » فلا تحملي مطارحاته إلا على بَدَوات المزاج، ومداعبات الصبا، أما رأيت البنفسجة كيف تنمو، وكيف تشبُّ متى حرّكها شباب الطبيعة، إنها لتترعرع وشيكة، ولكنها سريعة الزوال، ثم إنها لتتضوّع عبيراً، وتَجمُل حِلية، ولكنها لا تمكث في الأرض، وما العبير الفائح والكلمات الغزلية سوى دقيقة وتنقضي.
أوفيليا: عجباً! ألاَ شيء سوى ما تقول؟!
لايرت: لا شيء أكثر مما أقول، صدقيني، لعله يحبك كزعمه، ولعله منزه الرغبة عن الرِّجس[1] حتى الساعة، ولكنه يجب عليك ان تخشيْ علوّ قدره، لأن إرادته ليست ملكاً له، بل هو أسير مولده، ومحتده[2]، فلا يستطيع التخير لنفسه، لأن سلامة الملك مرتبطة بخيرته، وخيرته ينبغي ان يقرّها الجسم الذي هو رأسه، فاحذري يا « اوفيليا » ان تطلقي لهواه العنان في فؤادك، وأن تنوِّليه من ودِّك أكثر من أدب التحية، إن العذراء الحريصة على عَرضها لتُسرف في الجود به إذا سمحت للقمر بمطالعة جمالها، والفضيلة أبيَن ما تكون، لا تنجو من سهام النميمة، أغلب ما يقرض الدودُ مواليدَ

---

(١) الرجس: العمل القبيح.
(٢) محتد: أصل، شرف.

الربيع قبل ان تنعقد براعمها، وإن أشدّ الأنفاس عَدْوى وخطراً لأنفاس النسمات النديّة في بُكْرة الشباب، فكوني على حذَر، وأكثر ما تكون النجاة فبالخوف والاجتناب.

أوفيليا: سأحفظ هذه العظة وأُنزلها من ضميري منزلة الخفير الأمين، لكنني أرجو لك ألّا تكون كبعض اولئك النُّصّاح الذين يدلُّون غيرهم على الطريق الوعرة التي يُفضي منها الى الجنة، وأما هم فيضلون عنها، وينطلقون مع أهوائهم.

لايرت: لا تخشيْ عليّ بأساً. لقد طال وقوفي. هذا أبي قادماً (يدخل بولونيوس) سأغنم فرصة إبطائي لأفوز بوداع ثانٍ وبَرَكَة مجدَّدة.

بولونيوس: أما زلت ها هنا يا لايرت؟ الريح تضرب في ظهر شراعك لتدفعه الى الأمام، وأنت متأخر في هذا المكان، سِرْ تصحبك بَرَكتي (يضع يده على رأسه).

لايرت: أستأذن مولاي ووالدي بالخضوع والاحتشام.

بولونيوس: الساعة تدعوك، وحَشَمك في انتظارك، سر موفّقاً.

لايرت: أستودعكِ الله يا « اوفيليا »، لا تنسيْ وصيتي.

أوفيليا: لقد صُنْتُها في ذاكرتي، وبيدك مفتاح الصِّوَان.

لايرت: أستودعكما الله

كلاهما: على الطائر الميمون.

(يخرج)

بولونيوس: ماذا قال لك يا « أُوفيليا ».

أوفيليا: قال لي شيئاً عن « هملت ».

بولونيوس: يقيناً إنه أصاب، ولقد قيل لي إن « هملت » يمنحك طويلاً من وقت فراغه، وإنك أسرفت في الإذن له بالزيارة ـــ على ما أبلغتني العيون التي ترصدك حذراً عليك ـــ انت لا تدركين إلى الآن حقَّ الإدراك، ما يجب عليك لنفسك باعتبار أنك ابنتي ولا ما يجب عليك لكرامتي، كاشفيني بما بينك وبينه، واصدقيني.

أوفيليا: لقد أكثر لي من أحاديث وداده في هذه الأيام.

بولونيوس: وداده. تتكلمين عن هذا الوداد تكلم الفتاة الغَرَّة[1] ، أفظننت خيراً بتلك الأقاويل؟

أوفيليا: لا أعلم يا مولاي ما ينبغي أن أظن.

بولونيوس: ألا فاعلمي انك طفلة، وانك وجدت الزائفَ من النقد فحسبته صحيحاً، أعلي قدر نفسك عن هذه الدرجة، وإلا عددتك على الكره مني حمقاء.

أوفيليا: إنه ملأ مسمعي بشجون غرامه ولكن بأدب وحشمة.

بولونيوس: أجل بأدب وحشمة هكذا يسميان.

أوفيليا: وكان يؤكِّد كل قول يقوله بيمين مُحرجة.

بولونيوس: آها. إن تلك الأيمان إلا أشراك تصاد بها دجاجات الماء، أعرف الأقسام الكثيرة التي يمليها القلب على اللسان، متى أوحاها الدم الثائر، غير انها يا بنيتي إيماضات برق تضيء، ولا تدفيء، ثم ينطفيء نورها، وتخمد على الأثر، فلا تصطلي[2] على تلك النار، اعزمي منذ الساعة على الضَّنانة بمحاضرتك نفاسة بشرف عرضك، ولا تنظري إلى السيد « هملت » سوى نظرك الى شاب يجوز له من التمادي، ما لا يجوز لك، فلا تصدقي أيمانه لأن على ظواهرها من الزينة ما ليس في بواطنها، ولأنها أشبه بوسطاء السُّوْء، الذين لا يبدو منهم للعين إلا التقى، والصلاح. ومحصل الكلام: لا أُريد بعد الآن ان تستخدمي وقتك بمعاشرة السيد « هملت ». او الإصغاء الى مواعيده، فحذار ذلك. أتسمعين؟ حذار، وانصرفي الى شأنك.

أوفيليا: سمعاً وطوعاً يا مولاي.

(يخرجان).

---

(١) الغرة: الشابة لا خبرة لها.

(٢) اصطلى: استدفأ.

المشهد الرابع

(هملت. ثم يدخل هوراسيو ومرسلس)

هملت: الهواء لذّاع من البرد.
هوراسيو: أجده قارساً عضوضاً.
هملت: ما الساعة الآن؟
هوراسيو: ساعة انتصاف الليل في ظني.
مرسلس: قد سمعت الواقتة ومال الليل.
هوراسيو: لم أسمعها انا، وإذن هذا موعد الطيف (يسمع معزف من القصر وقصف مدافع) ما معنى هذا يا مولاي؟
هملت: الملك في مجلس شرابه، فمتى ثَمِلَ عَرْبَدَ، ومتى ازداد نشوة، رقص متهتكاً متداعياً، من جانبيه، وكلما ابتلع نخباً من خمر الرين في صحة أحد، طفقَ الدُّف والمزمار يهرّان، ويبَحان اشتراكاً في النخب مع الملك.
هوراسيو: أعادة هذه؟
هملت: عادة ويا للأسف. وما من شيء يعاب على هذا البلد، أكثر من هذه الخلة، خلّة التعاطي والإدمان، فإنها توقِرُ الرؤوس وتجعلنا عبرة المعتبرين، شرقاً وغرباً، بل تجلب لنا استهزاء الناس، وتمثّلنا لديهم، كالخنازير المنغمسة في حمأتها، ومهما يكن من شرف عنصرنا، فإن امتزاجه بهذه العادة، لكآمتزاج النطفة القذرة بالمعدن النفيس، فإن قيمته تنحط بانحطاطها، والاحتقار الذي كان خصيصاً بها، يشمله بسببها.
هوراسيو: انظر مولاي، ها هو ذا.

(يدخل الطيف).

هملت: يا ملائكة الرحمة لطفاً بنا. إن تكن روحاً ميموناً، او روحاً هالكاً ملعوناً آتياً بنفحة من النعيم، او بلفحة من الجحيم، بالشر نذيراً

او بالخير بشيراً، فإن مثالك ليحتم عليّ ان أخاطبك، أناديك يا « هملت ». يا ملكي، يا أبتِ، يا صاحب الدانمرك، فأجبني، لا تذَرْني[1] في جهلي، أفني زفرات وحسرات، لماذا برزَتْ من كفنها عظامك التي طهرت، وحجبها الموت؟ لماذا فَتحَ الضريح ــ الذي رأيناك مُغَيَّباً فيه ــ أنيابه الرخامية الثقيلة، وألقى بك الى الخارج؟ ما معنى هذا؟ نهوضك وأنت جسم هامد، متردِّياً شِكّتك الكاملة، عوْدِك الى حيث ترى ضوء القمر، وتزيد الليل وحشة ورهَباً، ثم: وقوفنا منك بأفكارنا المضطربة، على ما بدا بنا من ضعف موقف الارتعاد الذي يزعزع أركان الجسوم ويجاوز طاقة النفوس، قل، ما وراءك؟ لمَ هذا؟ ما ينبغي ان تعمل؟ (يشير الشبح إلى هملت ويدعوه).

هوراسيو: يشير إليك ان تنحو نحوه كأنه يروم الإفضاء اليك بأمر على حدة.

مرسلس: انظر بأية إشارة لطيفة يومىء اليك بأن تتبعه الى مكان منعزل، ولكن لا تفعل.

هوراسيو: يقيناً لا ومهما يكن الباعث.

هملت: يأبى التكلم ههنا فحَتمٌ ان أتبعه.

هوارسيو: إياك إياك يا مولاي.

هملت: سألحق به وما أُثمِّن حياتي إلا بثمن إبرة، أما نفسي الخالدة فلا يملك لها نفعاً ولا ضرّاً، يومىء إلي. سأتبعه.

هوراسيو: عجباً عجباً! أتتبعه يا مولاي؟ وقد يستدرجك الى مضطرَب ذلك اللجِّ العميق، او مهبط ذلك الجبل الشاهق المُطلّ على البحر، ثم يتخذ شكلاً يُفقدك الرشد فتسقط في اليَمّ، على أن مثل هذا الموضع الباذخ ربما حمل المرء على القذف بنفسه، متى نظر من حالق، فوجد بينه وبين البحر مهْواةً بعيدة، وسمع الأمواج تزمجر تحت قدميه.

هملت: ما زال يدعوني بالإشارة. اسبق، إني بك لاحق.

---

(١) ذَرْ: دَعْ.

مرسلس: لن تذهب يا مولاي.
هملت: دعني.
هوراسيو: شاوِرْ هداك ولا تذهب.
هملت: القضاء يدعوني وقد جعل أصغر شُريان من شرايين هذا الجسم أصلب من عصب الأسد الضرغام (يومىء الطيف) تالله يفتأ يدعوني، دعاني يا سيدي (ينطلق منهما) إن يعترضني أحدكما رددته خيالاً بهذا أمرت. لنذهب هلم إني لك تابع.

(يتقدم نحوه متطرفاً قليلاً).

هوراسيو: لِنرقُبْ من هنا بحيث نرى ولا نسمع.
مرسلس: أجل لنحرسه وليفعل الله ما يشاء.

المشهد الخامس
جزء آخر على الرصيف

(يدخل الطيف وهملت)

هملت: (يستوقف الطيف مخاطباً) الى أين تمضي بي؟ تكلم لن أصير الى أبعد.
الطيف: أصغ إليّ.
هملت: ناشدتك الله تكلم.
الطيف: قد دنت الساعة التي يجب عليَّ فيها ان أرجع الى النيران الكبريتية، المليئة بالعذاب.
هملت: ويحك من نفس.
الطيف: لا تَرْثِ لي، بل استمع ما سأبوح، وأعِرْهُ جانب الاهتمام.

هملت: تكلم إني لسميع.

الطيف: وإنك أيضاً لآخذٌ بالثأرْ بعد أن تعلم.

هملت: أيُّ ثأر؟

الطيف: انا روح أبيك. قضي عليّ ان أهيم في الليل، وأن أحوم في النهار، مصطلياً سعير النار بما اجترحتُ من الآثام. ريثما أتطهر من أدرانها. لو لم يكن محظوراً علي ان أفشي أسرار سجني، لقصصت عليك ما يضعضع النفس، ويجمد الدم، ويخرج العينين من الوَقبين [1] ، ويشتت الضفائر، حتى لتقوم كل شعرة من شعرك على ساقها قيام الشوك على جلد القنفذ الخائف، لكن هذه الأسرار الخلودية لم تكن لتفشي بمسمع من لحم ودم، فأنصت. لئن كنت قد صدقت يوماً بحبك لأبيك...

هملت: بالله.

الطيف: أنتقم له من قتلة شنيعة قتلها.

هملت: أمت قتيلاً؟

الطيف: قتلة مفظَّعة تفظيعاً لم يسمع بمثلها الناس.

هملت: عجل في إخباري لأطير بأجنحة سريعة كخطرات الفكر، او سنحات الآمال الغرامية، الى انتقامي.

الطيف: أجدك متأهباً، ولو كنت أجمد من الكلإ الدسم الذي يتعفن متروكاً على ضفاف النهر المهجور، لاستفزك ما ستسمعه من نبئي، أنصت يا هملت — زعموا ان ثعباناً لدغني، إذ كنت نائماً في بستاني، فخدعوا الأمة الدانمركية بما أذاعوه من الكذب. وما لدغني ابن الأرض — اعلم ذلك أيها الشاب النبيل — إلا ذلك الثعبان الذي يتقلدُ الآن تاجي.

هملت: لقد تنبَّأت بذلك روحي... ويك عمي!

الطيف: أجل ذلك الوحش الفاسق، تصيد ببوادر فطنته، وبما أُوتي من مواهب أُخر: بئست البوادر والمواهب! تصيّد قلب مليكتي، وأنزلها على حكم شهوته، مع ما كان يبدو عليها من الأمانة والعفة، وا ولداه هملت.

---

(١) الوقب: كل نقرة في الجسد كنقرة العين والكتف.

كُبر إثماً، وتمادى انحطاطاً، ان تهبط تلك المرأة من كونها حليلتي، وأنا ذلك الوفيُّ الذي ارتهن كرامته على الدوام بالعهود التي عاهدها عليها ــ إلى كونها حليلة ذلك الخؤون، الذي ليست له فضائل تذكر بجانب فضائلي، أجد نسيم الصباح. فلأقل باختصار. إنني كنت نائماً في بستاني كمألوفي بعد الظهر كل يوم، فاندسَّ عمك في خلوتي، ساعة أمني، وراحتي وبيده قارورة من ذلك العصير الملعون المعروف بالجيكويام أفرغ منها سماً زعافاً في أُذني. ذلك عصير يدخل الجذام[1] في الجسم، ويفعل في المهجة من الفعل العدائي ما ليس يفعله ماء الفضة، فهو يجري في الجسم متخطياً كل الحواجز الطبيعية، ويمتزج بالدم كامتزاج النطفة الحمضية في اللبن، فيربيه، ويجمد في أصح الناس أجساداً، وأنقاهم جساداً، هكذا أحسست مجراه مني، وأثره في دمي، ثم بدت على بشرتي الناعمة ندوب قذرة جافة، أشبه بقشرة الشجر، فجعلتني كالعاذر، وألبستني خزياً وعاراً. ذلك ما أصابني في نومي بيد « أخي » فحرمت حياتي، وتاجي، ومليكتي وقضيت نحبي، ولم أمهل ريثما أراجع لبي، على ما فَرَط من ذنبي، وأتوب إلى ربي، نهاية النهايات في الفظاعة: لئن تكن فيك بقية من سلامة الفطرة فلا تتحمل هذا. لا تدع مهد الدانمرك الملكي مهداً للشبق، والخنا، وأيّا يكن السبيلُ الذي تملكه لهذا الإنتقام فلا تلوث فكرك، ولا تأذن في داخلتك لأي سانحة تمسُّ والدتك، دع لله عقابها، وللأشواك التي تنمو في صدرها، ولن تألوها وخزاً، وإيلاماً، أودعك لغير مآب، قد أشارت نار الحُباحب[2] بدنو الصباح لأن ضوءها الذي لا جدوى منه قد أخذ بالاصفرار سلاماً. سلاما. سلاما وإياي فاذكر.

(يخرج).

---

(١) الجذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم.

(٢) الحباحب: ذباب ذو ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج.

هملت: يا جيوش السماء، يا أيتها الأرض، وماذا أنادي بعد؟ أأناديك يا جهنم؟ رويدك يا قلبي، رويدك، وأنت أيتها الأعصاب لا تشيخي بغتة... بل أسعديني بكل ما فيك من القوى، أتذكّرني إياك. أجل يا أيها الروح الحزين، ما دامت لي حافظة تحفظ في مركز هذه الجمجمة المتضعضعة. أتذكرني إياك، أجل سأمحو من سجل استظهاري كل المعاهد التي كان حديث الضمير بها يؤنسني، سأمحو كل ما اقتبسته من حِكَم الأسفار، سأمحو كل الصور والآثار التي أفادني إياها الشباب والاستقراء، ولن يبقى في كتاب عقلي كلمة واحدة سوى وصيتك الشريفة، كذا وَايْمُ الله. يا للمرأة أفسدَ ما تكون المرأة! يا لَلمجرم الأثيم ذي الوجه البسام؟ إليَّ قرطاسي. سأنقش فيه: إن المرء يستطيع التبسُّمَ ما شاء التبسُّم، وهو مجرم أثيم، يقين أن هذا الضرب من الرياء إن لم يُرَ في بلد، فهو يُرى في الدانمرك (يكتب) كُتب عليك ما كُتب يا عمي، والآن ليكنْ شعاري « وداعاً. تذكرني. أقسمت لآخذنَّ بالثأر ».

مرسلس: (من الخارج) مولاي، مولاي.

هوراسيو: (مستشرفاً من الجانب الآخر) مولاي، مولاي.

مرسلس: (من الخارج) مولاي هملت.

هوراسيو: (وراءه) حماه الله.

هملت: آمين.

هوراسيو: (من الخارج) أين أنت يا مولاي؟

هملت: مولاي، مولاي، تقدم أيها العصفور.

(يدخل هوراسيو ومرسلس)

مرسلس: أي أنت من رؤياك يا مولاي؟

هوراسيو: ما النبأ؟

هملت: عجيب!

هوراسيو: أتطلعنا عليه يا مولاي؟

هملت: أخشى أن تبوحا به.

هوراسيو: أما أنا فلا، وأقسمُ بربِّ العزة.

مرسلس: وأما أنا فلا ولا يا مولاي.
هملت: ألا يوجد في مكان من الدانمرك مجرم ما لم يكن خداعاً غُدَراً؟
هوراسيو: لا حاجة الى طيف ليجيئنا بهذا النبأ يا مولاي.
هملت: صدقت. صدقت. وإذن أستصوب، بلا تفصيل ولا تطويل، ان نتصافح ونتفارق، انتما تذهبان الى شؤونكما، ولكلٍّ شؤون، وأنا أغدو للنظر في حسابي، ويا له من حساب أليم، لا تعجبْ، سأمضي وأصلّي.
هوراسيو: هذه كلمات دُوار(1) ، وتشتّت بال.
هملت: يسوءني أنها لم ترضيكم، يسوءني جداً.
هوراسيو: ليس فيها ما يسوء يا مولاي.
هملت: بلى وأحلف بالقدِّيس « بطرس » يوجد ما يسوء، ويجوز كل مساءة. أما ذلك الطيف فهو طيف أمين، بإذنكما أقول هذا، وأما رغبتكما في معرفة ما جرى بيننا، فارغبا عنها الى شيء سواها. والآن يا رفيقيَّ في السلاح، وفي الدرس، وصديقيَّ، لي عندكما رجاء، أيَحقّق؟
هوراسيو: أيّاً يكن فإنّ اليه لمجيباً.
هملت: لا تذيعا ما حييتما خَبَر هذه الرؤيا.
كلاهما: لن نذيعه يا مولانا.
هملت: حسن ولكن احلفا.
هوراسيو: وأيماني لن أبوح به يا مولاي.
مرسلس: ولا أنا يا مولاي آليت بذمتي.
هملت: أقسما على سيفي.
مرسلس: لقد أقسمنا يا مولاي.
هملت: ولا بأس أن تحلفا على سيفي، لا بأس.
الطيف: (من تحت الأرض) أقسما.
هملت: آها. آها. يا والدي نحن على رأي واحد، أأنت على مقربة منا

---

(1) دوار: شبه الدوران يأخذ بالرأس وهو ما يُعرف عنه العامة بالدوخة.

أيها البَضْعة الصالحة؟ سمعتما ذلك الرفيق يصرخ من هناك في عمق الأرض فأقسما.

هوراسيو: قل صيغة القَسَم يا مولاي.

هملت: لا تَنبِسا أبداً بكلمة فيما رأيتماه هنا، احلفا على سيفي.

الطيف:(من تحت الأرض) أقسما.

هملت: كذا كذا. لنُغيِّرْ مكاننا، تعالَيا وضعا يديكما على سيفي ههنا، احلفا بسيفي، إنكما لن تفوها بلفظة عما سمعتماه.

الطيف: (من تحت الأرض) أقسما.

هملت: أحسنت أيها الخُفاش القديم، أتستطيع الجواز بهذه السرعة في باطن الأرض؟ نِعْمَ المُعَدِّنُ أنت، هلمَّ بنا الى مكان آخر أيها الصديقان.

هوراسيو: آليت بالليل والنهار إنه لعجبٌ عجاب.

هملت: يوجد يا « هوراسيو » في السماء والأرض أكثر مما يصل اليه علم أُولي العلم، أقبلا واحلفا إنكما لا تذكران هذه الليلة بشيء وإن تريانني غيَّرْتُ من أزيائي او بدَّلْتُ من عاداتي، او أغربتُ في أقوالي، او أفعالي. لم تُبْدِيا ما يشعر بأنكما فاهمان لذلك سرّاً، او مدركان في الخفاء أمراً، ولتكن رحمة الله عوناً لكما.

الطيف: (من تحت الأرض) أقسما.

هملت: سكوناً. سكوناً أيتها النفس المقلقة (يحلفان) على هذا أيها السيدان إنني أستشفع اليكما بكل ما أعتَدُّه من المودَّة لديكما، ومهما يستطع رجل مسكين « كهملت » — ليثبت لكما بعد ذلك معرفته للجميل — فلن يخطئكما شكره بإذن الله. لننصرف جميعاً. ولكن أبداً أصابعنا على شفاهنا هكذا، أرجو ذلك منكما، إن الزمن لفي اعتلال واختلال. ومن نَكَد طالعي أن أكون أنا المنوط به علاجه، والعَوْد به الى النظام. هيا بنا.

(يخرجون)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(الملك. الملكة. بولونيوس. روزنكرس. جيلدنشترن. أتباع)

الملك: (مخاطباً بولونيوس) إيذَنْ بادِيءَ بَدْءٍ للسفيرين العائدين من نروج وتوَلَّ بنفسك إكرامهما (يخرج بولونيوس) يقول لي يا حبيبتي « جرترود » إنه عرفَ السر فيما جرى لابننا « هملت ».
الملكة: أنا لا أكاد أرتاب في أن سبب اعتلاله موتُ أبيه واقتراننا على الأثر.
الملك: سنستطلع طِلْعَه (يدخل بولونيوس وبصحبته فولتيمان وكرنيليوس)... مرحباً بكما أيها الصديقان. قل يا « فولتيمان » ما أنباء أخينا النروجي؟
فولتيمان: يهدي اليك التحيات ويخلص لك الدعوات. ثم إنه لم يكد يعلم بما قَدِمْنا من أجله حتى أمر ابن أخيه بالكف عن ذلك التأهُّب الذي كان موجهاً الينا، فيما ثبت لديه، ثم وبَّخَه على ما فَرَط منه، واستحلفه ألاَّ يعود الى شهر سلاح على جلالتك، فلما امتثل رضي عنه، وأجرى عليه راتباً سنوياً يبلغ ثلاثة آلاف دوقي، على سبيل العِوَض عن أملاكه، وأذِنَه أن يسيِّر جيشه، الذي عُبِّيء لمقاتلة البولونيين. وهذا التماس (يدفع اليه قرطاساً) من « فورتنبراس » في التماس الإذن بإمرار جيشه في هذا البلد على الشرائط التي تقضي جلالتك بها تأميناً وتضميناً.

الملك: هذا يوافق مصلحتنا، وسنقرأ هذا الكتاب، ونبدي فيه الرأي، وإنا لنشكر لكما أيها السفيران ما أحسنتما من الخدمة، وسندعوكما الى وليمة نشرب نخبكما

(يخرج فولتيمان وكرنيليوس).

بولونيوس: هذه مسألة حَسُنَ ختامها.
الملك: بقيت الثانية.
بولونيوس: مسألة « هملت » وعندي سِرُّها.
الملك: دع كلامك إلى النهاية. وأنتما أيها الصديقان « روزنكرنس » و « جيلدنشترن » ماذا تبينتما من أمر « هملت »؟ لعله أفضى اليكما بسره على أنكما صديقاه الحميمان، منذ أيام المدرسة الأولى.
روزنكرنس: حاولنا ان نستدرجه إلى ذكر شيء فلم يذكر شيئاً. ولم يبدُ ما يُطمِعنا في استبطان ما عنده ولو بعد حين.
الملكة: آأحسن لقاءكما؟
جيلدنشترن: أحسن لقاء.
الملكة: أدعوتماه إلى مفترج، وتنزيه خاطر.
روزنكرنس: اتفق يا مولاتي أننا وجدْنا في طريقنا فرقة من الممثلين فاستصحبناها على رجاء ان تكون له بها تسلية، وقد نميَ الينا انها ستمثل بين يديه الليلة شيئاً مما يحب.
بولونيوس: أجل وقد سألني « هملت » ان أدعوكما لحضور ذلك التمثيل الليلة.
الملك: سأحضره منشرح الصدر، ويثلج صدري ان أعلم رغبته في مثل هذه الملاهي وانصرافه اليها فزيداه شغفاً بها، او بما يشاكلها من المسرات.
روزنكرنس: هكذا سنفعل يا مولاي.

(يخرج روزنكرس وجيلدنشترن)

الملك: وما السر الذي تقوله عندك؟
بولونيوس: إن « هملت » يحب ابنتي « أُوفيليا » وهي فتاة جَمعتْ إلى جمالها

الباهر، طهارة أجمل فكاشفتني بما يسره اليها من حبه. ولأنني والد حريص على الكرامة والعرض نهيتها عن الاسترسال معه في شأن لا نتيجة له، لأن « هملت » أعلى مقاماً وأسنى منزلة، من ان تكون له أهلاً، فأبدت له شيئاً من الاعراض. واليكما هذه الكلمات المكتوبة التي أتحفها بها شعراً ونثراً.

إرتابي في أن النجوم من نار... إرتابي في أن الشمس تدور. إرتابي في أن الحقيقة تلابس أحياناً الكذب، ولكن لا ترتابي أبدَ الدهر في حبي. أنا لا أُحسن التقييد بالشعر، وأعاريضه، وتعداد أهجيته، ولكن ثقي أنني أهواك هوىً يملأُ جوارحي، ثقي — ولك الله — أني أسير غرامك أيتها السيدة العزيزة ما دام هذا الجسم الفاني في تصرفه.

الملك: أفبعد هذه الرقعة ريب في أن جنونه من شغفه بها؟

الملكة: جائز ما تقول.

الملك: ولكن كيف نستطيع التحقق من ذلك؟

بولونيوس: قد توقعت ان ترتابا ولو قليلاً في الأمر، فلهذا أحضرت ابنتي. وهي الآن غير بعيدة عنا، حتى إذا رغبتما في شهادة السمع والنظر أخرجتها له حين يمرّ بهذا الرواق كعادته في مثل هذه الساعة، ومتى وقفتما من خفاءٍ على ما يدور بينهما انتفى كل شك.

الملك: لِنجرِّبْ هذا. أجد « هملت » قادماً. بيده كتاب، ويقرأ. إذهب يا بولونيوس فأرسل فتاتك، ولْنتَوَارَ نحن هنيهة يا مليكتي.

(يخرجون جميعاً ويدخل هملت)

هملت: ويحي من هُـزْأَةٍ بليد، أليس عجيباً أن ذلك الممثل الذي كنت أختبره منذ هنيهة يستطيع على كونه إنما يصوّر حادثاً مكذوباً، ويهيّىء إحساساً ليس من الحقيقة في شيء، ان يصنع وجهه، ويشكِّل حركاته، على النحو الذي يوحيه اليه خاطره فهو يمتقع حزناً، ويستدرّ جفنيه دمعاً، ويظهر التدَلُّه، ويجهش بصوته في التوَلُّه، ويطابق بمهارته بين صورته وتصوّره، وكل ذلك لغير ما طائل يحلى به كل ذلك في سبيل حسناء لم يرَها،

ولم يعرفها، فما الذي كان يفعله لو كان مكاني؟ إذن لأغرَق مسرحه بعبراته، وصدَّع آذان الجمهور بكلماته الرهيبة، وأجَنَّ المذنب، وأذعر البريء، وأذهل الجاهل، بل لأصمَّ السمع، وسَدَر[1] البصر، أما أنا وتبّاً لي من أثيم وضيع، وشجاع دَعِيّ[2]، فغاية ما دافعت به عن أبٍ حبيب، وملكٍ عزيز، نُكب أشدَّ النكبات: هو أنني أهذي هذيان الحالم، مع أن شاغل الانتقام مالىءٌ نفسي، أجَبانٌ أنا؟ من ذا الذي أسمعه يسخر مني؟ ويقول لي: يا ضُحكة! من ذا الذي اعترضني الآن في الطريق؟ فنَتَفَ لحيتي، ونفخها في وجهي؟ من ذا الذي جذبني من أنفي؟ من ذا الذي كذبني فردَّ أقوالي في حلقي حتى أعادها الى صميم رئتيّ؟ من ذا الذي فعل بي هذا؟ إني إذن لَذو كبد لا تزيد شيئاً عن كبد فرخ من الحمام، فليت لي مرارة ولا يضيمني ظلم الظالمين، ولولا ذلك لأشبعت منذ حين جوارح الطير من لحم ذلك الوغد، الخبيث، يا لك الويل كل الويل، من مجرم دامي الأظافر، ومن فاسق فاسد، ومن خائن ميّت الضمير. أيُّ صبورٍ أنا؟ أكذا إقدام الولد الذي قُتل أبوه فاستصرخه لأخذ الثأر، واستفزَّه بعوامل السماء وجهنم؟! أفَبي حاجة كحاجة البغِيّ المومس، او الأجيرة القعيدة في المطبخ الى تبديد ما في قلبي من الحقد بالألفاظ والثرثرات؟ حراكاً يا دماغي، حراكاً، وأماماً يا عزمي، أماماً، رويداً هنيهة، قد سمعت أن أُناساً من مرتكبي الجرائر، ومقترفي الجرائم، شهدوا تمثيل وقائع شبيهة بجرائمهم وجرائرهم، فأخذتهم رهبة المقام، وفاجأتهم هِبَّة الضمير، فأقرّوا بما ارتكبوا واقترفوا، وذلك لأن جناية القتل على كونها ليست بذات لسان، لا تعدم أداةً عجيبة للإفصاح عن سرّها، والدلالة على نفسها، ولهذه العلة قد هيَّأْت للممثلين الذين ستشهدهم الآن، جريمة خيالية من نوع الحادثة التي اغتال بها عمي أبي. ومتى مثلتْ لأَرْقبَنَّه وأسبُرَنَّ غَوْره، فإذا اضطرب فقد تبيَّنت ما عليّ، وسلكت

---

(١) سدر البصر: تحير بصره من شدة الحر.

(٢) الدَّعِيّ: الذي يدَّعي غير أبيه أو قومه.

سبيلي. قد يكون الروح الذي رأيته شيطاناً، وللشيطان ان يبدوَ في كل شيء يختاره، فأخشى ان يكون قد حاول خديعتي من أجل ضعفي، واستمرار كآبتي وإن أصحاب الأمزجة المجانسة لمزاجي، لَأشدّ تأثراً بإغراء الشيطان، فلا بدَّ لي من الأدلَّة الجليَّة، النافية لكل ريب، وما تلك الرواية إلا المرآة الصادقة التي سأستجلي بها سريرة الملك.

(يخرج هملت وتدخل أوفيليا وبولونيوس).

بولونيوس: تمشَّيْ ههنا يا « أوفيليا »، وأنت يا مولاي، وأنت يا مولاتي، مكانكما. ههنا. ثم أنت يا بنيتي اجعلي هذا الكتاب في يدك كأنك تقرئين، وعلى هذا النحو يكون الموقف أشوق. أجده عائداً، لنتوارَ يا مولاي.

(يخرج بولونيوس والملك والملكة)

هملت: أكائن أنا، أم غير كائن؟ تلك هي المسألة، أي الحالتين أمثَل بالنفس؟ أتحمل الرجم بالمقاليع، وتلقّي سهام الحظ الأنكد؟ أم النهوض لمكافحة المصائب ولو كانت بحراً عجاجاً، وبعد جهد الصراع إقامة حد دونها، الموت، نوم، ثم لا شيء. نوم تستقر به من آلام القلب، وآلاف الخطوب التي وكلتها الفطرة بالأجسام، ونخشاه على أنه حقيق بأن نرجوه، الموت رقاد، رقاد وقد تكون به أحلام، آها هذه عقدة المسألة! إنما الخوف من تلك الأحلام التي قد تتخلل رقاد الموت بعد النجاة من آفات الحياة، هو الذي يقف دونه العزم، ثم هو الذي يسومنا عذاب العيش. وما أطول مداه، إذ لولا هذا الخوف، لما صبر أحد على المذلات والمشقات الراهنة، ولا على بغي الباغي، ولا على تطاول الرجل المتكبر، ولا على شقاء الحب المرذول، ولا على إبطاءات العدل، ولا على سلاطة السلطة، وقِحة القدرة، ولا على الكوارث التي يبتلي بها الحسب الصحيح، والمجد الصريح، بفعل الجهلة، وتهجم السفلة، وفي وسع المرء ان يترخص في الابتعاد فيسلم من كل هذه الرزايا بطعنة واحدة من خنجر في يده، من الذي كان يرضى بالبقاء رازحاً تحت الحمل دائم الأنين، مستنزفاً ماء الجبهة من الإعياء؟

لولا انه يتقي أمراً وراء الحياة، البلد المجهَلْ الذي لم يستكشفه باحث، ولم تتخطَّ تخومه قدم سائح، يحدونا أن نؤْثِرَ الصعب بين أهلنا، على السهل بين قوم لا نعرفهم. من ثم قوي الضمير وجعلنا كلنا جبناء، من ثَم تحول الزهو في لون العزيمة إلى شحوب بفعل التفكير، من ثم صودم التصميم على كلِ أمرٍ عظيم، فانحرف عن طريقه، ثم بطُل ولم يجدر باسم العمل، مهلاً، مهلاً. الآن. هذه « أوفيليا » الجميلة، يا ابنة الماء لعلك تذكرينني في أدعيتك فتُمحى خطاياي.

أوفيليا: يا مولاي الكريم، لعل سموّك بخير بعد الغياب أياماً.

هملت: لك الحمد بكل اتضاع. إني بخير. بخير.

أوفيليا: مولاي، لدي منك هدايا أرغب منذ زمن في ردها اليك.

هملت: لا، ليست مني، لم أعطك شيئاً قط.

أوفيليا: بل هي منك يا مولاي المعظم، ولا ريب انك تتذكرها وتتذكر الكلمات الطيبات التي أرفقتها بها، فكانت منها بمنزلة نفحات العطر، أما الآن فقد زال عبيرها، فاستَعِدْها إن العطية مهما تكن غالية، تفقد نفاستها، وتبخس قيمتها متى ساءت إشارة المعطى، دونكها أي مولاي.

هملت: آها. آها. أأنت عفيفة؟

أوفيليا: مولاي.

هملت: أأنت جميلة.

أوفيليا: ما تعني يا مولاي.

هملت: إن كنت عفيفة وجميلة، فحذار، أن يكون لعفافك أدنى اتصال بجمالك.

أوفيليا: ولكن يا مولاي أيكون للجمال رفيق أفضل من العفاف؟

هملت: هذا حق. ولكنه يتسنى للجمال ان يحول العفة إلى قوَّادة، سافلة، أكثر مما يتسنى للعفة ان تصوِّر الجمال على مثالها، كأن ما تقولين من مغالطات المتقدمين، أما الآن فالزمن على غير ما تظنين، لقد أحببتك قبلاً.

أوفيليا: أوهمتني ذلك فعلاً يا مولاي.

هملت: كان ينبغي ألا تصدقيني، إن الأرومة التي نحن منها. وإن لقّحت بالفضيلة، لم تفارقها طبيعتها الأصلية. لست لك محباً.
أوفيليا: لقد زدتني خيبة أمل.
هملت: إذهبي إلى دير، علام تريدين ان تكوني والدة، ومرضعاً لخاطئين. انا على شيء من الاستقامة ومع هذا أستطيع ان أذكر لك عن نفسي أشياء كان خيراً معها ألا تلدني أمي، تكاد الذنوب التي تحف بي اكثر عدداً مما عندي من الخواطر لإيوائها، ومن التصور لتصويرها، ومن الوقت لارتكابها ما لأمثالي وللتجرر طويلاً بين السماء والأرض؟ نحن جميعاً مجرمون سفلة فلا تصدقي احداً منا، سيري سيرك دراكاً إلى دير، اين أبوك؟
أوفيليا: في البيت.
هملت: لنقفل عليه الأبواب حتى لا يمثل دور الأحمق في خارج بيته أستودعك الله.
أوفيليا: يا ايتها القوى العلوية امنحيه الشفاء، لهفي على ذلك العقل الوطيد ان يتهدم هكذا، أسفي على ذلك الفتى الذي كان رفيقاً، وشجاعاً، وعالماً. وكان له اللحظ، واللسان، والسيف، وكان رجاء المملكة، وزهرة هذا البلد الجميل، ومرآة الأزياء الشائقة، وتمثال الحسن في الشباب، ومرموق المرموقين، أسفي عليه ان يصير إلى هذا التلف. إني لأتعس النساء حظاً، وأكبرهن مصاباً، بالأمس أسمع أقواله العذاب فأرتوي منها شَهْداً، واليوم أجد ذلك الذكاء العالي يتبدد في ألفاظ مختلة، كأصوات الأجراس التي وصمت، فتنكرت أصواتها بعد الشجي، والطرب. آها على تلك الملامح التي لا تضارع، وذلك الشباب النضير الذي تتصعد منه الآن هذه الزفرات، يا ويلتي، واحرَّ قلباه، اين ما رأيت مما أرى.

(يدخل الملك وبولونيوس).

الملك: لئن كان ذا غرام فليس ما سمعناه بغرام، خير لي ان أرسله إلى إنجلترا عسى ان يفيده تبديل الهواء. أما هذا رأيك؟
بولونيوس: سينفعه ذلك. قد سمعنا يا « اوفيليا » كل ما دار من الحديث مولاي... ألا ترى ان تشير على الملكة باستدعائه إلى غرفتها بعد التمثيل،

وتبذل جهدها في استشفاف ما به، وإن حسُنَ لدى جلالتك، وقفت انا من تلك الخلوة، بحيث أسمع كل ما يقال، ولا يشعر بي، فإن لم يبح لها بسره، فالخير كل الخير في سفره إلى إنجلترا.

الملك: سنفعل ما أشرت به: لا ينبغي ان يُترك جنون العظماء بلا رقابة ولا رقباء.

(يخرجون).

المشهد الثاني
نفس ردهة القصر

(هملت وهوراسيو)

هملت: من الداخل؟ « هوراسيو »؟

هوراسيو: خادمك الأمين يا مولاي.

هملت: أي « هوراسيو » إنك للصديق الفذُّ الذي رأيته في الناس منذ اختبرت الناس.

هوراسيو: وآها مولاي العزيز.

هملت: لا تظن أني أُداجيك، أو أُحابيك، وأيُّ شيء أرجوه منك، لكنك على رقَّة حالك تأبى الذُّلّ، ولا تعرف المَلَق، وكل ما تجيء به الحياة، خيراً كان أم شراً، تتلقَّاه بصدر رحب، لكن دعنا من الإطالة في هذا الشأن ولنتكلم في شأن ذي بال. الملك سيحضر الآن الرواية التي دعوته اليها، وقد دسستُ فيه ما جعل أحد فصولها مطابقاً من كل الوجوه لما جرى حين مقتل والدي. فأرجو منك ان تَرْقُب عمي، مُعْمِلاً جميع قوى ذهنك لتتبيَّن أمجرمٌ هو؟ أم أنا مخدوع برؤيا طيف جهنمي؟ وتالله لَأَرقُبَنَّه معك بأقصى تنبُّهي، ثم نجتمع خاليين ونقضي بما نرى.

هوراسيو: عليَّ الضمان أن أختلس من ملاحظتي كلَّ حركة من حركاته.
هملت: ها هم أُولاء، يجب ان أكون غير مكترث، خذ لك مجلساً.

(سلام الدانمرك. موسيقى. الملك. الملكة. بولونيوس. اوفيليا. روزنكرنس. جيلدنشترن).

الملك: كيف ابن أخينا « هملت »؟
هملت: في أحسن حال. أعيش من فُضول الحِرْباء. يقوتني الهواء. وتُسَمِّنني المواعيد (مخاطباً الآخرين): هل الممثلون على أُهْبة؟
روزنكرنس: إنما ينتظرون أمر مولاي.
الملكة: إجلس بقربي يا حبيبي « هملت ».
هملت: يا أُميَ الرؤوم ههنا مغناطيس أقوى.
بولونيوس: (للملك) أتلْمَحُ يا مولاي؟
هملت: (وهو يجثم لدى أقدام اوفيليا) أأجعل رأسي على ركبتيكِ يا سيدتي؟
اوفيليا: أجدك مسروراً يا سيدي.
هملت: لم لا؟! ألست الضحكةَ الضحكةَ. وهل يجدي المرء شيء كأن يكون مغتبطاً؟ انظري والدتي، أليست فَرِحة؟! ومع ذلك لم يَمُتْ أبي إلا منذ ساعتين.
أوفيليا: بل منذ شهرين يا مولاي ما أطول هذا الزمن. أمنذ شهرين ولم ينس بعد، إذن يرجى ان تبقى ذكرى الرجل العظيم أكثر من نصف سنة في هذه الدنيا.

(تقرع الطبول، ويدخل إلى المسرح الداخلي ملك وملكة متعاشقان يتعانقان، ثم تجثو على قدميه مقسمة على صدق هواها فيرفعها ويلقي رأسه على كتفها، ثم يستلقي على نشز من الأرض مغطى بالأزهار فيغفو، وتنصرف هي، فيطلع رجل آخر، فينزع تاج الملك، ثم يفرغ قارورة سم في أذن الملك ويتوارى. بعد ذلك تعود الملكة وتجد الملك ميتاً فتقبله وتبدي الحزن الشديد، وإنها لكذلك إذ يجيء صاحب السم، ومعه صاحبان صامتان ويشرع يبكي معها مراءاة، وفي هذه الخلال تنقل الجثة ويأخذ صاحب السم بتقديم هدايا إلى الملكة، فتتظاهر برفضها أولاً ثم تقبلها. ويخرج الممثلون).

أوفيليا: ما معنى هذا يا مولاي؟
هملت: هذا مكمن الخبث، هذا هو الإجرام.
أوفيليا: لا جرم ان يدل هذا المنظر الصامت على غرض الرواية. (يدخل ممثل هو مقدم الرواية).
هملت: سترين ما وراءه. إن الممثلين لكشافون للأسرار، هاتكون للأستار افعلوا انتم بلا خجل ما تريدون، وهم يهيئونه لكم ولا يبخلون بتأويله.
أوفيليا: إنك لبذل اللسان. دعني أسمع الرواية.
قائل: مقدمة الرواية.

نجثو لدى حلمكم بخضوع، ونلتمس لنا ولمأساتنا تكرماً من لدنكم، وصبراً جميلاً.

أوفيليا: هذه مقدمة لم تكن طويلة.
هملت: وكذاك حب النساء.

(يدخل ملك الرواية وملكتها).

ملك التمثيل: ثلاثون دورة دارتها الشمس حول المحيط، وتجلت الأقمار الإثنا عشر في كل منها، ثم انقضت بأعوامها، وشهورها، وأيامها، ومازال قلبانا مرتبطين بالحب، وخنصرانا معقودين بالزواج، كأن الساعة الأخيرة منها هي الساعة الأولى.

ملكة الرواية: ليت الشمس والقمر يعودان علينا عِدَادَ السنين التي مضت ولما ينقض هذا الحب الذي يجمع قلبينا، غير أنني تاعسة الحظ للعلة التي دَهمتْك منذ حين، وهي علة ما زلتُ أرجو شفاءها، وإنما تكبر الخشية حيث يكبر الغرام.

ملك الرواية: حقيق بي يا حبيبتي ان أستودعك الله، لأن قواي الحيوية تنحل، وعما قليل تعيشين بعدي مكرَّمة، عزيزة. وقد تكونين بين ذراعيْ بعل آخر.

ملكة الرواية:... لا تزدْ... معاذ الله، إني إذن لغادرةٌ خؤون. بعل سواك، لم تتزوج أنثى إلا وقد قتلت الأول.

هملت: (لنفسه) هذه لوالدتي جُرْعةٌ من الصبر.

ملك الرواية: انت لا شك صادقة، ولكن قد يحدث ما يدعو الى المخالفة، ليست النيَّة التي تنويها سوى أسيرة مرتهنة بذاكرتنا، فإذا وُلدَتْ غير ناضجة لم تطُل سلامتها. الثمرة الفجَّة، تمسك بالشجرة اليوم، ولكن تسقط ولما تُهْزَزْ متى نضجتْ، المرء ينسى او يتناسى دواماً ان يوَفِّيَ الدَّين الذي هو مدين به لنفسه، الشهوة تبعث الهزيمة، فإذا زالت الشهوة دالَت العزيمة، اللذة والألم في شدتهما يتنافيان وحيث تنبسط اللذة ينقبض الألم، ليس هذا العالم بسرمد، فلا غروَ ان ينقضي فيه غرام الإنسان مع انقضاء سعده. أفكارنا ملكنا، ولكن تصريفها في يد الحوادث، وظنكِ أنكِ لا تتخذين قريناً ثانياً قد يموت متى مات قرينك الأول.

ملكة الرواية: إذن لا أظلَّتني السماء ولا أقلَّتني الأرض، ولا كان لي سرور، ولا راحة في الليل والنهار، وليتحوَّلْ أملي وإيماني الى يأس، ولأُجعل قعيدةَ سجن، ومحظية رجل بقية أيامي، ولتظفر الخطوب التي يعبس بها وجه الأرض بأعز آمالي وأماني، فتقوِّضها تقويضاً، وليصحبني أشدُّ العذاب في الدنيا والآخرة إن أصبحت أيِّماً فتزوجت.

هملت: (مخاطباً أوفيليا) ما قولك بعد هذا لو حنثتْ؟

ملك الرواية: هذه أقسام محرجة أيتها الحبيبة الرقيقة، دعيني وحدي قليلاً أُرِحْ جفوني وأُسكِّنْ هواجسي بغرارٍ من النوم.

(ينام).

ملكة الرواية: نعِمَ بالك ولا اندسَّ الشقاء بيننا.

(تخرج).

هملت: أتعجبك هذه القصة يا مولاتي؟

الملكة: الملكة تغالي في أيمانها.

هملت: أجل ولكنها لن تحنث.

الملك: أتعرف موضوع الرواية؟

هملت: لا. لا. سوى إنهم يضحكون. يقتلون للإضحاك وما في الرواية من شيء جارح.

الملك: ما اسمها؟

هملت: اسمها « المصيدة » سميت بها استعارة، وواقعتها أن دوقاً يدعى « جنزاج » وامرأة له تدعى « بانسنا »... سترون أحطَّ ما يستطيعه الكيد والإجرام، سترون (يدخل لوسيانوس) هذا ابن أخ للملك يقال له: « لوسيانوس ».

هملت: (بمسمع من أوفيليا) أبداً أيها القاتل، دع تلك الإشارات البغيضة، واشرع في الاغتيال، دونكه. الغراب ينعق في طلب الثأر.

لوسيانوس: فكر مُدْلَهِمّ، ذراع متأهبة، شراب مهيَّأ، فرصة سانحة، حالة مواتية، لا عين تنظر، أيها المزيج الفعَّال، من أعشاب بريّة، قُطعتْ في انتصاف الليل، واستزيد أذاها ثلاث مرات بدعوات ربَّة السحر، انفذْ عاجلاً في هذه العافية فأزِلْها، وتولّ سريعاً هذه الحياة فأبدْها (يفرغ سمّاً في أذن الملك النائم).

هملت: يسُمُّه في الحديقة ليغصب أملاكه، اسمه (جنزاج) وهي حكاية حال مكتوبة بالإيطالية ومحبَّرة تحبيراً. سترون عما قليل كيف يستميل المغتال قلب امرأة « جنزاج ».

أوفيليا: نهض الملك.

هملت: عجباً أخاف من نار الحُباحب؟

الملكة: ما خطبك يا مولاي.

بولونيوس: حسب ما فات من هذه الرواية.

الملك: أنيروا سبيلي.

بولونيوس: الأنوار. الأنوار. (يخرجون إلا هملت وهوراسيو).

هملت: أي صديقي « هوراسيو »! الآن أُخاطرك على ألف دينار استرليني ان الطيف قد صدق.

هوراسيو: أجل. أجل يا مولاي.

هملت: ألمحته حين مثلت واقعة السُّم؟

هوراسيو: تفرَّست فيه.
هملت: موسيقى، أُسمعونا شيئاً من الموسيقى.

(يدخل روزنكرنس وجيلدتشترن)

جيلدتشترن: مولاي الجواد ألتمس الإذنَ بكلمة أقولها.
هملت: قل تاريخاً مسهباً يا سيد.
جيلدتشترن: الملك يا سيدي.
هملت: نعم يا سيدي: ما أنباؤه؟
جيلدتشترن: دخل مسكنه منزعجاً في الغاية.
هملت: من الإفراط في الخمر.
جيلدتشترن: بل من الغضب.
هملت: كان أدنى إلى الحزم ان تسرع بهذا الخبر الى الطبيب، اما انا فلو كلفت حمل المسهل اليه لازدادت عليه العلة.
جيلدتشترن: الملكة. والدتك في غم شديد، وقد أرسلتني اليك.
هملت: آنستني.
جيلدتشترن: مولاي دع السخرية مني وأجبني إجابة سليمة.
هملت: لا أستطيعها يا سيدي.
جيلدتشترن: ماذا يا سيدي.
هملت: ان أعطيك جواباً صحيحاً، إن عقلي مريض، ماذا تريد أُمي.
روزنكرنس: هي محزونة جداً، وتريد ان تزورها في غرفتها قبل انصرافك للرُّقاد.
هملت: سنطيع أمرها ولو كانت أمنا عشر مرات. أعندك شي آخر تخاطبنا فيه.
روزنكرنس: مولاي كانت لي منزلة من الحُظوة لديك.
هملت: ثم لم تزل، أقسمت بهذه الغاصبة وهذه السالبة.

(يسير إلى يمناه ويسراه).

روزنكرنس: فما السبب في اضطرابك يا مولاي.

هملت: لماذا تحوم حواليَّ، وتتأثر أثري، كأنك تنصب لي فخاً. وأحكم القول: ألا تجسَّسوا.

جيلدتشترن: آها مولاي إذا كان ما يقتضيني واجبي يجرِّئني عليك، فحبي لك معوان لذلك الواجب.

هملت: لم أفهم هذا المعنى الدقيق، أتنفخ في المزمار؟

جيلدتشترن: لا أُحسن يا مولاي.

هملت: أبتهل اليك.

جيلدتشترن: صدقني يا مولاي لا أُحسن.

هملت: أتضرع اليك.

جيلدتشترن: لا أعرف كيف أخرج منه صوتاً واحداً.

هملت: هو سهل كالكذب. اسدد الثقوب بأصابعك وانفخ بفمك، تخرج أنغام شجية. دونك هذه الثقوب.

جيلدتشترن: لكنني لا أعرف كيف أصرِّف أصابعي، ولا كيف أُلفِّق اللحن.

هملت: إذن فانظر الآن سوء ما انت فاعل، تريد ان تلعب بي ولا تعرف مأخذاً من مآخذي، أتظن ان اللعب بمثلي أيسر منه بمثل ذلك الزمار؟

(يدخل بولونيوس) بركات الله يا سيدي.

بولونيوس: الملكة تريد لقاءك الساعة

هملت: أتبصر ذلك السحاب؟ ما أشبهه بالجمل!

بولونيوس: كأنه جمل.

هملت: بل بالعِرْسة.

بولونيوس: ظهره كظهرها.

هملت: بل بالحوت..

بولونيوس: هو كالحوت.

هملت: سأمضي اليها الساعة، هم يشدون الحبل إلى الجنون وحان ان ينقطع.

بولونيوس: سأُبلغها ذلك (منفرداً) وسأحضر من وراء حجاب حديثه معها، فأُعيده الى الملك إذ ربما أخفَت الوالدة بعض أحوال ابنها.

(يخرج).

هملت: سأمضي، يا قلب لا تخرج عن إنسانيتك، سأُخيفها، وأرُوعها بذكر الخناجر، ولكن لا أمسها، لن أكون نيرون، حذار يا نفسي.

(يخرج).

المشهد الثالث
قسم آخر في القصر

(يدخل الملك وروزنكرنس وجيلدنشترن)

الملك: (منفرداً) قتل الأخ ما أشقَّه على النفس، أودُّ لو أُصلي وأستغفر ربي، لكنني لا استطيع. غلب إثمي على رغبتي في التوبة، ألا توجد في رحمة السماء مياه كافية لتطهر يدي مما علق بها من دم أخي؟ ما معنى الرحمة إذا لم تملك الوقوف في وجه الحقيقة فتردَّنا عن الشر إن نوينا، وتُقِلنا منه إن عثرنا؟... أي الأدعية يتقبله الله في مثل حالتي؟ أيعتد سبحانه بتوبتي وأنا مُصرّ على جريرتي، محتفظ بتاجي وامرأتي، وهما سلبي من أخي، في هذا العالم الفاسد قد يُتَّقى العدل بزخرف القول، ويستخدم ما نُهب في الكفارة عن ذنب الذي نهب، أما بين يدي الله فلا تجدي الحيلة ولا المغالطة، وأن لا يلقي الإنسان إلا صريح عمله. ويلي من شقي!.. سأحاول أن أتوب، أيتها الملائكة أعينيني. يا ركبتيَّ العصيَّين، اجثوَا ليِّنتين، أمام جلالة الله، ويا قلبي المقدود من الفولاذ كن طريئاً كقلب الطفل الوليد، عندئذ تستقيم الحال او تؤذن بالصلاح (يجثو).

هملت: أراه هنا. ما أجدرني بطعنه الآن، لكنه يصلي، أيرسل أبي الى جهنم باغتياله إياه لا مصلياً، ولا مستغفراً، وأقتله أنا حين سجوده لديه،

فأرسله الى النعيم؟ لأَذَرْه الى حين أضربه وهو مخمور، منهمك في الفسق والفجور.

(يقف الملك وينصرف، ولدى وقوفه يتوارى هملت وتدخل الملكة مع بولونيوس)

بولونيوس: هذا موعد مجيئه، ولا تدعي ان تعنّفيه على بدَواته، وأن تبلّغيه بأنه لولاك لحلَّ به مكروه شديد من غضب الملك. سأتوارى هنا.

الملكة: لا تخف، سأفعل ما تشير به، عجّلْ، فإني أسمعه قادماً وسأفعل ما يجب.

(يدخل هملت).

هملت: ما خطبْك يا والدتي؟

الملكة: لشدّ ما أهنت أباك يا « هملت »!

هملت: أي والدتي لشدَّ ما أهنت أبي!

الملكة: ويلك! أتجيبني بكلام فظّ؟

هملت: ويلك! أتسألينني بلسان خبيث؟

الملكة: يا للعجب! أتدرك ما تفعل يا « هملت »؟

هملت: وماذا أفعل؟

الملكة: أنسيت من أنا؟

هملت: لا وربي، إن انت إلا الملكة... امرأة أخي زوجك، وليت هذا لم يكن. ثم انتِ أمي.

الملكة: إذن سأبعث إليك بمن يحسن مخاطبتك.

هملت: إياكِ ان تتحركي واجلسي في مكانك ريثما أُريك خبايا نفسك بمرآة صادقة.

الملكة: ماذا تبتغي مني؟ أتريد قتلي؟ إليَّ إليَّ. انقذوني.

بولونيوس: (وراء الحجاب) ماذا جرى، إلينا.. يا للملعونة!

هملت: (يخرج سيفه) ما هنا. أجرَذٌ من الجرذان (يضربه من وراء الحجاب) مات اراهن بدينار.

بولونيوس: (من وراء الحجاب) أوْهِ قتلني (يسقط ميتاً).
الملكة: ويحي! ما صنعت؟
هملت: تالله لا أدري أهو الملك.

(يرفع الحجاب ويجر جسم بولونيوس).

الملكة: واحربًا لعملك الجنوني الفظيع!
هملت: يكاد بفظاعته يا والدتي يعادل قتل الملك، والتزوُّجَ من أخيه.
الملكة: قتل الملك؟
هملت: أجل هو ما قلت وما عنيت (يرفع الستار ويكتشف بولونيوس ويخاطبه) وأنت ايها الأجير الحقير الثرثار الأبله وداعاً، وداعاً، ظننتك من هو خير منك، فخذ ما قسم كما قسم، وتبين ولو بعد حين، ان الإفراط في الزُّلفى قد يجر وبالاً، حسبك ما تبدين من الإشارات بذراعيك ويديك... عودي إلى السكون ثم اجلسي واسمعي فلئن كان قلبك لم يتحجر، لأفطِّرَنَّه تفطيراً.
الملكة: اي ذنب جنيت، فتقسو عليّ بلسانك هذه القسوة؟
هملت: جنيت ذنباً يدنس الطهارة، ويخضب بالحياء وجه العفة، ذنباً ينزع الوردة من جبين الحب، ويضع مكانها قرحة، ذنباً يعيد عهود الزواج مكذوبة كأقسام المقامرين ذنباً يجعل العقد جسماً بلا روح، ويجعل الدين لفظاً بلا معنى، انظري إلى السماء، وهذا الوجه المكفهر الذي تبدينه، كأن الساعة ساعة النشور. إنها لمريضة من التفكير في ذلك الذنب.
الملكة: يا ويلتي! ما تلك الخطيئة المجاوزة لكل حد؟
هملت: حدِّقي في هذين الرسمين، وقابلي ملياً بينهما أهذا البشع يشبَّه بذاك الجميل؟ أهذا الصعلوك يشبَّه بهذا المليك؟ لو كان البصر بلا سمع، والسمع بلا لمس، واللمس بلا شم، بل لو لم يكن لنفسك إلا أدنى جزءٍ من الحس، لما أجاز لك ان تؤثري هذا الوغد الذميم، على ذاك السيد العظيم، ثم إنك لست في مقتبل الصبا، وليس لك عذر الغرام في شرخ الشباب، إن الدم لتخمد حرارته في مثل سنك هذه، ويدع الكلمة العليا

للعقل، ويحك ايها الخجل اين حمرتك؟ اي جهنم الثائرة لا عجب بعد الآن ان تذوب الفضيلة ذوبان الشمع بنار الشباب، إذ كان في ثلج الكهولة من الضِّرام ما يفعل مثل فعلها، وإذا كان العقل يتوسط توسط القوّاد لحمل الإرادة على السفاح.

الملكة: آه يا « هملت » كفى. كفى، لقد حولت نظري إلى داخلة نفسي، فإذا انا أرى مواضع سوداء لن ينصُل سوادها أبد الآبدين.

هملت: وذلك لتظلي على فراش الفساد ممتَّعة بمسرات الخنا.

الملكة: كلماتك في أذني كطعنات الخناجر. حسبي. حسبي.

هملت: مجرم ذميم، وغد زنيم، ملك السخرية، سلاب تاج أخيه (يظهر الطيف) أنقذوني، استروني بأجنحتكم ايها الحراس العُلويون، ماذا يريد طيفكم الرحيم؟

الملكة: ويحي. هو مجنون.

هملت: أجئت لتأنيب نجلك على إبطائه في إنفاذ أمرك المطاع؟ تكلم.

الطيف: جئت لأذكرك ما نسيت. ثم لأقول لك تعرَّض بين أمك وبين نفسها التي تحاربها فإن اشتد تأثير المخيلة لفي الأجسام الضعيفة. كلمها يا « هملت ».

هملت: ما تريدين يا سيدتي؟

الملكة: ويلاه. ماذا تريد انت؟ علام ترسل نظرك هكذا في الفضاء كأنك تخاطب الهواء؟ ما بال أفكارك هجمت بعينيك إلى خارج وقبيهما؟ وما بال شعرك النائم قد نهض نهوض الجنود التي نبهها الحارس؟ أي ولدي الحبيب، ليتغلب الجلد على ثورة دمك. ما انت ناظر هناك؟

هملت: إياه. إياه انظر. ذلك الأصفرار وهذا المثال لو اجتمعا لواعظ يعظ الصخور لأحدث فيها الشعور. لا توجه إلي هكذا عينيك الحزينتين لئلا يضعف عزمي.

الملكة: من تخاطب؟

هملت: ألا ترين شيئاً؟

الملكة: أرى كل ما هنا، ولا أرى الشيء الذي تقول.

هملت: أَوَلَمْ تسمعي؟
الملكة: لم أسمع إلا كلامك وكلامي.
هملت: تفرَّسي فيه ههنا. هذا أبي. وهذا كساؤه المألوف. أتبصرينه يتراجع؟ لقد دنا من الباب.

(يخرج الطيف).

الملكة: هذا دماغك يشتغل بما هو به يشتغل.
هملت: بل حسبي نبضي، إنه سليم كنبضك، وإني لأُدرك وأذكر كل شيء. اي والدتي لا تخادعي نفسك فتعزي الى جنوني ما هو إثمك الكبير، توبي الى ربك واغفري لي نصيحتي، لأن من مصائب هذه الحياة ان تحتاج احياناً الفضيلةُ الى التماس الغفران من الرذيلة.
الملكة: اي هملت لقد شطرْتَ قلبي شطرين.
هملت: إذن أَلقي شرَّهما وأبقي خيرهما، تعيشي نقيةً سائر عمرك، طاب ليلك. لا تعودي الى سرير عمي. اخلقي لك فضيلة إن لم تكوني ذات فضيلة، امتنعي الليلة، فهذا يهون عليك بعض الشيء ان تمتنعي مرة اخرى، ثم يجيء الامتناع بعدها أسهل فأسهل، ذلك لأن التروُّض بالشيء قد يحلّ التطبّع محلَّ الطبع، وقد يخضع الشيطان، ثم يطرده ثم يبعده بقوة عجيبة (يشير إلى بولونيوس) أما هذا السنيور فأنا نادم على ما بدَرَ مني في حقه، لقد عوقبت به كما عوقب بي. تلك هي المشيئة. سأجرّه من هنا، وأتحمل عاقبة جريرته، طاب ليلك. إنما وجبت عليَّ القسوة، لأكون إنساناً بالمعنى الحق، بُدِيءَ الشر وله بقيةٌ أشدّ وألَدّ.
الملكة: ماذا أصنع؟
هملت: لا شيء مما قلت، تسللي الى سرير ذلك المخمور، الشرِه، وبوحي له بكل ما رأيت الآن وقولي له: إن جنوني مصطنع.
الملكة: كن على يقين من انه إذا كانت الكلمات نسمات تبعثها الحياة من الفم، فما بي حياة تخرج منها نسمة واحدة بما قلته لي.
هملت: سيحملونني الى إنجلترا.

الملكة: ويلي! كنت قد نسيت أمر هذا السفر، أَهُمْ عليه مصرُّون؟
هملت: الأوامر قد خُتمتْ، وسيسافر معي رفيقاي في الدراسة، إنهما لثعبانان لدّاغان، ولكن ما أجمل صراع المكر والمكر متى اتجها متقاتلين، والتقيا متقابلين! سأجرُّ هذا الكَرِشِ الى الغرفة المجاورة، مُسِّيت بخير يا والدتي. تعالى يا سنيور قد أصبحت الآن وقوراً ساكناً بعد الطيش والثرثرة، هلم يا سنيور، نَعِمْتِ مساءً يا أُمي (يخرج بالجثة وتخرج أُمه).

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(غرفة في القصر. الملك وحاشيته)

الملك: بعثت في طلبه، وفي استحضار الجثة، قتله ونحن مضطرون لتحمُّل هذه التبعة التي كنا في غنى عنها، ولكن لا بد لنا من المداورة في المسألة دفعاً لسوء النتائج، ما أشد هذا الفتى خطراً إذا استمر طليقاً، الشعب المختل يحبه، وإنما الشعب يحب ببصره لا ببصيرته، فلا بد من إبعاده بلا ضوضاء، خوفاً من سوء العقبى، الأدواء النهائية إنما تداوى بالأدوية النهائية (يدخل روزنكرنس) ما وراءك؟

روزنكرنس: أبى ان يخبرنا بموضع الجثة يا مولاي.

الملك: وأين هو؟

روزنكرنس: بالباب يا مولاي رهيناً بأمرك.

الملك: ليؤتَ به إلى حضرتنا.

(يدخل هملت وجيلدنشترن).

روزنكرنس: هيا جيلدنشترن أدخل مولاي

الملك: « هملت »، اين « بولونيوس »؟

هملت: في وليمة عشاء.

الملك: أيتعشى؟ أين يتعشى!

هملت: عفواً، في وليمة يُتعشى به ولا يتعشى بينه وبين مؤتمر من الديدان السياسية مسألة تفض الآن، وإنما دودتك هي الملكة التي ترئس مجلس النائبات. نحن نغذي الخلائق الأخر لتتغذى، ومتى سَمِنا فإنما نسمِّن الهوام والحشرات. الملك البطين، والأجير الغث الهزيل، إنما هما خادمان لمخدوم واحد اليه مصير كل شيء.

الملك: أجل، ويا للأسف!

هملت: المرء قد يتصيد بدودة من الديدان التي أكلت ملكاً حوتاً من الحيتان. إني آكل تلك الدودة.

الملك: ما تعني بهذا؟

هملت: لا شيء سوى ان أريك كيف يستطيع الملك ان يرحل رحلة مستكملة في أحشاء شحاذ.

الملك: اين « بولونيوس »:

هملت: في الجنة... أرسل اليها من يفتقده، وأن لم يجده رسولك في السماء فافتقده بنفسك في المكان الآخر، أما إذا لم تجدوه في شهر ينصرم شممتم ريحه من السُّلم المجاورة للرواق.

الملك: (مخاطباً أحد حاشيته) اذهب فجيء به.

هملت: لا تطيروا. سيتَّئد ريثما تصلون.

(يخرج بعض الرجال).

الملك: قد بدا لنا يا « هملت » دفعاً لكل محذور تخشاه عليك، بسبب هذه الجناية، انه يحتم سفرك إلى إنجلترا كخطف البرق، فتأهب، السفينة معدَّة، والهواء ملائم، ورفقاؤك في الإنتظار.

هملت: إلى إنجلترا.

الملك: أجل يا « هملت ».

هملت: حسن.

الملك: أصادق انت بقولك حسن لو كنت تعلم نياتنا في شأنك؟
هملت: أرى ملكاً يرى تلك النيات. لنذهب إلى إنجلترا، وداعاً يا أمي العزيزة.
الملك: أوَلا تودّع أباك الذي يحبك؟!
هملت: أبي وأمي زوجان، والزوجان إنما هما شفع في وتَر. فيا والدتي لنذهب إلى إنجلترا.

(يخرج).

الملك: اصحباه خطوة خطوة، ومن فوركم أقلعوا، أريد ان يبرح المكان الليلة وكل ما يرتبك بهذه المسألة قد هُيّيء وختم (يخرج روزنكرنس وجيلدنشترن) وانت يا إنجلترا حذار ألا تلبي دعائي، وتعجلي بقتله، فإن دمي لا تهدأ ناره إلا بسفك دمه.

(يخرج من جهة ويعود هملت وروزنكرنس وجيلدنشترن من جهة أخرى).

روزنكرنس: السفينة مملوءة الشراع، مؤذنةٌ بالإقلاع.
هملت: انتظر قليلاً... سأصير اليها (منفرداً) شَدَّ ما تجتمع الحوادث على إثارة غضبي، واستفزازي للأخذ بثأري، علمت الآن ان « فورتنبراس » مارٌّ ببلادنا يصحبه عشرون الفاً من النروجيين، لغزو « بولونيا ». أجل لم يخلق الانسان للطعام، والمنام، وإنما منح الذكاء الذي به ينظر ما وراء وما أمام، ليستخدمه في أبعد من هذه الغاية الزرية، وأسنى من ذلك المرام. هذا الفتى الناحل الضئيل « فورتنبراس » يسير في عشرين الفاً من الرجال، متعرضاً لصنوف المنايا، في سبيل مطمع وإن قلّ، هو غزو أرض لا تُقوَّم بأكثر من قشرة بيضة، واولئك الجنود يترامون بالألوف، في مدارج الحتوف لصغير من القصد، ويسير من المجد، حقاً إن النفس الكبيرة لا ينبغي ان تحفل إلا لعظائم الأمور، ولكنها جديرة وأي جدارة بأن تستعظم كل صغيرة تمسُّ الشرف فأحْرِ بي ان أُعجل في الانتقام، وإلا فلأكُنْ انا وأفكاري ومآربي عدماً والسلام. هلما ايها الرفيقان.

(يخرج ويتبعانه. تدخل الملكة وهوراسيو وأحد رجال الحاشية).

الملكة: قد سافر نجلي الآن وقلبي مفعم بالأحزان فلا اريد ان اكلمها.

هوراسيو: هي مُلِجَّة بالالتماس، وبها سَوْرَةُ خَبال، وكل ما يُرى من شكلها، او يُسمَع من قولها يدعو الى الشفقة.

الملكة: ما مرادها؟

هوراسيو: لا تفتأ تذكر أباها، ثم تبكي، ثم تضحك تهذي في كل معنى بلا معنى، وتخلِج بعينيها وتهزُّ رأسها، وكتفيها، والذين تقع أبصارهم عليها، او تَرِنُّ في مسامعهم كلماتها، يؤوّلون تلك الإشارات والألفاظ بما تشاء الأهواء والأغراض.

الملكة: خير لنا ان اكلمها لئلا تُلقي أبذرة الفتنة في قلوب الذين لا يخلصون لنا الحب، أدخلها (يخرج هوراسيو) هكذا النفوس التي أمرضتها الخطيئة، ترى كل قليل كثيراً، وتخشى من كل طيف حساباً، وتظن في كل حساب عقاباً، تتولى هي كشف خطاياها من حيث تتغالى في ستر خباياها.

(يدخل هوراسيو وأوفيليا)

أوفيليا: أين المليكة الجميلة صاحبة الدانمرك؟

الملكة: ما تبغين يا « اوفيليا »؟

أوفيليا: (منشدة) كيف أتبين صديقك الصادق من الآخر الماذق، قد زان قُبَّعته بأصداف البحر، وعلّق نعليه بعصاه.

الملكة: واحزنا.. أيتها السيدة الرقيقة ما معنى هذا الكلام؟

أوفيليا: اصغي متفضلة وتبيَّني:

مات وانصرف. مات وانصرف. على رأسه عشب أخضر ورجلاه مشدودتان بحجر.. آها. آها.

الملكة: لكن يا « اوفيليا »...

أوفيليا: اصغي متفضلة وتبيني (منشدة):

كفنه أبيض كثلج الجبال.

(يدخل الملك).

الملكة: واأسفاه! انظر يا مولاي.

أوفيليا: (منشدة ومتممة) مدبج بالأزهار الرقيقة، الندية بالدموع، التي ذهبت معه إلى القبر، خالصة كندَى الحب.

الملك: كيف انت أيتها الآنسة الجميلة؟

أوفيليا: بخير حماك الله، نعرف ما نحن ولكن لا نعرف ما اليه نصير، كان الله على مائدتك.

الملك: تفكر في أبيها... منذ كم هي هكذا.

أوفيليا: أرجو ان يتحسن كل شيء. الصبر واجب، لكنني لا أستطيع الامتناع عن البكاء، حين أذكر انهم غيبوه في وحشة الأرض، سيعلم اخي هذا. وإني لأشكر لكم حسن العزاء. إلى مركبتي. مسِّيتم بخير يا سيدتي، بخير يا سيداتي العزيزات بخير بخير. أسعدتم مساء.

(تخرج).

الملك: أدركها عن كثب. وأحسِن حراستها (يخرج هوراسيو) همٌّ جره عليها موت أبيها. اي « جرترود » إذا جاءت المصائب لم تجيء فرادى كالطلائع، بل جماعات كالجيوش، أبوها توفي، وابنك سافر، بل أقول انتفي بإرادته، والشعب أخذ يبدي ما خامره من الظنون السيئة بسبب مقتل « بولونيوس » وأحسبنا لم نُصِب بدفننا إياه سراً، و « أوفيليا » فقدت تلك الجوهرة العقلية التي لا يكون الإنسان بدونها إلا شخصاً آلياً او بهيمة، و « لايرتس » أخوها قد عاد من فرنسا، مستخفياً، فأثار الناس علينا، وطفق يهيء لنا أمراً نكراً (يدخل إلى الملك رسول ويدفع إلى الملك خطاباً يقرؤه) وهذا كتاب من « هملت » يقول فيه: إن مركبه غرق، وإنه راجع عارياً ولا يذكر شيئاً عن رفقائه، فيا لله ما أكثر هذه الرزايا (يسمع ضجيج).

الملكة: ما هذه الجلبة؟

الملك: اين الحرس ليمنعوا الباب ما الخبر؟

(يدخل رجل آخر مسرعاً).

الداخل: مولاي اختبيء مسرعاً. ليس البحر بأشد طغياناً من الجمهور الهاجمين على قصرك تابعين « لايرتس »، منادين به ملكاً.

الملكة: هم ينبحون سروراً، ولكنكم أخطأتم شمَّ الفريسة يا كلاب الدانمرك.

(ضجيج وراء المسرح).

الملك: قد حطمت الأبواب

(يدخل لايرتس مسلحاً ووراءه جمع).

لايرتس: اين الملك؟ ايها السادة، وراء. انتظروا خارجاً.
الشعب: بل ندخل.
لايرتس: أرجو ان تَدَعوا لي التصرف.
الشعب: ذلك اليك، ذلك اليك.

(يرجعون).

لايرتس: شكراً لكم... احرسوا الباب. ايها الملك الغاشم، أَرْجع إلي أبي.
الملك: هديء روعك يا « لايرتس » الشجاع.
لايرتس: لو هدأت قطرة من دمي لآذنت بأنني لقيط، وان أبي ذو قرنين، وان أمي الوفية الطاهرة، جديرة بأن توسم جبهتها النقية، باسم العاهرة.
الملك: ما السبب الذي يحملك على هذه المجاهرة الكبيرة بالعصيان.. دعيه يا « جرترود » ولا تخشي علينا بأساً. إن من السحر السماوي ما يحيط بالملوك إحاطة السيّاج المتين، فلا تتخطاه الخيانة، ولا تقوى عليه عزيمة الغدر... قل يا « لايرتس » لماذا انت حنق الى هذه الدرجة، دعيه يا « جرترود »... انطق يا رجل.
لايرتس: اين أبي؟
الملك: مات.
الملكة: ولم يكن للملك ذنب.
الملك: دعيه يسأل ما يشاء.
لايرتس: ومم تأتّى موته؟ لا أريد حديثا مفترى، إلى النار الأمانة وإلى الزبانية صدق الإيمان، إلى الهاوية الضمير والنجاة، زال مني خوف الهلاك السرمد،

وَعَدَاني الاكتراث لهذه الدنيا، وللدار الأخرى، ليكن ما هو كائن، ولآخذن بوتر أبي.

الملك: من يستطيع ان يُثبِّطَ من عزمك هذا؟

لايرتس: لا أحد سوى انني لا أستطيع بأعواني، وإن قلُّوا، ان أفعل كثيراً، وأمضي في شأني بعيداً.

الملك: أي « لايرتس » الباسل، إذا كنت راغباً في معرفة من أمات أباك، أفأنت كاتب على نفسك فيما نويت من الانتقام له، ان تصيب بسهم واحد، المحبين، والأعداء، والمغتالين والأبرياء؟

لايرتس: إنما أبغي أعداءه فحسب.

الملك: إذن تريد معرفتهم.

لايرتس: أما محبوه فأقصى أمانيَّ أن أفتح لهم ذراعي هكذا، وأن أغذوهم من دمي، كما يفعل ذلك الطائر البجع الذي إذ جاعت افراخه، أطعمها أحشاءه وهو حيّ.

الملك: الآن انت تتكلم بلسان الولد البارّ، وقلب الرجل الشريف، وستعلم انه لا يد لي في مقتل أبيك، بل إنني عليه حزين جِدَّ الحزن، وسأُريك بينات ذلك، فتقع من نفسك موقع النور من عينيك.

الشعب: (وراء المسرح) دعوها. دعوها تدخل.

لايرتس: ما هذا الصخب (تدخل أوفيليا بملامس الجنون عليها زهور وأعشاب) يا أيتها الحرارة، جفِّفي دماغي، ويا أيتها الدموع السخينة، ليذهب ملحك ببصري، تالله لأجعلن لجنونك ثمناً يميل بوقره ميزان القضاء، أيّ وردة نيسان، أي بنيتي الحبيبة، أي اختي الشفيقة، أي « اوفيليا » الوديعة، أفي الإمكان يا رباه ان يصاب عقل فتاة كما يصاب عقل الشيخ الطاعن في السنّ؟ هكذا تشهد الطبيعة للحبيب بخلوص مُحَبَّة، وترسل من خلاصتها المجتمعة نفحة الى قلبه.

أوفيليا: (منشدة) حملوه مكشوف الوجه في النعش. ترالا. لا. لا، وعلى ضريحه سالتْ دموع غِزار. ليتك زهرة يا عصفوري.

لايرتس: لو سلم عقلك ودعوتني إلى الانتقام تحريضاً، او تحضيضاً؛ لما أثّرْتِ فيَّ بعض هذا التأثير.

أوفيليا: (منشدة) الى الأرض، الى الأرض. ألقوا به الى الأرض.

لايرتس: في هذه الجنون ما يرجح على العقل.

أوفيليا: (إلى لايرتس) هذا إكليل الجبل، ومعناه: تفكر. ثم هذه زهرة الثالوث، ومعناها: تذكر.

لايرتس: إن جَنَّتها لعظات.

أوفيليا: (مخاطبة الملك) هذا ثمار لك وقليل من كف مريم (مخاطبة الملكة) وهذه زهرة اللؤلؤ لك، كان بودّي ان اعطيك طاقةً من البنفسج، ولكنها ذَبلتْ كلها حين توفي أبي، يقولون: إنه مات ميتة صالحة (منشدة) لأن ذلك الفتى سرور لقلبي.

لايرتس: الوسوسة، والكآبة، والألم، واليأس، كل إحساس فيها يكتسب منها رقةً وجمالاً.

أوفيليا: (منشدة) لن يعود. لن يعود. لا. لا قد مات. إذهب الى فراش موتك. لن يعود لن يعود. لحيته كانت بيضاء كالثلج. ورأسه أشقر الى بياض. مضى. مضى. ونحن نبكي سُدىً. ليرحم الله نفسه. الى الله أُصلي. ليكن الله معكم.

(تخرج).

لايرتس: أرأيتم مثل هذا؟ يا رباه!

الملك: أما الآن وقد خَلوْنا، فاعلم يا « لايرتس » أن قاتل أبيك هو « هملت »، قتله لإساءته الظنَّ به، وللتوصل منه إليَّ من بعده، وإلحاقي به.

لايرتس: تبيَّنت شيئاً من هذا بالفعل، ولكن أنت مخبري: لماذا لم تعاقبه على ذلك الجرم العظيم، فما كانت تقتضي ذلك حكمتك، وكرامتك، بل عظمتك، وسلامتك؟!

الملك: أحجمتُ عن عقابه لسببين: السبب الأول هو أن أُمه لا ترى إلا بعينيه، وأنا من الحب لها بمنزلة الكوكب من دائرته، فلا مُنصَرَف لي

عنها، ولا بدَّ لي منها. أما السبب الثاني فهو أن العامةَ تهواه هوىً شديداً، وتغفر له خطاياه، بل تحوّلها الى بواعث للرضى عنه، والكُلَف به، فلو رميت بسهامي، لردَّها ذلك الهوى العاصف في وجه راميها (يدخل رسول الملك) ما خَطْبُ هذا الرسول؟ ما النبأ؟

الرسول: كتابان من « هملت » هذا إلى جلالتك وهذا إلى الملكة.

الملك: من جاء بهما؟

الرسول: نوتية لم أرهم ولكن رآهم « كلوديو ».

الملك: « لايرتس »، سنسمع ما فيهما دعنا.

(يخرج الرسول ويقرأ الملك)

ايها السيد العظيم القدير.

ستعلم اين ألقيت إلى شاطىء من شواطىء مملكتك عارياً، وسأستأذن غداً بالمثول بين يديك، وبعد الاستغفار منك عما كان، سأقص عليك غرائب هذه العوْدَة الوشيكة غير المظنونة .

(هملت)

ما معنى هذا؟ أعاد وحده؟ أم عاد الآخرون معه؟ أم هي خدعة ولا صحة لهذا البلاغ؟

لايرتس: أعرفت الخط؟

الملك: خط « هملت » بلَغ البرَّ عارياً، وفي التذييل يقول: وحدي. أترى لي في ذلك رأياً؟

لايرتس: تاه فكري في الأمر، ولكن دعه يأتي فإن النار تتأجج بين جوانحي، وإني لأستبطيء غداً على ظفري به، وهشْمي رأسه، قائلاً له: « هذا جزاء ما فعلت ».

الملك: إن كان هذا عزمك، وما ينبغي ان يكون لك عزم سواه، فأرجو ان تدع لي تصريفك في انتقامك.

لايرتس: طوعاً يا سيدي على شريطة ألا تكلفني عَنَتاً، كأن تقضي عليَّ بالصلح مثلاً.

الملك: حاشا لي. إنما أبتغي الصلح بينك وبين نفسك، إذا صحَّ ان « هملت » عائد، وأنه مصر على الإقامة، فإني لمورده مورداً فيه هلكته لا محالة، ولقد أحكمت لذلك تدبيري بحيث ان مصرعه لا يجرُّ علينا ملاماً من الجمهور، ولا يثير شبهة في قلب والدته فتحسبه مات مغلوباً، لا مجنياً عليه.

لايرتس: مولاي سأمتثل راجياً ان تتخذني وسيلة لقضاء ما أوحى اليك قلبك.

الملك: عرضٌ وافق طلباً، سمعت غير مرة في أثناء غيابك أنك فقْتَ سواك بضربٍ من البراعات، ورأيت « هملت » لا تأخذه الغَيرَة منك، إلا حين تُذكَر عنك تلك الفضيلة مع أنها في نظري ليست في أعلى رُتْبة من رُتَب الفضائل.

لايرتس: ما تلك يا مولاي؟

الملك: حيلة، ولكنها مع ذلك نافعة، تتفق مع الخِفَّة ومع الوقار. زارنا فرنسي من نبلاء نورمنديا يُجيد ركوب الخيل حتى ليأتي بآيات من الفروسية فهو في صهوة الجواد كأنه سَنامٌ للجواد. يقلب طَرْفَه ما شاء، سَبحاً، وقفزاً، وطيراناً، ولا تكاد المبالغة تَفي ببعض ما يُبْدي من المهارة.

لايرتس: أكان نورمندياً؟

الملك: نعم.

لايرتس: لعمري هو « لامور ».

الملك: إياه سميت.

لايرتس: أعرفه حق المعرفة، وهو فخر أُمته في هذا الباب.

الملك: شهد لك ببلوغ الدرجة العليا في الثقاف، ولا سيما بالنَّصْل القويم، وقال: إن أبرع الأساتذة في قومه، إذا واقفوك بالسيف، خانتهم الرشاقة، وأخطأهم بجانبك صدقُ النظر فهذا المديح مشى مشْيَ السُّمّ في نفس « هملت »، وأصبح لا يتمنى إلا رجوعك ليبارزك. فبعد هذا؟

لايرتس: بعد هذا يا مولاي.

الملك: « لايرتس ». أكان أبوك اليك حبيباً؟ أم انت وجهٌ يتراءى فيه الحزن، وما وراءه قلب؟

لايرتس: لِمَ هذا السؤال؟

الملك: لا لأنني أرتاب في حبك لأبيك. ولكن الذي علمته هو أن الزمن يوَلّد الحب، ثم الذي شهدته أن الزمن بعد حين يلَطِّف من حرارته، ويكبح من جماحه... قد توجد في محور الاتقاد من الحب ذُبالة، هي التي في النهاية تطفيء ضِرامه، ولا شيء يبلغ التمام، فيدوم له، وإنما يُتوقع الزوال متى قيل تَمَّ، الذي تريده يجب فعله حين الإرادة، وإلا أحاط بالمشيئة من آثار الأيدي والألسنة والحوادث، ما يُحوِّل قولنا « نريد » الى قولنا « ما كان أحرانا »، وضرر هذه العبارة لا يقلّ عن ضرر التنهُّد الذي يرَفِّه عن صاحبه، ويُقْعده عما نوى راضياً بعجزه، فإن شئت النُّجْح فافعل، حين الجرح مهتاج، والألم مشتدّ، هذا « هملت »، راجعاً، ماذا انت صانع لنرى بالفعل لا بالقول، أنك ابن أبيك؟

لايرتس: سأحزُّ عنقه حتى في داخل الكنيسة.

الملك: لا يجدر مكان بأن يكون حَرَماً يتَّقي فيه مرتكب القتل عقاب جنايته. ولا ينبغي ان يكون للثأر حدّ، أفتطاوعني يا « لايرتس » الشجاع؟ فافعل ما أُوصيك به. إلزمْ غرفتك. ومتى حضر « هملت » دَسَسْنا اليه من يصف له براعتك، ويُجدِّد في نفسه حزازة الشهرة التي جعلها لك ذلك الفرنسوي، فهو عندئذٍ سيتحدَّاك للبراز، وسينقسم الناس فريقين متراهنين على رأس المغلوب منكما، ولما كان هو مشتَّت الذهن، سَمْح النفس في الغاية، خَليَّ القلب من كل غش، فهو لن يظنّ سوءاً بالسيفين المُعَدَّين للبراز، فينسى بلا حيلةٍ او ببعض الحيلة ان يتخيَّر النصل الذي لم يُفَل، وأن تضربه بحذقٍ خفيٍّ تلك الضربة التي تستوفي بها ثأر أبيك.

لايرتس: سأفعل، وسأزيد على ذلك ان أدهن سيفي بدهان قاتل، باعه عليَّ أحد المشعوذين، فإذا خُدِش به جسمٌ مشى فيه السمّ، ولم يدفع عنه القضاء بعلاج، ولو عولج بأندر العقاقير التي ضوعفت قوتها بتأثير ضوء القمر، بهذا الطاعون سألَوّن شفرتي حتى إذا وخزْتُه بها، ذهبتْ بحياته.

الملك: ولا تنس أمراً آخر. قد يتفق ألا ينفذ ما قصدناه، كما أردنا فيفتضح إذن سرنا، وينهتك سترنا، فلا بد لنا على ذلك من استعداد ترتيب متمم يكون موضعه من خطتنا، موضع السَّاقة من الجيش فإذا لم تفلح التجربة

الأولى، أفلحت بلا ريبٍ الثانية. مهلاً لنتدبر حل هذا المعضل. نراهن على كفاءة كل منكما... وجدت وجدت. إذا امتد القتال، وحُررتما، فأطِل العراك ما استطعت لتظمئه. سآمر بكأس، مهيئة من قبل. فإن رشف منها رشفة كفانا السم الزعاف بقية القتال، لكن صه، ماذا أسمع (تدخل الملكة) أي شيء جرى يا مليكتي.

الملكة: لا تأتي المصائب إلا تباعاً، أُختك غرقت يا « لايرتس ».

لايرتس: ويلاه غرقت، وأين غرقت؟

الملكة: على ضفة النهر صفصافة تتراءى في الماء، مرت بها « أوفيليا » بعد ان جمعت من النبات على اختلاف صنوفه وألوانه أسباباً مستطيلة أرادت ان تحلي بها الأغصان المتدلية من الصفصافة فلما تعلقت بأحد تلك الغصون وهي تنوط به تلك الزينة انقصف بها، فسقطت في النهر، وطفت حيناً لانتفاخ ثيابها بفعل الهواء، كأنها ملك محمول على وجه الماء ثم غرقت، يا لهفي عليها، انقطع ذلك الصوت العذب، وانقطعت في الصلصال تلك الأناشيد، وتلك الألفاظ الشجية التي كانت تطرب بها الأسماع.

لايرتس: يا للأسى! ماتت غريقة.

الملك: غريقة. غريقة.

لايرتس: يا دموعي انطلقي من محاجري، ولا تحبسك الكبرياء بعد هذه الكارثة الدهماء، أستودعك الله يا مولاي، أشعر بالنار تشب في كندي، وأخشى إن بَثَثْتُها ان تطفئها دموعي.

(يخرج).

الملك: لنتبعه يا « جرترود ». لقد كابدت ما كابدت في تسكين ثائره، وأخشى ان يجد ما يستفزه، فلنتعقبه، ذلك أحزم وإن الحذر أمثل بنا، وأحكم.

الفصل الرابع

المشهد الأول

(مقبرة — فلاحان بفأسيهما)

الفلاح الأول: أتعرف من هو أثبت بنياناً من الحجار، والنجار، وصانع منشآت البحار؟

الفلاح الثاني: أظنه صانع المشنقة لأن المشنقة تبقى بعد زوال آلاف من الذين يأوون اليها.

الفلاح الأول: أحسنتِ المشنقة بمجيئها هنا.

الفلاح الثاني: وهل تحسن المشنقة؟

الفلاح الأول: نعم تحسن بأنها تضع حداً للمسيئين، وإساءاتهم.

الفلاح الثاني: زه. زه. نكتة بنكتة. سأمضي إلى « يجهان » وأحضر زقاً من الخمر.

(ينصرف ويظهر هملت وهوراسيو).

الفلاح الأول: (مغنياً) في شبابي كنت أهوى، وكان الهوى عذباً يختصر الوقت « هوب هولا » ويحليه أما الآن فالشيخوخة تنهاني، كفاني.

هملت: أليس يشعر هذا الفتى بما هو صانع؟ يتغنى مع أنه محتفر قبراً.

هوراسيو: العادة أولدت عنده عدم الاكتراث.

هملت: لا ريب في هذا. اليد التي تعمل قليلاً، تكون أدق حساً، وأرق لمساً.
الفلاح: (مغنياً) السن فاجأتني، من حيث لا أدري فأوهنت قواي وقذفت بي إلى الأرض.

(يخرج جمجمة ويقذفها)

هملت: كان لهذا الرأس قديماً لسان، وكان يغني، أنظر إلى هذا الممتهن يلقيه بامتهان، كيف إذن قذفه إياه لو كان رأس قابيل؟! أما يحتمل أن صاحب هذه الجمجمة كان سياسياً عظيماً؟ او كان رب صولة ودولة، عليه لمحة من عزة رب العالمين؟
هوراسيو: يحتمل كل ذلك.
هملت: وهذا الحمار يحذف بها كما يحذف اللاعب بالأكر التي لا قيمة لها.
الفلاح الأول: (مغنياً) فأسٌ للحفر، وكفنٌ للغطاء، وحفرةٌ في التراب نعم المنزل.

(يخرج جمجمة أخرى).

هملت: ألا تكون هذه جمجمة رجل من رجال المحاماة؟ أين الآن ملابساته ومغالطاته؟ أي مسائله الواقعية؟ ونقَطه القانونية؟ لماذا يصبر على إهانات هذا الوغد ولا يقاضيه على اعتدائه عليه ضرباً أو جرحاً؟ بل ربما كانت هذه جمجمة واحد من الجمّاعين للدنيا، الشرَّائين للعقار. أين الآن عقوده وإقراراته وضماناته، أهذا آخر حق أفضَتْ اليه حقوقه؟ أهذا تحصيل كل حاصلٍ سلفاً له؟ ونهاية الدقة في دماغه ان يُحشى رأسه تراباً بهذه الدقة؟ ألم تُعْفِه ضماناته المفردة او المزدوجة من هذا الضمان الختامي الهائل؟ أيسَعه هذا المكان وهو يوشك ألاّ يَسَعَ حجج مملوكاته؟ أمَا من مزيدٍ فيعطاه؟
هوراسيو: ما من مزيد.
هملت: سأُكلّم هذا الرفيق، أنت يا رجل. لمن هذا الضريح؟
الفلاح الأول: لإنسان.
هملت: أرجل هو؟

الفلاح: لا.

هملت: امرأة هو؟

الفلاح: لا.

هملت: إذن من؟

الفلاح: لمخلوقة كانت امرأة... هي الآن ميتة. يرحمها الله.

هملت: كم يبقى الجسم في الأرض قبل التعفُّن؟

الفلاح: إذا لم يتعفن قبل الوفاة بمرض من تلك الأمراض الزُّهْرية، أو نحوها، يجوز ان ينحفظ ثماني سنين، فإن كان من الذين احترفوا الدباغة، فقد ينحفظ عشر سنين.

هملت: وما فضل الدّباغ على غيره؟

الفلاح: الصبغ يقوّي جلده، إليك يا سيدي. هذه جثة، أقامت ثلاثاً وعشرين سنة.

هملت: لمن كانت هذه الجمجمة؟

الفلاح: أتعرف من كان هذا اللقيط ابن الفاعلة؟

هملت: لعمري. لا.

الفلاح: هذا « يورك » الذي كان مضحك الملك.

هملت: أهذا؟

الفلاح: أجل. أجل.

هملت: أرنيه (يأخذ الجمجمة) واأسفاه (يورك) المسكين كان واريَ البادرة داني النادرة حملني على ظهره آلافاً من المرار، والآن آنف ان أدنو منه، أين مزاحك الآن؟ ومهاتراتك وأناشيدك، ومباسطاتك؟.. هل يا « هوراسيو »...

هوراسيو: ما أمر مولاي.

هملت: أهكذا وجه الإسكندر بظنك؟

هوراسيو: لا شك.

هملت: وهكذا ريحه؟

(يضع الجمجمة).

هوراسيو: بلا شك.
هملت: يجوز لو تتبعنا التحول بنظر الفكر أن نرى الإسكندر على جلالته، او قيصر على عظمه، حفنة من تراب سدَّت بها ثغرة في حائط، او قطعة من خشب رُتِّبَ بها صَدْع في برميل جعة، ولكن رويداً، رويداً، هذا الملك وهذه الملكة وهذا « لايرتس »، إنه لشاب شريف يا « هوراسيو » جنازة من هذه.

(يمر في المسرح الملك والملكة ولايرتس وقسيس).

لايرتس: (مخاطباً القسيس) أهذا كل ما سمحتم به من رسم الاحتفال؟
القسيس: هذا آخر ما يستطاع في دفن فتاة هي قاتلة نفسها.
لايرتس: اعلم ايها الرجل انها ملك عاد إلى السماء، وما به حاجة إلى تكرمات الأرض. لتودع في قبرها، ولتنبت على ترابها آلاف من زهر البنفسج، طاهرة الطيب، نقية من العيب مثلها، أسفي يا « أوفيليا »؟
هملت: ويلي! أُ « أوفيليا »؟
الملكة: كنت أرجو ان تكوني عروساً لابني « هملت » لا أن تتبدلي من مهد السرور بهذا القرار المهجور (تلقي أزهاراً) الجميـلات للجميلـة، والعفيفات للعفيفة.
لايرتس: (جاثياً) أي أُختي، لئن لقيت الذي جنى عليك هذه الجناية لأوْدَبَنَّه ـــ وهواك ـــ الى ان تزدجر الأحياء، ويُراعَ سكان القبور.
هملت: (هاجماً اليه) من ذا الذي يُسمِع أنينه السماء، وتوشك الكواكب ان تقف مذعورة لوعيده؟ أنا « هملت » الدانمركي.

(يقفز إلى القبر).

لايرتس: (قابضاً عليه) إلى الشيطان روحك الشريرة.
هملت: إنك لا تحسن الصلاة هكذا عن روح أُختك. أُرْدُدْ أصابعك عن عنقي، واحذرْ شيئاً خطراً يفاجئك مني.
االملك: فرّقوا بينهما.
الملكة: « هملت »، « هملت ».

هملت: إني مقاتله من أجل هذا السبب، حتى تأبى جفوني أن تتحرك.

الملكة: يا ولدي ما هو ذلك السبب؟

هملت: هو أنني كنت أحب « اوفيليا » حباً لا يبلغه مجموع الحب في أربعين ألفاً من الإخوة.

الملك: دعه يا « لايرتس ». هو مجنون.

الملكة: أسألك بالله ان تدعه.

هملت: أرني ما تريد. أتبتغي البكاء فأبكي معك، أم القتال فأُقاتلك، أم تجوع فأُجاوعك، أم تشرب الخل، أم تأكل تمساحاً؟! إني لفاعل كل ذلك، يا لَلفتى! كنت أحبه، وما أدري لماذا يعاملني هكذا؟ لكن الهر سيموء والكلب سينال أيضاً نصيبه.

(يخرج).

الملك: أرجو يا « هوراسيو » ألّا تفارقه (يخرج هوراسيو) (مخاطباً لايرتس) تجلَّدْ واثبتْ على ما دبَّرْناه في الليلة البارحة، إني منذ الساعة لَشارعٌ في الأمر، يا حبيبتي « جرترود » مُري بمراقبة ولدك، ستأتي ساعة الراحة وإن الصبر لكفيل بالظفر.

(يخرجون).

المشهد الثاني
ردهة في القصر

(هملت وهوراسيو... يدخلان)

هملت: لم أكد أبلغ السفينة، حتى شغلت الرقيبين ببعض الضرورات التي خلقْتُها لساعتها، وتسللت إلى موضع سرهما، فتلمست طريقي حتى اهتديت إلى مثواهم، فاحتملت ملف الورق من مخبئه، وعدت أدراجي فإذا.. ويا

لبراعة الملوك متى أمسوا مجرمين!! فإذا أمر في الملف صادر إلى ولي الأمر في إنجلترا بقتلي، بقطع رأسي بالفأس منذ وصولي، ثم توكيد ذلك باستحلاف، ووعد، ووعيد، ثم تأييد لذلك.

هوراسيو: أهو كما تصف؟

هملت: اليك الرسالة اقرأها حين يتسع وقتك لها، ثم أتعلم ما صنعت.

هوراسيو: يشوقني ان أعلم.

هملت: جلست من فوري محبراً ومحرراً فكتبت بأحسن خطي رسالة أخرى، مشيراً إلى الرغبة في دوام السلام، واستمرار الوئام، مسهباً في بيان المنافع التي تنجم عن ذلك للدولتين، وتشمل ببركاتها الأمتين، بألفاظ تكاد لكثرتها توقر الحمار، ذكرت في نهايتها الغرض المرمي اليه: وهو الحتم والتشديد على ولي الأمر حين وصول الرسولين الحاملين اليه رسالتنا ان يقطع رأسيهما بلا إبطاء ولا يمنحهما وقتاً لاستغفار ربهما عن عظيم ذنبهما.

هوراسيو: وكيف وجدت الطابع لختم الرسالة به؟

هملت: لكل حالة حيلة، لا يفارقني ختم « أبي » وهو على مثال الطابع الدانمركي الكبير، فإياه استعملت، ثم لففت الدرج الجديد في الملف القديم، وتركته لهما يحملانه إلى حيث... ولما أقلعت بنا السفينة غير بعيد فاجأنا القرصان الذين عادوا بي آمناً إلى موطني كما علمت.

هوراسيو: وأما « روزنكرنس » و « جيلدتشترن »؟

هملت: أوصيت رجال السفينة وهم رجالي بحملهما إلى « إنجلترا » مكرهين او مغلولين إن خالفا ذلك ليقوما بالسفارة التي تفانيا نفاقاً، وإثماً في سبيلها.

هوراسيو: واحرّقلباه من ذلك الملك المملّك علينا!!

هملت: ألست الآن مطلعاً على أخفى سرائري؟ ما قولك في ذلك الذي قتل « أبي »؟ وأفسد أُمي؟ وحالَ بالانتخاب بيني وبين تحقيق آمالي، وألقى أشراكه ليودِي بي بخبث، ناهيك به من خبث، ألا يوجب عليَّ العدل والضمير ان أقتله بيدي هذه، فأُنقذ البلاد من علة صائرة بها الى الدمار؟

هوراسيو: عما قليل سينمى اليه من إنجلترا مآل صاحبيك.

هملت: أنا وليُّ الوقت ريثما يعلم، وإنما حياته بين عدّ واحد فواحد،

لكنني آسف كل الأسف يا صديقي « هوراسيو » على ما فَرَط مني في حق « لايرتس »، وإنما شأنه أشبه بشأني، وقد ظلمته فلا بدَّ لي من ملاينته واستعطافه، وما استفزّني عليه إلا تبجُّجه في حزنه.
هوراسيو: صه. أسمع قادماً.

(يدخل أوزريك).

أوزريك: أرفع إلى سيادتكم تَجلّتي وتهنئتي بعَوْدكم إلى الدانمرك.
هملت: شكراً لك يا سيد، أتعرف هذا اليعسوب؟
هوراسيو: لا يا مولاي الكريم.
هملت: انت في نعمة من جهلك به، يملك أرضين واسعة خصبة، ولو كان سيد البهائم بهيمةً كسائر رعيته لوجد فَكُّ هذا الآكل على مائدته كل يوم، يتكلم كالببغاء بلا عقل، ولكنه يمشي في طيِّه بعيداً.
أوزريك: مولاي المتفضل إن سمح لي جودكم بالكلام، أبلغتكم شيئاً من قبل الملك. أنزلْ قبعتك في منزلها من رأسك.
هملت: سأمتثل الأمر وشيكاً يا سنيور.
أوزريك: حمداً لسيادتكم، ولكن الحرّ شديد.
هملت: بل الهواء بارد، والريح هابَّةٌ شمالاً.
أوزريك: أجل يا مولاي الهواء بارد.
هملت: وكأنني أشعر بالحر. أفيكون هذا من اختلاف بنيتي؟
أوزريك: الحر يا مولاي غاية في الاشتداد، أمرني الملك بإبلاغ سيادتكم أنه خاطَرَ على رأسكم برِهان كبير... وهو...
هملت: (ملحاً عليه بلبس القبعة) أسألك ذلك. لا تنس ان الرأس منزل القبعة.
أوزريك: لن أفعل يا مولاي... أرْوَحُ لي ان أبقي حاسراً بحضرتكم أقسم بذلك. تعلمون يا مولاي ان السيد « لايرتس » قدم إلى البلاط وهو شاب رقيق، شجاع، مكمل، يعد عنواناً في صحيفة المجد.
هملت: خل عنك إيفاءه بعض حقه من المدح، فليس هذا يا سيدي بمستطاع أتعدِّد صفاته؟ ذلك ما لا تحيط به الأرقام التي تسعها الذاكرة، إنه بلا مغالاة نسيج وحده، ولا نظير له إلا في مرآته.

أوزريك: مولاي يصفه حق وصفه.
هملت: ولكن ما الشأن الذي جئت له يا سنيور.
أوزريك: فأما وسيادتكم لستم جاهلين.
هملت: أشكر لك هذا الرأي، وإن كان لا يزيدني كرامة.
أوزريك: ما تقول يا مولاي؟
هوراسيو: نَفِدَ كلام التمليق، فهو لا يحسن كلاماً.
أوزريك: فأما وسيادتكم لستم جاهلين قدْرَ « لايرتس ».
هملت: أخشى أن أجهل عظيم قدره، لأن الإنسان لا يجهل من سواه إلا ما يجده في نفسه.
أوزريك: إنما أتكلم عن براعته في تقليب السلاح، دون سائر محامده.
هملت: اي سلاح تعني.
أوزريك: السيف والبلطة.
هملت: هما إذن سلاحان من أسلحته، أنعم وأكرم.
أوزريك: وقد خاطره الملك على ستة جياد مطهمة في مقابلة ست بلطات وخناجر فرنسوية، هي غاية الغايات في الإتقان، والرِّهان يا سيدي، على ان « لايرتس » لا يكسب منك ثلاث مثاقفات في اثنتي عشرة مواقفة، تتوالى بينكما، أتتكرم سيادتكم بإجابته إلى هذا الاقتراح.
هملت: حتى لو قلت لا.
أوزريك: إنما قصدي الإجابة على الاقتراح بمعنى ما إذا كنت تتنزل لقبول أولاً؟
هملت: سأتمشى ههنا مهلة ما يجيء الملك، وإذا بقي جلالته مصراً على مخاطرته، فليأمر بالسيوف فيؤتَ بها. وسأجهد ان أكسبه الرهان، لئلا أعود بالعار والضربات الأليمة.
أوزريك: أأنقل عنك هذا الكلام؟
هملت: في هذا المعنى يا سيد مع ما تستحبُّ من التحليات التي يوحيها اليك التفوق في التزويق.
أوزريك: رهين بالخدمة يا مولاي. (يخرج).

هملت: بين يديكم. بين يديكم. هذا متملق مزوّق أوشك ان يقرّظ مرضعه قبل ان يبتدىء الرّضاع، وما أكثر أمثاله من المنافقين في هذا العصر، مظاهر متعارفة، وجمل محفوظة جعلت عناوين الأدب، وإن هي إلا نفاخات هوائية إذا مرت بها النسمة أنفقت تباعاً.

(يدخل رجل من البطانة)

القادم: مولاي قد أبلغ « أوزريك » الملك أنك تنتظر في هذه الردهة، فأرسلني لأتحقق ما إذا كنت صحيح العزم على تلك الموافقة، أو تؤثر إرجاءها؟
هملت: أنا ثابت في عزائمي، وهي تَبعٌ لرضي الملك، ما على مشيئته سوى الإشارة، وما عل مشيئتي سوى الامتثال الآن، او بعد الآن. على ان أكون حينئذٍ مستعداً كما أنا في هذا الحين.
القادم: سيحضر الملك والملكة والبطانة بأسرها.
هملت: على الرحب جميعهم.
القادم: الملكة ترغب اليك في مخاطبة « لايرتس » قبل البراز بكلمات طيبة، تَجبُرُ صَدْعَ قلبه.
هملت: كرامة لنصيحتها.

(يخرج القادم).

هوراسيو: ستخسر هذا الرهان يا مولاي.
هملت: لا أظن، ما زلت أُروّض يدي منذ سافر الى فرنسا وسأكسب، إن بي في هذا الجانب لَألماً شديداً فوق ما تتصور، ولكن ماذا يهمّ؟
هوراسيو: الوقت لم يَفُتْ.
هملت: هو استشعار لا يجدر بالتأثير إلا في نفوس النساء وقد زال.
هوراسيو: إن كانت نفسك متأبِّيةً أمراً فأطِعْها، ويسعني الابتدار اليهم وإبلاغهم، أنك غير متأهِّب.
هملت: أقِمْ فلا طَيَرَة ولا شؤم، لا تسقط ريشة من طائر إلا بإذن من ربّ السماوات. إن كانت الساعة قد دَنتْ، فلا رادَّ لها، وإلا فهي آتية

يوماً لا محالة، العبرة بالاستعداد للقاء الله، هل على المرء الذي يفارق ما لا يعرف، ان يجزع إذا عَجَّل بالفراق؟

(يدخل الملك والملكة ولايرتس والبطانة وأوزريك وخدم)
(الملك يضع يد لايرتس في يد هملت)

هملت: اغفر لي يا سيدي إهانتي لك غُفرانَ المسماح، النبيل، هؤلاء الأشهاد يعرفون — وقد تكون علمت كما علموا — أنني أُصبتُ باختلال في قوى العقل، فكل ما فعلته مما يَمسُّ إحساسك او شرفك، ويستدعي قسوتك وجفاءك، فإني أُعلن ههنا أنه من الجنون، لا مني أ « هملت »، هو الذي خَدَش كرامة « لايرتس »، إن كان « هملت » الذي به خبال، فنعم، وإن كان « هملت » السليم العقل فلا، وليس « لهملت » المسكين من عدوّ ألدّ من جنونه، فيا سيدي إني بمَسمَع ومَرْأى من هذه الجماعة، أنبذ كل نيَّة سوء في حقك، وأتقدم الى نفسك الكريمة الطاهرة، بطلب الصفح عما لم يرضك مني، وما أنا إلا رامٍ سهماً من وراء بيت، أخطأ سهمه، فأصاب أخاه.

لايرتس: لقد أرضاني هذا الإقرار إرضاءً وافياً بمرامٍ من قلبي فلم يبقَ بي أدنى نُزوع الى الانتقام، غير أنه بقي علينا ان نقوم بما يقتضينا الشرف من البراز، وأريد ان يشهد الشهود العُدول، أنني لم أفعل ما يدَّنس به اسمي، فأنا الآن أوافقك وقلبي صافٍ، ووِدادي كأخلص ما كان.

هملت: أتلقى بانشراح هذا البلاغ الكاشف عما في ضميرك القديم، فهلمَّ نقضِ ما يوجبه علينا هذا الرهان الأخوي. إلينا بالسيوف (يتناولان السيفين) ستسطع مهارتك الآن سطوع الكوكب في الليلة الدهماء.

لايرتس: تسخر مني يا سيدي.

هملت: لا ويميني.

الملك: أعطهم السيوف يا « أوزريك ». ابن أخي هملت، هل تعرف الرهان؟

هملت: (مخاطباً الملك) نعم يا مولاي. قد جعلت الخطر الأكبر منوطاً بالساعد الأضعف.

الملك: لا أخشى بأساً. أعرف كليكما.

لايرتس: هذا السيف ثقيل على ساعدي. أعطوني غيره.

هملت: هذا يلائم يدي.. هل طول السيفين واحد؟

(يتأهبان).

أوزريك: أجل يا مولاي الكريم.

ضعوا قوارير الخمر على هذه المائدة، فإذا فاز « هملت » في الثلاث الأُوَل فلتُطْلَق المدافع، سيشرب الملك نخب « هملت »، ريثما يستريح « هملت » من تعب المواقفة الأولى، وسيجعل الملك في الكوب أنفَس لؤلؤة في تاج الدانمرك منذ أربعة عهود.. قدموا الأكواب، ولتقرع الدفوف، ولتعزف كل آلة عَزوف، وليقصف كل رعَّاد قصوف، إيذاناً للسماء والأرض بأن الملك يشرب في صحة « هملت ». أنتما ابتدئا، وأنتم أيها الشهود، راقبوا بتدقيق.

هملت: إشرع يا سيدي.

لايرتس: إشرع يا مولاي.

هملت: واحدة.

لايرتس: لا. لا.

هملت: احكموا.

أوزريك: طعنة ظاهرة.

لايرتس: قبلت. لنستأنف البراز.

الملك: مهلاً فأشرب، اي « هملت » اليك هذه اللؤلؤة. أعطوه الكوب،

(تقرع الطبول وتطلق المدافع).

هملت: أريد ان أُتمم هذه المواقفة أولاً. ضعوا الكأس بجانب... هيا (يستأنفان) واحدة ثانية.

لايرتس: لمست. أقر بذلك.

الملك: سيفوز ابننا.

الملكة: هو بادن وقصير النفس، تعال يا « هملت » وخذ منديلي فامسح جبينك، الملكة تشرب في فوزك يا « هملت ».

هملت: مولاتي العزيزة.

الملك: « جرترود » لا تشربي.

الملكة: سأشرب يا مولاي وأرجو المعذرة.

الملك: (منفرداً) كرعت من الكأس المسمومة. قضي الأمر لا اجرؤ ان أشرب إلا بعد هنيهة. عفواً مولاتي.

الملكة: تعال... دعني أمسح وجهك.

لايرتس: مولاي الآن سأصيبه.

الملك: ما أظن.

لايرتس: سأفعل برغم ضميري.

هملت: دوننا الثالثة. أراك تلاعب ولا تثاقف. أرجو ان تبذل جهدك، ولا تعاملني كالطفل.

(يستأنفان).

لايرتس: أتظن ذلك؟ هلم.

أوزريك: لم يمسس أحد.

لايرتس: اليك الآن.

(لايرتس يجرح هملت ثم يتبادلان السيف وهملت يجرح لايرتس)

الملك: فرقوهما... لقد احتدما.

هملت: لا... بل نستأنف

أوزريك: أنظروا إلى الملكة. أوه!!

هوراسيو: كلاهما يقطر دماً.. كيف انت يا مولاي؟

أوزريك: كيف انت يا « لايرتس »؟

لايرتس: « أوزريك ». أُخذت بفخي كدجاجة الماء سأموت بخيانتي.

هملت: كيف الملكة؟

الملك: أُغمي عليها لما رأت الجراح والدم.
الملكة: لا. لا. بل الكوب. الكوب. اي حبيبي « هملت » الكأس. الكأس. أموت مسمومة.

(تموت).

هملت: يا للجريمة. هيا أقفلوا الباب. خيانة. أكشفوا الخيانة.

(يقع لايرتس).

لايرتس: اليك سرها. « هملت » إنك لقتيل، ولن تُعُوجَ بدواء ستعيش نصف ساعة، إن طال أجلك، ثم تقضي نحبك، وإنما الأداة القاتلة هي التي لم تزل بيدك وأنا قد أخذت بحيلتي الدنيئة. وإني لهالك بها. لن أقالَ من هذه العثرة، أمك شربت سماً، خارت قواي، الملك هو المجرم الأثيم.
هملت: أهذا هو النصل المسموم؟ إذن ايها السم الزعاف افعل فعلك.

(يطعن الملك).

أوزريك والأعيان: خيانة، خيانة.
الملك: أوه، دافعوا عني يا أصحابي.. لست إلا جريحاً.
هملت: تناول اليها الملك السفاح السفاك الدم، أهنا تلك اللؤلؤة الشائقة لؤلؤة العهد.. ابتلعها، اشربها والحَق بأمي.

(يموت الملك).

لايرتس: أُصاب ما هو أهله، هذا السم مهيأ بيده، لنتصافح ويغفر كل منا لأخيه. عفا الله من قتلي، وقتل أبي، وعفا عني من جنايتي عليك.

(يموت).

هملت: ليغفر لك الله، إني تابعك، دنا أجلي يا « هوراسيو »، أيتها الملكة التاعسة وداعاً، وأنتم أيها الشاهدون هذا المشهد شاحبي الوجوه، خُرساً من الكمد لو عشت... وإنما الموت جلواذ مُحضر، جاف، ودقيق في

إنفاذ أحكامه، لكن لندع هذا. « هوراسيو »، أنا مقضيّ عليّ وأنت حي. صحح رأي الجمهور في سيرتي، وادفع قول المخالفين في قضيتي.
هوراسيو: لا يا سيدي، إن في جنبيَّ قلبَ روماني قديم، لا دانمركي حديث، وفي الكأس بقية.
هملت: إن كنت رجلاً فأعطني هذه الكأس.دعها بالله. وكن بعدي يا « هوراسيو »، فإن خالفتني جهِلَ الناسُ الحقيقة، وقد يخطئون في محاكمة ذكراي، لئن كان إخلاصك لي ما عهدتُه، فتأخر عن وِرْد السعادة الخالدة حتى تقصَّ قصتي، وتدرَأ الشُبَه عني (يسمع سلام عسكري وراء المسرح) ما هذه الجلبة العسكرية؟
أوزريك: هذا « فورتنبراس » عائداً من بولونيا بالغاً ما شاء من الفوز، يحيي بمدافعه سفراء إنجلترا.
هملت: آها. أنا مائت يا « هوراسيو »، إن هذا السمّ بفعله الشديد قد شتّت أفكاري، لن أحيا لأستمع الأخبار الآتية من إنجلترا، لكنني أتنبَّأ أن « فورتنبراس » سينتخب ملكاً على هذه الديار وأنا أعطيه صوتي. قبل وفاتي أبلغه ذلك وفَصِّلْ له الأحوال، والبواعث التي دعت الى ما جرى، والباقي قد دخل في ولاية السكوت السرمد.

(يموت).

هوراسيو: هذا قلب شريف قد انفطر، نَمْ مليّاً يا أميري المحبوب ولْتحملْ جسمك الى السماء أسرابٌ مترنمة من الملائكة (يسمع السلام وراء المسرح) ولكن لم يقترب.

(يدخل فورتنبراس وسفراء إنجلترا وآخرون).

فورتنبراس: أين ذاك المشهد؟
هوراسيو: ماذا تبتغي؟ إن كان المُبكي والمذهل هو ما توخيت رؤيته، فلا تَجُزْ هذا المكان.
فورتنبراس: يا لكبرياء الموت! ما هذه الوليمة التي هيَّأتها أيها القضاء بضربة واحدة من أشلاء الملوك والأمراء، في كهفك الخالد؟

أحد السفراء: هذا المنظر بشع رائع، ونحن الآن لا ندري الى من نبلغ ما جئنا من أجله؟ فإن أمر الملك قد أُنفذ في الرسولين « روزنكرنس » و « جيلدتشترن » كما أراد.

هوراسيو: قد هلكا في رسالة مخطأة، ولكن أبتهل أن تُصغوا إليَّ جميعاً، لما كنتم قد اجتمعتم هنا بحكم الاتفاق. أنتم أيها القادمون من « بولونيا » وأنتم أيها القادمون من « إنجلترا » فجديرٌ بكم ان تأمروا من فوركم بحضور وجوه المملكة، وكبار سراتها، الى المدرج المجاور لهذا المكان، لأبسط لهم ما كان من الحوادث التي أفضت الى هذه النهاية الأليمة، بحيث يُعطى كلٌ حقه من مدح او ذمّ، ويمتنع الجَوْر في الحكم.

فورتنبراس: هلّم نسمعْ بيانه، وليُدْعَ عظماء المملكة وشيكاً، أما أنا فإنني أقبل بأسف ما آل إليَّ من السعد، فإن لي على هذا العرش حقوقاً لا تجحد، وأنا بها مطالب.

هوراسيو: إني مكلف إعطاءك صوتاً ستتابعه الأصوات إلا ما قلَّ منها. ومتى علوت المنبر ذكرت ذلك فيما سأذكر، وليكن القرار عاجلاً قبل أن تتكوّن الأحزاب، وتتعدّد بواعث الاختلاط والاضطراب. ليتولَّ أربعةٌ من ملازميَّ حملَ جثة « هملت » الى المدرجة، فهو خليق بهذا الإكرام، وكان به من الصفات ما يدلّ على أنه لو تقلّد التاج لكان مليكاً عظيماً.

ثم لِتعزف الموسيقى في طريقه، وليشَرِّف التشريف العسكري بكل رسومه. احملوه، هذا منظر أَلْيَق بميادين القتال، منه بمثل هذا المكان. وليُؤْمَر الجنود بإطلاق النار...

(سلام حدادي. يخرجون حاملين الجثة ويُسمَع طلق المدافع)

(تمت)

يوليوس قيصر

تعريب

الدكتور رياض عبود

أشخاص الرواية

يوليوس قيصر

مجلس الثلاثة بعد موت قيصر:

اكتافيوس قيصر

مرقس انطونيوس

م. ايميليوس لبيدوس

أعضاء مجلس الشيوخ (السناتو): شيشرون ــ بوبليوس ــ بوبيليوس لينا

متآمرون على يوليوس قيصر: مرقس بروتوس ــ كاشيوس ــ كاسكا ــ تريبونيوس ــ ليغاريوس ــ ديشيوس ــ بروتوس ــ متلّوس سمبر ــ سنّا

نائبان: فلافيوس ــ مارلّوس

آخرون: معلم بلاغة ــ ارتميدوروس الكنيدوسي ــ عرّاف ــ سنّا الشاعر ــ شاعر آخر.

أصدقاء بروتوس وكاشيوس: لوشيليوس ــ تيتنيوس ــ مسالا ــ كاتو الشاب (الابن) ــ فولومنيوس

خدم بروتوس: فارو ــ كليتوس ــ كلوديوس ــ ستراتو ــ لوشيوس ــ دردانيوس

خادم كاشيوس: بنداروس

زوجة قيصر: كالبورنيا

زوجة بروتوس: بورشيا

أعضاء مجلس الشيوخ (ماتو)، أهلون (مواطنون)، حراس، خدم، وسواهم.

المشاهد: (في رومة، وفي ارباض ساردیس، واریاض فیلبي)

الفصل الأول

المشهد الأول
شارع في رومة

(يدخل فلافيوس ومارلّوس وبعض العامة)

فلافيوس: هيَّا من هنا أيها الكسالى! عودوا الى منازلكم أيها البطّالون. أهذا يوم عيد؟ ألا تعلمون أنكم عمال ولا يجوز لكم أن تخرجوا من منازلكم وتتجولوا في شوارع المدينة في يوم عمل، دون ان تحملوا إشارة عملكم[1]؟ (موجِّهاً الكلام الى أحد العامة) قل لي انت، ما مهنتك؟
أحد العامة: ولِمَ هذا السؤال يا سيدي؟ أنا نجار.
مارلوس: ولكن، أين مئزرك ومسطرتك؟ ولماذا ترتدي أفضل ملابسك؟ وأنت، ما هي مهنتك؟

(مشيراً الى عامي آخر)

العامي الثاني: الحقيقة يا سيدي اني إسكاف، أعيش من سمّ الابرة وفكّي

(١) كان على العامل آنذاك أن يحمل إشارة تدلُّ على مهنته.

المقص. انا لا اتدخل في شؤون التجار ولا في قضايا النساء، إنما اعمل لإحياء الخفاف[1] الهرمة إذا دهمها الخطر. وإن أنبل أشراف الرومان يسيرون على ما صنعته يداي.

فلافيوس: ولكن لماذا انت خارج حانوتك اليوم؟ ولماذا تقود هذا الجمع، وتطوفون في الشوارع؟

العامي الثاني: افعل ذلك في الواقع يا سيدي لتبلى نعالهم فأحصل على مزيد من العمل. كما اننا نعيّد هذا النهار كي نشاهد قيصر، ونفرح بظفره.

مارلوس: تفرحون؟ وبمَ تفرحون؟ وأي نصر رجع به؟ وأين هم الملوك والأمراء من أسراه المكبَّلون في أصفادهم، يحفون بمركبته مزينين موكبه الى رومة؟ ويحاً لكم ايها المواطنون الأغبياء، بل ايها الأحجار والأصنام الصَّماء! يا رجال رومة القساة القلوب والغلاظ الرقاب! أما عرفتم قط بومبايوس[2]؟ كم من المرات تسلقتم الجدران، وملأتم الشرفات والنوافذ، واعتليتم الأبراج وقمم المداخن، وكنتم تجلسون، وأطفالكم في احضانكم، طوال النهار، تنتظرون صابرين لتحظوا برؤية بومبايوس العظيم وهو يخترق بموكبه شوارع رومة، حتى إذا ما أطلَّت مركبته كنتم تطلقون الهتافات الصاخبة، فتهتزُّ لدويّها مياه التيبر[3]، وتُرجّع ضفافه أصداءها المتواترة؟ والآن نراكم ترتدون أجمل الملابس، وتتخذون من هذا اليوم عيداً تنثرون فيه الزهور والرياحين في طريق الرجل الذي يعود بعد انتصاره على ولدَي بومبايوس وفلذتي كبده. هيا! هرولوا الى منازلكم، واجثوا امام الآلهة ضارعين اليها ان ترفع عنكم غضباً نازلاً بكم لا محالة لنكرانكم الجميل وكفرانكم بالمعروف.

---

(١) الخفاف، جمع خف: ما يُلبس بالرِّجل.

(٢) بومبايوس: شريك قيصر ومنافسه في حكم رومة. وقد تغلّب عليه قيصر في موقعة فارساليا، ففرَّ الى مصر حيث اغتيل.

(٣) التيبر: نهر تقع عليه رومة.

فلافيوس: انصرفوا ايها المواطنون الطيبون واجمعوا المساكين امثالكم وقودوهم الى نهر التيبر، واذرفوا دموعكم فيه حتى ترتفع مياهه وتبلل أعالي ضفافه. (يخرج العوام. ثم يوجه كلامه الى مارلوس): أرأيت كيف ان عنصرهم الحقير الدنيء قد بلغ منه التأثر حتى انهم انصرفوا صامتين وقد انعقدت ألسنتهم لشعورهم بالذنب الجسيم الذي ارتكبوه؟ توجَّهْ انت نحو الكابيتول[1]، اما انا فسأسلك هذا الطريق. وإذا ما مررت ببعض التماثيل، فجرّدها مما قد يزينها من معالم الابتهاج والأعياد.

مارلوس: وهل نستطيع ذلك ونحن في عيد « لوبيركال »[2] كما تعلم؟

فلافيوس: لا تسل، بل انزع الأكاليل وغيرها من معالم انتصارات قيصر عن جميع التماثيل. أما أنا فسأطوف في المدينة وأطرد العوام من الشوارع. وهكذا تفعل انت أينما تراهم محتشدين. هذا الريش النامي إذا نتفناه من جناح قيصر قبل أن يتكامل نموُّه، منعناه من التحليق في أجواء العظمة والمجد. وإلا فهو رجل طموح يرتفع ما شاء له الارتفاع، ثم ينقضّ علينا انقضاض الصقور ليكبّلنا بأغلال العبودية ويشيع فينا الذعر والإرهاب.

---

(١) الكابيتول: هيكل جوبيتر القديم في رومة، وقد اتُخذ مقرًا للحكومة.

(٢) اللوبيركال: مهرجان الخصب عند قدماء الرومان، يقع في الخامس عشر من شهر شباط.

المشهد الثاني
ساحة عامة

(قعقعة سيوف: يدخل قيصر، وانطونيوس وقد تأهب للسباق، وكالبورنيا، وبورشيا، وديشيوس، وشيشرون، وبروتوس، وكاشيوس، وكاسكا، يتبعهم حشد من العامة فيهم عرّاف)

قيصر: كالبورنيا!
كاسكا: سكون! قيصر يتكلم.
قيصر: كالبورنيا!
كالبورنيا: نعم يا مولاي.
قيصر: قفي مباشرةً في طريق أنطونيوس عندما يعدو. أنطونيوس!
انطونيوس: مولاي قيصر؟
قيصر: لا تنسَ، وأنت تعدو يا انطونيوس، ان تلمس كالبورنيا لأن أسلافنا يقولون ان العاقر تبرأ إذا ما لمسها أحد العدّائين في هذا السباق المقدّس.
انطونيوس: أمراً وطاعة يا مولاي.
قيصر: هيّا انطلق، ولا تهمل الشعائر المعروفة.
عراف: قيصر!
قيصر: ها؟ مَن يناديني؟
كاسكا: سكون تام.
قيصر: مَن في هذا الحشد يناديني؟ إني أسمع صوتاً دونه أنغام الموسيقى يصرخ «قيصر». تكلم فقيصر سامع!
العراف: إحذر الخامس عشر من آذار.
قيصر: مَن الرجل؟
بروتوس: عرّاف يحذّرك من الخامس عشر من آذار.
قيصر: احضروه أمامي كي أراه.
كاشيوس: أيها الرجل! اخرج من الجمع وقفْ بين يديْ قيصر.

قيصر: ماذ ا قلتَ لي الآن؟ أعِدْه.

العراف: إحذر الخامس عشر من آذار!

قيصر: إنه يهذي. لنتركه وشأنه. هيًا بنا!

(موسيقى. يخرج الجميع ما عدا بروتوس وكاشيوس)

كاشيوس: هل تذهب لمشاهدة السباق؟

بروتوس: لا رغبة لي في ذلك.

كاشيوس: أرجوك، بل أُلحُّ عليك، أن تأتي معي.

بروتوس: لستُ من هواة الرياضة والألعاب. وينقصني الكثير من حيوية انطونيوس ومرحه. واسمح لي يا كاشيوس بأن أتركك الآن، فلا اعوقك عن الذهاب والتمتع بمشاهدة السباق.

كاشيوس: لا أشعر من نظراتك لي هذه الأيام يا بروتوس، بعاطفة الودّ والحنان التي كنت تغمرني بها سابقاً، بل أصبحت أراك تُظهر القسوة والجفاء لصديق أخلص لك الحب والوفاء.

بروتوس: أرجو ألاَّ تنخدع بما يبدو مني يا كاشيوس. فإن كنتُ أخفيت حقيقة واقعي، فما ذلك إلا لأني لا اريد أن يشاركني أحد في الأحزان والآلام التي أخذت تنتابني منذ عهد قريب. فقد كنت فريسة نزوات خاصة بي قد تكون السبب في تصرفاتي السلبية التي أشرت اليها. لذلك أربأ بأصدقائي الخلّص — وأنت واحد منهم — ان يبدلوا نظرتهم إليَّ، او يؤوّلوا إهمالي لهم ونبوّي عنهم، تأويلاً يسيء الى الصداقة التي تشدُّني اليهم. بل أودّ ان يعلموا بأن بروتوس المسكين، في صراع مرير مع نفسه يُنسيه إظهار المحبة واللطف لأصدقائه وخلاّنه.

كاشيوس: إذن، لقد أخطأتُ خطأً كبيراً يا بروتوس إذ أسأت فهم مشاعرك، مما جعلني أكتم عنك أسراراً خطيرة وأُموراً مهمة جديرة بالدرس والتفكير. قل لي يا بروتوس النبيل: هل تستطيع ان ترى وجهك؟

بروتوس: لا يا كاشيوس، لأن العين لا ترى نفسها بدون شيء يعكسها.

كاشيوس: هذا صحيح. ومما يؤسف له كثيراً أن لا تكون لديك المرآة

التي تُريك ما خفي في أعماق نفسك من كرم محتد، وأصالة رأي ورفعة أخلاق. وكثيراً ما سمعت أشراف رومة يئنّون من نير العبودية في هذا العصر، ويتمنون لو ان لبروتوس أعين الآخرين، فيرى نفسه كما يرونه.

بروتوس: أراك تحرجني يا كاشيوس وتجرّني الى خطر كبير، إذ تجعلني أرى في نفسي ما ليس فيَّ.

كاشيوس: إذن إسمع يا بروتوس، ولا يتسرَّبنَّ اليك الشك في صدق ما أقول: لمَّا كنت لا تستطيع رؤية نفسك بدون مرآة، فاسمح لي بأن أكون لك تلك المرآة لترى نفسك على حقيقتها دون مبالغة او مغالاة. اما أنا فلو كنت ضُحْكة بين الناس او ماجناً ثرثاراً في الولائم والمجتمعات، او كنت من المتزلفين المتملقين الذين يتودَّدون للناس لكسب صداقتهم، حتى إذا ما تمَّ لهم ذلك سرعان ما انقلبوا عليهم يتناولونهم بالقذع والاغتياب — إذا عرفتني كذلك يا بروتوس، فاعتبرني عنصراً شرّيراً خطراً غير جدير بثقتك ومحبتك.

(موسيقى وجلبة من بعيد)

بروتوس: ما معنى هذه الجلبة؟ أخشى أن يكون الشعب قد بايع قيصر ملكاً عليه.

كاشيوس: وهل تخشى ذلك؟ إذن اعتقد انك لا توافق عليه.

بروتوس: حتماً يا كاشيوس. لا أرضى بقيصر ملكاً مع اني احبه حباً جماً. ولكن قل لي: لماذا أبقيتني هنا كل هذه المدة الطويلة؟ وما عساك ان تُسِرَّ إليَّ؟ فإذا كان الأمر يتعلق بالمصلحة العامة فإنني أضع الشرف نصب إحدى عينيّ، والموت نصب الأخرى، رابط الجأش في الحالين، وضارعاً الى الآلهة ان تأخذ بيدي لِما فيه خير رومة، بقدر محبتي للشرف واستهانتي بالموت.

كاشيوس: أرى ما في سريرتك من نُبل وشرف يا بروتوس كما أرى ملامح وجهك. والشرف هو موضوع حديثي معك. لا أعرف كيف ينظر الناس

ـــ وأنت منهم ـــ الى معنى الحياة وقيمتها. اما أنا فإني افضّل الموت على حياة الذلّ والرعب في ظل مخلوق حقير مثلي. لقد وُلدت حرّاً كما وُلد قيصر، وأنت كذلك. وكلانا نأكل كما يأكل قيصر، ونتحمل برد الشتاء القارس كما يتحمل هو. وأذكر مرة في يوم عاصف كان فيه « التيبر » غاضباً متلاطم الأمواج، أن التفت إليّ قيصر وقال: أتجرؤ يا كاشيوس ان ترمي بنفسك في هذا النهر الصاخب وتسبح الى ذلك المكان؟ وما كاد يتمّ كلامه حتى قفزت بثيابي في النهر، وطلبت منه ان يحذو حذوي ففعل. وأخذنا نغالب الأمواج العاتية بعضلاتنا المفتولة ونشقّ طريقنا دونما خوف او وجل. ولكن قبل أن نصل الى الهدف المنشود، سمعت قيصر يصرخ قائلاً: أجِرْني يا كاشيوس وإلا غرقت. أجل، انتشلته من الماء وقد أعياه التعب، وحملته كما حمل جدّنا « إينياس »[1] على كتفه والده الهرم « أنكيزس » وفرَّ به هارباً من « طروادة » المشتعلة. والآن يصبح هذا الانسان إلهاً، ويبقى كاشيوس مخلوقاً بائساً حقيراً يخرّ على الأرض ساجداً له إذا ما حانت منه التفاتة او بدرت منه إيماءة خاطفة!

وفي اسبانيا اعترته الحمّى. وكلما انتابه عارض، كنت أرى هذا الإله يرتجف وينتفض وقد ابيضّت شفتاه ألماً وجبناً. كما ان تلك العين التي كانت نظراتها تروّع العالم قد فقدت بريقها. سمعته يئنّ. وسمعت ذلك اللسان الذي كان يأمر الرومان بطاعته وتدوين خطبه في كتبهم يقول: اعطني شربة ماء يا « تيتنيوس » كما تطلب الفتاة المريضة. رحماك أيتها الآلهة! كيف يتسنى لرجل ضعيف كقيصر ان يحتل مركز الصدارة في عالم متمدن ويتبوّأ سدّة المجد والفخار دون سواه؟

(صياح وقعقعة سيوف)

---

(١) اينياس: أمير طروادي حمل والده المسنّ « أنكيزس » وفرّ به من طروادة، عندما استولى عليها الإغريق بعد حرب دامت عشر سنوات وأضرموا فيها النيران. جاء اينياس ايطاليا واستوطنها، وأصبح بعد موته إلهاً يُعبَد.

بروتوس: هتاف وتصفيق ايضاً؟ لا شك ان الجماهير تهتف ابتهاجاً بتتويج قيصر بالمزيد من أكاليل النصر والمجد والفخار.

كاشيوس: يا له من رجل! كأنه تمثال هائل[1] يركب العالم الصغير بإحدى رجليه في الغرب، والاخرى في الشرق، ونحن الأقزام نمشي من بين ساقيه نبحث عن قبور نتوارى فيها مع خزينا وعارنا. والانسان في كثير من الأحيان يقرّر مصيره بنفسه. فالذنب يا عزيزي بروتوس ليس في سوء طالعنا، بل في استسلامنا وخنوعنا لحياة الذل والهوان. « بروتوس » و « قيصر »: أي سحر يا ترى في كلمة « قيصر »؟ وبماذا يتميز هذا الاسم عن اسمك يا بروتوس حتى يكون ملء الأسماع؟ اكتبهما جنباً الى جنب وانظر اليهما، ترَ أن اسمك لا يقلُّ جمالاً وفتنة عن اسمه. الفظهما، فلا تجد اسمه أكثر عذوبة وصفاء. ضعهما في الميزان فتتعادل الكفتان. ادعُ بهما في ممارسة السحر، فلا يكون اسمك أقل سرعة من اسمه في إحضار الأرواح والأشباح. فباسم الآلهة جميعاً قل لي: بماذا كان يقتات حتى بلغ هذه الضخامة؟ واهاً لكم أيها الرومانيون! ويحاً لكِ يا رومة! لقد عجزت عن إنجاب الشرفاء من أبنائك. أي عصر من عصور التاريخ، منذ عهد الطوفان الى يومنا هذا، عزَّ وازدهر بفعل رجل واحد فقط؟ ومتى كان زمان لم تتسع فيه رومة ــ على رحبها ــ إلا لرجل واحد؟ آه يا بروتوس! ألم نسمع آباءنا يقولون ان أحد أجدادنا الأقدمين واسمه « بروتوس »[2] ما كان يفرق بين ملك وشيطان يحكم رومة ويتنعم بأمجادها؟

بروتوس: لا أشك أبداً في حبِّك لي يا كاشيوس. بيد أن لي رأياً في ما تحاول إغرائي على فعله، اطلعك عليه في الوقت المناسب. أما الآن فباسم الصداقة بيننا أرجوك ان لا تثير مشاعري أكثر مما فعلت. إن ما

---

(١) ربما كان ذلك إشارة الى تمثال « أبولو » النحاسي، المنفرج الساقين، عند مدخل ميناء « رودس ». وهو من عجائب الدنيا السبع.

(٢) أحد أسلاف مرقس بروتوس الذي طرد « تركوينوس » آخر ملوك رومة الطغاة.

نقله لي سآخذه في الاعتبار. وما تعرضه عليَّ في المستقبل سأصغي اليه بتروٍّ وصبر. وإني سأتحين الفرص المناسبة لأبادلك الرأي في هذه القضايا المهمة. وفي غضون ذلك، فكِّرْ بالأمر ملياً أيها الصديق النبيل، عالماً ان بروتوس يفضِّل ان يكون قروياً بسيطاً على ان يعتبر نفسه ابناً لرومة، يقبل بما تفرضه علينا الظروف في هذا الوقت العصيب.

كاشيوس: يسرّني ان تكون عباراتي الضعيفة قد تركت في نفسك هذا الأثر العميق يا بروتوس، وأضرمت جذوة الحماسة والإباء.

بروتوس: لقد انتهت الألعاب، وها قيصر عائد.

كاشيوس: عندما يمر بنا موكب قيصر، اسحب كاسكا من كمِّه فيقص علينا بأسلوبه الساخر ما جرى اليوم من امور جديرة بالاهتمام.

(يدخل قيصر وحاشيته)

بروتوس: سألبِّي طلبك. انظر يا كاشيوس كيف ان امارات الغضب بادية على وجه قيصر. وأتباعه يشبهون أُناساً خجلين بعد تأنيب شديد. فوجه كالبورنيا شاحب، وشيشرون يتطاير الشرر من عينيه غضباً، كما اعتدنا رؤيته في دار الحكومة يجادل مَن خالفه الرأي من شيوخ المجلس.

كاشيوس: كاسكا سيخبرنا سبب ذلك.

قيصر: انطونيوس!

انطونيوس: مولاي قيصر.

قيصر: أحيطوني برجال سمان، ملس الشعور، ينامون الليل كله. اما كاشيوس البادي الترقّب والتحفّز، والكثير التفكير وعميقه، فهو من اولئك الرجال الخطرين الذين لا يُؤمَن لهم جانب.

انطونيوس: لا تخشَه يا قيصر، فهو ليس خطراً. إنه روماني نبيل، رفيع التهذيب، دمث الأخلاق.

قيصر: ليته كان أكثر بدانة مما هو عليه. غير أني لا أخشاه. فلو كان لقيصر ان يخاف، لَما وجد مَن يتفادى شرّه غير ذلك الرجل الهزيل كاشيوس، فإنه كثير المطالعة شديد الملاحظة، يسبر أغوار الرجال وينفذ الى أعماق

تصرفاتهم وأعمالهم. إنه لا يميل الى اللهو واللعب مثلك يا انطونيوس. ولا يستمع الى الموسيقى، قليل الابتسام، وإن ابتسم كان كمن يهزأ من نفسه ويحتقرها، إذ تثور مشاعره فيبتسم لأي شيء كان. وأمثاله من الرجال لا يهدأ لهم بال إذا ما رأوا مَن كان أقوى منهم وأشد صلابة. ولذلك كان خطرهم كبيراً. وأحرى بي أن أذكر ما يخيف الغير لا ما يخيفني أنا قيصر. تحوَّلْ الى يميني لأن هذه الأُذن صمَّاء، وصارحني برأيك فيه.

(موسيقى. يخرج قيصر وحاشيته إلا كاسكا)

كاسكا: جذبتني بكمّ ردائي، فهل كنت تريد الكلام معي؟

بروتوس: أجل يا كاسكا. قل لنا ماذا جرى اليوم، حتى بدا هذا التجهم على وجه قيصر؟

كاسكا: لمَ هذا السؤال؟ لقد كنتَ معه. أليس كذلك؟

بروتوس: لو كنتُ معه لَما سألت كاسكا عما جرى.

كاسكا: لقد قُدِّم له تاج، فدفعه بظهر يده هكذا. فَعَلا هتاف الشعب.

بروتوس: والصراخ الثاني، ما سببه؟

كاسكا: السبب نفسه.

كاشيوس: لقد هتفوا له ثلاثاً. فما سبب الهتاف الأخير؟

كاسكا: السبب نفسه ايضاً.

بروتوس: هل قُدِّم له التاج ثلاث مرات؟

كاسكا: أجل، دون ريب. وثلاث مرات رفضه. وفي كل مرة كان ينحِّيه برفق أكثر من سابقتها. وفي كل مرة كان أصدقاؤنا الأوفياء يهللون له ويهتفون.

كاشيوس: ومَن قدَّم له التاج؟

كاسكا: إنه انطونيوس.

بروتوس: قل لنا كيف جرى ذلك يا عزيزي كاسكا.

كاسكا: الشنق أهون عليَّ من وصف ما جرى. لقد كان عملاً جنونياً لم أعِرْه انتباهي. رأيت مرقس انطونيوس يقدم له تاجاً، ولكنه لم يكن تاجاً بمعنى الكلمة، بل كان إكليلاً صغيراً من الأزهار. وكما أخبرتك،

لقد رفضه في المرة الأولى، ونحّاه جانباً، مع أنه ــ كما أظن ــ كان يتمنى لو يأخذه. ثم قدّمه له مرة ثانية فرفضه ايضاً، ولكنه ــ على ما أظن ــ كان شديد الكره لأن يبعد يده عنه. وقدّمه له ثالثة فرفضه كذلك. وفي كل مرة رفض فيها قيصرُ التاجَ كان أفراد الشعب يصرخون ويصفقون بأيديهم المشققة، ويقذفون يقبعاتهم في الهواء مالئين الفضاء بأنفاسهم الكريهة التي كاد قيصر يختنق منها. فأُغمي عليه وسقط أرضاً من جرّائها. أما أنا فلم أجرؤ على الضحك خشية ان أفتح فمي فيدخل هذا الهواء النتن.

كاشيوس: مهلاً يا كاسكا! قل لي: هل أُغمي على قيصر؟

كاسكا: لقد سقط في وسط الساحة، وأرغى فمه وأزبد، ولم ينبس ببنت شفة.

بروتوس: هذا محتمل جداً، فهو مصاب بداء الصرع.

كاشيوس: كلا ليس قيصر المصاب به، بل انت وأنا وكاسكا الطيب المصابون بذاك الداء، داء السقوط فالسجود وتعفير الجباه.

كاسكا: لا أفهم ما تعني بقولك هذا. ولكني على يقين من أن قيصر هوى مغشياً عليه. وإذا كان اولئك الرعاع لم يصفقوا له استحساناً إذا أرضاهم، أو لم يهسهسوا استهجاناً إذا أغضبهم، كما كانت حالهم مع الممثلين في المسارح، فلا أكون رجلاً صادقاً جديراً بثقتك بعد الآن.

بروتوس: وماذا قال عندما ثاب اليه رشده؟

كاسكا: أوّاه! قبل ان يغمى عليه رأى بأمّ عينه ذلك القطيع من العامة فرحين مهللين لرفضه التاج. فجذبني اليه طالباً إليَّ أن أفتح صدرته، ثم مدَّ لهم رقبته ليقطعوها. وإني لأستحق غضب الآلهة ونار جهنم مع الأشرار الفاجرين لو كنت واحداً من اولئك العمال، ولم أستجب الى طلبه وأقضِ عليه. وعلى الأثر سقط مغشياً عليه، ولما عاد اليه صوابه طلب من النبلاء حوله الصفح عما يكون قد بدر منه ما يؤاخذ عليه، راجياً اعتباره من نتائج مرضه. وكان بالقرب منه ثلاث او اربع فتيات صرخنَ « واحسرتاه أيتها النفس الزكية! » وتأكد أنه لو كان قيصر قد طعن أُمهاتهنَّ لَما كنَّ ليفعلنَ أقل من ذلك.

بروتوس: ألهذا السبب انصرف كئيباً حزيناً؟

كاسكا: نعم.
كاشيوس: وهل قال « شيشرون » شيئاً؟
كاسكا: نعم، ولكنه رَطَنَ باليونانية.
كاشيوس: وماذا قال؟
كاسكا: لا أرتكم الآلهة وجهي لو كان في استطاعتي إعادة ما قال ولم أفعل. بيد أن الذين فهموه كانوا ينظرون بعضهم الى بعض ويهزّون رؤوسهم مبتسمين. أما بالنسبة لي فقد كانت كلماته ألغازاً في ألغاز. وخبر آخر أنقله اليكم، هو أن « مارلوس وفلافيوس » زُجّا في غياهب السجون لأنهما كانا ينزعان معالم الزينة عن تماثيل قيصر. الى اللقاء. لقد حصلت مهازل أخرى حبّذا لو أمكنني تذكُّرها.
كاشيوس: أتحب ان تتناول معي طعام العشاء هذا المساء يا كاسكا؟
كاسكا: كلا، إني مرتبط بموعد سابق.
كاشيوس: إذن تتغدّى معي غداً؟
كاسكا: أجل! إذا كُتبت لي السلامة وبقيت حيّاً الى الغد. هذا إذا لم تغيّر رأيك وكان الطعام شهياً يستحق عناء الحضور.
كاشيوس: إذن أنتظرك.
كاسكا: وهو كذلك. الوداع لكما.

(يخرج كاسكا)

بروتوس: يا له من رجل بليد! عجباً كيف تغيَّر بعد ان كان في صغره تلميذاً على جانب كبير من الذكاء.
كاشيوس: والآن في استطاعته ان ينجز أي عمل شريف او مهمة خطيرة يوكلان اليه، بالرغم مما يظهر عليه من دلائل الغباء والخمول. وإذا ما امتزجت خشونة أخلاقه بذكائه كانت كالتوابل في الطعام، تجعل كلماته حلوة لذيذة يستسيغها الناس برغبة وشهية.
بروتوس: وهو كذلك. والآن أتركك. وإذا أردت الكلام معي غداً فإما اقابلك في بيتك، او — إذا لم يكن لديك مانع — تجيء الى منزلي حيث أكون في انتظارك.

كاشيوس: سآتي اليك. وإلى أن نلتقي فكّرْ في ما يتعلق بنا من شؤون الحياة ومجرياتها.

(يخرج بروتوس)

إيه بروتوس! إنك لشريف! ولكني أرى أن عنصرك الطيب يمكن تحويله عما هو مطبوع عليه. ومن المستحسن ان يلتقي ذوو الأخلاق العالية بأندادهم النبلاء. أين هو الرجل الصامد، الثابت على مبادئه، الذي لا يمكن إغراؤه وتوجيهه نحو الشر؟ إن قيصر يكرهني، ولكنه يحب بروتوس. فلو كنت بروتوس وكان بروتوس كاشيوس، لَما استطاع ان يؤثر بي ويثنيني عن متابعة طريقي فيالحياة. سأرمي الليلة خلال نافذة منزله عدة رسائل بخطوط متنوعة كأنها واردة من بعض المواطنين، يشيدون فيها بما لبروتوس من مكانة مرموقة في رومة، ويلمحون من طرف خفي لِما لقيصر من مطامح ومطامع. وليتمتع قيصر بعد ذلك بسلطانه وجبروته! إننا وحق الآلهة سنثل العرش من تحته... وإلا ذقنا منه الأمرَّين.

(يخرج)

المشهد الثالث

(شارع في رومة)

(يسود رومة الظلام. برق ورعد وسط العاصفة.
يدخل كاسكا من جهة شاهراً سيفه، وشيشرون من الجهة الأخرى)

شيشرون: عِمْ مساء يا كاسكا! هل واكبتم قيصر الى منزله؟ لماذا تلهث، ولماذا تحدّق هكذا؟

كاسكا: ألا يروعك زلزال الأرض وعدم استقرارها على حال؟ آه يا شيشرون!

لقد شاهدت عواصف هوجاء تقتلع رياحها العاتية أشجار السنديان من جذورها وتمزقها شر تمزيق. كما رأيت البحر غاضباً يرغي ويزبد، تتلاطم أمواجه الصاخبة وترتفع نحو الغيوم في كبد السماء. غير أني حتى الليلة، بل الى هذه اللحظة، لم أرَ عاصفة تمطر ناراً من السماء. فإما هنالك حرب أهلية شعواء تدور رحاها بين الآلهة، أو ان البشر كفروا بنعمتها واستفزّوا غضبها لتنزل بهم الخراب والدمار.

شيشرون: آه! وهل رأيت ما هو أغرب من ذلك؟

كاسكا: رأيت عبداً ــ تعرفه جيداً لو رأيته ــ يرفع يده اليسرى وهي تشتعل وتلتهب كأنها عشرون مشعلاً مجتمعة، ومع ذلك لم تحترق او تشعر بحرارة النار. كذلك ــ ولم أكن أغمدت سيفي بعد ــ التقيت بالقرب من دار الحكومة أسداً كان يحدق بي تحديق التهديد والوعيد، ولكنه مرَّ بي ودون ان يمسّني بأذى. ورأيت أيضاً حشداً من النساء لا يقلّ عن مئة امرأة شاحبات الوجوه كنَّ مخيفات كالأشباح، أقسمنَ أنهن أبصرنَ رجالاً رائحين وغادين في الشوارع، والنيران تحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم. والبارحة رأيت البوم يجثم فوق الأسواق عند الظهيرة، يملأ الفضاء بزعيقه ونعيقه المشؤوم. وإذا ما حدثت هذه الخوارق، فلا يقولنَّ أحد أنها ظاهرات طبيعية لها عواملها وأسبابها. فإني أعتقد انها علامات تنبيء بخطْب جلَل، وتنذر بشرّ مستطير يصيب مكان حدوثها.

شيشرون: حقاً، إنه لزمن العجائب. غير أن الناس قد يفسرون الأحداث حسبما يتراءى لهم بعيداً عن حقيقة طبيعتها. قل لي، هل سيحضر قيصر الى دار الحكومة غداً؟

كاسكا: نعم. فقد كلف انطونيوس ان يحيطك علماً بذلك.

شيشرون: والآن، طابت ليلتك يا كاسكا. واعلم انه لا يحسن التجول في مثل هذا الجو المكفهرّ المضطرب.

كاسكا: وداعاً يا شيشرون.

(يخرج شيشرون. يدخل كاشيوس)

كاشيوس: مَن هناك؟

كاسكا: مواطن روماني.

كاشيوس: عرفتك من صوتك يا كاسكا.

كاسكا: إنك لمرهف السمع يا كاشيوس. ما هذه اللية الليلاء؟

كاشيوس: إنها ليلة طيبة للطيبين.

كاسكا: مَن كان يخطر في باله أن السماء تتوعّد البشر هكذا؟

كاشيوس: إنهم اولئك الذين يعلمون أن عالمنا مليء بالمعايب والذنوب. أما أنا فقد طفتُ في الشوارع متعرضاً لِما في هذه اليلة من مخاطر. وها سترتي — كما ترى — غير مزرّرة، وصدري مكشوف للصواعق. وعندما كان وميض البرق يشقّ كبد السماء كنت لا أتورَّع عن متابعة السير في نوره الوهّاج.

كاسكا: ولكن لماذا تتحدّى السماء هكذا؟ فمن حقنا نحن البشر أن نرتجف خوفاً عندما تفاجئنا الآلهة الكلية القدرة بمثل هذه العلامات التي تنبيء بالويل والثبور وعظائم الأمور.

كاشيوس: إنك لغبي يا كاسكا. فإما ينقصك توقُّد الذكاء وإشعاع الحياة اللذان يتَّسم بهما المواطن الروماني، أو أنك لا تحسن استعمالها. فإني أراك شاحب الوجه، حائر العينين، يستبدّ بك الرعب، وتعتريك الدهشة أن ترى السماء قد عيل صبرها وضاقت ذرعاً ببني البشر. ولكن إذا أمعنت النظر في الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرات، لَتساءلت: لمَ هذه النيران وتلك الأشباح المتسللة في كنف الظلام؟ ولمَ الطيور والوحوش تتصرف خلافاً لطبائعها، والمسنّون والأولاد والحمقى قد انقلبت أوضاعهم رأساً على عقب؟ لماذا تحوَّلت هذه الأشياء عن سننها الطبيعية وقدراتها الأصيلة، لتصبح غريبة الأطوار تملأ القلوب خوفاً وترقّباً؟.. إذا فكَّرت في هذا كله لَوجدت أن الآلهة قد نفثت فيها تلك الروح التي جعلت منها مؤشرات لأحداث رهيبة وشيكة الوقوع. والآن، أستطيع يا كاسكا ان اسمّي لك رجلاً شبيهاً بهذه الليلة المروعة البغيضة، التي ترعد وتبرق وتفتح القبور وتزأر كالأسد في دار الحكومة — رجل لا يفوقك او يفوقني قوة وقدرة في حياته العادية،

ولكنه انتفخ وضخم حتى أصبح لا يقلّ رعباً وسوءاً عما شهدنا في هذه الليلة من عجائب وغرائب.

كاسكا: إنك تعني قيصر يا كاشيوس، أليس كذلك؟

كاشيوس: ليكن أياً كان. فللرومانيين اليوم سواعد قوية وعضلات مفتولة كما كان لأسلافهم. ولكن تبّاً لهذا الزمان! فقد مات فينا بأسهم وإباؤهم، واستبدَّ بنا ضعف النساء، فأصبحنا مخنَّثين نئنُّ تحت نير الظلم والاستبداد، ولا حول لنا ولا طَوْل.

كاسكا: حقاً، لقد سرَتْ شائعات بأن في عزم مجلس الشيوخ ان ينصّب قيصر ملكاً، فيلبس التاج براً وبحراً في كل مكان إلا في إيطاليا.

كاشيوس: حينذاك أعرف أين أغمد خنجري هذا، فيتمكن كاشيوس من تحرير نفسه من ربقة العبودية. رحماك أيتها الآلهة! اجعلي من ضعفنا قوة، واهزمي الطغاة الظالمين شرَّ هزيمة، ولا تسمحي للأبراج الحصينة والأسوار المنيعة والسجون الخانقة والأغلال والقيود ان تقهر قوى الروح وتذلّها. فالانسان متى سئم الحياة وضاق ذرعاً بويلاتها ومآسيها، فليس ثمة قوة تردعه عن خطفها بيده. فإذا كنت أعي ما أنا عليه من بؤس وشقاء — وبإمكان سواي ذلك — استطعت ان أسهم في رفع نير الاستعباد عن عنقي وفي تحطيم كأس الذلّ والهوان التي أتجرَّعها متى أشاء.

كاسكا: وكذلك استطيع أنا. بل يمكن كل عبد ان يحرر نفسه بيده.

كاشيوس: إذن لماذا يطغى قيصر ويتجبَّر؟ يا للمسكين! فإنه لم ينقلب ذئباً ضارياً إلا حين رأى الرومانيين قطيعاً من النعاج. وإنه لم يستأسد لو لم يكن الرومانيون وعولاً جبناء. ألا تعلم يا كاسكا ان معظم النار من مستصغر الشرر؟ إيه رومة! ما أحطّكِ وما أدناكِ ان تكوني في تلك النفاية التي تحترق لتنير رجلاً حقيراً مثل قيصر! أُفٍّ لك أيها الأسى! الى أين تدفعني؟ ربما كنت أخاطب عبداً اعتاد حياة الذلّ والهوان، فتكون عاقبة كلامي وخيمة. ولكن لا بأس، إن لي من شرف محتدي سلاحاً يقيني الخوف من شرّ العقاب.

كاسكا: إنك تخاطب كاسكا، تخاطب رجلاً ما اعتاد التملّق والمداهنة،

ولا الاغتياب والوشاية. كفى! ها يدي أمدُّها لأُصافحك وأعاهدك. ادعُ الى مؤامرة لإصلاح ما فسد، ترَني الى جانبك أُبلي فيها البلاء الحسن.
كاشيوس: اتفقنا إذن. واعلم يا كاسكا أني قد حرَّضت بعض أشراف الرومان وعقلائهم للاشتراك معي في مغامرة عاقبتها خطرة، ولكنها في الوقت نفسه خطيرة وشريفة. وهم الآن في انتظاري في رواق مسرح « بومبايوس »، لأن السكون يخيّم على الشوراع في هذه الليلة المروعة. واحمرار وجه السماء شبيه بما نحن قادمون عليه من عمل دموي جهنمي رهيب.

(يدخل سنّا)

كاسكا: اختبىء هنا قليلاً ولُذْ بالسكون. فاني أرى شبحاً قادماً الينا على عجل.
كاشيوس: إنه سنّا، أعرفه من مشيته. وهو من أصدقائنا. (مخاطباً سنّا »: لماذا انت مسرع يا سنّا؟
سنّا: لأني أبحث عنك. مَن ذاك الرجل؟ متلّوس سمبر؟
كاشيوس: كلا. انه كاسكا، أحد الشركاء في ما نحاول عمله. ألستم في انتظاري يا سنّا؟
سنا: إني فرح لانضمامه الينا. يا لهول هذه الليلة! ان اثنين او ثلاثة منا قد شاهدوا أشياء غريبة.
كاشيوس: قلت أَلستم في انتظاري؟ أجبني.
سنا: بلى، اننا ننتظرك. ليتك يا كاشيوس تستميل بروتوس الى زمرتنا.
كاشيوس: كن مطمئناً. خذْ هذه الورقة يا سنّا وتأكد من وضعها في كرسي القاضي بحيث يلتقطها بروتوس لا سواه. وارمِ هذه الأوراق الى نافذة غرفته. ثم الصقْ هذه بالشمع على تمثال جدّه بروتوس. وبعد ان تفرغ من توزيعها عُدْ الى رواق مسرح « بومبايوس »، وهناك تجدنا. هل ديشيوس بروتوس وتريباتيوس هناك؟
سنا: كلهم هناك إلا متلّوس سمبر، فانه ذهب الى منزلك يبحث عنك. والآن سأسرع كي اوزّع الأوراق كما طلبت إليَّ.
كاشيوس: بعد ان تفرغ من توزيعها، عدْ الى مسرح « بومبايوس ».

(يخرج سنّا)

تعالَ يا كاسكا نذهب معاً لمقابلة بروتوس في بيته قبل طلوع النهار، فقد كدنا ان نربحه. وعسى أن يتمَّ نجاحنا معه في المقابلة القادمة، فينضم بكلّيته الينا.

كاسكا: ان لبروتوس مكانة عالية في قلوب الجميع. وإنْ ظهر فينا عيب فسرعان ما يصلحه ويلبسه ثوب الفضيلة، فاعلاً فيه ما تفعل الكيمياء القديمة في المعادن، إذ تحوّلها الى ذهب.

كاشيوس: لقد أحسنت وصف بروتوس وتقييم قدره ومكانته وحاجتنا اليه، إذ شبَّهته بالكيمياء القديمة وفعلها. والآن وقد تجاوزنا منتصف الليل، هيَّا بنا اليه لإيقاظه والتأكد من وقوفه في صفنا قبل بزوغ الفجر.

(يخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الأول

رومة ــ حديقة بروتوس

(يدخل بروتوس)

بروتوس: لوشيوس! تعال، اني اريدك. لا أعرف بمواقع النجوم كم بقي من الليل... لوشيوس! اني اناديك يا لوشيوس... يا ليتني أخطىء وأستغرق في سبات عميق مثله... متى تسمعني يا لوشيوس؟ اني اناديك. هيَّا! استيقظ.

(يدخل لوشيوس)

لوشيوس: أناديتني يا مولاي؟

بروتوس: خذ شمعة الى مكتبي يا لوشيوس، ومتى تشعلها تعالَ وأخبرني.

لوشيوس: سمعاً وطاعة يا مولاي.

بروتوس: لا تتحقق الحرية لرومة إلا بموت قيصر. أما أنا، فالمصلحة العامة لا الشخصية هي التي تدفعني الى ضرب قيصر والقضاء عليه. انه راغب في التاج. فإلى أي حد يا ترى يغيّر ذلك من طباعه! هذا بيت القصيد. في نور الشمس تخرج الأفاعي من جحورها، وحينذاك يجب الحذر والتأنّي

في السير. فلو توَّجناه ملكاً لجعلنا منه أفعى تنفث سمومها ساعة تشاء. والسلطة يُساء استعمالها متى تجرَّدت من الشفقة والحنان. اني، والحق يقال، لم أعهد قيصر قَط تتحكم عاطفته في عقله. ولكن من الثابت في غالب الأحيان، أن الانسان الطموح يأخذ، في بداية حياته العملية، بارتقاء سلَّم النجاح متسربلاً بالتواضع والوداعة، حتى إذا ما وصل الى أعلاه أولاه ظهره شامخاً بأنفه الى العلاء، مزدرياً بدرجاته الدنيا التي صعد عليها، فبلغ ما بلغ من مجد وسؤدد وسلطان. وهذا ما قد يفعله قيصر. لذلك يجب تلافي الخطر قبل وقوعه. ولما كان قيصر، في وضعه الراهن، لا يعطينا المبرّر للتصدِّي له، يجدر بنا ان نضع القضية على هذا الشكل: إذا تمادى قيصر في عنفوانه وجبروته الى حد العبث بالسلطة وإساءة استعمالها فانه يصبح شبيهاً ببيضة الأفعى التي إن كبرت ونقفت القشرة خرجت أفعى خطرة كسائر أفراد نوعها. لذلك وجب قتلها في قشرتها.

(يعود لوشيوس)

لوشيوس: الشمعة مضاءة في مكتبك يا سيدي. وإني إذ كنت أبحث عن حجر للزناد في عتبة النافذة، وجدت هذه الورقة مختومة كما تراها. وأنا على يقين من أنها لم تكن هناك عندما عدت لآوي الى فراشي.

(يناوله الرسالة)

بروتوس: ارجعْ الى فراشك يا لوشيوس ونَمْ، فان النهار لم يطلع بعد. أليس يوم غد الخامس عشر من آذار؟

لوشيوس: لست أدري يا سيدي.

بروتوس: راجع التقويم وأخبرني.

لوشيوس: سمعاً وطاعة يا سيدي.

(يخرج)

بروتوس: إن الشهب التي تخترق أجواء الفضاء، تبدّد أشعَّتها حجب الظلام، فأتمكن بنورها الساطع من قراءة هذه الرسالة.

(يفضُّها ويقرأ)

إنك غارق في نوم عميق يا بروتوس. أفِقْ من سباتك واعرف مَن انت. أتصبح رومة...؟ تكلَّم. انقذ. انك نائم يا بروتوس. استيقظ. انهض. كم من رسالة تحريض زرعت في سبيلي ولم أعِرْها انتباهي! أتصبح رومة...؟ لقد آن الأوان لأن أتصوَّر العبارة وأتمها: أتصبح رومة ذليلة يستبدُّ بها رجل واحد ويذيقها مُرّ الهوان؟ ويحك يا رومة! ألا فاعلمي أن أسلافي القدماء قد طردوا « تركوينوس » آخر ملك حكمَ رومة واستبدَّ برقاب أبنائها... تكلم. اضرب. انقذ. أبحاجة أنا الى مَن يستفزّني لأتكلم وأضرب؟ إيه رومة! لكِ عليَّ العهد انه إذا ما دنت الساعة فإنك ستنالين على يد بروتوس كل ما تصبو اليه نفسك الأبيَّة من حرية وكرامة.

(يرجع لوشيوس)

لوشيوس: مولاي! لقد انقضى من آذار اربعة عشر يوماً.

(قرع خلف المسرح)

بروتوس: حسناً! أسرع الى الباب، فهناك من يطرق.

(يخرج لوشيوس)

لم يذُقْ جفني طعم الكرى منذ حرَّضني كاشيوس على قيصر. وما الفترة بين التفكير والتنفيذ إلا كحلم مرعب، يقوم خلالها النزاع في داخل الانسان بين روحه وعاطفته، بين الخالد منه والفاني. فيصبح وكأن حرباً أهلية غلَتْ مراجلها بين عقله وجوارحه من الجهة الأخرى.

(يعود لوشيوس)

لوشيوس: إنه صهرك كاشيوس بالباب يريد مقابلتك.
بروتوس: أهو وحده؟
لوشيوس: كلا يا سيدي. معه آخرون.
بروتوس: أتعرفهم؟

لوشيوس: كلا يا مولاي. ان قبعاتهم مشدودة حتى آذانهم. ومعاطفهم تحجب ما تبقّى من وجوههم. فلا أستطيع، والحالة هذه، أن أتعرَّف اليهم بملامحهم.
بروتوس: ليدخلوا.

(يخرج كاشيوس)

إنهم المتآمرون. ويحك أيتها المؤامرة! أتخجلين من إظهار وجهك الرهيب حتى في جنح الظلام، فيما المفاسد والشرور سافرة حرَّة طليقة؟ أي كهف في النهار يا ترى يستطيع ظلامه، مهما ادلهمّ، ان يستر وجهك البشع! كلا أيتها المؤامرة! لا تحاولي ذلك. بل لتكن الابتسامة الحلوة والبشاشة البريئة حجاباً لك. فانك لو سرتِ على الطبيعة لَما استطاعت ظلمات الجحيم الحالكة ان تخفيك عمن هم لك بالمرصاد.

(يدخل المتآمرون: كاشيوس ــ كاسكا ــ ديشيوس ــ سنّا ــ متلّوس ــ تريبونيوس)

كاشيوس: أظن أننا اجترأنا على راحتك. عِمْ صباحاً يا بروتوس. هل أزعجناك؟
بروتوس: لم يغمض لي جفن طوال الليل، وقد نهضت من فراشي قبل ساعة. هل لي أن أتعرّف على هؤلاء الرجال الذين معك؟
كاشيوس: أجل! لك أن تتعرّف على كل واحد منهم. وكلهم ــ بلا استثناء ــ معجبون بك، يقدّرونك ويجلُّونك، ويتمنون لو أنك ترى نفسك كما يراك كل روماني نبيل، وتحلّها المكانة العالية التي لك في قلوبهم... هذا تريبونيوس.

بروتوس: أهلاً وسهلاً به.
كاشيوس: وهذا ديشيوس بروتوس.
بروتوس: مرحباً به أيضاً.
كاشيوس: وهذا كاسكا. وهذا سنّا. وهذا متلّوس سمبر.
بروتوس: أهلاً بكم جميعاً. ما الذي أقلقكم فأرّقكم ولم تذق أجفانكم الكرى طوال الليل؟
كاشيوس: أتسمح لي بكلمة أُسرّها اليك؟

(يتهامسان)

ديشيوس: هذه جهة الشرق. ألا يطلع النهار من هنا؟

كاسكا: كلا.

سنّا: عفواً يا سيدي. من هنا يطلع النهار، وها هي الخيوط الفضية التي تخترق سُحب الغمام تبشر بطلوعه.

كاسكا: كلاكما على خطأ. فمن هنا، حيث أُشير بسيفي، تشرق الشمس الآن، بانحراف كبير نحو الجنوب، لأننا في فصل الربيع. وبعد حوالي شهرين من الآن، يكون بزوغها من الشرق بشمال. أما الشرق بالضبط فيقع في خط الهاجرة فوق رؤوسنا، كما يقوم الكابيتول في وسط رومة.

بروتوس: هاتوا أيديكم لأصافحكم واحداً فواحداً.

كاشيوس: ونقسم على الوفاء بعهدنا.

بروتوس: لا، لا يمين على الاطلاق. فإذا كانت وجوه الناس الشاحبة بؤساً وشقاء، وآلام النفوس المعذّبة المُهانة، ومساوىء العصر الغاشم ـــ إذا كانت كل هذه أسباباً واهية لا تُلزمنا بعهود أخذناها، ولا تربطنا بمواثيق عقدناها، فلنتفرّق حالاً ويرجع كل واحد منا الى فراشه، فيخلو الجو للطاغية المتجبر ليصبَّ النوازل والفواجع على رؤوسنا، فنتساقط الواحد تلو الآخر تساقُط أوراق الخريف. أما إذا كانت هذه الأسباب كافية، على ما أعتقد، لتلهب صدور الجبناء بنار الحماسة، وتنفث في قلوب النساء الواهنة روح الجرأة والبسالة، فأي حافز لنا، أيها الرفاق المواطنون، غير القضية العادلة تستحثنا للدفاع عن حريتنا وكرامتنا؟ وأي رابط آخر يشدّنا بعضنا الى بعض، سوى كوننا أبناء لرومة نكتم الأسرار، ونفي بالعهود، ولا نخون الأمانة؟ وأي يمين كتواعد الشرفاء ووقوفهم صفاً واحداً للنضال في سبيل تحقيق الأماني والآمال؟ وإلا عصف بنا الطغيان وجعلنا أثراً بعد عين. دعوا اليمين للكهنة والجبناء والمراوغين المخادعين وسواهم من صغار النفوس الذين أِلفوا الخنوع، واعتادوا الصبر على الضيم. أجل، يقسم هؤلاء وأمثالهم، لأن قضاياهم خسيسة شائنة، وحسن نواياهم موضع شك وريبة. واعلموا أن كل يمين، بل مجرَّد التفكير بها، هو وصمة عار في جبين قضيتنا، وطعنة نجلاء في صميم قلوبنا الجريئة التي لا تلين لها قناة. فالروماني لا يكون رومانياً من صلب

روماني كريم المحتد يجري في عروقه دم النبل والشرف، إذا ما نكث بذرَّة من عهد قطعه على نفسه.

كاشيوس: ما قولكم في شيشرون؟ هل نسبر غوره؟ من الراجح أنه يقف الى جانبنا ويظاهرنا بكل قواه.

كاسكا: يجب ان لا نغضَّ النظر فيه.

سنّا: لا نُسقطه من حسابنا على الاطلاق.

متلّوس: يجب ان نضمَّه الينا. فشيب رأسه ورجاحة عقله يُكسباننا ثقة الناس بنا، فيمتدحون أعمالنا، باعتبارها خاضعة لأصالة رأيه وحسن توجيهه. كما أن رصانته تحتوي ما فينا من نزق الشباب وطيشه، فلا يبدر منا ما يشين.

بروتوس: أرى ان لا تذكروا اسمه، او تفاتحوه بما عزمنا على عمله، لأنه لا يقبل البتَّة ان يكون تابعاً يتمّ أمراً بدأه غيره.

كاشيوس: إذن غضّوا النظر عنه.

كاسكا: في الواقع، انه لا يصلح.

ديشيوس: ألا نقتل أحداً غير قيصر؟

كاشيوس: لقد أصبتَ يا ديشيوس بلَفت نظرنا الى هذا الأمر. فاننا نعلم أن قيصر يحب مرقس انطونيوس حباً جمّاً. لذلك لا أرى أنه يحسن بنا الإبقاء عليه بعد قتل قيصر، لأنه إن بقي انطونيوس على قيد الحياة، فلسوف نرى فيه عدواً لدوداً، ومصمماً بارعاً، ومنفِّذاً قديراً، له من المواهب، كما تعلمون، ما إذا أحسن استعمالها استطاع ان يُنزل بنا أفدح الأضرار. وتفادياً للأمر، أرى ان يموت قيصر وانطونيوس معاً.

بروتوس: نكون في نظر الناس يا كايوس كاشيوس جُناة متعطشين للدماء، إن نحن قطعنا الرأس غضباً ونقمة، ومن ثم التفتنا الى الأطراف نبترها حسداً وغيرة. وهل انطونيوس إلا عضو في جسم قيصر؟ كلا يا كايوس. علينا ان نظهر كمفتدين لا كجزّارين. جميعنا نحارب روح قيصر، وليس من دم يجري في أرواح البشر. يا ليتنا نزهق روحه دون الفتك بجسمه. ولكن هذا محال. فواأسفاه! لا بدَّ لنا من سفك دمه، فلنقتله إذن أيها الاخوان، بواسل لا حاقدين، ونقدّمه قرباناً على مذبح الآلهة، لا نقطعه

إرباً إرباً نرميها طعاماً للكلاب. ولنكن في قرارة نفوسنا كالسادة الماكرين البارعين الذين يثيرون مشاعر عبيدهم ويدفعونهم لارتكاب الجرائم النكراء، ومن ثم يتظاهرون بتأنيبهم على ما صنعت أيديهم. وهذا ما يجعل مغامرتنا في نظر عامة الشعب ضرورية في سبيل المنفعة العامة، لا ثمرة حسد وضغينة، فيدعوننا منقذين مصلحين، لا قتلة سفّاحين. أما مرقس انطونيوس فلا تُعيروه اهتمامكم، فانه يصبح عاجزاً لا حول له ولا قوة كيد قيصر بعد ان يُدقَّ عنقه.

كاشيوس: ومع ذلك فاني أتوجَّس خيفة منه، لأن حبه لقيصر عميق الجذور في قلبه.

بروتوس: رحماك يا كاشيوس! لا تفكر في قتله. فإذا كان يحب قيصر فكل ما يمكنه عمله لا يتعدّى شخصه هو ـــ يستسلم لعواطفه ويموت حزناً وأسى على قيصر. حتى هذا لا أخاله فاعله، لأنه من هواة اللهو والمرح ومنادمة الصحاب.

تريبونيوس: لا خوف منه. لا تقتلوه. ولسوف ترونه يحيا حياته الأولى ويسخر من كل ما جرى.

بروتوس: سكوت! عدّوا دقات الساعة.

كاشيوس: الساعة تعلن الثالثة صباحاً.

تريبونيوس: آن لنا ان نفترق.

كاشيوس: لا أدري إن كان قيصر يغادر منزله اليوم او لا. فانه أصبح في الآونة الأخيرة من المتشائمين المؤمنين بالتطيّر، خلافاً لآرائه المتطرفة قبلاً حول تصوّر الأشياء والأحلام والطقوس الدينية. وربما منعته تحذيرات المنجمين وخوارق الليلة الماضية وأهوالها من الحضور الى الكابيتول اليوم.

ديشيوس: لا خوف من ذلك البتة. فلو قرَّر التخلُّف عن الحضور، لاستطعت إقناعه بالعدول عن عزمه. فهو يحب ان يسمع ان وحيد القرن تخدعه الأشجار، والدببة تضللها المرايا، والفيلة تخونها الحفر المستورة بأغصان الأشجار، والأُسود تغريها الشباك، وهكذا الرجال يغرّر بهم إطراء المتملقين. ولكن عندما أمدحه بأنه أمنع من ان يقع في شراك المتملقين، تراه يوافق، فيكون إذ ذاك في مقدمة ضحايا ذلك العيب. فاتركوا لي هذا الأمر. اني

أعرف كيف أتلاعب بعواطفه وأستغلّ ميوله وأهواءه، فآتي به الى الكابيتول.
كاشيوس: بل نذهب اليه جميعنا لنحضره.
بروتوس: ويكون ذلك في الساعة الثامنة على الأكثر.
سنّا: وهو كذلك. فلا تتأخروا عن هذا الموعد.
متلّوس: إن كايوس ليغاريوس يكره قيصر كرهاً شديداً لأنه عنّفه ذات يوم عندما امتدح بومبايوس. وإني لأعجب ان أحداً منكم لم يفكر به.
بروتوس: أحسنت يا متلّوس! ان ليغاريوس يحبني جداً، وقد سبق لي أن ذكرت له أسباب كرهنا لقيصر وتخوّفنا منه. فاذهب الى منزله وارسله الينا، وأنا أُقنعه.
كاشيوس: لقد أدركنا الصباح. سنتركك يا بروتوس. وأنتم أيها الرفاق... تفرَّقوا كلٌّ في سبيله. ولا تنسوا ما تعهدتم به وبرهنوا على أنكم رومانيون مخلصون.
بروتوس: أطلب اليكم أيها الأخوان ان تُظهروا البشاشة والمرح. فلا تعلو وجوهكم امارات القلق والاضطراب مما تنوون عمله، بل مثِّلوا ادواركم كما يفعل ممثلونا على المسارح، محتفظين برباطة جأشكم وبمظهركم الطبيعي المعتاد دونما تصنُّع او تغيُّر. والآن تصبحون جميعاً على خير.

(يخرج الجميع إلا بروتوس)

يا غلام! يا لوشيوس! أفي سبات عميق أنت؟ لا بأس. نمْ وتلذَّذْ بنوم هانىء، فانك خالي البال من الهموم والهواجس التي تساور رؤوس الرجال فتحرمهم طعم الكرى. ولهذا انت غارق في هذا النوم العميق.

(تدخل بورشيا)

بورشيا: مولاي بروتوس!

بروتوس: بورشيا! ماذا تبغين؟ ولماذا تستيقظين في مثل هذه الساعة المبكرة؟ انه لمضرّ بصحتك ان تعرّضي جسمك النحيل الضعيف لرطوبة هذا الصباح وبرده.

بورشيا: وكذلك مضرّ بصحتك انت يا بروتوس. فقد تسلّلت من فراشي ولم تراعِ عواطفي ومشاعري. كما انك نهضت فجأة ليلة الأمس عن مائدة العشاء، وأخذت تتمشى مكتوف الذراعين، مستغرقاً في التفكير، متنهداً. ولما سألتك عن السبب رمقتني بنظرة قاسية، ألححت عليك في السؤال، فحككت رأسك وركلت الأرض برجلك برماً... أصررت على السؤال مرة اخرى، فلم تُجبْ، بل أشرتَ إليَّ بيدك غاضباً أن أبتعد عنك. ففعلت خوفاً من اشتداد ضيق صدرك حتى نفاد صبرك، وعلّلت نفسي بأن يكون السبب في كل ذلك قلقاً قد يستحوذ على الكثيرين ولكن لفترة قصيرة. بيد أني أراك لا تأكل ولا تتكلم ولا تنام. فلو غيَّرت هذه الهواجس شكللك كما غيَّرت خلقك لَما عرفتك. فهل لك يا زوجي العزيز بروتوس ان تخبرني بسبب كآبتك هذه؟

بروتوس: اني لست معافى وكفى.

بورشيا: إن بروتوس لعاقل حكيم. فلو كان منحرف الصحة لَعمل راضياً كل ما هو لازم لاستردادها.

بروتوس: وهذا ما سأفعله. اما الآن فاذهبي يا عزيزتي بروشيا الى فراشك.

بورشيا: أمريض بروتوس؟ وهل علاجه ان يخرج في هذا الصباح البارد بدون معطفه يتنشق الهواء المشبع ضباباً وندى؟ بحقك قل لي: أمريض؟ وهل يتسلل من فراشه الدافيء ليتعرَّض للزكام في هذا الهواء الفاسد الذي لم تطهره حرارة الشمس بعد، فيزداد مرضاً على مرض؟ لا يا عزيزي بروتوس. ان وراء مرضك هموماً وأحزاناً تشغل بالك، يحق لي كزوجة لك ان أعرفها. وها اني أركع بين يديك، وأستحلفك بجمالي الذي طالما شفع لي عندك، وبعهد المحبة الذي جمعنا وجعلنا واحداً، بأن تخبرني، أنا نصفك الضعيف، بما يثقل قلبك من حزن وقلق، وبحقيقة الذين جاؤوك هذا المساء. فقد رأيت ستة او سبعة رجال مقنَّعين يخفون وجوههم حتى في ظلام الليل البهيم.

بروتوس: إنهضي يا عزيزتي بورشيا... لا تركعي.

بورشيا: ما كنت لأركع وأتذلّل لو كنت لطيفاً نحوي وتحبني من صميم

قلبك يا بروتوس. هل في عقد زواجنا ما يستثني حقي في الاطلاع على جميع أسرارك؟ هل أنت وأنا واحد في ظروف معينة فقط، كأن اشاركك في الطعام، وأدفىء فراشك، وأحدثك في بعض الأحيان؟ وهل يا ترى أعيش على هامش حبك لأجل متعتك فقط؟ إن كان الأمر كذلك، فتكون بورشيا محظيَّة لبروتوس لا زوجة له.

بروتوس: كلا، بل انتِ زوجتي الشرعية الحقَّة، المحترمة الجانب، والعزيزة عليَّ كقطرات الدم القاني التي ينبض بها قلبي الكئيب الحزين.

بورشيا: لو كان حقاً ما تقول، لَوجب ان أقف على هذا السرّ. نعم اني امرأة، ولكن امرأة رضيها النبيل بروتوس زوجة له. نعم، اني امرأة، ولكن امرأة ذات حسب ونسب وسمعة طيبة، والدها « كاتو ». أفلا تظن اني أفضل بنات جنسي ولي مثل هذا الزوج وذاك الوالد؟ أفصح لي عن حقيقة أمرك ومكنونات صدرك فأعدك بكتمانها. فقد امتحنتُ جلَدي إذ جرحت نفسي هنا بمطلق إرادتي، وبرهنت على مدى احتمالي الألم. فهل أصبر على ذلك الألم يا ترى ، ولا أقوى على كتمان أسرار زوجي؟

بروتوس: رحماكِ أيتها الآلهة! اجعليني جديراً بهذه الزوجة الفاضلة النبيلة.

(قرع من الداخل)

إسمعي، اصغي! في الباب قارع. تواري قليلاً، وعما قريب سأبوح لك بأسرار قلبي، وأُطلعك على أسباب كآبتي وإعراضي عنك وعلى ما عاهدت نفسي على تحقيقه. أما الآن فأسرعي بالخروج.

(تخرج بورشيا)

لوشيوس، مَن القارع؟

(يدخل لوشيوس ومعه ليغاريوس)

لوشيوس: هوذا رجل مريض يودّ التحدث اليك.

بروتوس: هو كايوس ليغاريوس الذي كلَّمني عنه متلّوس. تنحَّ يا غلام. وأنت يا ليغاريوس، كيف حالك؟

ليغاريوس: أتسمح لي بأن احيّيك بلسان أوهنه المرض فأقول: عِمْ صباحاً؟

بروتوس: وكيف خرجت في مثل هذا الوقت وأنت مريض تلتفّ بهذا الوشاح؟ يا ليتك لم تكن مريضاً!

ليغاريوس : لا، لست مريضاً إذا كان بروتوس لديه مهمة شريفة عازم على إنجازها.

بروتوس : نعم، لديَّ مثل هذه المهمة يا ليغاريوس. ليتك كنت معافى فتعيرني أُذناً صاغية!

ليغاريوس : اني، وحق الآلهة التي تعنو لها رقاب الرومانيين، أخلع عني رداء المرض. فيا روح رومة، وابنها البارّ الشجاع، المتحدر من صلب الأشراف والنبلاء ــ أراك ساحراً تحيي بسحرك العظام وهي رميم. والآن مُرْني ترَني أعمل المستحيل. أجل، قل لي ما عندك من المهمات ترَني رهن إشارتك.

بروتوس: عمل يعيد المرضى أصحّاء.

ليغاريوس: أوليس هنالك من أصحاء علينا جعلهم مرضى؟

بروتوس: وهذا ما علينا عمله ايضاً. وسأفضي اليك به في الطريق مع اسم الشخص الذي يتناوله.

ليغاريوس: تقدَّم وأنا أتبعك. فاني بدأت أشعر من جديد بهمَّة ونشاط يدفعانني نحو عمل سوف لا يكون جهلي به عائقاً ما دام بروتوس هو القائد.

بروتوس: إتبعني إذن.

(يخرجان)

المشهد الثاني
بيت قيصر

(رعد وبرق. يدخل قيصر لابساً قميص النوم)

قيصر: إن السماء والأرض لفي اضطراب هذه الليلة. ثلاث مرات صرخت كالبورنيا في نومها قائلة: النجدة! النجدة! النجدة! انهم يقتلون قيصر! مَن هنا؟

(يدخل خادم)

الخادم: سيدي؟
قيصر: اذهب الى الكهنة ومُرْهم ان يقدموا ذبيحة في الحال. وعُدْ اخبرني رأيهم في ما عساه ان يحدث.
الخادم: سمعاً وطاعة يا سيدي.

(يخرج)
(تدخل كالبورنيا)

كالبورنيا: ماذا تعني يا قيصر؟ أعازم انت على الخروج؟ انك لن تبرح بيتك اليوم.

قيصر: لا بدَّ لقيصر من الخروج. ان الأخطار التي هدَّدت حياتي لم يكن لها أن برزت إلا وراء ظهري. ولكنها عندما تواجه قيصر فسرعان ما تولي الأدبار.

كالبورنيا: ما كنت لآبه بالتشاؤم والتطيُّر قط، أما الآن فانها ترعبني. وعندنا الآن من يروي لنا المناظر المروعة التي شاهدها حرَّاس الليل، علاوة على ما كنا سمعناه ورأيناه. يقولون ان لبوءة وضعت أشبالها في الطريق، والقبور تفتحت وبعثت موتاها، وجنوداً نارية ـــ رهيبة تتقاتل فوق الغمام وقد انتظمت صفوفاً وكتائب كأنها في حرب نظامية حقيقية تقطر منها الدماء فوق

الكابيتول. ويقولون انهم سمعوا ضجيج النزال في طبقات الجو، وصهيل الخيل وأنين المحتضرين. كما سمعوا أصوات الجنّ ولغطها في الطرقات. آه يا قيصر! ان هذه الأمور غير اعتيادية، وأنا أتوجس خيفة منها.

قيصر: لا محيد مما كتبته الآلهة، والحذر لا يلغي القدر. وبالرغم من كل هذه الأحداث فان قيصر سيخرج. فهذه التنبؤات لا تتناول قيصر وحده، بل تشمل العالم أجمع.

كالبورنيا: إن الشهب لا تظهر في الفضاء عندما يموت السوقة. أما السموات نفسها فتلتهب إيذاناً بوفاة الأمراء الأكارم.

قيصر: يموت الجبان مرات قبل انتهاء أجله. أما الشجاع فلا يذوق طعم الموت إلا مرة واحدة. ومن أغرب الأمور التي سمعتها في حياتي أن الناس يخافون الموت، مع علمهم انه أمر محتوم لا يدرك المرء إلا في حينه.

(يعود الخادم)

قيصر: ماذا يقول العرّافون؟

الخادم: يتمنون عليك أن لا تبرح منزلك اليوم، لأنهم لما انتشلوا أحشاء إحدى الذبائح، لم يجدوا قلباً في داخلها.

قيصر: إن الآلهة إنما تفعل ذلك لتخزي الجبناء. وإن قيصر ليكون حيواناً بلا قلب لو لزم بيته اليوم لداعي الخوف. كلا! ان قيصر سوف لا يبقى في بيته. فالخطر لعلى يقين من ان قيصر أشدّ خطراً منه. نحن أسدان توأمان وُلدنا من لبوءة واحدة في يوم واحد، وأنا الأكبر والأرهب. فقيصر لا محالة ذاهب.

كالبورنيا: آه يا مولاي! أرى ان اعتدادك بنفسك يتغلب على حكمتك وتعقُّلك. لا تخرج اليوم. قل ان ما أبقاك في البيت هو خوفي أنا لا خوفك. ولنوفد مرقس انطونيوس الى مجلس الشيوخ ليخبرهم بأنك منحرف المزاج اليوم. وها اني أجثو أمامك ألتمس تلبية طلبي.

قيصر: ليخبرهم مرقس انطونيوس بأني مريض. وبما انك متخوفة من ذهابي، سأبقى في البيت لاطمئنانك وراحة بالك.

(يدخل ديشيوس)

هوذا ديشيوس بروتوس! هو ينقل الخبر.
ديشيوس: مولاي قيصر! أسعدت صباحاً، ونعمت بالاً. ها اني جئت لأصحبك الى مجلس الشيوخ.
قيصر: وقد حضرت في الوقت المناسب. بلّغ الشيوخ تحياتي وقل لهم اني لست ذاهباً اليوم. اما لأني غير قادر فقول كاذب، او لأني لا أجرؤ فأكذب. قل لهم يا ديشيوس اني لست ذاهباً اليوم وكفى.
كالبورنيا: قل لهم انه مريض.
قيصر: أوَيبعث قيصر بأكذوبة؟ وهل، بعد ان خضت المعارك في مشارق الأرض ومغاربها، أخشى قول الحقيقة لهؤلاء العجائز؟ ديشيوس! قل لهم ما طلبت منك.
ديشيوس: مولاي قيصر، صاحب القدرة والجلال! اعطني سبباً لتخلّفك لئلاً يهزأوا بي إن قلت لهم ذلك.
قيصر: السبب هو مشيئتي، فاني لا اريد الحضور. وهذا يجب ان يكفي لإقناع المجلس. أما انت فلإرضائك لأني احبك سوف أُطلعك على حقيقة الأمر: إن زوجتي هذه كالبورنيا حلمت هذه الليلة كأن تمثالي نافورة له مئة عين يتدفق منها دم صافٍ نقيّ، أقبل جماعة من الرومانيين ضاحكين مرحين وأخذوا يغمسون أيديهم فيه. فاعتبرت ذلك المنظر نذير شرّ وشيك الوقوع، وارتمت على ركبتيها تتوسّل إليّ أن ألزم البيت اليوم.
ديشيوس: لقد كان تفسير هذا الحلم خاطئاً. فإنه رؤيا تبشّر باليُمن وحُسن الطالع. إن تمثالك الذي كان الدم يتدفق من عيونه الكثيرة، والذي غمس فيه العديد من الرومانيين الفرحين أيديهم، إنما يرمز الى أن رومة ستستمدّ منك دماً جديداً منعشاً، وأن عظماءها سيتهافتون عليه ليخضبوا أيديهم بلونه الأحمر القاني تبرّكاً وتيمّناً، فيكون لهم أثراً من المقدّسات وذكرى طيبة لأمجاد رومة. هذا هو التفسير الصحيح لحلم كالبورنيا.
قيصر: لقد أحسنت تفسيره على هذا النحو يا ديشيوس.
ديشيوس: ويؤكد صدق قولي ما ستسمعه من أن مجلس الشيوخ قد اتخذ

أخيراً قراراً بمنحك التاج اليوم. وقد يعدلون عن قرارهم لو بلغهم تخلّفك عن الحضور. هذا فضلاً من أن ذلك قد يكون موضوع هزء وسخرية، فيقول أحدهم مثلاً: « فضّوا مجلسكم أيها الشيوخ الى ان يتسنّى لزوجة قيصر ان ترى أحلاماً ورؤى أفضل من هذا ». وإذا احتجبت يا مولاي، أفلا يتهامسون قائلين: « يا للعار! ان قيصر خائف؟ » عفواً يا سيدي، إن عاطفتي نحوك من حب لشخصك وغيرة على مصلحتك تدفعني الى هذا القول. وان عقلي في هذه الحال يخضع لسلطان العاطفة.

قيصر: ما أحمقك يا كالبورنيا ان تُظهري مثل هذه المخاوف! فاني خجل من إذعاني لكِ. هاتي ردائي، فقد عزمت على الذهاب.

(يدخل بروتوس، وليغاريوس، ومتلّوس، وكاسكا، وتريبونيوس، وسنّا، وبوبليوس)

بوبليوس: عِمْ صباحاً يا مولاي قيصر.

قيصر: أهلاً بك يا بوبليوس. وأنت يا بروتوس — أنهضت مبكراً أيضاً؟ عم صباحاً يا كاسكا، وأنت يا كايوس ليغاريوس — لم يكن قيصر عدّواً لك كتلك الحمى التي انتابتك فأنحلتك وأضعفتك. كم الساعة الآن؟

بروتوس: لقد أعلنت الثامنة يا مولاي.

قيصر: أشكر لكم تلطّفكم بتجشّم مشاقّ المجيء إليّ.

(يدخل أنطونيوس)

هوذا انطونيوس، الذي يقضي الليل بطوله في اللهو والمرح، قد صحا مبكراً ايضاً. عم صباحاً يا انطونيوس.

انطونيوس: طاب صباحك يا مولاي.

قيصر: مُرْهم ان يتأهبوا للذهاب. اني ملوم لهذا التأخير، وخجل من طول انتظارهم أياي. هيّا يا سنّا! هيا يا متلّوس! وأنت يا تريبونيوس، لي كلام معك يستغرق ساعة من الزمن، فلا تنسَ ان تتكلم بصوت يلفت نظري اليك. كن قريباً مني لأتذكرك.

تريبونيوس: أمرك مطاع يا مولاي. (مخاطباً الموجودين دون قيصر) سأكون

قريباً منك بحيث يودّ أصدقاؤك الخلّص لو كنت بعيداً عنك.

قيصر: ادخلوا أيها الأخوان لنشرب قليلاً من الخمر، ومن ثم نذهب معاً كأصدقاء.

بروتوس: (على انفراد) إن التشابه ليس واحداً يا قيصر. وهذا ما يحزّ في نفسي. وكم كنت أودّ ان أصحبك كعدوّ لا كصديق.

(يخرجون)

المشهد الثالث

شارع بقرب الكابيتول

(يدخل ارتيميدوروس وهو يقرأ ورقة)

ارتيميدوروس: قيصر! إحذر بروتوس، إحترس من كاشيوس، لا تقرب كاسكا، راقب سنّا، لا تثق بتريبونيوس، إحترز من متلّوس سمبر، ديشيوس بروتوس لا يحبك، لقد أسأت الى كايوس ليغاريوس. لقد تألّبوا عليك جميعاً. وبما أنك إنسان معرَّض للموت، احترس لنفسك. ان المغالاة في الاطمئنان وراحة البال تعرّض صاحبها لسهام المتآمرين. لتحمِك الآلهة!

صديقك ومحبك ارتيميدوروس

هنا أقف حتى يمرّ قيصر فأسلمه هذه الورقة كأني صاحب ظلامة ألتمس منه العدل والإنصاف. انه ليحزّ في نفسي ان أرى الفضيلة لقمة سائغة للغيارى الحاسدين. آه يا قيصر! إذا قرأت هذه الورقة كُتبت لك الحياة، وإلا نجح الخونة المتآمرون في القضاء عليك.

المشهد الرابع
أمام بيت بروتوس

(تدخل بورشيا ولوشيوس)

بورشيا: أسرع الى مجلس الشيوخ يا غلام — لا تتوقف لمكالمتي. هيَّا! عجّل! ما بالك واقفاً؟
لوشيوس: لأعرف مهمتي يا سيدتي.
بورشيا: وددت لو أنك ذهبت وعدت قبل ان انهي قول ما عليك ان تفعل هناك. آه أيها الثبات! قف الى جانبي واعضدني. أقم جبلاً شاهقاً بين قلبي ولساني. ان لي عقل الرجال وقدرة النساء. ما أصعب الكتمان على المرأة! ألا تزال هنا يا غلام؟
لوشيوس: سيدتي، ماذا عليَّ ان أعمل؟ اركض الى الكابيتول بدون مهمة وأعود اليك بدون خبر؟
بورشيا: بل ائتني بخبر عن حال سيدك، فقد خرج وهو متوعك المزاج. وانتبه الى ما يفعل قيصر او يقول، وراقب من يلتف حوله من ذوي الحاجات. انصت يا غلام. ما هذا الضجيج؟
لوشيوس: لا أسمع شيئاً يا سيدتي.
بورشيا: اصغِ جيداً. لقد سمعت صوتاً تحمله الريح من جهة الكابيتول، وكأنه ضجيج عراك بين الناس.
لوشيوس: صدقيني يا سيدتي اني لا أسمع شيئاً.

(يدخل العرّاف)

بورشيا: تقدَّمْ أيها الرجل. أي طريق سلكت الى هنا؟
العرّاف: جئت من طريق بيتي أيتها السيدة الفاضلة.
بورشيا: كم الساعة الآن؟
العراف: حوالي التاسعة يا سيدتي.

بورشيا: هل وصل قيصر الى الكابيتول؟

العراف: لم يصل بعد يا سيدتي. اني ذاهب لأجد مكاناً أطلّ منه على قيصر وهو في طريقه الى الكابيتول.

بورشيا: لك قضية ترفعها الى قيصر، أليس كذلك؟

العراف: نعم يا سيدتي. لو كان قيصر يبغي خير نفسه واستمع إليَّ، لتوسلت اليه ان يرحم نفسه ويسهر عليها.

بورشيا: أتعرف خطراً محدقاً بقيصر؟

العراف: لست على يقين من ذلك، ولكن ما أخشاه قد يقع. طبتِ صباحاً يا سيدتي! الطريق من هنا ضيقة، وأخشى أن يقضي زحام الشيوخ والقضاة والمسترحمين وراء قيصر على رجل ضعيف مثلي. ولذلك سأبحث عن مكان أقل ازدحاماً أنتظر فيه مرور قيصر، فأخاطبه بما عندي.

(يخرج)

بورشيا: يجب ان أدخل غرفتي. أواه ما أضعف قلب المرأة! آه يا بروتوس! لتكلل السماء مساعيك بالنجاح. (على انفراد) لا شك ان الغلام سمعني. (للغلام): إن لبروتوس طلباً، ولكن قيصر سيرفضه. أواه ان قواي تخور! اسرع يا لوشيوس وانقل الى مولاي قيصر زوجي تحياتي وتمنياتي، وقل له اني في غاية الانشراح، وعُدْ إليَّ بما سيقول لك.

(يخرجان)

الفصل الثالث

المشهد الأول

(رومة — شارع مواجه الكابيتول —
جمع من الناس، بينهم ارتيميدوروس والعراف)
(يدخل قيصر، وبروتوس، وكاشيوس، وكاسكا،
وديشيوس، ومتلوس، وتريبونيوس، وسنّا، وأنطونيوس، ولبيدوس، وبوبيليوس).

قيصر: ها قد حلَّ الخامس عشر من آذار.

العراف: أجل يا قيصر، ولكن النهار لم ينتهِ بعد.

ارتيميدوروس: طابت أوقاتك يا مولاي قيصر! إقرأ هذه الرسالة.

ديشيوس: تريبونيوس يرجوك ان تقرأ في وقت فراغك قضيته المتواضعة هذه.

ارتيميدوروس: مولاي قيصر! إقرأ رسالتي أولاً، لأن مضمونها ذو علاقة وثيقة جداً بشخصك. إقرأها يا مولاي.

قيصر: إن ما يتعلق بنا شخصياً ننظر فيه آخراً.

ارتيميدوروس: لا تؤجلها يا قيصر. إقرأها حالاً.

قيصر: عجباً! أمخبول هذا الرجل ؟

بوبليوس: تنحَّ يا هذا.

كاشيوس: ويحكم! أتلحُّون في تقديم عرائضكم على قارعة الطريق؟ قدِّموها في الكابيتول.

(يصعد قيصر الى قاعة المجلس ويتبعه الباقون)

بوبيليوس: أرجو لمسعاكم النجاح اليوم.

كاشيوس: أي مسعى تعني يا بوبيليوس؟

بوبيليوس: وداعاً لكم.

بروتوس: ماذا قال بوبيليوس لينا؟

كاشيوس: إنه يرجو النجاح لمسعانا. وأخشى ان يكون مخطَّطنا قد افتضح أمره.

بروتوس: انظر كيف يقترب من قيصر. راقبه.

كاشيوس: إستعد لمفاجأته يا كاسكا، فاني أخشى حدوث ما يمنع إن نحن تأخرنا. ماذا نعمل يا بروتوس إن انكشف أمرنا؟ فإما أنا هالك او قيصر، فاني مصمم على الانتحار.

بروتوس: كن رابط الجأش يا كاشيوس. ان بوبيليوس لا يفاتح قيصر بأمرنا، فاني أراه يتبسم، وقيصر لم يتغير.

كاشيوس: ان تريبونيوس يعرف ان موعد مهمته قد حان. انظر يا بروتوس كيف يبتعد بمرقس انطونيوس.

(يخرج انطونيوس وتريبونيوس)

ديشيوس: أين متلّوس سمبر؟ دعه يتقدم ويرفع طلبه لقيصر في الحال.

بروتوس: انه على اهبة التحرك. التفّوا حوله وضمّوا أصواتكم الى صوته.

سنّا: كاسكا! انك أول من يرفع يده.

قيصر: أعلى استعداد نحن لمباشرة العمل؟ أي ظلامة أمامنا الآن لينظر فيها قيصر ومجلس شيوخه لإنصاف صاحبها؟

متلّوس: مولاي قيصر ذا الرفعة والقدرة والسلطان! ان متلّوس سمبر ليرتمي عند قدميك بقلب منكسر خاشع..

قيصر: لا، لا اسمح لك بذلك يا سمبر. ان مثل هذا السجود وغيره من المجاملات التافهة قد تلهب كبرياء الرجل العادي، فتستفزّه ليخالف من أجلها الشرائع وينقض الأحكام والمراسيم التي سبق إقرارها وإبرامها، فتصبح

كألعاب الصغار سهلة التغيير والتبديل. ولا تكن أحمق فتظن أن التمرّد على العدالة من طبع قيصر وخلقه، فيغيّر الأحكام ويبدلها، شأن الذين يستهويهم التملّق والكلام المعسول والتعوّج والتمسّح كالكلاب. لقد نُفي أخوك بمقتضى حكم عادل صدر بحقه. فإذا سجدت وتوسّلت وتذلّلت وتمسّحت من أجله، رفستك كالكلب من طريقي. واعلم أن قيصر لا يظلم أحداً، ولذلك لا يطمئنّ ولا يرتاح له بال لنقض حكم صدر، إلا لأسباب وجيهة مقبولة.

متلّوس: أليس من صوت أجدر من صوتي يحلو لقيصر سماعه فيعفو عن أخي ويسمح له بالعودة من منفاه؟

بروتوس: مولاي قيصر! اني اقبّل يدك دونما تملّق او تزلف ضارعاً اليك ان تعفو عن بوبليوس سمبر، فيطلق سراحه فوراً.

قيصر: ماذا تقول يا بروتوس؟

كاشيوس: عفوك قيصر! عفوك! ان كاشيوس يرتمي عند قدميك ملتمساً إطلاق سراح بوبيليوس سمبر.

قيصر: كنت أتساهل لو أني على شاكلتكم. ولو كنت أنا نفسي ألتمس أحداً للتنكّب عن طريق العدالة، لكانت توسلاتكم تليّنني، ولكني ثابت كنجمة القطب التي لا مثيل لها في ثباتها بين نجوم القبة الزرقاء. إن السماء مرصّعة بشموس لا تُعدّ ولا تُحصى، كلها نار، وكل واحدة منها تتألّق وتضيء، ولكن واحدة منها فقط ثابتة لا تتحول عن مركزها. كذلك أرضنا، مليئة بالناس وكلهم دم ولحم وروح، ولكني لا أعرف من بينهم إلا واحداً لا يُداني، ولا يمالق، ولا يتزحزح عن مكانه ــ هو أنا. وإليكم الدليل البسيط بالحادث الذي نحن في صدده: لقد كنت صلباً في حكمي على سمبر بالنفي، ولا أزال صلباً في بقائه في منفاه.

سنّا: رحماك قيصر!

قيصر: عني! أفي استطاعتك زحزحة جبل اولمبوس؟

ديشيوس: مولاي قيصر!

قيصر: أفلم يجثُ بروتوس ويلتمس ولكن دون طائل؟

كاسكا: تكلمي عني أيتها الأيدي.

(كاسكا يطعن قيصر أولاً، ثم باقي المتآمرين وأخيراً بروتوس)

قيصر: وأنت ايضاً يا بروتوس؟ إذن فليمت قيصر.

(يسلم الروح)

سنا: الحرية! الحرية! لقد مات الاستبداد وانتهى الطغيان. بذا صيحوا في الشوارع، في كل مكان.

كاشيوس: ليعتلِ بعضكم المنابر في الساحات العامة ويهتفوا بالحرية، بالانعتاق، بإطلاق السراح.

بروتوس: أيها الناس! أيها الشيوخ! لا تخافوا. لا تهربوا. اصمدوا. لقد دفع الطامع ثمن طمعه وجشعه.

كاسكا: إعتلِ المنابر يا بروتوس.

ديشيوس: وكاشيوس ايضاً.

بروتوس: أين بوبليوس؟

سنا: ها هو. لقد صعقه هذا الانقلاب.

متلوس: رصّوا صفوفكم واصمدوا لئلا يدهمكم أصدقاء قيصر.

بروتوس: لا يشغلنّكم أمر الدفاع عن أنفسكم ولا تعبأوا به. لا تخف يا بوبليوس فاننا لا نريد بك شراً، ولا بأي روماني آخر. بهذا صرّحْ على رؤوس الأشهاد يا بابليوس.

كاشيوس: انصرف عنا يا بوبليوس لئلا تصاب شيخوختك بأذى من هيجان الشعب واندفاعه نحونا.

بروتوس: أجل! إنصرف يا بوبليوس. ولينصرف الجميع لئلا يصاب أحدهم بأذى، فنحن الفاعلين نتحمل تبعة عملنا.

(يعود تريبونيوس)

كاسكا: أين انطونيوس؟

تريبونيوس: لقد فرَّ الى بيته مشدوهاً. وكذلك الرجال والنساء والأولاد، فإنهم يحملقون ويصرخون ويفرُّون كأنهم في يوم الحساب.

بروتوس: أيتها الأقدار! إننا نعرف ما تخبئين لنا وهو الموت. ونحن نعلم أنه مصيرنا. إنما ما يشغل بالنا هو اليوم والساعة ورغبة الانسان في طلب المزيد من الحياة.

كاسكا: أجل! إن من يعيش عشرين عاماً، إنما يقضيها في قلب واضطراب من توقُّع الموت.

بروتوس: انطلاقاً من هذه الحقيقة يكون الموت مفيداً. ونحن أصدقاء قيصر قد أحْسنّا اليه باختصار أمد تخوّفه من الموت. فانحنوا أيها الرومانيون... انحنوا لنغمس أيدينا حتى المرافق في دم قيصر، ونلطخ سيوفنا به، ثم نسير الى الساحة العامة هازّين سيوفنا الحمراء فوق رؤوسنا، ومردّدين نشيد الأمان والانعتاق والحرية.

كاشيوس: إذن لننحنِ ونغسل أيدينا. وكم من القرون المقبلة يا تُرى سيُعاد فيها تمثيل هذا المشهد العظيم في بلاد ولغات لا وجود لها في عالمنا اليوم.

بروتوس: وكم من المرّات سينزف دم قيصر على المسارح كما هو الآن طريح في أسفل تمثال بومبايوس، لا قيمة له أكثر من التراب تحته.

كاشيوس: وفي كل مرة يمثل هذا المشهد سيقول الناس ان رجال زمرتنا حرَّروا بلادهم من الظلم والاستبداد.

ديشيوس: والآن، ما قولكم؟ أنسير؟

كاشيوس: أجل، هيا بنا. وليتقدمنا بروتوس، فنزيده شرفاً على شرف بالسير وراءه بقلوب عامرة بالنُّبل والشجاعة التي هي عقدة فخار رومة.

(يدخل خادم)

بروتوس: مهلاً! مَن القادم؟ صديق لأنطونيوس.

الخادم: مولاي بروتوس! لقد أمرني سيدي ان أركع أمامك. أجل، أمرني سيدي مرقس انطونيوس ان أرتمي عند قدميك وأقول، وأنا كذلك، ان بروتوس نبيل، حكيم، شجاع، صادق... وان قيصر كان جباراً، جريئاً، جليلاً، محباً. قل اني احب بروتوس وأحترمه، كما كنت أتهيَّب قيصر وأُجلّه وأحبه. وإذا كان بروتوس يسمح لأنطونيوس بالمجيء اليه آمناً ويبدي

له السبب الذي من أجله استحق قيصر هذه الميتة. قل ان مرقس انطونيوس سيعلن بأنه لا يحب قيصر ميتاً بقدر ما يحب بروتوس حيّاً. ومن ثم أتبع بروتوس النبيل وأكون له موالياً ومؤيداً وعاضداً، وسط المخاطر التي تكتنف هذا الحكم الجديد... هكذا يقول سيدي انطونيوس.

بروتوس: إن سيدك روماني حصيف ومقدام. هذا كان رأيي فيه دائماً ولم يتغير. قل له: إن أراد الحضور الينا، أبدينا له الأسباب الوجيهة التي تقنعه وترضيه، وإني أقسم له بشرفي انه يكون بأمان لا يمسّه أحد بسوء.

الخادم: سأجيء به في الحال.

(يخرج الخادم)

بروتوس: إني لعلى يقين من أنه سيكون لنا نِعْمَ الصديق.

كاشيوس: أرجو ذلك، ولكني لا أتمالك عن التخوّف منه كثيراً، وشكوكي دائماً أسبابها صحيحة.

(يدخل انطونيوس)

بروتوس: هوذا انطونيوس قد أقبل. أهلاً وسهلاً بك يا مرقس انطونيوس.

انطونيوس: وامصيبتاه بك أيها العظيم قيصر! ألهذا الدرك انحدرت؟ أين فتوحاتك وأمجادك؟ أين انتصاراتك ومكاسبك وغنائمك؟ هل تقلّصت كلها وانكمشت في هذا الحيّز الحقير الصغير؟ الوداع لك! الوداع! لا أدري ايها السادة مَن تنوون عليه بعد قيصر، وأي دم ستريقون بعد هذا الدم؟ إن كنت أنا هو، فاعلموا ان ليس من ساعة أحب الى قلبي ان أموت فيها مثل هذه الساعة التي قضي فيها قيصر، ولا من سيوف تغمد في صدري أروع وأطيب من سيوفكم التي تخضبت وتشرفت بأزكى وأنبل دم في العالم. فأرجوكم، إن كنتم تكرهوني ايضاً، ان تنفذوا ما تضمرون وأيديكم الارجوانية لا تزال رائحة الدم تنبعث منها. فلو عشت ألف سنة لَما كنت في وقت من أوقاتها أكثر استعداداً ورضىً بالموت مما أنا الآن، ولَما وجدت مكاناً يطيب لي الرقاد فيه أوفر راحة من هذا، ولا طريقة

أموت فيها اجمل وأشرف من هذه... ان اكون بجانب قيصر، وأن تكون نهايتي عن يدكم انتم صفوة رجال هذا العصر.

بروتوس: لا تطلب الموت يا انطونيوس عن يدنا. فإننا، وإن ظهرنا قساة القلوب سفّاكين كما ترى من أيدينا ومما جنت، فقلوبنا تفيض شفقة ورحمة. انك ترى أيدينا التي أراقت الدماء، اما قلوبنا التي تذوب أسى وشفقة لِما أصاب رومة من ظلم واستبداد فلا تراها. فكما تصدّ النار النار[1]، وتقضي الرأفة على الرأفة[2]، هكذا إخلاصنا لرومة تغلّب على حبنا لقيصر، ففعلنا به ما فعلنا. اما انت يا مرقس انطونيوس، فسيوفنا عليك كليلة، وسواعدنا الجبارة تضمّك الى صدرنا كأخ لنا، وقلوبنا تستقبلك بالمحبة والإعجاب والاحترام.

كاشيوس: سيكون لصوتك وزن كصوت أي واحد منا في توزيع المهام وملء المناصب في الحكومة الجديدة.

بروتوس: وعليك بالصبر حتى تهدىء روع الجماهير الثائرة، وبعد ذلك نطلعك على السبب الذي من أجله قد طعنت قيصر أنا صديقه وحبيبه.

انطونيوس: لا شك في حكمتكم ورجاحة عقلكم. هاتوا أيديكم الدموية لأصافحكم واحداً واحداً. هات يدك اولاً يا مرقس بروتوس، ثم انت يا كايوس كاشيوس، وأنت يا ديشيوس بروتوس، ومتلّوس وسنّا، وأنت أيها الشجاع كاسكا ـــ هات يدك لأصافحك ايضاً، وأنت ايها الطيب تريبونيوس ـــ انك آخر من اصافح ولست أقل من أحب، هات يدك. واحسرتاه ايها السادة! ماذا عساي ان أقول؟ ان موقفي امامكم اصبح حرجاً، وثقتكم بي مزعزعة. فلكم فيَّ واحد من رأيين وكلاهما شائن، فإما اني جبان او مراوغ ممالق. اما اني احبك يا قيصر فهي حقيقة لا يتطاول اليها الشك.

---

(١) عندما تشب حريقة كبرى، يعمدون الى إحراق المنازل والأشجار في طريقها للحؤول دون انتشارها.

(٢) الرأفة (برومة) قضت على الرأفة (بقيصر)، فيموت قيصر لتحييَ رومة

فلو أطلَّت علينا الآن روحك من عليائها، أفلا يكون حزنها أشد من يوم مصرعك ان ترى انطونيوس يضع يده في أيدي أعدائك ايها النبيل العظيم، مصافحاً ومصالحاً امام جثمانك؟ فلو كان لي من العيون بعدد ما في هذا الجثمان الطاهر من الجروح، تذرف هذه من الدموع بقدر ما تنزف تلك من الدماء، لَكان اشرف لي من مصالحة اعدائك الآثمين. غفرانك قيصر! هنا سدَّد الأعداء سهامهم عليك ايها الغزال الشجاع، فسقطت صريعاً وخضبوا أيديهم بدمائك الزكية. إيه ايها العالم! لقد كنت الغاب لذلك الغزال، وكان لك القلب النابض. ما اشبه رقادك هنا بغزال اخترقت صدره سهام الأمراء الصائدين!

كاشيوس: يا مرقس انطونيوس!...

انطونيوس: عفواً يا كايوس كاشيوس! ان اعداء قيصر سيقولون مثل هذا القول. فليس مستغرباً وكثيراً صدوره من صديق حميم له.

كاشيوس: اني لا ألومك على امتداح قيصر بهذا الشكل، ولكن نريد ان نعرف موقفك منا. أتكون واحداً من أصدقائنا ومؤيدينا، او خارجاً عنا فنتابع مسيرتنا بدون الاعتماد عليك؟

انطونيوس: لهذا صافحتكم كصديق. بيد اني جنحت عن الموضوع لرؤية قيصر. اني واحد منكم ايها الأصدقاء، واحبكم جميعاً، آملاً ان تعطوني الأدلة الكافية لماذا وفيمَ كان قيصر خطراً؟

بروتوس: نعم، وإلا كان هذا المشهد وحشياً نابياً. ولدينا من الأدلة الدامغة ما يقنعك يا انطونيوس، حتى ولو كنت ابناً لقيصر.

انطونيوس: هذا كل ما اطلب. وأرجو ان تسمحوا لي بعرض جثمانه في ساحة السوق لأؤبّنه من على المنبر بما يليق بصديق ان يؤبّن صديقه.

بروتوس: لك ما تريد يا مرقس انطونيوس.

كاشيوس: لي كلمة معك يا بروتوس: انك لا تدري ما تعمل. إياك ان توافق على تأبين انطونيوس لقيصر، فانك ولا شك تعلم الى اي مدى يكون لكلمات انطونيوس من تأثير في نفوس الجماهير.

بروتوس: عفوك! وأظن اني على حق. فاني سأعتلي المنبر اولاً، وأُبيّن

الأسباب التي دفعتنا الى قتل قيصر، وأُعلن للملأ بأن انطونيوس سيتكلم بإذن منا، واننا وافقنا على إجراء جميع مراسم الدفن المعتادة واللائقة بشخص قيصر. وهذا سينفعنا اكثر مما يسيء الينا، لأنه يكسبنا رضى الشعب وتأييده.

كاشيوس: اني لست على يقين مما قد يحصل، ولكني لست من محبذي هذا الرأي.

بروتوس: إليك يا مرقس انطونيوس جثة قيصر، وعليك ان لا تتطرَّق الى ملامتنا والتجريح بنا في خطبة التأبين. إمتدح قيصر ما شئت وقل ان ذلك بإذن منا، وإلا فلا نسمح لك بإقامة المأتم. وطبعاً ستكون معي على المنبر وتتكلم من بعدي.

انطونيوس: واوافق، ولا اطلب اكثر من ذلك.

بروتوس: إذن، جهّز الجثة واتبعنا.

(يخرج الجميع إلا انطونيوس)

انطونيوس: عفوك أيتها الكتلة الترابية الدامية إن أنا أبديت شيئاً من اللين والعطف بإزاء هؤلاء الجزارين! انك حقاً أنقاض أنبل وأعلى صرح بشري وُجد على مرّ العصور. تبّاً لتلك الأيدي التي أراقت هذا الدم الزكي الثمين! من خلال جروحك تهتك الأستار، وبعين النبوَّة أرى ما تتمخَّض به الأيام المقبلة من شرور ونوازل، فأرى جروحك وكأنها شفاه حمراء تنفرج عن ألسنة بكماء تستجير بي لأطلق لساني عنها مستنزلاً اللعنات على تلك الأيدي الأثيمة. وتسود الاضطرابات في ايطاليا كلها، وتقوم جماعة على جماعة في حرب أهلية ضارية تسيل الدماء فيها أنهاراً، ويعمُّ الخراب والدمار حتى يألف الناس هذه المناظر المرعبة. وتبسم الأمهات لرؤية اطفالهن تمزقهم هذه الحرب الضروس إرباً إرباً، وقد خَلَت القلوب من الرحمة والشفقة لاعتياد الناس قسوتها ومآسيها. عند ذاك تطلّ روح قيصر من عليائها طالبة الثأر والانتقام لمصرعه، تشدّ أزرها « آتيه »[1] وقد اندفعت نيران الجحيم

(١) آتيه: إلهة الأذى.

المتأججة تنذر العباد في هذه الربوع بالويل والثبور وعظائم الامور، فتنطلق كلاب الحرب تنهش الجيَف التي تئنّ في طلب الدفن، وتنبعث الروائح المنتنة الكريهة لتلك الفعلة الشنعاء بل الجريمة النكراء، وتنتشر في اقطار الدنيا دانيها وقاصيها.

(يدخل خادم اوكتافيوس)

انك خادم اوكتافيوس قيصر، أليس كذلك؟
الخادم: أجل يا سيدي انطونيوس.
انطونيوس: كان قيصر قد كتب له بالحضور الى رومة.
الخادم: لقد تسلّم الرسالة وهو آتٍ اليك، وقد أمرني بأن أبلغك شفوياً... واقيصراه!
انطونيوس: لقد فاض قلبك حزناً وأسى فاغرورقت عيناك بالدموع، فتنحَّ جانباً وابكِ. كما أن اشجاني قد هاجت وأخذت عيناي تذرف الدموع لرؤية قطرات الدمع في عينيك. قل، هل سيدك آتٍ؟
الخادم: أجل، هو في طريقه الآن. ويزمع المبيت هذه الليلة على بُعد سبعة فراسخ[1].
انطونيوس: عُدْ ادراجك مسرعاً، وقل له: ان رومة في حداد، يحدق بها خطر كبير، ولا يجد فيها اوكتافيوس بعد الآن الأمان والاطمئنان. أسرعْ وابلغه ذلك. ولكن مهلاً، لا تبرح من هنا حتى انقل الجثة الى ساحة السوق، وهناك ألقي خطبة التأبين أمتحن من خلالها جماهير الشعب وثوران مشاعرهم وتقبّلهم نبأ الجريمة البشعة التي ارتكبها هؤلاء القتَلة الجُناة، فتخبر اوكتافيوس الشاب بواقع الحال.

(يخرجان الجثة)

---

(١) الفرسخ: نحو ثلاثة أميال.

المشهد الثاني
ساحة عامة

(يدخل بروتوس وكاشيوس مع حشد من عامة الشعب)

العامة: هاتوا أدلّتكم، واقنعونا بالحجة والبرهان.
بروتوس: إذن اتبعوني ايها الأخوان واصغوا إليّ. إذهب الى ذلك الشارع يا كاشيوس، ولنقتسم الجمهور. ليبقَ هنا مَن يريد الاستماع إليَّ، وليتبع كاشيوس مَن يودّ سماعه. وسنبيّن لكم الأسباب التي حدَتْ بنا الى قتل قيصر.
أحد العامة: أنا سأستمع الى بروتوس.
عاميّ ثان: وأنا سأسمع كاشيوس. وبعد ذلك نقارن بين الأسباب التي يوردانها منفردين.

(يخرج كاشيوس مع بعض العامة ويتوجه بروتوس الى المنصّة)

عاميّ ثالث: ها قد اعتلى بروتوس الشريف المنصّة، فلْنُعِرْه سمعنا.
بروتوس: يجب ان تصبروا ولا تقاطعوني حتى أنتهي من كلمتي: ايها الرومانيون مواطنيَّ وإخواني، اصغوا إليَّ لأصارحكم بالحقيقة، راجياً منكم الصمت حتى يمكنكم سماعي. صدِّقوني في ما سأقوله لكم، فأنتم إن لم تفعلوا كنتم لكرامتي ممتهنين، وإن احترمتموني ووثقتم كنتم إياي مصدِّقين. ولا تنحوا عليَّ باللائمة إلا بعد التعقُّل والرويَّة، واستجماع الوعي والإدراك، لتكونوا خير القضاة الذين يصدرون أعدل الأحكام. فإن كان في هذا الحشد صديق حميم لقيصر، فإني أقول له ان بروتوس لم يكن أقلَّ محبة منه لقيصر. وإذا — بعد ذلك — سأل ذلك الصديق: لماذا إذن ثُرْتَ على قيصر؟ لأجبته: اني لم أثرْ لأني كنت أقل منه محبة لقيصر، بل لأني كنت اكثر محبة وولاء لرومة. أوَكنتم تفضلون حياة قيصر وتموتون أرقّاء أذلّاء على موته لتعيشوا أحراراً مكرمين؟ واني بقدر ما أحبَّني وأعزَّني قيصر أبكيه، وبقدر ما أحرز انتصارات وأمجاداً افرح له، وبقدر ما كان شجاعاً

ومقداماً احترمه وأجلّه. ولكني، لأنه كان طامعاً قتلته. اجل! ها الدموع لمحبته، والسرور لأمجاده، والإجلال لبسالته... والموت لطمعه وجشعه. إن كان فيكم حقير دنيء يرتضي لنفسه العبودية والمهانة، فليتكلم إن وجد، فانه هو الذي قد أسأت اليه. وإن كان فيكم احمق سفيه يتنكر لرومة، فليتكلم إن وجد، فهو الذي قد أسأت اليه. وإن كان فيكم وغد خسيس لا يخلص الولاء لوطنه، فليتكلم إن وجد، فهو الذي قد أسأت اليه. وهأنذا في انتظار جوابكم.

الجميع: لا أحد يا بروتوس، لا أحد.

بروتوس: اني ما أسأت إذاً الى أحد. وما فعلته بقيصر ليس اكثر مما يجب ان تفعلوه انتم ببروتوس إن هو انحرف وأخطأ مثل قيصر. اما أسباب قتله فمسجَّلة في دار الكابيتول، وأمجاده فلا ينكرها او ينتقص منها أحد، كما ان أخطاءه ومساوئه التي من اجلها استحق الموت فغير مبالَغ فيها.

(يدخل مرقس انطونيوس في جماعة مع جثة قيصر)

هذا جثمانه يواكبه مرقس انطونيوس ليقيم له مأتماً حافلاً، ويجري مراسم الدفن المعتادة، ويرثيه بإذن منا — انطونيوس هذا الذي سيكون له شأن ومكانة مرموقة في الحكومة الجديدة من جرَّاء القضاء على قيصر، مع انه لم يكن له يد فيه. وهكذا كل واحد منكم سيكون له نصيبه. والآن، وأنا اغادركم، أقول لكم اني قتلت أعزَّ صديق بل أحبَّ أخ لي، لصالح رومة وخير أبنائها. واني لأحتفظ بهذا الخنجر نفسه، لأغمده في أحشائي إن كان في موتي حياة تُرتجى لبلادي.

الجميع: عاش بروتوس! عاش! عاش!.

أحد العامة: هيَّا نواكبه مواكبة الظافرين حتى منزله.

الثاني: ونتصب له تمثالاً مع اجداده.

الثالث: ليكنْ هو قيصر.

الرابع: لنتوّجه خلفاً لقيصر، بخلقه العالي ومناقبه الحميدة.

الأول: نواكبه الى بيته في هتاف وتهليل.

بروتوس: مواطنيَّ...
الثاني: سكوتاً! إصغاء! ان بروتوس يتكلم.
الأول: انصتوا.
بروتوس: ايها المواطنون الأعزاء! دعوني اغادركم وحدي، وأرجوكم بما لي عندكم من احترام، ان تبقوا هنا مع انطونيوس لمشاركته بمراسم التكريم لجثمان قيصر، ولسماعه يرثي قيصر مُشيداً بفتوحاته وأمجاده ومفاخره، وذلك بإذن منا. ورجائي الحار ان لا يبرح هذا المكان احد غيري انا حتى ينتهي انطونيوس من كلمة التأبين.
العامي الأول: إذن ابقوا لنستمع الى مرقس انطونيوس.
الثالث: ليصعد الى المنبر، فاننا نريد سماعه. تقدَّمْ ايها الشريف انطونيوس.
انطونيوس: انا مدين لقيصر بمثولي امامكم شاكراً لكم استجابتكم لطلبه منكم البقاء.

(يصعد الى المنصّة)

العامي الرابع: ماذا قال عن بروتوس؟
الثالث: قال انه مدين لبروتوس بوجوده معنا.
الرابع: الأفضل ان لا يسيء الى بروتوس بكلمة.
الأول: لقد كان قيصر طاغية مستبداً.
الثالث: ولا ريب في انه كان اكثر من ذلك. ولحسن طالعنا ان تخلصت رومة منه.
الثاني: انصتوا! لنسمع ما عسى ان يقول انطونيوس.
انطونيوس: ايها الرومانيون الأماثل...
الجميع: سكوتاً، لنسمعه يتكلم!
انطونيوس: ايها الرومانيون، مواطنيَّ وإخواني. أعيروني سمعكم لأحدثكم: ما جئت الآن لأمتدح قيصر بل لأدفنه. كثيراً ما سمعنا ان ما يعمل الانسان من شر يبقى بعده، وما يأتي من خير يتوارى مع رفاته في لحد الثرى. وهذا شأن قيصر اليوم، ينسون فضائله ويذكرون مساوئه. لقد أخبركم بروتوس

النبيل ان قيصر كان طماعاً، فإن صحَّ ذلك يكون قيصر قد ارتكب خطأً جسيماً نأسف لدفعه الثمن. والآن، بإذن من بروتوس وصحبه، جئت أرثي قيصر، وبروتوس رجل شريف كريم، وهكذا من معه كلهم ذوو شرف ونُبل. لقد كان قيصر صديقاً حميماً لي يعزّني ويكرمني ويغدق عليَّ العطاء. ولكن بروتوس يقول انه كان طماعاً، وبروتوس رجل شريف وكريم. لقد عاد قيصر من فتوحاته بالكثير من الأسرى الى رومة، وانصبت فدياتهم في خزائن الدولة لا في جيوبه. فهل هذا من قيصر طمع وجشع؟ كان قيصر يذرف الدمع لرؤية الفقراء جائعين باكين، وقلب الطامعين الجشعين صلب قاسٍ لا يلين لبؤس او حرمان، ومع ذلك يقول بروتوس انه كان طماعاً، وبروتوس ــ كما تعلمون ــ رجل شريف وكريم. لقد رأيتم جميعكم كيف عرضت عليه التاج ثلاث مرات في عيد « اللوبيركال »، وكان يرفضه في كل مرة. أوَهل كان هذا طمعاً وجشعاً منه؟ ومع ذلك يقول بروتوس انه كان طماعاً، ولا شك في ان بروتوس رجل شريف كريم. اني لا اتكلم لأدحض ما فاه به بروتوس، بل لأقول ما اعرف. لقد احببتموه جميعكم في وقت مضى، ولم يكن ذلك بلا سبب او مسوغ. ما الذي يمنعكم الآن من الحزن والأسى لموته؟ إيه ايتها العدالة! لقد هجرتِ قلب الانسان ففقد عقله ورشده، وحللتِ في البهائم والوحوش الضارية فصارت اكثر تمييزاً وتفريقاً بين شيء وآخر. عفواً ايها الاخوان! ان قلبي مسجّى مع قيصر في هذه الأكفان، فامهلوني حتى يُبعث من رقاده ويرتدّ إليّ.

العامي الأول: يظهر ان في كلامه الكثير من الصواب.

الثاني: إذا صحَّ قولك فقد ظُلم قيصر كثيراً.

الثالث: أصحيح انه ظُلم يا سادة؟ أخشى ان يخلفه مَن هو شرّ منه.

الرابع: ألاحظتم هذه العبارة؟ انه رفض التاج. فلا شك إذن في انه لم يكن طماعاً.

الأول: إن صحَّ ذلك فلا بدَّ لبعضهم من دفع الثمن.

الثاني: مسكين انطونيوس! لقد احمرَّت عيناه كجمرة نار من شدّة البكاء.

الثالث: ليس في رومة أنبل وأشرف من انطونيوس.

الرابع: انظروا! لقد عاد للكلام.

انطونيوس: حتى يوم أمس، كان قيصر الآمر الناهي، كلمة منه تزعزع العالم بأسره. والآن يفترش التراب، لا شأن له ولا اعتبار ـــ لا يبالي به أحد حتى أحقر الصعاليك. ايها السادة! لو حرّضتكم على التمرُّد والثورة لأسأت الى بروتوس ولأسأت الى كاشيوس، وكلاهما ـــ كما تعلمون ـــ شريف وكريم، ولكني لا أنوي الإساءة اليهما، بل افضِّل الإساءة الى هذا الميت وإلى نفسي وإليكم على الإساءة الى أمثالهما من ذوي الشرف والنبل. وهاكم وثيقة ممهورة بخاتم قيصر نفسه، وجدتها في مكتبه، هي وصيته. واسمحوا لي بعدم قراءتها، فاني لو قرأتها وسمعتم ما جاء فيها لهرعتم الى جثمانه تقبّلون تلك الجروح الثخينة، وتغمسون مناديلكم في ذلك الدم الزكي، وتلتمسون حتى شعرة من رأسه تكون أثمن ذكرى لكم ولأولادكم من بعدكم.

الرابع: نريد سماع الوصية. إقرأها لنا يا مرقس انطونيوس.

الجميع: الوصية! الوصية! نريد سماع وصية قيصر.

انطونيوس: صبراً ايها الأخوان! لا يجوز لي ان أقرأها. فليس من المناسب ان تعلموا كم كان قيصر يحبكم ويعطف عليكم، فانكم لستم خشباً او احجاراً صمّاء بكماء، بل انتم رجال ذوو إحساس وتقدير. ولو سمعتم الوصية لجنَّ جنونكم والتهبت منكم المشاعر. فالأفضل لكم ان لا تعلموا انكم ورثته، لأنكم لو علمتم فيا لهول العاقبة!

الرابع: إقرأ الوصية يا انطونيوس، نريد سماعها. يجب عليك ان تقرأ لنا الوصية. إقرأ وصية قيصر.

انطونيوس: مهلاً! ألا تصبرون!؟ أظنني تجاوزت حدودي بذكر الوصية لكم، وأخشى ان أكون بذلك قد أسأت الى ذوي النبل والشرف ـــ اولئك الذين طعنوا قيصر بخناجرهم ومزّقوا أحشاءه.

الجميع: الوصية! الوصية!

الثاني: يا لهم من قتلة أوغاد! إقرأ الوصية.

انطونيوس: أراكم تلزمونني بقراءتها. إذن، تحلَّقوا حول جثة قيصر لأريكم ذاك الذي ترك لكم هذه الوصية. فهل تسمحون لي بالنزول اليكم؟

الجميع: إنزل.
الثاني: إنزل.

(ينزل من المنصّة)

الثالث: لقد سمحنا لك.
الرابع: التفّوا حول الجثة!
الأول: ابتعدوا عن النعش! ابتعدوا عن الجثة!
الثاني: افسحوا المجال لأنطونيوس! ما أنبلك يا انطونيوس!
انطونيوس: لا، لا تضايقوني. ابتعدوا عني.
الجميع: الى الوراء! افسحوا له! الى الوراء!
انطونيوس: إذا كان في عيونكم من دموع، فاستعدوا لسكبها. تعرفون كلكم هذا الرداء. واني أذكر أول مرة رأيت قيصر يلبسه، وكان ذلك في خيمته مساء أحد أيام الصيف ــ ذلك اليوم الذي دحر فيه جيوش « النرفيين »[1] وانتصر عليهم. انظروا! هنا أغمد كاشيوس خنجره. وانظروا ما أكبر الشدخ الذي عمله كاسكا الغيور الحسود. وهنا طعنه عزيزه وحبيبه بروتوس. وعندما انتزع قيصر بيده ذلك الخنجر اللعين سال دمه، كأنما أراد التأكد من أن بروتوس الصديق الحبيب هو قاتله. وتعلمون ان بروتوس كان صديق قيصر الحميم. والآلهة تشهد كم كان قيصر يحبه ويعزّه. لقد كانت طعنة بروتوس أبشع الطعنات وأشدّها إيذاء. وعندما رآه قيصر العظيم يهوي عليه بخنجره غلبه العقوق، إذ هو أبلغ أثراً وأشدّ إيلاماً من حراب المتآمرين الخونة. فانفطر قلبه الكبير وكفّ عن المقاومة، وستر وجهه بردائه قائلاً وموبّخاً: وأنت أيضاً يا بروتوس! وعلى الأثر تهاوى وسقط عند قاعدة تمثال بومبايوس والدم ينزف منه. يا لها من سقطة ايها المواطنون! سقطنا كلنا معها ففقدنا حريتنا وكرامتنا، إذ انتصرت الخيانة وتقلّد السلطة اربابها

---

(١) النرفيون: شعب حربيّ في شمالي غربي اوربا.

القتلة السفّاكون. وها انكم تبكون وقد أخذتكم الشفقة فذرفتم هذه الدموع السخيَّة. ايتها القلوب الرقيقة! انك تبكين لرؤية رداء حبيبنا وحبيبكم قيصر ممزقاً. ولكن تعالي وانظري جسمه نفسه الذي اخترقته خناجر اولئك الخونة السفّاكين.

العامي الأول: انه لمشهد أليم!

الثاني: يا لقيصر العظيم!

الثالث: تبّاً له من يوم مشؤوم!

الرابع: يا للخوَنة الأوغاد!

الأول: يا له من منظر دموي بشع!

الثاني: الثأر! الانتقام! إبحثوا عنهم في كل مكان... واحرقوهم. اقتلوهم. اذبحوهم. اجعلوا من هؤلاء الخونة اثراً بعد عين.

انطونيوس: مهلاً أيها المواطنون!

الأول: الهدوء! ولنسمع انطونيوس يتكلم.

الثاني: سنسمعه، ونسير وراءه، ونموت معه.

انطونيوس: اخواني! أعزّائي! لم أنوِ إثارة مشاعركم ودفعكم الى مثل هذا الهياج الصاخب والثورة العارمة. فالذين أقدموا على هذه الفعلة هم أشراف كرام، لا شكَّ في انهم قادرون على إقناعكم بالأسباب والأدلة التي حملتهم على ارتكابها. اني ما جئت ايها الأخوان لأثير مشاعركم، فأنا لست بالخطيب المفوّه مثل بروتوس. ولكني — كما تعلمون جميعكم — رجل بسيط اخلصت المحبة والوفاء لصديقي. وهم يعلمون ذلك حق العلم، اولئك الذين سمحوا لي برثائه امامكم. فليس لي من فصاحة اللسان، وبلاغة الكلام، وقوة التعبير، وحسن الإلقاء ما يلعب بالعواطف ويثير النفوس. اني لا أقول إلا ما يجول في خاطري، لا اكثر ولا أقلّ. واخاطبكم بما تعرفون انتم انفسكم، وأُريكم جروح قيصر البكماء لتنوب عني، انا العاجز، برفع شكواها الى مسامعكم. ولكن لو كنت انا بروتوس، وكان بروتوس انطونيوس الذي يخاطبكم لَوجدتموني ذلك الخطيب المفوّه الذي يثير شجونكم، ويلهب صدوركم،

ويضع في كل جرح من جروح قيصر لساناً يؤثر في احجار رومة بالغ الأثر ويدفعها الى الثورة والعصيان.

الجميع: الثورة! الثورة!

العامي الأول: هيًا نحرق بيت بروتوس!

الثالث: تعالوا نبحث عن الخونة المتآمرين.

انطونيوس: كلمة اخرى أسوقها اليكم ايها المواطنون...

الجميع: السكون! استمعوا الى انطونيوس العزيز الجانب.

انطونيوس: ما بالكم ايها الأخوان تُقدمون على عمل ما تجهلون! ما الذي حملكم على محبة قيصر الى هذا الحد؟ وأسفاه! انكم لا تعلمون وعليَّ ان اصارحكم، فقد نسيتم الوصية التي ذكرتها لكم.

الجميع: صحيح! حقاً لقد نسينا الوصية. ابقوا حتى نسمع الوصية.

انطونيوس: ها هي الوصية، ممهورة بخاتم قيصر نفسه، يهَب فيها لكل مواطن روماني بمفرده خمساً وسبعين دراخما[1].

العامي الثاني: يا لقيصر! كم كان نبيلاً وكريماً! لا بدَّ من الانتقام لاغتياله.

الثالث: يا لقيصر الملك!

انطونيوس: صبركم ايها الاخوان حتى انهي كلامي.

الجميع: السكون!

انطونيوس: وعلاوة على ذلك، فقد ترك لكم جميع حدائقه وبساتينه الحديثة ومصايفه الخاصة على هذه الضفة من « التيبر ». اجل! لقد وهبها لكم ولأولادكم من بعدكم، لتسرحوا وتمرحوا فيها. هذا هو قيصر. ومتى يجود الزمان بمثله!

العامي الأول: أبداً! مستحيل! هيًا بنا نحرق جثته في المعبد. ومن ثم نحرق بيوت الخونة. هيًا احملوا الجثة.

الثاني: هلمُّوا. اعدُّوا النار.

الثالث: حطِّموا كراسي المحاكمين.

---

(١) خمس وسبعون دراخما: نحو ثلاث ليرات استرلينية.

الرابع: كسّروا المقاعد والنوافذ وكل ما تصل اليه أيديكم.

(يخرج العامة بالجثة)

انطونيوس: ها كلماتي قد فعلت فيهم فعلها، فهاجوا وماجوا. وهوذا الثورة قد ذرَّ قرنها، فلتنزل بهم الخراب والدمار ما شاء لها ذلك.

(يدخل خادم)

ما الخبر يا غلام؟

الخادم: مولاي، لقد وصل اكتافيوس الى رومة.

انطونيوس: وأين هو؟

الخادم: هو ولبيدوس في بيت قيصر.

انطونيوس: سأذهب اليه في الحال وأُقابله. لقد وصل في الوقت المناسب كما كنت ارجو. ان الحظ يحالفنا، ولا شك في انه سيجود علينا بجميع آمالنا وأمانينا.

الخادم: سمعته يقول ان بروتوس وكاشيوس قد جنَّ جنونهما فلاذا بالفرار من رومة.

انطونيوس: ربما نمي اليهما نبأ هياج الشعب، وكيف أثرته وألهبت مشاعره. هيا بنا الى اكتافيوس.

(يخرجان)

المشهد الثالث

شارع

(يدخل سنّا الشاعر)

سنّا: حلمت الليلة اني كنت في إحدى الولائم مع قيصر، فاستولى عليّ تطيّر من امور جرت تنذر بكارثة وشيكة الوقوع. ولذلك لا ارغب في مغادرة منزلي والتجوّل في الشوارع. بيد ان هناك عوامل خفيَّة تدفعني الى ذلك.

(تدخل جماعة من العامة)

العامي الأول: ما اسمك؟
الثاني: الى أين انت ذاهب؟
الثالث: أين تسكن؟
الرابع: أمتزوج انت أم أعزب؟
الثاني: أجِبْ بوضوح كل واحد منا حالاً!
الأول: وبكل اختصار.
الرابع: وبعد إعمال عقلك.
الثالث: نعم، وبكل صدق، وإلا كانت النتيجة على غير ما تشتهي.
سنا: اما عن اسمي، وإلى أين أذهب، وأين أسكن، وإن كنت متزوجاً أم أعزب، ثم أُجيب كل واحد منكم باختصار، وبصدق، وبتعقُّل، فأقول لكم بكل صدق وتعقُّل: اني اعزب.
الثاني: تعني ان المتزوجين مجانين. انك تستأهل ان اصفعك من اجل ذلك. هيَّا اكمل الإجابة.
سنا: اني ذاهب لحضور مأتم قيصر.
الأول: أكصديق ذاهب أم كعدوّ.
سنا: كصديق.

الثاني: ان الجواب عن هذا الأمر واضح.

الرابع: وبخصوص مسكنك؟ أجب باختصار.

سنا: بكل اختصار، اني اسكن بجوار الكابيتول.

الثالث: والآن قل لنا بكل صدق: ما اسمك؟

سنا: بكل صدق أقول ان اسمي سنّا.

الأول: مزِّقوه إرباً إرباً. انه من الخونة القتَلة.

سنا: لا، انا سنّا الشاعر، انا سنّا الشاعر.

الرابع: اقتلوه لركاكة شعره، اقتلوه لركاكة شعره.

سنا: انا لست سنّا المتآمر الخائن.

الرابع: هذا لا يهمّ ما دام اسمك سنّا. انزعوا اسمه من قلبه واتركوه في حال سبيله.

الثالث: مزِّقوه، مزِّقوه! هيَّا بالمشاعل الى بيت بروتوس وبيت كاشيوس، وليتوجَّه البعض الى بيت ديشيوس وآخرون الى بيت كاسكا وليغاريوس. هلمّوا بنا لنحرقهم جميعاً.

(يخرج جميع العامة)

الفصل الرابع

المشهد الأول
منزل في رومة

(انطونيوس واكتافيوس ولبيدوس جالسين الى المائدة)

انطونيوس: يجب القضاء على جميع الذين أشرنا امام اسمائهم في اللائحة.
اكتافيوس: وأخوك ايضاً يجب ان يموت معهم. أتوافق على ذلك يا لبيدوس؟
لبيدوس: من كل بدّ أُوافق.
اكتافيوس: أشِرْ امام اسمه يا انطونيوس.
لبيدوس: إنما بشرط ان يقتل ايضاً ابن اختك بوبليوس يا مرقس انطونيوس.
انطونيوس: يجب ان يموت. وبهذ الإشارة احكم عليه بالإعدام. وأنت يا لبيدوس، اذهب الى بيت قيصر واحضر لنا الوصية، لنرى ما يجب حذفه منها.
لبيدوس: وهل أجدكما هنا عندما أعود؟
اكتافيوس: سنكون إما هنا او في الكابيتول.

(يخرج لبيدوس)

انطونيوس: انه عديم الأهلية لا يؤبه له، ولا يصلح لأكثر من تأدية بعض

الرسائل. وهل يجوز ان يشترك معنا في اقتسام العالم بالتساوي فيما بيننا نحن الثلاثة؟

اكتافيوس: وبالرغم من رأيك هذا فيه، فقد اشركته معنا في وضع اللائحة السوداء بأسماء الذين حكمنا عليهم بالإعدام.

انطونيوس: اني أكبر منك سناً يا اكتافيوس وأكثر اختباراً. ومع اننا تفضّلنا عليه بشرف الاشتراك معنا في وضع اللائحة، لتجنُّب ما قد يوجّهه الينا الأعداء من لاذع الملام وبغيض التهم، فانه لا يكون مع هذا الشرف اكثر من حمار محمَّل بالذهب يئنُّ تحت هذه المسؤولية الشاقة، نقوده ونسوقه في الاتجاه الذي نبغي، حتى إذا ما وصل الى حيث نشاء، أنزلنا الذهب عن ظهره، وتركناه يحرّك أُذنيه كحمار تجرَّد من حمله ليرعى في البراري كغيره من الحمير.

اكتافيوس: إعمل ما يحلو لك، ولكن لا تنسَ انه جندي شجاع قد حنَّكته الحروب.

انطونيوس: وهكذا جوادي يا اكتافيوس. فقد شهد الحروب وخاض غمارها، ومن اجل ذلك أجود عليه بالعلف الكثير. هو حيوان علَّمته النزال واللفَّ والوقوف والعدْو. كل ذلك وحركاته خاضعة لمشيئتي. فهو بذلك يشبه الى حدّ بعيد لبيدوس الذي يجب ان نعلّمه وندرّبه ونأمره بالتقدم للعمل. فهو رجل أحمق يُسرُّ بالنظريات ومحاكاة الآخرين بتقاليد أكل عليها الدهر وشرب، وهو يخالها من مستحدثات العصر. فلا تذكره والحالة هذه إلا كآلة تستعملها كما تشاء. والآن اسمع يا اكتافيوس، اسمع ما تخبئه لنا الأيام من أحداث جسام ومخاطر عظيمة. فان بروتوس وكاشيوس يحشدان قواتهما، فعلينا ان نباغتهم في الحال. ولكي يتسنى لنا ذلك، يجب توحيد صفوفنا واستنفار أشدّ رجالنا وأخلص أصدقائنا، للتشاور وتدارس الموقف، فنذيع النبأ على جماهير شعبنا، ومن ثم نتصدّى للمخاطر المحدقة بنا.

اكتافيوس: علينا بما تقول، فاننا في مأزق حرج يحيط بنا الأعداء الكثيرون. وأخشى ما أخشاه ان يكون هنالك من يبتسم في وجوهنا ويضمر لنا الشرّ.

المشهد الثاني
معسكر بالقرب من سارديس. أمام خيمة بروتوس

(قرع طبول. يدخل من جهة بروتوس ولوشيليوس
وبعض الجنود. ويقابلهم من الجهة الأخرى تيتنيوس وبنداروس)

بروتوس: مكانك هناك!

لوشيليوس: اعطِ الكلمة وقفْ مكانك!

بروتوس: ما وراءك يا لوشيليوس؟ هل كاشيوس على مقربة منا؟

لوشيليوس: اجل، هو قريب منا. وها هو بنداروس يحمل اليك تحيات سيده.

بروتوس: لا مأخذ لي على سلامه. إنما ما أشكو من سيدك هو انه إما لتغيّر طرأ عليه، او لسوء تصرّف بدَرَ من بعض ضباطه. حصلت أشياء كنت أتمنّى ألاّ تحصل، وبالطبع كان لي كل الحق في ان أستاء منها. وبما انه على مقربة منا، قل له ان يحضر لنبحث هذه الأمور علّه يقنعني...

بنداروس: لا شك في ان سيدي سيبدو لك كما هو، رجل فطنة وكرم أخلاق.

بروتوس: لا شك عندنا في انه رجل شريف. كلمة يا لوشيليوس: كيف قابلك كاشيوس؟ اخبرني.

لوشيليوس: بكل حفاوة واحترام، ولكن ليس بتلك المودَّة وتلك الصراحة اللتين اعتادهما قبلاً.

بروتوس: لقد وصفت صديقاً حميماً يشوب محبته الفتور. ولاحظ يا لوشيليوس، ان المحبة إذا فترت لجأ صاحبها الى المجاملة، فليس هناك من زيف في محبة الصديق وإخلاصه. اما المنافقون فهم كالخيل المتحفزة لخوض الحروب. ومتى دقّت الساعة واندلعت نيرانها انطلقت تلك الخيول ببالغ الحماسة والشجاعة، مما يجعل راكبيها يتوسّمون فيها الخير. ولكن ما ان يحمي الوطيس وينهكها الكرّ والفرّ حتى تخور قواها وتصطكّ ركبها، وتتدلى اعرافها، فتخرج من الميدان فاشلة ذليلة. قل لي: هل وصل جيشه؟

لوشيليوس: من المنتظر ان يبيتوا الليلة في سارديس، ولكن معظم الفرسان قد جاؤوا مع كاشيوس.

(وطء أقدام خفيف في الداخل)

بروتوس: هوذا قد وصل. تقدَّموا بهدوء لملاقاته.

(يدخل كاشيوس وجنوده)

كاشيوس: مكانك!
بروتوس: مكانك! قل الكلمة!
الجندي الأول: مكانك!
الثاني: مكانك!
الثالث: مكانك!
كاشيوس: لقد أسأت إليَّ يا صديقي العزيز.
بروتوس: أُشهد الآلهة اني لا أُسيء الى عدوّ، فكيف الصديق؟
كاشيوس: تتظاهر بالرزانة يا بروتوس، ولكن وراء الأكمة ما وراءها. فانك تخفي تحتها الأذى الكثير، وعندما تُقدِمْ على ارتكابه...
بروتوس: ارجوك يا كاشيوس ان تهدّىء روعك وتخبرني ممَّ تشكو، فأنا أعرفك حق المعرفة. ولا يجوز ان نتخاصم على مرأى ومسمع من جندنا الذين لا يجب ان يلحظوا منا سوى المحبة والصداقة. مُرْهم بالانصراف يا كاشيوس، وتعالَ الى خيمتي واشرح لي ما يزعجك ويؤلمك ترَني آذاناً صاغية لك.
كاشيوس: يا بنداروس، مُرْ قوّادنا بأن يبتعدوا بجنودهم من هنا.
بروتوس: وأنت كذلك يا لوشيليوس، لا تدَعْ أحداً يقترب من خيمتنا الى ان نتمَّ محادثتنا. ومُرْ لوشيوس وتيتنيوس بحراسة باب الخيمة.

(يخرجون)

المشهد الثالث
خيمة بروتوس

(يدخل بروتوس وكاشيوس)

كاشيوس: أما انك قد أسأت إليَّ فواضح من هذه القضية: لقد اتهمت « لوشيوس بيلاّ » بقبض الرشوة من « الساردين »[1] وشهّرت به وعاقبته، مع اني كتبت اليك مراراً ألتمس الصفح عنه لأنه صديقي وأعرفه حق المعرفة. فكنت تضرب برسائلي عرض الحائط.

بروتوس: بل انت الذي أسأت الى نفسك لتدخُّلك في مثل هذه القضية.

كاشيوس: ليس من المناسب، في مثل هذه الظروف، ان نعاقب الناس على أقلّ هفوة تبدر منهم.

بروتوس: اسمح لي يا كاشيوس بأن أقول لك أنك انت نفسك متهم بالرشوة، وأنك تتاجر بالمناصب وتبيعها بالمال لعديمي الجدارة والاستحقاق.

كاشيوس: أنا، أنا متهم بالرشوة؟! اقسم بالآلهة انه لو لم يكن أخي وصديقي بروتوس هو الذي يقول ذلك، لأخمدت أنفاسه لا محالة.

بروتوس: إن اسمك يا كاشيوس يخصّك بحصانة وينزِّهك عن تهمة الرشوة، فلا تصل اليك يد العدالة بعقاب.

كاشيوس: عقاب؟!

بروتوس: تذكَّر آذار. تذكَّر الخامس عشر من آذار. ألم يهدر دم قيصر من أجل العدالة؟ وأي وغد سدَّد الى قلبه الطعنات إلا في سبيل تأمين العدالة؟ وهل يليق بنا نحن الذين قضينا على أعظم رجل في العالم، لا

---

(١) الساردیون: سكان مدينة « ساردیس » عاصمة مملكة « ليديا » في غربي آسيا الصغرى، وهي التي كان أحد ملوكها « قارون » المشهور بغناه.

لسبب إلا لأنه كان يتغاضى عن اللصوص ويتسامح معهم فلا تطالهم يد العدالة بعقاب ــ هل يليق بنا ان ندنِّس أيدينا الآن بمال الرشوة الدنيء، ونبيع شرفنا وكرامة مناصبنا الرفيعة بحفنة من مال لا يغني فتيلاً؟ فاني لأفضِّل ان أكون كلباً ينبح في وجه القمر، على ان أكون رومانياً بمثل هذه الدناءة والمهانة.

كاشيوس: لا تُثِرْ غضبي يا بروتوس. فاني لا أتحمَّل مثل هذا الكلام. والظاهر انك تنسى مَن انا عندما تحاول ان تفرض سيطرتك عليّ. أجل، انك تنسى أني جندي أقدم منك خدمة، وأكثر حنكة، وأقدر على البتّ في الأمور بنفسي.

بروتوس: هذا غير صحيح يا كاشيوس، وعليك ان تخجل من نفسك.

كاشيوس: لا بل انا هو ذاك الرجل.

بروتوس: وأنا أقول انك لست كما تدَّعي.

كاشيوس: لا تُثرني، فقد أفقد صوابي. إرفقْ بنفسك ولا تتمادَ في إحراجي.

بروتوس: إليك عني ايها الصعلوك!

كاشيوس: أوَيمكن ذلك؟

بروتوس: إسمع يا هذا! أوَتظنني أُذعن لسَوْرة غضبك وأُعطيك المجال لتقول ما تشاء، او اني أخاف نظرات معتوه مسعور نظيرك؟

كاشيوس: رحماكِ ايتها الآلهة! أفي استطاعتي تحمّل كل ذلك؟

بروتوس: أجل، كل ذلك، وأكثر من ذلك. وعليك ان تعاني من آلام الغضب ما يذلّ غطرستك ويسحق قلبك. ليكن غضبك على عبيدك، وإرهابك لخدمك وأتباعك. اما انا فلا أخشاك ولا أسترضيك ولا أعبأ بانفعالك وهياجك. واعلم اني لن أتراجع خطوة واحدة عما وطنت نفسي على إجرائه. وحق الآلهة، ان سهام غيظك سترتدّ الى نحرك وتقضي عليك القضاء المبرم. ومن الآن فصاعداً ستكون موضع ضحكي وسخريتي كلما ثارت ثائرتك وتناولت الغير بقارص الكلام ولاذع الأوصاف.

كاشيوس: أبَلَغ بنا الأمر الى هذا الحد؟

بروتوس: تزعم انك جندي أجدر مني ، فأرني كيف يكون ذلك وبرّرْ

تبجُّحك، فذلك ما يسرّني لأني احب ان أتعلم نظام الجندية وممارساتها من أربابها ذوي الخبرة والدراية.

كاشيوس: انك تظلمني يا بروتوس. لقد قلت لك اني أقدم منك في الجندية وليس اكثر خبرة ودراية. أوَقلت اني أجدر منك؟

بروتوس: لا يهمني إن قلت ذلك.

كاشيوس: لم يجرؤ قيصر نفسه، عندما كان على قيد الحياة، ان يتحدّاني ويغضبني على هذا النحو.

بروتوس: مهلاً، مهلاً! وأنت كذلك لم تجرؤ على استفزازه هكذا.

كاشيوس: ألم أجرؤ عليه؟

بروتوس: بلى لم تجرؤ.

كاشيوس: ماذا تقول؟ لم أجرؤ على استفزازه؟

بروتوس: كلا، وذلك إبقاء على حياتك.

كاشيوس: لا تبالغ في استغلال محبتي لك، فقد يصدر مني ما آسف عليه.

بروتوس: لقد صدر منك ما يوجب أسفك. ان تهديدك لا يخيفني يا كاشيوس، لأن لي من نزاهتي واستقامتي ما يجعل كلامك يمرّ بي كريح لا يحرّك ساكناً فلا أعبأ به. لقد طلبت منك مالاً فرفضت طلبي. وحق السماء اني لأؤثر ان أسكَّ من قلبي ومن دمي نقوداً ذهبية وفضية، على استباحتي مال القرويين الكادحين. ارسلت اليك في طلب بعض المال لأدفع لجنودي رواتبهم، فأنكرت عليَّ الطلب. فهل ما عملت يا ترى يليق بكاشيوس؟ وهل كنت ارفض لك هذا الطلب؟ رحماك ايتها الآلهة! لو بلغ بروتوس هذا الحدَّ من البخل فضنَّ على أصدقائه بمثل هذا النزر القليل من المال، فأنزلي عليه من صواعقك ما يمزّق أوصاله ويسحقه سحقاً.

كاشيوس: ولكني لم أرفض لك طلباً.

بروتوس: نعم لقد رفضت.

كاشيوس: كلا لم أرفض. ولا شك ان الذي أبلغك جوابي كان أبله لم يحسن التعبير. وعلى كل حال، لقد كسرت قلبي يا بروتوس، فالصديق

من يغفر لصديقه زلّاته. ولكني أراك تبالغ في تضخيم هفواتي إن كان لي من هفوات.

بروتوس: هذا غير صحيح. وإنْ بدَر مني شيء من ذلك فلا يكون إلا انعكاساً لتصرّفك معي، والباديء أظلم.

كاشيوس: انت لا تحبني.

بروتوس: كلا. انا لا احب أخطاءك.

كاشيوس: ان عين المحب عمياء لا ترى مثل هذه الهفوات.

بروتوس: وعين المداهن لا ترى العيوب ولو كانت بحجم الأولمبوس.

كاشيوس: إليَّ يا انطونيوس. إليَّ يا اكتافيوس! تعاليا وانتقما من كاشيوس، ومن كاشيوس وحده. فقد كفر بالعالم وما فيه، وأصبح مكروهاً حتى ممن احب، ومحتقراً ممن كان يعتبره أخاً وصديقاً، مهاناً كعبد ذليل، أخطاؤه محصيَّة عليه ومدوَّنة في سجلٍ يردِّدها الناس دائماً ويصبّون جام غضبهم عليه. كل ذلك قد جعلني أذرف الدمع مدراراً وأشتهي الموت حزناً وأسى. فهاك خنجري يا بروتوس، وهاك قلبي الغالي عليَّ أكثر من ذهب بلوتوس[1]، فانتزع قلبي من داخلي لتتأكد أن من ضنَّ عليك بالمال لا يتورَّع عن الجود بالقلب. فاطعنه كما طعنت قيصر، علماً أنك مع شدَّة كرهك لقيصر كنت تحبه أضعافاً مضاعفة من حبك لكاشيوس.

بروتوس: ارجع خنجرك الى غمده، واغضب ما شاء لك الغضب، وقل ما حلا لك قوله، واعمل ما تراءى لك عمله. فلا تجد من بروتوس مع كل ذلك إلا صديقاً يقدِّر موقفك، ويتقبل ما يصدر منك بصدر رحب وقلب مسامح غفور، صديقاً طيِّب القلب لا يضمر لك الحقد. فمهما استاء من تحدِّياتك واستفزازاتك، لا يلبث ان تهدأ سورة غضبه كما تخمد النار بعد ان يتطاير الشرر من حجر الزناد.

كاشيوس: وهل أطالت الآلهة بعمر كاشيوس، ليكون موضع هزء وسخرية لصديقه وحبيبه بروتوس في أوقات محنته وانفعاله؟

---

(١) بلوتوس: إله الثراء.

بروتوس: وأنا كذلك، فقد كنت في حالة غضب عندما قلت ما قلت.
كاشيوس: أوَتعترف بذلك؟ إذن هات يدك لنتصافح ونتصافى.
بروتوس: وقلبي ايضاً اعطيك.
كاشيوس: بروتوس.
بروتوس: ما بك؟
كاشيوس: ألا تحبني يا بروتوس بقدرٍ يجعلك تتسامح معي كلما اعتراني نزق ورثته عن أمي؟
بروتوس: أجل يا كاشيوس. كلما ثرْتَ في وجهي بعد الآن سأفترض أن أمك هي التي تهاجمني، فأتركك وشأنك الى ان تهدأ العاصفة.
شاعر: (من الداخل)... اسمح لي بالدخول لأقابل القائدين وأُصلح ما بينهما من خصام، إذ لا يليق ان يُتركا وشأنهما.
لوشيليوس: (من الداخل)... لا أسمح لك بالدخول اليهما.
الشاعر: (من الداخل)... لا شيء يمنعني من الدخول إلا الموت.

(يدخل الشاعر ووراءه لوشيليوس وتيتنيوس ولوشيوس)

كاشيوس: ما هذا الضجيج؟
الشاعر: عار عليكما ايها القائدان ان تتخاصما. بل الأحرى ان تكونا صديقين متحابين كما يليق برجلين مثلكما. فخذا بنصيحتي لأني أكبر منكما سنّاً وأكثر حنكة.
كاشيوس: (ضاحكاً) يا له من شعر ركيك وكلام حقير يتلوه علينا هذا الكلب!
بروتوس: اخرج من هنا أيها الرجل. اخرج ايها الوقح!
كاشيوس: لا تغضب يا بروتوس، فهذا طبعه.
بروتوس: اني أعذره شرط ان يعرف متى يمزح. وأي نفع يرتجى من هؤلاء الحمقى الراقصين في زمن حرب ضروس نخوض غمارها. هيا اخرج من هنا ايها المهرّج.
كاشيوس: هيا اخرج.

(يخرج الشاعر)

بروتوس: يا لوشيليوس، يا تيتنيوس، أبلغا القادة أمري بأن يضربوا خيامهم هنا لمبيت كتائبهم.

كاشيوس: ثم ارجعا الينا وأحضرا معكما ميسالا.

(يخرج لوشيليوس وتيتنيوس)

بروتوس: لوشيوس، ائتني بقدح من الخمر.

(يخرج لوشيوس)

كاشيوس: ما كنت أظن ان يتملَّكك مثل هذا الغضب.

بروتوس: آه يا كاشيوس! لقد أضنتني المكاره والأحزان.

كاشيوس: إذن لا فائدة من فلسفتك الرواقية[1] إن انت ضقت ذرعاً بأحكام القضاء والقدر.

بروتوس: لا يقوى أحد سواي على احتمال مثل أحزاني وقد ماتت بورشيا.

كاشيوس: ماذا؟ بورشيا؟

بروتوس: نعم، لقد ماتت.

كاشيوس: فكيف تمكَّنت من النجاة بحياتي عندما أثرتك وأغضبتك؟ يا لها من خسارة فادحة ومصاب جلل! ما سبب موتها؟

بروتوس: لم تقوَ على احتمال بعادي عنها، كما تملَّكها حزن عميق لتفوّق قوات اكتافيوس ومرقس انطونيوس على قواتنا. وقد بلغني الخبران: موتها وتفوق الأعداء، في وقت واحد. لهذا السبب فقدت أعصابها، وفي غياب خدمها ابتلعت جمراً من النار وفارقت الحياة.

---

(١) إشارة الى المذهب الرواقي « الذي أنشأه (زينون) حوالي عام ٣٠٠ ق.م. والذي قال بأن الرجل الحكيم يجب ان يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح او الترح، وأن يخضع من غير تذمُّر لحكم الضرورة القاهرة ».

كاشيوس: وهكذا قضت نحبها!
بروتوس: نعم هكذا!
كاشيوس: رحماكِ أيتها الآلهة التي لا تموت!

(يعود لوشيوس بخمر وشمعة)

بروتوس: لا تذكرها لي بعد الآن. اعطني قدحاً من الخمر لأضع به حدّاً لِما بيننا من خصام وجفاء يا كاشيوس.

(يشرب)

كاشيوس: ان قلبي لمتعطش لهذا التصريح. اسكب لي يا لوشيوس حتى تطفح الكأس. لا أستطيع ان أشرب ما يعادل محبتك لي يا بروتوس.

(يشرب)

(يخرج لوشيوس)

(يعود تيتنيوس وميسالا)

بروتوس: تقدَّمْ يا تيتنيوس! مرحباً بك يا ميسالا! لنجلس حول الشمعة ونتداول في امورنا.
كاشيوس: بورشيا! أرحلتِ عنا يا بورشيا؟
بروتوس: أرجوك أن لا تذكِّرني بها يا كاشيوس. لقد تسلمت رسائل يا ميسالا تنبيء بأن اكتافيوس ومرقس انطونيوس يجدّان الزحف بجيش جرّار لمهاجمتنا، وهما الآن باتجاه « فيلبي ».
ميسالا: ولديَّ ايضاً رسائل في هذا المعنى.
بروتوس: وهل فيها أكثر من ذلك؟
ميسالا: فيها ايضاً ان اكتافيوس وانطونيوس ولبيدوس أدانوا مائة من أعضاء السناتو بتهمة العداء للدولة وأعدموهم.
بروتوس: في هذا الأمر تختلف رسائلنا. ففي رسائلي ان سبعين فقط أُعدموا، منهم شيشرون.
كاشيوس: شيشرون منهم؟

ميسالا: شيشرون قد أُعدم بالتهمة ذاتها. وهل كانت الرسائل التي وصلتك، من زوجك يا مولاي؟[1]
بروتوس: لا يا ميسالا.
ميسالا: ألم تكتب اليك على الاطلاق؟
بروتوس: لا يا ميسالا.
ميسالا: يبدو لي أن هذا أمر غريب.
بروتوس: لماذا تسأل؟ هل في رسائلك شيء عنها؟
ميسالا: لا يا مولاي.
بروتوس: اخبرني حقيقة الأمر، فانك روماني صادق.
ميسالا: إذن إليك الحقيقة، فتجلَّدْ واسمعها لقد ماتت وبطريقة غريبة.
بروتوس: الوداع يا بورشيا! لقد كُتب الموت علينا جميعاً يا ميسالا. ولاعتقادي انها لا بدَّ ان تموت عاجلاً أم آجلاً، فاني أتحمَّل مصيبتي هذه بالصبر والسلوان.
ميسالا: ان العظماء يا مولاي يتحمّلون الخسائر الفادحة بصبر وطول أناة.
كاشيوس: اني نظرياً مثلك صبراً وطول أناة، ولكني عملياً ضعيف إزاء مثل هذه المصيبة.
بروتوس: حسناً، لنعُدْ الى شؤون الحياة! ما رأيك في المسير الى فيلبي فوراً؟
كاشيوس: لا أستحسن ذلك.
بروتوس: ولماذا؟
كاشيوس: لأني أرى من الأفضل ان نرابط في قواعدنا هنا نتمتع بالراحة ونزداد قوة ونشاطاً، حتى عندما يصل الينا العدو يكون قد استنفد قواه وأخذ التعب منه كل مأخذ، فنقوى على الصمود في وجهه والدفاع عن أنفسنا.
بروتوس: ان الآراء الحسنة لا بدّ وأن تنتهي بالمناقشة والجدل بآراء أحسن.

(١) في هذا الحديث يظهر بروتوس وكأنه يسمع بوفاة زوجته بورشيا لأول مرة. ويجوز أن يكون هذا الحديث ورد في قسم من مسودة سابقة حذف فيما بعد من الرواية.

فالناس بين فيلبي وهنا لا يحبوننا ولا يظهرون لنا الولاء إلا خوفاً واضطراراً. وهم لذلك يستنكفون عن مساعدتنا بالمؤن والرجال. فإذا تقدَّم العدو نحونا مارّاً بأرضهم، زاد جيشه عدداً وعدّة بانضمامهم الى صفوفه وتقديم المؤن له، مما يوجب علينا ان نحرمه من هذه الفائدة بملاقاته في فيلبي.

كاشيوس: إسمع يا أخي...

بروتوس: اسمح لي بأن أتمّ حديثي! عليك ان تعلم اننا استطعنا حتى الآن الحصول على أقصى مساعدة ممكنة من أصدقائنا فتكاملت جيوشنا وأصبحت جاهزة. فلا بدّ إذن من الهجوم لتحقيق أمانينا قبل فوات الأوان، علماً أن جيوش الأعداء آخذة في النموّ يوماً بعد يوم، في حين قد بلغنا الذروة وليس أمامنا إلا الانحدار. ولا يخفاك أن لشؤون الحياة مداً إذا ما انتفع به الانسان حصل على الفائدة المرجوّة. اما إذا غفل عنه، جنحت به سفينة الحياة الى المياه الضحلة، فباءت مساعيه بالفشل الذريع. ونحن الآن في عرض البحر سائرون، فعلينا ان نغتنم الفرصة السانحة ونتبع تياره، وإلا ذهبت جهودنا ادراج الرياح.

كاشيوس: ليكن ما تريد، ولنسِرْ لملاقاتهم في فيلبي.

بروتوس: كاد الليل ينقضي ونحن في الحديث. ولما كان للضرورة أحكامها ولأجسادنا علينا حق، وجب علينا ان ننام ونستريح قليلاً. أمن شيء آخر نقوله؟

كاشيوس: لا شيء. طابت ليلتك. نستيقظ في الغد الباكر ونسير على بركة الله.

بروتوس: لوشيوس! احضر ردائي. الوداع يا ميسالا.

(يخرج لوشيوس)

طابت ليلتك يا تيتنيوس، وليلتك ايضاً يا عزيزي كاشيوس. أتمنى لكما نوماً هادئاً.

كاشيوس: أخي وعزيزي بروتوس! لقد بدأنا ليلتنا بداية سيئة. ليت مثل هذا الخلاف لم يحصل بيننا، وأرجو عدم تكراره بعد الآن.

بروتوس: وأنا أرجو ذلك.

كاشيوس: طابت ليلتك يا مولاي.

بروتوس: وليلتك يا عزيزي.

تيتيوس ثم ميسالا: طابت ليلتك مولاي بروتوس.

بروتوس: الوداع لكما.

(يخرج كاشيوس وتيتنيوس وميسالا)
(يعود لوشيوس بالرداء)

ناولوني الرداء. أين قيثارتك؟

لوشيوس: هنا في الخيمة.

بروتوس: أراك تتكلم وقد استولى عليك النعاس. مسكين انت. لا لوم عليك فقد أعياك السهر. نادِ كلوديوس مع آخر من رجالي. فبودِّي ان يناما على الوسائد هنا في خيمتي.

لوشيوس: فارو! كلوديوس!

فارو: هل دعانا مولاي؟

بروتوس: نعم، ارجو ان تناما معي في خيمتي. فربما أيقظتكما فيما بعد لتحملا رسالة مني الى كاشيوس.

فارو: كما تريد. نبقى ساهرَين رهن إشارتك.

بروتوس: لا، لا اريدكما ان تسهرا، لأني ربما عدلت عن الرسالة. انظر يا لوشيوس. ها هو الكتاب الذي كنت أبحث عنه، فقد وضعته في جيب ردائي.

لوشيوس: لقد كنت على يقين يا مولاي من أنك لم تعطني إياه.

بروتوس: عفواً يا ولدي، فقد أصبحت كثير النسيان. أفي إمكانك السهر قليلاً لتعزف لي على قيثارتك مقطوعة او اثنتين؟

لوشيوس: أجل يا مولاي! إذا كان يسرّك ذلك.

بروتوس: يسرّني ذلك يا مولاي. أنا أُتعبك كثيراً، ولكنك ولد مطواع تستجيب عن طيب خاطر دون كلل او ملل.

لوشيوس: ذلك واجبي يا مولاي.

بروتوس: ولكن يجب ان لا أُكلّفك فوق طاقتك، فأنا أعلم ان الأجسام الفتيَّة بحاجة الى النوم.

لوشيوس: لقد سبق لي أن نمت يا مولاي.

بروتوس: حسناً فعلت. ذلك يسرّني. ولكن يجب ان تنام ثانية، فسوف لا أُبقيك عندي طويلاً. وإذا كُتبت لي الحياة فسأبرّ بك وأُحسن معاملتك.

(موسيقى وغناء)

هذا لحن حالم. إيه أيها الكرى القاتل! ما بالك تنزل بغلامي هذا وهو يُسمعك من الألحان أشجاها؟ الى فراشك أيها الغلام، فاني لا أظلمك بالسهر وأحرمك النوم. فإذا أحنى النعاس رأسك، كسرت القيثارة. فهاتها واذهب يا ولدي الى فراشك. ما هذا؟ يظهر أن ورقة الكتاب قد انطوت وأنا أقرأ. ها هي على ما أظن.

(يجلس ويستأنف القراءة في الكتاب)
(يدخل شبح قيصر)

ما أضعف نور هذه الشمعة. ها! مَن القادم الينا؟ لا. أظن عينيَّ الضعيفتين تصوّران لي هذا الشبح الغريب! انه يقترب مني! مَن انت؟ هل انت إله أم ملاك أم شيطان فتجعل الدم يجمد في عروقي، والشعر ينتصب في رأسي؟ قل لي، مَن انت؟

الشبح: أنا روحك الشرّيرة يا بروتوس.

بروتوس: ولما جئت الى هنا؟

الشبح: لأخبرك انك ستراني في فيلبي.

بروتوس: هل تعني بذلك اني سأراك مرة ثانية؟

الشبح: أجل، وفي فيلبي.

بروتوس: إذن لا بدَّ لي من رؤيتك في فيلبي.

(يخرج الشبح)

ها قد استعدت قواي بعد ان تواريت أيتها الروح الشرّيرة. وكم كنت

أودُّ لو يطول الحديث معك. يا غلام يا لوشيوس! يا فارو! يا كلوديوس!
أفيقوا. يا كلوديوس!

لوشيوس: إن الأوتار غير مدوزنة يا مولاي.

بروتوس: يحلم بأنه لا يزال يعزف على قيثارته. إستيقظ يا لوشيوس.

لوشيوس: مولاي!

بروتوس: أكنت في حلم يا لوشيوس حتى صرخت هكذا؟

لوشيوس: لا أذكر يا مولاي أني صرخت.

بروتوس: نعم، لقد صرخت. فهل رأيت شيئاً؟

لوشيوس: كلا، لم أرَ شيئاً.

بروتوس: عد الى نومك يا لوشيوس. يا غلام يا كلوديوس، يا فارو، استيقظا.

فارو: مولاي؟

كلوديوس: مولاي؟

بروتوس: لماذا تصرخان في نومكما؟

الاثنان: هل صرخنا يا مولاي؟

بروتوس: نعم، هل رأيتما شيئاً؟

فارو: كلا يا مولاي، لم أرَ شيئاً.

كلوديوس: ولا أنا يا مولاي.

بروتوس: اذهبا الى أخي كاشيوس وأبلغاه سلامي وقولا له ان يسير بجيشه في الصباح الباكر، ونحن نتبعه.

الاثنان: سمعاً وطاعة يا مولاي.

(يخرجان)

الفصل الخامس

المشهد الأول
سهول فيلبي

(يدخل اكتافيوس وانطونيوس بجيشهما)

اكتافيوس: والآن يا انطونيوس، قد تحققت آمالنا، ولكنك قلت ان العدو سوف لا ينحدر الى السهل لملاقاتنا، بل يلزم التلال وأعالي الجبال. إنما ما حدث هو العكس. فها قواتهم قد أصبحت على قاب قوسين منا، ينوون مباغتتنا في فيلبي.

انطونيوس: لا يفتّ ذلك في عضدك. فأنا عارف بما يضمرون. فمع انهم يفضّلون طريقاً آخر، نراهم ينحدرون نحونا بشيء من الشجاعة مشوبة بالحذر والوجل. ذلك لكي يوهمونا بيأسهم وبسالتهم فيُدخلوا الرعب الى قلوبنا، ولكن باطنهم غير ظاهرهم.

(يدخل رسول)

الرسول: استعدّا أيها القائدان. فالعدو يتقدم بمظاهر الأُبهة والعظمة عاقداً لواء الحرب، وهو ينوي هجوماً وشيكاً.

انطونيوس: سِرْ بفرقتك يا أكتافيوس بقدم ثابتة الى الجانب الأيسر من هذا السهل.
اكتافيوس: بل أكون أنا في الميمنة وأنت في الميسرة.
انطونيوس: لماذا تعارضين والموقف حرج خطير؟
اكتافيوس: أنا لا اعارضك ولكني متوجِّه الى الميمنة.

(قرع طبول. يدخل بروتوس وكاشيوس بجيشهما)

بروتوس: لقد توقفوا، والظاهر انهم يرغبون في مفاوضتنا.
كاشيوس: إلزمْ مكانك يا تيتنيوس، فعلينا ان نخرج من صفوفنا للكلام معهم.
اكتافيوس: أوَنعطي الإشارة ببدء المعركة يا مرقس انطونيوس؟
انطونيوس: لا يا قيصر. دعهم يأخذون المبادرة، فنردّ عليهم بهجوم مضاد. تقدَّم، فإن قادتهم يريدون الكلام معنا.
اكتافيوس: لا تتحرك حتى تعطى الإشارة.
بروتوس: ألا ترون ان يسبق القول العمل أيها المواطنون؟
اكتافيوس: نحن لسنا مثلك... نحب القول أكثر من العمل.
بروتوس: الكلمة اللطيفة خير من الضربة القاتلة يا اكتافيوس.
انطونيوس: إن ضرباتك القاتلة يا بروتوس سبقت كلماتك اللطيفة، كما نرى من جروح الطعنات التي سددتها الى قلب قيصر وأنت تهتف « عاش قيصر! عاش! »
كاشيوس: لم نختبر نزالك بعد في ساحات الوغى يا انطونيوس. ولكننا سمعنا كلماتك المعسولة في مأتم قيصر، وقد سرقت الشهد من نحل « هيبلا »[1].
انطونيوس: ولكن لكلماتي إبرها اللاسعة ايضاً.
بروتوس: أجل، وتسرق طنينه كذلك، فتهدّد وتتوعَّد قبل ان تلسع.
انطونيوس: أوَلم تكونوا كذلك أيها الأوغاد اللئام، عندما اصطكَّت خناجركم

---

(١) هيبلا: مقاطعة في جزيرة صقلية اشتهرت بعسلها.

الأثيمة في صدر قيصر؟ كشَّرتم عن أنيابكم كالقردة، وتمسَّحتم كالكلاب، وجثوتم كالعبيد تلثمون قدمي قيصر، في حين انقضَّ عليه الجبان اللعين كاسكا من الخلف يطعنه في الظهر. ويحاً لكم من مداهنين منافقين!

كاشيوس: مداهنين منافقين؟ لا تلم الآن إلا نفسك يا بروتوس، لأن هذا اللسان ما كان لينالنا اليوم بالتقريع والتحقير لو أخذت بمشورتي وقتلنا انطونيوس.

اكتافيوس: هيَّا إذن فالحرب بيننا. لو أن الجدْل ينضح عرقاً فالقتال سيريق دماً. هوذا سيفي أشهره في وجهكم أيها المتآمرون القتلة، وسوف لا ارجعه الى غمده حتى يتمَّ الثأر لجروح قيصر الثلاثة والثلاثين، او تقتلوا قيصراً آخر أيها الخونة.

بروتوس: لن تموت يا قيصر بأيدي خونة إلا إذا جئت بهم معك.

اكتافيوس: وذلك ما أرجو، فإني ما ولدت لأموت بسيف بروتوس.

بروتوس: حتى لو كنت أيها الشاب أشرف قومك حسباً ونسباً، لَما قُدِّر لك ان تموت أشرف من هذه الميتة.

كاشيوس: تلميذ غرّ، يصحبه مهرّج عربيد، لا يستحق شرف هذه الميتة.

انطونيوس: هذا كاشيوس الخرف لا يتغيَّر.

اكتافيوس: هيا بنا يا انطونيوس الى القتال! إننا نتحدّاكم أيها الخونة بأن تنزلوا الى ساحة الوغى اليوم إن كنتم تجرؤون، وإلا فنحن بكم متربصون.

(يخرج اكتافيوس وانطونيوس وجيشهما)

كاشيوس: والآن صفِّقي يا رياح، وعبّي يا بحار، وامخري يا سفن، فقد عصفت العاصفة، ولا يدري ما تخبئه الأقدار إلا علاّم الغيوب.

بروتوس: إسمع يا لوشيليوس، لي كلمة معك!

لوشيليوس: مولاي!

(يتقدّم. ويتحدّث بروتوس معه على انفراد)

كاشيوس: ميسالا!

ميسالا: (يتقدم) ماذا تريد يا سيدي القائد؟

كاشيوس: اليوم يوم ميلادي يا ميسالا. ففي مثله رأيت النور. هات يدك يا ميسالا واشهد بأني مثل بومبايوس مكره على المجازفة بحريتنا في هذه المعركة التي تقرّر المصير. وأنت تعلم يا ميسالا أني شديد التمسك بتعاليم « أبيقور »[1] ومبادئه، غير أني تغيَّرت وأصبح اليوم من المتطيّرين المتشائمين. والسبب في ذلك انه بينما كنا قادمين من « ساردیس » [2] رأينا نسرين كبيرين قد حطّا على علَمنا الأمامي وأخذا يأكلان بشرهٍ من أيدي جنودنا، ورافقانا حتى وصلنا الى فيلبي. وفي هذا الصباح جاء بدلهما غربان وجوارح الطير، وأخذت تحلّق فوق رؤوسنا وتنظر إلينا كأننا فرائس لها، وتنشر من ظلالها ستاراً على جنودنا وكأنهم على فراش الموت يحتضرون.

ميسالا: ما لك وهذه الخرافات؟

كاشيوس: لا أعتقد بها إلا قليلاً لأني مرح المزاج، وقد آليت على نفسي ركوب المخاطر دون خوف او وجل.

بروتوس: هو كذلك يا لوشيليوس.

كاشيوس: والآن أيها النبيل بروتوس، لنضرع الى الآلهة ان تديم نِعَمها علينا، وتطيل أعمارنا لنرى آمالنا تتحقق. ولكن لما كانت مصائر الناس مجهولة أبداً، وجب علينا افتراض أسوأ الحالات. فإذا خسرنا هذه المعركة وكان هذا آخر حديث لنا، فما الذي تنويه؟

بروتوس: ألتزم بتلك الفلسفة التي جعلتني تعاليمها ألوم « كاتو » على انتحاره، لأني أعتبره جبناً وخسَّة ان ينتحر الانسان هرباً مما قد يحصل. أما أنا فأتشدَّد وأتصبَّر لتقبُّل ما كتبته لي الآلهة التي بيدها أقدار البشر في هذه الحياة الدنيا.

---

(١) أبيقور: مذهب فلسفي وضعه الفيلسوف الاعريقي « أبيقور » يقول بأن المتعة هي الخير الأسمى، والفضيلة وحدها هي مصدر المتعة.

(٢) ساردیس: عاصمة مقاطعة « ليديا » في شمالي غربي آسيا الصغرى.

كاشيوس: إذن تقبل السير في موكب النصر مع الأسرى والعبيد في شوارع رومة، إذا ما نحن خسرنا هذه المعركة.

بروتوس: كلا يا كاشيوس كلا. لا يخطرنَّ على بالك، وأنت الروماني العريق، ان بروتوس يرتضي بأن يُقاد الى روما مكبَّلاً بالسلاسل والأصفاد. فإن لي من رجاحة العقل وعزَّة النفس ما يرفعني عن ذلك. وعلينا في ذلك اليوم بالذات ان نتمَّ ما بدأناه في الخامس عشر من آذار. ولا أدري إن كنا سنلتقي مرة اخرى أم لا. لذلك يجب ان نودّع بعضنا الوداع الأخير يا كاشيوس. فإذا قُدِّر لنا ان نلتقي ثانية كان خيراً، وإلا نكون الآن قد أحسنّا الوداع الأبدي.

كاشيوس: الوداع الى الأبد يا بروتوس. وكما قلت: إذا قُدِّر لنا ان تلتقي ثانية كان خيراً، وإلا نكون الآن قد أحسنّا الوداع.

بروتوس: إذن لنسِرْ قدماً. يا ليت الانسان يعلم ما ستنتهي اليه عمليات اليوم قبل ان تبدأ. ولكن يكفينا ان ينصرم اليوم فنعرف المصير. هيا بنا.

(يخرجون)

المشهد الثاني
ساحة القتال

(إيذان ببدء القتال. يدخل بروتوس وميسالا)

بروتوس: هيا الى جوادك يا ميسالا. إركب وأسرع بتسليم هذه الأوامر الى الفرقة في الجانب الآخر من الميدان.

(إيذان عالٍ)

مُرهم بالهجوم حالاً، لأني ألحظ تباطؤاً وقلقاً في فرقة اكتافيوس. فإذا دهمناها كُتب لنا النصر. أسرع يا ميسالا ومرهم بالهجوم.

(يخرجان)

المشهد الثالث
جانب آخر من الميدان

(إنذار. يدخل كاشيوس وتيتنيوس)

كاشيوس: انظر يا تيتنيوس انظر، ان جنودنا الأوغاد يفرّون، مما جعلني أنقلب عليهم عدواً محارباً. ولما أدبر حامل العلَم في فرقتي قتلت الجبان وانتزعت العلم من يده.

تيتنيوس: آه يا كاشيوس! ان بروتوس أعطى الأوامر بالهجوم قبل الأوان مغتنماً فرصة تفوّقه على اكتافيوس، وأقبل جنوده على الغنائم في حين كانت جنود انطونيوس تطوّقنا جميعاً.

(يدخل بنداروس)

بنداروس: اهرب يا مولاي اهرب! فقد وصل مرقس انطونيوس الى معسكركم، فعليك الهرب يا مولاي كاشيوس والنجاة بحياتك.

كاشيوس: سألجأ الى هذا التل، فإنه بعيد، في منأى من الأعداء. انظر، انظر يا تيتينيوس! أخيامنا هذه التي تشتعل فيها النيران؟

تيتينيوس: إنها هي يا مولاي.

كاشيوس: إذا كنت تحبّني يا تيتينيوس، فاركب جوادي وأشبعْه همزاً حتى يصل بك الى اولئك الجنود. ومن ثمَّ عُدْ إليَّ بالخبر اليقين، لأعرف ما إذا كانوا جنودنا أو جنود الأعداء.

تيتينيوس: حاضر. وسأعود اليك في لمح البصر.
كاشيوس: وأنت يا بنداروس، إذهب الى ذلك التلّ واصعد الى أعلاه، وارقب تيتينيوس، فإني كليل العينين لا أستطيع الرؤية البعيدة. ثم عُد إليَّ بما يجري في الميدان.

(يخرج بنداروس)

في مثل هذا اليوم ولدت. وقد دار الزمان دورته، وسأنتهي حيث بدأت، فشمس حياتي قد آذنت بالمغيب. ما الخبر يا بنداروس؟
بنداروس: (من فوق التل) آه يا مولاي!
كاشيوس: ما الخبر؟
بنداروس: لقد طوّقت تيتنيوس ثلّة من الفرسان. إنهم يطاردونه مسرعين وهو جادٌّ في الركض. ها هم كادوا يدركونه هيا تيتنيوس أسرع... لقد ترجَّل بعضهم... وهو ترجَّل أيضاً... لقد ألقوا القبض عليه (صراخ) اسمع، إنهم يهتفون فرحاً بانتصارهم.
كاشيوس: إنزل. كفى ما رأيت وما رويت. من نكد الطالع ان أعيش طويلاً لأرى أحب صديق على قلبي يقع في الأسر على مرأى مني.

(ينزل بنداروس)

تعال هنا يا بنداروس. لما أسرتك في « بارثيا »[1] استحلفتك بحياتك التي أبقيت عليها بأن تكون طوع إرادتي تعمل كل ما آمرك به. فتعال الآن وبرّ بيمينك، وفي المقابل يُطلق سراحك وتكون حراً. هاك الخنجر الذي اخترق أحشاء قيصر، واغمده في صدري (يطعنه). قيصر! لقد تمَّ لك الثأر وبذات الخنجر الذي أودى بحياتك

(يموت).

(١) بارثيا: مقاطعة الى الجنوب الشرقي من بحر قزوين.

بنداروس: الآن أنا حرّ. ولكنني لو تصرّفت كما كنت أشاء لَما حصلت على حريتي. آه يا كاشيوس! ان بنداروس سيفرّ من هذه البلاد الى مكان ناءٍ حيث لا يراه روماني.

(يخرج)

(يعود تيتنيوس مع ميسالا)

ميسالا: إن الحرب لكرٍّ وفرّ، والنصر والهزيمة تتبادلهما الأيدي. ففي حين يهزم بروتوس اكتافيوس نرى قوات كاشيوس يقهرها انطونيوس.

تيتنيوس: إن كاشيوس سيلتهب حماساً لهذا النبأ، ويزداد قوة وبأساً.

ميسالا: أين تركته؟

تيتنيوس: لقد قطع الأمل عندما كان عبده بنداروس واقفاً على هذا التل..

ميسالا: أليس هو ذاك الراقد على الأرض؟

تيتنيوس: إنه لا يرقد رقدة الأحياء. واحرَّ قلباه!

ميسالا: أليس هذا هو؟

تيتنيوس: لا. هذا كان هو. أما كاشيوس فليس له وجود بعد الآن. إيه أيتها الشمس الغاربة! كما تنحدرين الليلة في هالة من شعاعك المتّقد، هكذا توارى كاشيوس مضرجاً بدمائه، ومعه غربت شمس رومة، وولّى يومنا. فيا غيوم تكاثفي، ويا عيون سحّي، ويا أخطار تفاقمي، فما بنت أيدينا من أمجاد قد انهار واندثر. ولا شك في أن ارتياب كاشيوس بما كنت أعمل هو الذي حمله على الانتحار هذا.

ميسالا: أجل، إن ارتيابه بالنصر دفعه الى الانتحار. يا لها من هفوة بشعة كانت وليدة الكآبة التي ما استولت على إنسان إلا وأعمت بصيرته وصوّرت له الباطل حقاً، فقضت عليه كما يقضي الوليد في بعض الأحيان على والدته.

تيتنيوس: إيه بنداروس! أين أنت؟

ميسالا: إبحث عنه يا تيتنيوس، بينما أذهب أنا الى بروتوس لأنقل اليه هذا النبأ المؤلم الذي سيقع عليه وقع الصواعق.

تيتنيوس: هيا أسرع يا ميسالا، وسأبحث عن بنداروس في غيابك.

(يخرج ميسالا)

لماذا أرسلتني يا كاشيوس؟ ألم اقابل أصحابك، ويزيّنوا مفرقي بإكليل النصر هذا، ويأمروني بأن اقدّمه اليك؟ ألم تسمع هتافهم؟ واأسفاه! لقد أسأت فهم كل شيء، ولكن مهلاً! زيِّن جبينك بهذا الإكليل، فقد أمرني صديقك بروتوس بأن اقدّمه اليك، وها أنا فاعل. أسرع الينا يا بروتوس لترى كم أعزّ كايوس كاشيوس وأكرمه. عفواً أيتها الآلهة! إن عملي هذا واجب كل روماني عريق. إليَّ يا سيف كاشيوس وانفذ الى قلب تيتنيوس!

(يقتل نفسه)

(إيذان. يعود ميسالا ومعه بروتوس وكاتو الصغير وستراتو وفولومنيوس ولوشيليوس وغيرهم)

بروتوس: أين جثمانه يا ميسالا؟

ميسالا: ها هو هناك وتيتنيوس يتفجَّع عليه.

بروتوس: ولكن تيتنيوس ملقى على ظهره.

كاتو: انه مذبوح!

بروتوس: آه يا قيصر! انك لا تزال جباراً، وروحك تجوب كل مكان، وتردُّ سيوفنا الى نحورنا.

(إيذان خفيف)

كاتو: ما أشجعك يا تيتنيوس! انظر يا مولاي، ألم يتوَّج فقيدنا كاشيوس؟

بروتوس: أفي الرومان اثنان على قيد الحياة كهذين؟ الوداع يا آخر أبطال رومة. محال ان تنجب رومة نظيراً لك يا كاشيوس. أيها الأخوان، إن العبرات لا تسعفني لأفي هذا الفقيد حقه من التفجع والبكاء. ولكنني سأنتهز الفرصة يا كاشيوس. هيا ننقل جثمانه الى « ثاسوس »[1]. ولكن يجب ألّا نقيم مأتمه في معسكرنا، لئلا يستولي الحزن على جنودنا فتهن عزائمهم. تعال يا لوشيليوس! تعال يا كاتو! هيا بنا الى ساحة الوغى! وأنتما يا « لابيو »

---

(١) ثاسوس: جزيرة اغريقية في شمالي بحر إيجه.

و « فلافيوس » مُرا ببدء القتال! فالساعة الثالثة الآن، وعلينا معشر الرومان ان نجرّب حظنا مرة اخرى قبل ان يخيّم الظلام.

(يخرجون)

المشهد الرابع
جانب آخر من الميدان

(إيذان. يدخل المحاربون من الجيشين
يتبعهم بروتوس وكاتو الصغير ولوشيليوس وغيرهم)

بروتوس: أيها المواطنون! تشجَّعوا، واصمدوا، وحاربوا.
كاتو: أي وغد زنيم فيكم يتراجع؟ مَن يتقدَّم معي؟ سأذيع اسمي في كل جنبات الميدان منادياً: أنا ابن مرقس كاتو عدوّ الطغاة الظالمين وحبيب الوطن. أنا ابن مرقس كاتو.

(يدخل بعض الجنود ويتحاربون)

بروتوس: وأنا بروتوس، مرقس بروتوس، بروتوس حبيب الوطن. فاعرفوني، اسمي بروتوس.

(يخرج)

لوشيليوس: وأنت أيها الشاب النبيل كاتو. لقد سقطت في ساحة الشرف، ومتَّ موت الأبطال البواسل كما مات تيتنيوس، فتستحق كل تقدير وتكريم. كيف لا وأنت ابن كاتو؟

الجندي الأول: إستسلم وإلا قتلتك.

لوشيليوس: أستسلم بشرط ان تقتلني (يعرض عليه نقوداً). خذ هذا المبلغ واقتلني حالاً. أنا بروتوس[1]. اقتلني تنل شرفاً كبيراً.
الجندي الأول: لا يجوز ان نقتل عظيماً كبروتوس، بل نأخذه أسيراً نعتز به.
الجندي الثاني: افسحوا مجالاً. أخبروا انطونيوس بأننا قد أسرنا بروتوس.
الجندي الأول: سأنقل اليه الخبر. هوذا القائد قد جاء.

(يدخل انطونيوس)

لقد أسرنا بروتوس يا مولاي.
انطونيوس: أين هو؟
لوشيليوس: هو آمن يا انطونيوس. آمن كما يجب. وأؤكد لك انه ليس ثمة من عدو يستطيع القبض على بروتوس النبيل حياً، لأن الآلهة تحميه من عار الأسر. وعندما تعثرون عليه حياً او ميتاً، ترونه كما تعهدونه عظيماً مهيب الجانب.
انطونيوس: هذا ليس بروتوس يا صاح، ولكنه بالتأكيد غنيمة لا تقلّ قيمة عن بروتوس. فحافظوا على سلامة هذا الرجل وعاملوه بالحسنى، فإني افضِّل ان يكن مثل هؤلاء الرجال أصدقاء لي لا أعداء. هيا ابحثوا عن بروتوس لنعرف حياً هو او ميتاً، ثم ائتوني في خيمة اكتافيوس بكل ما يحصل.

(يخرجون)

---

(١) لوشيليوس: يدَّعي أنه بروتوس ظناً منه أن الجندي يسارع الى قتله.

المشهد الخامس
جانب آخر من الميدان

(يدخل بروتوس ودردانيوس وكليتوس
وستراتو وفولومنيوس)

بروتوس: تعالي أيتها البقية الباقية من الاخوان المنكودين، واستريحوا على هذه الصخرة.
كليتوس: لقد أعطانا ستاتيليوس[1] الإشارة برفع المشعال، ولكنه لم يرجع الينا يا مولاي. فإما أُسر او ذُبح.
بروتوس: إجلس يا كليتوس. لقد صدقت بقولك ذُبح، لأن الذبح أصبح من الأعراف المتداولة عندنا. إسمع يا كليتوس.

(يهمس بأذنه)

كليتوس: ماذا تقول؟ أنا يا مولاي؟ لا، ولو أعطوني العالم بأسره.
بروتوس: اسكت إذن، ولا كلمة.
كليتوس: إني أؤثر الانتحار.
بروتوس: إسمع يا دردانيوس

(يهمس بأذنه).

دردانيوس: أيعقل ان أقدم على هذا العمل؟
كليتوس: آه يا دردانيوس!
دردانيوس: آه يا كليتوس!

---

(١) ستاتيليوس: أحد جنود بروتوس، وكان أُرسل الى الجانب الآخر من الميدان ليطّلع على سير المعركة. وهو الذي أعطى الإشارة بانتصار الأعداء برفع مشعال مضيء.

كليتوس: أي عمل شائن يطلب منك بروتوس؟
دردانيوس: يطلب أن أقتله. انظر، انه غارق في التفكير.
كليتوس: لقد بلغ الحزن منه مبلغاً لم يتمالك معه من ذرف الدموع.
بروتوس: إقترب مني يا فولومنيوس، فلي كلمة معك.
فولومنيوس: تفضل يا مولاي.
بروتوس: لقد ظهر لي شبح قيصر في الليل مرتين متباعدتين: الأولى في « سارديس »، والثانية في الليلة الماضية هنا في « فيلبي ». فبتُّ على يقين أن ساعتي قد دنت.
فولومنيوس: لا تقلْ ذلك يا مولاي.
بروتوس: بل أنا متأكد من ذلك يا فولومنيوس. وأنت لا يخفاك ما في الحياة من مفاجآت. لقد أنزل بنا العدو شرَّ هزيمة، وأصبحنا على شفير الهاوية. فالأولى بنا ان نرمي بأنفسنا لا أن ننتظر حتى يقذف بنا العدو. تذْكُر ولا شك أن مقاعد الدراسة قد أَلَّفت بين قلبينا. فأرجوك بحق المحبة القديمة أن تمسك بقبضة سيفي حتى أندفع اليه.
فولومنيوس: هذه ليست مهمة الأصدقاء يا مولاي.

(إيذان مستمر)

كليتوس: الفرار يا مولاي الفرار! إياك والتباطؤ!
بروتوس: الوداع لك، ولك، ولك يا فولومنيوس. وأنت يا ستراتو لقد كنت نائماً طوال هذه المدة... الوداع لك أيضاً. من دواعي سروري أيها الإخوان المواطنون، أني طوال حياتي وحتى الساعة ما عرفت رجلاً لم يكن مخلصاً لي ووفياً، مما جعلني في هذا اليوم المشؤوم أنال مجداً في هزيمتي دونه المجد الذي أحرزه اكتافيوس ومرقس انطونيوس في انتصارهما المخزي عليّ. وبهذه الكلمات أوشك أن أختم تاريخ حياتي. فها قد ران على جفني الكرى، وأصبحت في حاجة الى الراحة بعد أن جاهدت وكافحت لا لغرض آخر سوى الوصول الى هذه الساعة، ساعة الموت في ساحة الشرف.

(إيذان. صراخ من الداخل: « اهرب. اهرب. اهرب! »)

كليتوس: لُذْ بالفرار يا مولاي!
بروتوس: اركض وأنا أتبعك.

(يخرج كليتوس ودردانيوس وفولومنيوس)

أرجوك يا ستراتو أن تبقى معي أنا مولاك. وأنت رجل شهم، طيب العنصر، كريم النفس. أمسك بسيفي هذا، وأدِرْ وجهك، لأندفع اليه. أفاعل أنت يا ستراتو؟
ستراتو: هات يدك أولاً. الوداع يا مولاي.
بروتوس: الوداع يا عزيزي ستراتو (يجري الى السيف). قيصر! طِبْ نفساً واطمئن. إني أقتل نفسي عن طيب خاطر لم أشعر به عندما قتلتك.

(يموت)
(إيذان. تراجع. يدخل اكتافيوس وأنطونيوس وميسالا ولوشيليوس والجيش)

اكتافيوس: مَن هذا الرجل؟
ميسالا: إنه أحد رجال مولاي. ستراتو، أين مولاك؟
ستراتو: لقد نجا من الأسر الذي وقعت فيه أنت يا ميسالا. وليس في وسع الظافرين إلا أن يحرقوا جثته، لأنه انتصر على نفسه، ولم يحرز أحد شرف القضاء عليه.
لوشيليوس: لقد صدق ظني بأن يموت بروتوس على هذا النحو. أشكرك يا بروتوس لأنك أثبتَّ ما قاله لوشيليوس عنك.
اكتافيوس: سآخذ جميع خدّام بروتوس وأحسن معاملتهم. أتحب أيها الفتى أن تكون في خدمتي؟
ستراتو: نعم، إذا وصّى بي ميسالا.
اكتافيوس: وَصِّ به يا ميسالا.
ميسالا: كيف مات سيدي يا ستراتو؟
ستراتو: أمسكت له السيف وارتمى عليه.
ميسالا: إذن خذه خادماً لك يا اكتافيوس، فقد قام بآخر خدمة لسيدي.

انطونيوس: لقد كان هذا أنبل روماني فيهم جميعاً. إن جميع المتآمرين القتلة عملوا ما عملوا بدافع الحسد من قيصر العظيم إلا هو، فقد انضمَّ اليهم لمصلحة رومة وخير أبنائها. أجل، كان طوال حياته كريم العنصر، دمث الأخلاق. وقد أفرزته الطبيعة ولسان حالها الى العالم أجمع: « هذا كان رجلاً ».

اكتافيوس: علينا أن نقوم بجميع مظاهر التكريم ومراسم الدفن تقديراً لنبله وكرم محتده. فيُسَجّى الليلة في خيمتي بكامل شعائر الحِداد التي تليق بجندي باسل نظيره. والآن أعلنوا انتهاء المعركة. ولنجتمع ونقرّر مكافأة كل من أسهم في إحراز هذا النصر العظيم.

(يخرجون)

(تمت)

أنطونيوس وكليوباترا

تعـريـب

أ. ر. مشـاطي

أشخاص المسرحية

مارك انطونيوس: اوكتافيوس قيصر: لابيد	مثلث حاكم
سكتوس بومبايوس دوميسيوس انوبربوس فنتيديوس آروس أسكاروس دارسيتاس ديمتريوس فيلون	انصار انطونيوس
ماسان أغريبا دولابيلا بروكيليوس: ثيريوس غالوس	أنصار قيصر

مناس
مناقراط } انصار بومبايوس
فاريوس

طوروس: نائب قيصر
كانيديوس: نائب انطونيوس
سيليوس: ضابط في جيش فنيتديوس
أفرانيوس: مرّبي أولاد انطونيوس

أليكسان
مارديان
سلوكوس } في خدمة كليوباترا
ديوماد
عرّاف
فلاّح

كليوباترا: ملكة مصر
اوكتافيا: اخت قيصر وزوجة انطونيوس

شرميون } من حاشية كليوباترا
إراس

ضابط وجنود، ورسل، وخدم.

تجري الأحداث بالتوالي في مناطق مختلفة من الامبراطورية الرومانية.

الفصل الأول

المشهد الأول

الاسكندرية ــ في قصر كليوباترا

(يدخل ديمتريوس وفيلون)

فيلون: كلا. ان نشوة قائدنا قد تعدت جميع الحدود. فعيناه الرائعتان اللتان كانتا تشعان في ساحة القتال، نظير درع إله الحرب مارس، اراهما الان تنخفضان، وأنظاره لا تعكس حرارة البسالة في جبينه الأسمر. اما قلبه الشجاع الذي كان يحطم التروس والدروع في اشتباكات المعارك الكبيرة فقد فقَد صلابته، وبات كمروحة تبرّد اندفاعه الغجري الجريء. ها هم قادمون.

(موسيقى. يدخل انطونيوس وكليوباترا مع حاشيتهما)

انتبهوا جيدا. فسترونه، هو الذي كان من دعائم العالم، كيف انقلب مهرجا لاحدى المومسات. انظروا وشاهدوا.

كليوباترا (لأنطونيوس): ان كنت تعتبر هذا حبا حقيقيا، فقل لي كم هو كبير حبك؟

انطونيوس: ان الحب الذي يشابه غيره لهو حب فقير معدم.

كليوباترا: انا اريد ان أختبر الى أي مدى يمكن الانسان ان يبلغ في هواه.
انطونيوس: عليك اذا ان تكتشفي سماء جديدة وأرضا جديدة.

(يدخل خادم)

الخادم (لأنطونيوس): مولاي الكريم، ان أنباء روما...
انطونيوس: هي تزعجني، فاختصر.
كليوباترا: على كل حال، اسمع يا انطونيوس، قد تكون فولفيا مستاءة. وما أدراك ان قيصر الأمرد لا يدرك مدى اوامره الهامة عندما يقول: افعل هذا وذاك، استولِ على هذه المملكة وحرر تلك، إمتثل والا حكمنا عليك.
انطونيوس: ما هذا الكلام، يا حبيبتي؟
كليوباترا: ربما (أجل، وهذا محتمل الوقوع) عليك ان تمكث هنا وقتا أطول. ان قيصر يرسل لك امر اقالتك. إسمعه يا انطونيوس. اين انذار فولفيا... أعني قيصر، او بالحري كليهما؟ أدخل الرسل. فبقدر ما انا ملكة مصر حقا، اراك تحمرّ يا انطونيوس، وهذا الدم في وجنتيك ما هو الا تمجيد لقيصر. ها هو محياك يدفع لهذا القيصر جزية الخجل، ما دمتَ تصغي الى صوت فولفيا الهادر كهزيم الرعد. ايها الرسل.
انطونيوس: لتسقط روما في نهر التيبر، وليهدَّم قوس الامبراطورية الشاهق. هذه هي دنياي، والممالك في نظري ليست سوى لجَّة من الوحل. ما دامت قمامة ارضنا تغذي البهيمة والرجل معا. أما نبل الحياة فمحصور في العناق هكذا (يعانق كليوباترا) عندما يستطيع زوجان مؤهَّلان، اي اثنان نظيرنا ان يفعلا ذلك. ففي هذا العناق السامي أفرض على العالم بأسره، تحت طائلة العقاب الصارم، ان يعترف بعدم وجود أمثال لنا.
كليوباترا: هذا خداع بارع. لماذا اقترن بفولفيا اذا كان لا يحبها؟ انا لست غبية كما قد يبدو عليّ ذلك. ان انطونيوس سيظل دوما على ما هو ولن يتغير.
انطونيوس: ان كليوباترا تحمسني باستمرار. آه! بحياة حبي وأويقاتي الحلوة، أناشدك ان لا تضيعي الوقت بمناقشات شائكة. يجب علينا ان لا ندع

دقيقة واحدة من عمرنا تذهب هدرا، من الان وصاعدا، بدون ان نجني ولو بعض المتعة. ما اجمل الحفلة هذا المساء!

كليوباترا: استمع الى السفراء.

انطونيوس: تبًّا لك من ملكة عنيدة. لا يليق بك الا ان تعنفي وتضحكي وتبكي، ففيك تبدو جميع الرغبات رائعة تستحق الاعجاب. لن يكون بيننا رسل. فقط نحن الاثنين وحدنا تجتمع هذا المساء، لنتهادى في مشيتنا وسط الشوارع، ونراقب تصرفات شعبنا. تعالي يا مليكتي. انتِ طلبت ذلك مني الليلة البارحة. (للخادم): لا تكلمنا.

ديمتريوس: هل يبلغ اهمال قيصر لأنطونيوس هذا الحد؟

فيلون: احيانا يا مولاي. عندما لا يظهر انطونيوس على حقيقته، فانه يتخلى عن الاعتبار النبيل الذي يجب ان لا يفارق انطونيوس.

ديمتريوس: بمزيد الأسى اراه هكذا يؤكد النميمة الغاشمة التي تتناول سمعته في روما. الامل ان يكون غدا سلوكه افضل. أتمنى لك كل الارتياح

(يخرجان).

المشهد الثاني

الاسكندرية — في ناحية اخرى من القصر

(تدخل شرميون وإيراس واليكسان ثم العرّاف)

شرميون: مولاي الكريم أليكسان، اين العرّاف الذي اطنبت للملكة في مدحه؟ كم أود ان أرى هذا الشخص الذي كما تقول عنه، لا بد لذراعيه من تطويق المجهول والكشف عن مخبآت المستقبل!

اليكسان: عرّاف.

العرّاف (يتقدم): انا رهن اشارتك.
شرميون (تشير الى العرّاف): هل هذا هو الرجل؟ هل انت يا سيدي، من يرى من خلال حجب الغيب؟
العرّاف: في كتاب اسرار الكون الذي لا نهاية له، اعرف ان أقرأ قليلا.
اليكسان (لشرميون): أريه يدكِ.

(يدخل انوبربوس)

انوبربوس: اجلبوا لنا الحلوى بسرعة مع مقدار كاف من الخمر لنشرب نخب كليوباترا.
شرميون: سيدي الكريم، ارجو ان تبشرني بمستقبل زاهر.

العرّاف: انا لا أختلق، بل أتنبأ.
شرميون: هيا، ارجوك ان تتنبأ لي بالخير.
العرّاف (يتفحص يد شرميون): ستكون صفحتك اشد بياضا مما هي عليه اليوم.
شرميون: انت تعني بياض البشرة.
إراس: ستحتاجين الى التبرّج عندما تتقدمين في السن.
شرميون: لن تنال مني التجاعيد التي لا تعجب احدا.
اليكسان: لا تفسدي عليه رؤياه، بل اصغي اليه .
شرميون: الصمت!
العراف: ستحبين انت اكثر مما ستكونين محبوبة.
شرميون: أفضّل ان أدفىء أحشائي بالشراب.
اليكسان: بحق الآلهة، اصغي اليه.
شرميون: هيا بنا نذهب. ما احلى هذه المغامرة: ان اكون ذات صباح زوجة ثلاثة ملوك، ثم لا ألبث ان اجد نفسي ارملتهم جميعا، ان يكون لي وأنا في الخمسين من العمر ابن يجلّه هيرودوس ملك اليهودية. دبّر لي طريقة للاقتران بأوكتافيوس قيصر، فأغدو مساوية لسيدتي.

العراف: سيطول عمرك اكثر من مخدومتك.

شرميون: هذا ممتاز. اني احب الحياة الطويلة على صحن من تين.

العراف: لقد عشتِ حتى الآن حياة افضل من التي تنتظرك.

شرميون: قد لا يكون لاولادي اسم عائلة. بحياتك قل لي كم سأرزق من الصبيان والبنات؟

العراف: لو كان لكل واحدة من رغباتك رحم خصب لبات لك مليون ولد.

شرميون: قل هذا لغيري، يا مجنون. اني أسامحك على قصصك التي تدخل في باب الشعوذة.

اليكسان: هل تظنين ان وسادتك هي المؤتمنة الوحيدة على اسرار اشواقك.

شرميون (للعرّاف): هيا أنبيء إراس بحظها.

اليكسان: كلنا نود ان نعرف مصيرنا.

انوبربوس: حظي انا وحظ كل واحد منا، ان ننام جميعنا هذه الليلة سكارى.

إراس (مادة يدها للعرّاف): اليك براحة يدي التي تنبيء على الأقل بطهارتي.

شرميون: تماما كما يدل فيضان النيل على المجاعة.

إراس: هيا، يا رفيقة السرير المتلهفة، انتِ لا تلمين بمقدار ذرة من العرافة.

شرميون: كلا. اذا لم تكن اليد الرطبة عنوان الخصب فهذا يعني اني غير قادرة على حك أذني. ارجوك ان لا تنبئها الا بمصير مليء بالدسائس.

العرّاف (بعد ان يتفحص يد إراس): مصيراكما متشابهان.

إراس: كيف عرفت ذلك؟ كيف؟ هات التفاصيل.

العرّاف: هذا شأني.

إراس: ماذا؟ انا لست بمحظوظة اكثر منها قيد أنملة؟

شرميون: لتقوّم السماء اعوجاج افكارنا. جاء دور اليكسان. هيا، أخبرنا ما هو مصيره؟ أستحلفك بحق إيزيس ان تجعله يتزوج امرأة بارعة، ولكن في حسن التصرف. ولتمت هذه المرأة كي تكون من نصيبه واحدة اسوأ منها. ولتخلفها غيرها أسوأ بما لا يقاس، حتى تقوده بمكائدها الى قبره اللعين. وليصبح زوجا مخدوعا خمسين مرة. ايتها الإلهة الكريمة إيزيس،

استجيبي دعائي هذا، وان كنتِ تودين ان ترفضي لي طلبا اهم منه. أتوسل اليك، يا ايزيس القديرة.

إراس: ايتها الإلهة الكريمة، استجيبي تضرع المؤمنين. ان كانت رؤية الرجل التعيس في زواجه محزنة، فمصادفة علج قبيح لا تخونه امرأته هو النكبة القاتلة بعينها. وهكذا يا إيزيس الكريمة، أسبغي الهناء على الجميع، وليكن موزعا عليهم بالعدل والقسطاس حسب استحقاقهم.

شرميون: آمين.

اليكسان: هل رأيتِ كيف ان بمقدورها ان تجعل مني زوجا مخدوعا. فهي لا تتورع عن الانحدار الى أحط الدعارة لبلوغ مأربها.

انوبربوس: أصمت. ها هو انطونيوس.

شرميون: ليس هو، بل الملكة.

(تدخل كليوباترا)

كليوباترا: هل رأيتَ مولاي؟

انوبربوس: كلا، يا سيدتي.

كليوباترا: أوَلم يكن هنا؟

شرميون: كلا يا سيدتي.

كليوباترا: كان منفرج الاسارير. ولكن هاجسا رومانيا خطر فجأة بباله. يا انوبربوس.

انوبربوس: سيدتي.

كليوباترا: ابحث عنه وأتِ به الى هنا. اين أليكسان؟

اليكسان: هنا، يا سيدتي. انا في خدمتك. ان مولاي قادم.

(يدخل انطونيوس، يتبعه رسول والحاشية)

كليوباترا: انا لا اريد ان اراه. تعالوا معي.

(تخرج كليوباترا وبرفقتها انوبربوس وأليكسان وإراس وشرميون والعرّاف)

الرسول: زوجتك فولفيا خاضت المعركة وكانت في الطليعة.
انطونيوس: ضد اخي لوسيوس؟
الرسول: نعم. غير ان هذه الحرب سرعان ما انتهت، لان سلامة الدولة قضت بمصالحتهما وجمعتهما ضد قيصر الذي طردهما منذ الصدام الأول.
انطونيوس: وما ضرر ذلك؟
الرسول: كل خبر سيء يجر الويل على ناقله.
انطونيوس: ولا سيما عندما يتعلق بمجنون او بجبان... أكمل. ان الامور السابقة انتهت بالنسبة اليّ. وهكذا، من يقول لي الحقيقة عندما يُشتمّ الموت من روايته، أصغي اليه نظير من يتملقني.
الرسول: لبيانوس (وهذا خبر شديد الوقع) استولى بجيشه البارثي على آسيا، ابتداء من نهر الفرات، وراحت اعلامه تخفق مرفوعة من سوريا حتى ليديا وايونيا، بينما...
انطونيوس: تريد ان تقول.
الرسول: مولاي.
انطونيوس: كلمني بكل صراحة. لا تخفف من وطأة لهجة عامة الناس. سمِّي كليوباترا كما يدعوها اهل روما. أورِد ذلك بأسلوب فولفيا، وصِف أخطائي بكل الحقارة التي تتجرأ الحقيقة والنية السيئة معا ان تعبرا به من كلام. آه! نحن لا نعطي كثمار الا الاشواك عندما تقف الانفاس التي تحيينا. اما اعلان مساوئنا فكأنه نبش الارض التي تُنبتها. وداعا لبرهة وجيزة.
الرسول: ما الخبر عن سيسيون؟ تكلم.
خادم اول: ساعي بريد من سيسيون.
خادم ثان: انه ينتظر اوامرك.
انطونيوس: دعه يدخل. عليّ ان أحطم هذه الاغلال المصرية القاسية، وإلا ضيَّعت نفسي في عواطف جنونية.

(يدخل رسول ثان)

انطونيوس: من انت؟
الرسول الثاني: زوجتك فولفيا ماتت.

انطونيوس: اين ماتت؟

الرسول الثاني: في سيسيون. ان مدة مرضها مع تفاصيل أخرى خطيرة، يهمك ان تقف عليها، مذكورة هنا

(يسلمه رسالة).

انطونيوس: أخرج. (يذهب الرسول). ها هو روح كبير قد رحل، كما تمنيت. نود غالبا ان نعلم بما تطرده كراهيتنا بعيدا عنا: كاللذة الحاضرة التي بثورتها المتضائلة تصبح نقيض الشخص المعني. لقد اصبحت عزيزة عليّ الان بعدما غابت عني الى الابد. واليد التي ابعدتها ترغب اليوم في اعادتها. لا بد من ان أتخلص من هذه القيود الساحرة. فان ما عرفته من شرور لهو افظع من الف نكبة يسببها لي قعودي عن العمل. ما رأيك يا انوبربوس.

انوبربوس: ماذا ترغب، يا مولاي؟

انطونيوس: عليّ ان أغادر هذا المكان بأسرع ما يمكن.

انوبربوس: في هذه الحالة نحن نتسبب في قتل جميع نسائنا. أما رأينا كم هي قاتلة أقل مشاكسة بالنسبة اليهن؟ واذا قدِّر لهن ان يذقن مرارة رحيلنا، فما امامهن الا الموت كمدا ووحشة.

انطونيوس: يجب عليّ ان امضي.

انوبربوس: في هذه الفرصة العاجلة ليكن لك ما تريد. ولتمت النساء! اذ من المؤسف حقا ان نضحي بهن بدون ثمن. انما اذا اضطرتنا الظروف الى الاختيار بين سلامتهن وقضية كبيرة، فلا بد من ان لا نحسب لهن اي حساب. ان كليوباترا حالما تدري بذلك ستموت حتما على الفور. ولقد رأيتها تستميت عشرين مرة لاسباب أتفه من هذه. أعتقد ان في الموت عنصرا يسلط عليهن مفعولا لذيذا بقدر ما يبادرن بسرعة الى الاستماتة.

انطونيوس: يا للاسف، كلا، يا مولاي. ان اشواقها مكونة من احلى وأطهر رحيق يجود به الحب. فلا يسعنا ان نسمي التنهدات والدموع وابلا وزخات، ان هي الا رياح وعواصف اقوى من كل ما تأتي على ذكره التوقعات.

وهذا لا يمكن ان تلجأ اليه كأنه حيلة. وان صح القول انها هكذا، فستمطر السماء بشكل يشبه اندلاق القرب يصبه الإله المشتري.

انطونيوس: كم أتمنى ان لا اكون شاهدتها ابدا.

انوبربوس: مولاي، في هذه الحالة يكون قد فاتك مشهد من أعجب الروائع. وهذه البهجة تكون قد عرّضت سفرك الى الانتقاد والاستنكار.

انطونيوس: فولفيا ماتت!

انوبربوس: مولاي!

انطونيوس: اقول لك ان فولفيا ماتت.

انوبربوس: فولفيا؟

انطونيوس: أجل، ماتت.

انوبربوس: عليك اذاً، يا مولاي، ان تقدم الضحايا استرحاما. عندما تشاء الآلهة ان تختطف من الرجل امرأته، عليه ان يعتبر هذه الآلهة كحكماء الأرض، ويتعزى بفكرة وجوب صنع رداء جديد عندما يبلى رداؤه القديم. فلو لم توجد في الدنيا امرأة غير فولفيا، لكنتَ حقا في مأزق حرج، ويكون وضعك مأسويا. لكن هذا الالم تخففه التعزية بأن ثوبك البالي يؤمِّن لك ثوبا جديدا. في الحقيقة، كل الدموع التي تذرفها لغسل هذا الحزن يحتويها فنجان صغير.

انطونيوس: ان المراتب التي اكتسبتُها في الدولة لا تسمح لي بالتغيب اكثر مما فعلت.

انوبربوس: والقضايا التي اشتركتَ فيها هنا لا سبيل الى الاستغناء عنها، ولا سيما ما يتعلق منها بكليوباترا التي يتوقف حقا مصيرها على مكوثك بقربها.

انطونيوس: لنمتنع عن الاجوبة الطائشة، وليتبلَّغ قوادنا قرارنا. سأخبر الملكة بدواعي رحيلنا وأحصل على موافقتها. اذ ليس فقط وفاة فولفيا وأسباب اخرى شخصية ملحة هي التي توتر أعصابنا هكذا بعنف، بل رسائل اصدقائنا الاكثر نشاطا في روما والذين يطلبون حضورنا. فان سكتوس بومبايوس تحدّى قيصر وانفرد بزعامة امبراطورية البحار، وشعبنا المتقلب الاهواء، الذي لا يشده اي اخلاص لرجل، يستحق عندما يفقد مزاياه ان يحيِّي بومبايوس

العظيم بكل شمائله المتجسمة في شخص ابنه. ان مجرد ذكر اسمه وجبروته يجعل الهلع يدب في القلوب الاكثر جرأة وحيوية. ان سكستوس يتصرف كأفضل الجنود، وكبر شأنه المتزايد يشكل خطرا على جميع اقطار العالم. لان مستقبل الايام يشتمل على الخلايا الحية مثلما تكمن الحياة في ناصية الخيل، دون ان تحوي سم الافاعي. قل للذين يأتمرون بمشيئتنا ان راحتنا تفرض علينا الابتعاد بسرعة من هنا.

المشهد الثالث

في ناحية أخرى من القصر

(تدخل كليوباترا وشرميون وإراس واليكسان)

كليوباترا: اين هو؟

شرميون: لم أره منذ مدة.

كليوباترا (لأليكسان): ابحث عنه واعلمني اين هو، ومع من هو، وماذا يفعل؟ ولا تدعه يشعر بأني انا ارسلتك. ان وجدته كئيبا، قل له اني ارقص. واذا كان مرحا، اخبره بأنني شعرت فجأة بألم. إمضِ وعد سريعا.

(يذهب اليكسان).

شرميون: سيدتي، يخيل اليّ انك تهوينه برفق ولا تحملينه على مبادلتك الحب.

كليوباترا: انا أتصرف كما يتوجب عليّ.

شرميون: جاريه في كل شيء، ولا تعاكسيه مطلقا.

كليوباترا: انتِ تدلينني على أسوأ السبل، وسأفقده اذا اتبعت ارشادك.

شرميون: لا تضيقي عليه هكذا الخناق. ارجوك ان تعتدلي، لاننا في النهاية نبغض ما يتغلب علينا خوفنا منه. ها هوذا انطونيوس.

(يدخل انطونيوس)

كليوباترا: انا مريضة وحزينة.
انطونيوس: يزعجني ان أتقيد بقراري.
كليوباترا: ساعديني على الخروج، يا عزيزتي شرميون. انا على وشك الانهيار. فهذا لا يمكن ان يدوم طويلا على هذا المنوال. لان جسم الانسان لا يقوى على الاستمرار في المقاومة الى الابد.
انطونيوس (يلوم نفسه): اذا، يا مليكتي العزيزة؟
كليوباترا: ارجوك ان تبقى بعيدا عني.
انطونيوس: ما الخبر؟
كليوباترا: اني أقرأ في عينيك انباء مفرحة. فماذا تقول المرأة المتزوجة؟ يمكنني ان أرحل. كنت أود ان تكون قد سمحت لك بالمجيء، وآمل ان لا تقول انني انا التي ابقيتك هنا. فأنا لا سلطة لي عليك، ما دمت تخصها بكليتك.
انطونيوس: تعلم الآلهة اني...
كليوباترا: هل هناك ملكة خدّاعة بمثل هذه الوقاحة؟ مع ذلك اني منذ البداية شممت رائحة الخيانة المنتشرة.
انطونيوس: كليوباترا!
كليوباترا: عندما تهز باحتجاجاتك عرش الآلهة، لا يبقى من مجال أمامي للاعتقاد بأنك امين على عهدي بعدما خنت فولفيا. ألا ترى ان من الجنون المطبق ان يرتبط الانسان بقَسم يخرج من شفتيه فقط وسرعان ما ينقّضه قلبه.
انطونيوس: يا لك من ملكة تستحق العبادة!
كليوباترا: لا، ارجوك ان لا تبحث عن حجة لذهابك، بل قل لي الوداع وامضِ. عندما كنتَ تلتمس البقاء، كان آنذاك زمن الكلام لا الرحيل، وكانت الابدية على شفاهنا وفي عيوننا، والغبطة مرتسمة على قوس حواجبنا. ولا شيء فينا هكذا هزيل ليس فيه طعم السماء. كل هذا لا يزال صحيحا، او انك كنت اعظم جندي في الدنيا فأصبحت اكبر المنافقين.
انطونيوس: ما هذا الكلام، يا سيدتي؟

كليوباترا: كم أود لو كان لي قد نظير قدّك فتدرك ان في مصر قلبا يخفق بحبك.

انطونيوس: أصغي اليّ ايتها الملكة. ان الحاجة الماسة في هذه الايام تتطلب ما نقدمه من خدمات، وقلبي بكل جوارحه يلازمك كعبدك. ان بلادنا ايطاليا حافلة بالمقارعات المدنية. وسكستوس بومبايوس اقترب من ابواب روما. ومساواة الفريقين الداخلين تفرض علينا اليقظة والسهر. اما المنبوذون اكثر من سواهم فيزدادون قوة وتحببا. والمحكوم عليه بومبايوس، الغني بأمجاد ابيه يتسلل بمهارة وسرعة الى قلوب من لم يربحوا شيئا من الوضع الحاضر، وعددهم يغدو رهيبا بالتهديد والوعيد، وسكونهم، بعد ان كرهوا الجمود، يهدف الى التطهير بإحداث بعض التغييرات الميؤوس منها. وحجتي الشخصية التي ستؤكد لكِ تصميمي على السفر اكثر من سواها هي وفاة فولفيا.

كليوباترا: مع ان عمري لم يكن ليحميني من الجنون، فهو يبعدني عن التصرفات الصبيانية. هل حقا ماتت فولفيا؟

انطونيوس: اجل، لقد ماتت، يا مليكتي (يناولها ورقة). ألقي نظرة على هذه الاسطر، ومتى تسنى لك، اقرئي ما خلفته من فوضى. اخيرا، يا حبيبتي، أفيديني اين ومتى ماتت.

كليوباترا: يا لك من عاشق مخادع! اين هي الحناجير المقدسة التي عليك ان تملأها من دموع حزنك؟ أنا أستشف من خلال موت فولفيا كيف ستتقبل نبأ وفاتي.

انطونيوس: لا تخاصميني، بل استعدي لمعرفة ما يجول في خاطري من مشاريع تتبلور او تتبخر حسب ما تطرحينه من آراء. أجل أقسم لك بالنار التي تخصب أوحال نهر النيل، اني ذاهب من هنا متجندا للدفاع عنكِ وخادما لتلبية اوامرك، وعلى أتم الأهبة لتحقيق السلم او خوض الحرب كما ترغبين.

كليوباترا: اقطعي سيَري، يا شرميون، تعالي. لا، لا، دعيني. فبعد هنيهة أشعر بأني منزعجة وبخير معا. هكذا يحب انطونيوس ان تكون احوالي.

انطونيوس: هدئي روعك، يا مليكتي الغالية، وامنحي ثقتك الكاملة محبا يجابه تجربة مشرّفة كهذه.
كليوباترا: ان فولفيا هي التي شجعتني. ارجوك ان تدير ظهرك وتبكي وأنت تحلم بها. ثم قل لي الوداع، وادّعي بأن دموعك تخص المصرية. ارجوك ان تمثل مشهد اخفاء الحقائق بصورة تامة، وأن تتظاهر بالموقف الشريف غير المنقوص.
انطونيوس: كلامك يجعل الدم يغلي في عروقي. كفى.
كليوباترا: انت قادر على عمل ما هو افضل من ذلك. مع ان هذا ليس بقبيح.
انطونيوس: اذاً، بحق سيفي!
كليوباترا (تستخف به): وأنا، بحق ترسي! اراك تقدمت. انما لم تبلغ الكمال بعد. ارجوكي، يا شرميون ان تري كم هو، هرقل الروماني هذا، يبدو اهلا لأمجاد اجداده العظماء.
انطونيوس: انا ذاهب، يا سيدتي.
كليوباترا: كلمة واحدة ايها المولى اللبق. فنحن الاثنين لا بد لنا من ان نفترق. ليس هذا فقط، فنحن قد تحاببنا يا صاحب الجلالة وهذا ليس المرام كما تعلم جيدا. ان تذكاراتي تصور لي انطونيوس آخر بعد ان نسيت انا كل شيء.
انطونيوس: لو كانت مملكتكِ لا تحوي سوى المجاملات الجريئة لاعتبرتك ربة المجون.
كليوباترا: ان تذوّق المجون عسير وعزيز على قلب كليوباترا. ولكن سامحني يا مولاي، فأنا انفر من أحب عاداتي اليّ حالما لا تعود ترضيك. ان شرفك العسكري يدعوك الى بلاد بعيدة عني. فأُصمّ أذنيك حيال جنوني المتعثر، ولترافقك جميع الآلهة! ولينعقد غار المجد على سيفك البتّار. ولتفرش الارض تحت قدميك اروع الانتصارات.
انطونيوس: دعيني أرحل الآن. فان وداعنا يتباطأ ويتم بصورة غريبة تبقيكِ بصحبتي عندما تمكثين هنا، وأظل برفقتك عندما أبتعد عنك. فالى الامام.

(يخرج الجميع).

المشهد الرابع
روما ـــ في قصر قيصر

(يدخل اوكتافيوس قيصر، لابيد وحاشيتهما)

قيصر: يمكنك ان تشاهده: يا لابيد، وفيما بعد ستعرفه. ان قيصر لا يتصف بالخبث واللؤم فيكره زميلا له رفيع المقام. اليك بأخبار الاسكندرية: هو يصطاد السمك ويشرب الخمر ويستسلم في لياليه الى المجون. وقد فقد رجولته حيال كليوباترا، حتى أمسى يفوق تخنثا ارملة بطليموس. فهو يكاد لا يستقبل احد ولا يتنازل الى التذكر بأن له رفاق سلاح. أظنك لا تخالفني في الرأي بأن هذا الرجل يجمع كل ما في البشرية من عيوب.

لابيد: لا يسعني ان أصدّق بأن الشر متأصل فيه الى حد انه طغى على كل ما فيه من خير، وان نقائصه أضحت كرقعة في السماء لا يزيدها سواد الليل الا لمعانا. وهي فيه وراثية اكثر منها مكتسبة، ومستعصية اكثر منها عرضية.

قيصر: انت شفوق رحوم. ولا ترى جرما في ان يلجأ رجل الى حمى بطليموس، وأن يهب مملكة لقاء مزاح، وأن يجالس عبدا ويبادله كأس شراب، وأن يطوف في الشارع ظهرا ويباطح اغبياء تفوح رائحة العرق الكريهة من أجسامهم. ألا اعترف بأن هذا يلائمه (وفي الواقع لا بد للمرء من ان يكون من طينة نادرة حتى لا يتلوث بمثل هذه القباحات). على كل حال لم يعد لانطونيوس اي عذر عندما نتحمل نحن وقر استهتاراته. لو اكتفى بملء اوقات فراغه بالغراميات لرضيت بعسر الهضم والتشويه العظمي عقابا له. ولكن تبديد الوقت في الحفلات الخلاعية عندما تستدعيه طبول الحرب لمصلحته ومصلحتنا ولا يلبي النداء، يستحق التوبيخ نظير الفتيان الذين يضحون بالعلم والثقافة في سبيل ملذات عابرة، ضاربين بالمنطق السليم عرض الحائط.

(يدخل رسول)

لايد: اليك بأنباء جديدة.

الرسول: لقد نفّذت اوامرك. وبين ساعة وأخرى ستطّلع ايها القيصر الجزيل النبل، على ما يجري. ان بومبايوس قوي في البحر، ويبدو انه استحوذ على ولاء جميع الذين يميلون الى قيصر بداعي الخوف من بطشه. وهو يصر المتزمتين يقبلون على المرافيء، بينما الاشاعات تبرزه بين الناس كضحية.

قيصر: كان عليّ ان أتوقع ذلك. فالتاريخ، منذ العصور القديمة، يعلمنا ان الرجل المتربع على سدة الحكم لا يتمناه الناس الا الى حين توليه السلطة، وأن الحاكم المرفوض الذي لا يحبه الشعب وليس اهلا للتقدير، يمسي عزيزا لدى الرعية حالما تفقده. وهذه الجماعة هي أشبه بالقصبة المرضوضة التائهة فوق الأمواج، تتقاذفها على هواها وتتلفها بمجرد تحريكها المستمر.

الرسول: إسمع هذا النبأ، ايها القيصر: ان مناقراط ومناس القرصانين الشهيرين قد سيطرا على البحار، وهما يمخران طولا وعرضا ويلقيان الرعب في جميع القلوب ويقومان في ايطاليا بشتى المغامرات الصاخبة. لذلك يرتجف سكان السواحل لمجرد الافتكار بهما، وقد دبت الحماسة في صدور الشبيبة فجمحت الى الثورة. وليس من سفينة تجرؤ على الاقتراب بدون ان تكون فريسة السطو حالما تقع تحت النظر. واسم بومبايوس يكتسح المواقف اكثر مما تفعله القوى التي تعارضنا.

قيصر: تخلَّ عن حفلاتك المجونية البذيئة، يا انطونيوس. قديما طُردت من مادينا حيث قتلتَ القنصلين هيرتوس وبنسا، جررت المجاعة وراءك فكافحتها بصبر لا بوحشية لانك ربيت على الرفق واللين، وقصرك لم يكن يستعلي على الثمرة الفجة النامية وسط احقر الجنائن. وحين تغطي الثلوج المراعي كنت كالغزال الشريد تتغذى بقشور الاشجار، وإذ كنتَ في جبال الالب، كما بلغني، اكلت لحما غريبا ما شاهده احد الا فضَّل عليه الموت. وكل هذا (ليس سوى تذكار يجرح كل انسان شريف) تحملته انت ببطولة لم تحل دون انتفاخ اوداجك غطرسة.

لابيد: هذا انحطاط ما بعده انحطاط.
قيصر: ارجو ان يعود به وخز الضمير الى روما قريبا. لان الوقت حان لصعودنا الى السهل. لذلك علينا ان نستدعي المجلس حالا الى الانعقاد، لان جمودنا يقوي بومبايوس.
لابيد: غدا، ايها القيصر، يتسنى لي اعلامك بكل ما يتيسر جمعه برا وبحرا لمواجهة الأزمة الحاضرة.
قيصر: وحتى يحين لقاؤنا ثانية، سأهتم بهذ الموضوع. فالوداع.
لابيد: الوداع، يا مولاي. واذا دريت في هذه الاثناء، بأية حركة جديدة في الخارج، ألتمس منك ان تطلعني عليها.
قيصر: كن على يقين بأني لن اتأخر عن ذلك، ايها السيد، لان الامر من اوجب واجباتي

(يخرجان).

المشهد الخامس

الاسكندرية ــ في القصر

(تدخل كليوباترا وشرميون وإراس وماردیان)

كليوباترا: شرميون!
شرميون: سيدتي.
كليوباترا: آه! اعطيني جرعة من المردقوش.
شرميون: لماذا، يا سيدتي؟
كليوباترا: لكي أتمكن من النوم طوال غياب انطونيوس عني.
شرميون: انتِ تفكرين به كثيرا.

كليوباترا: وهل هذه خيانة؟

شرميون: ارجو يا سيدتي، ان لا يكون الامر كذلك.

كليوباترا: ايها الخصي مارديان!

مارديان: ماذا ترغب صاحبة السمو؟

كليوباترا: لا أريد ان اسمعك تغني، بل يسرني ما يستطيع خصمي ان يفعله. انت سعيد بوضعك هذا، وفكرك الذي لا يزال حرا لا يدعك تبتعد عن مصر. هل هناك ما تشتهيه؟

مارديان: اجل، ايتها السيدة الفاتنة.

كليوباترا: حقا؟

مارديان: كلا، في الحقيقة، يا سيدتي. لاني لا اقوى فعلا على الاتيان بأية بادرة غير بريئة. انما لي أشواق متمردة. ولا أنقطع عن التفكير بما جرى بين فينوس إلهة الجمال ومارس إله الحرب.

كليوباترا: شرميون! اين تعتقدين انه موجود الان؟ هل هو واقف او جالس؟ هل هو راجل ام على صهوة جواده؟ يا لك من سعيد ايها الحصان الحامل جسم انطونيوس. كن شجاعا ايها الجواد! هل تدري من تحمل؟ انه نصف أطلس هذه الارض. هو نخبة الجنس البشري وزينة الابطال. في هذه اللحظة يتكلم ويقول بصوت منخفض: اين ثعبان النيل خاصتي؟ كما تعوّد ان يدعوني. وإذ أنتشي طربا بهذه التسمية، يسرني ان أوجه اليه أفكاري انا السمراء، متمنية ملامسات فينوس الغرامية، انا التي كنت حاضرا هنا فوق ارضي، كنت انا تحفة تليق بعظماء الملوك. بينما بومبايوس الكبير كان جامدا يحدق بعينيه الواسعتين في وجهي حيث كان يود ان يرسي اعجابه ثم يموت وهو يتأمل معجبا في من كانت حياته.

(يدخل اليكسان)

اليكسان: السلام عليكِ يا ملكة مصر.

كليوباترا: كم ارى الشبه قليلا بينك وبين مارك انطونيوس! ولكن بما انك

تأتي من قبله، فثق بأن هذا الاكسير قد حوّلك الى ذهب. كيف حال مارك انطونيوس الباسل؟

اليكسان: هل تعرفين آخر ما فعله، ايتها الملكة العزيزة؟ لقد طبع قبلة حارة فريدة، تختلف عن سالفاتها العديدات، على هذه اللؤلؤة الشرقية. كأن هذه الكلمات محفورة في قلبي.

كليوباترا: لا بد لأذني من ان تخطفها منه.

اليكسان:يا صديقي، صاح بي الروماني الامين: أرسل الى المصرية الكبيرة هذا الكنز المستخرج من صدفة، وألقِ عند قدميها هذه الهدية الزهيدة. قل لها اني سأرصع بالممالك عرشها الفخم، وسأجعل كل الشرق يعتبرها كسيدته. بعدئذ هز رأسه وامتطى بزهو حصانا جامحا لا ينقطع صهيله العالي. حتى اني عندما اردت ان أكلمه أخرسني صوته الأجش ولم يدعني انبس ببنت شفة.

كليوباترا: هل كانت تبدو عليه امارات الحزن ام المرح؟

اليكسان: كما ان الطقس هذه السنة كان وسطا بين الحرارة والبرودة، هكذا كان هو غير حزين وغير مرح.

كليوباترا: يا له من وضع متوازن. لاحظي جيدا يا شرميون ان هذا الرجل المعتدل لم يكن حزينا لانه يريد ان يظل صافي الذهن في أعين من ينظرون الى محياه، ولم يكن مرحا كأنه يصرح بأن تذكاراته كانت تحوم في سماء مصر على اجنحة الفرح، بل كان بين النقيضين. يا له من كوكب سماوي. هيا، عندما تكون كئيبا او مسرورا فان أجواء الكآبة او السرور تليق بك اكثر من اي احد سواك. (الى اليكسان) هل صادفت سُعاة بريدي؟

اليكسان: اجل، يا سيدتي. رأيت منهم عشرين على الاقل. لماذا ترسلينهم هكذا الواحد تلو الآخر؟

كليوباترا: ان الطفل الذي سيولد يوم اكون قد نسيت توجيه رسائلي الى انطونيوس سيبصر النور تعيسا شقيا. شرميون، جيئيني بقلم وورق. اهلا بك يا اليكسان الكريم. شرميون، هل احببتُ في حياتي قيصر الى هذا الحد؟

شرميون: يا لقيصر الشجاع!

كليوباترا: ان تنهيدة ثانية مثل هذه ستجعلك تختنقين غما. وما رأيك يا انطونيوس الباسل؟

شرميون: يا لقيصر الشهم!

كليوباترا: قسَما بإيزيس، سأجعل لثّتك تنزف دما، اذا عدتِ الى مقارنة قيصر بمن أفضله على الرجال كافة.

شرميون: خذيني بحلمك، ايتها الفاتنة، فأنا لا أفعل سوى ترديد ما كنت لا تنفكين عن اعلانه باستمرار.

كليوباترا: كنت آنذاك في ربيع عمري، وكانت خبرتي في الحياة قليلة. حتما جمد الدم في عروقي عندما ادركتُ معنى تلك الكلمات. تعالي نخرج. هيا جيئيني بالقلم والورق لكي أتيح له ان يستلم كل يوم رسالة مني حتى لو اقفرت ارض مصر من السكان.

الفصل الثاني

المشهد الأول

مسِّين — في منزل بومبايوس

(يدخل بومبايوس ومناقراط ومناس)

بومبايوس: اذا كانت الآلهة العظيمة عادلة، عليها ان تساند الرجال العادلين.

مناقراط: ثق جيدا، يا بومبايوس الجليل، ان من يؤجلون لا يرفضون.

بومبايوس: فيما نحن نلتمس العطف عند أقدام عروشهم، اذا بالقضية التي نتوسل لاجلها تتبدد وتزول.

مناقراط: اننا بسبب جهلنا، نسترحم في الغالب للوصول الى شقاء ادهى من غبننا. والسلطات المختصة تمتنع عن الاستجابة لاجل صالحنا. وهكذا نلاقي التوفيق في عدم تلبية رجائنا.

بومبايوس: سأنجح. فالشعب يحبني والبحر يخصني، وقوتي آخذة في الازدياد، وقلبي ينبئني بأني سأبلغ اعلى الذرى. مارك انطونيوس يتعشى في مصر ولن يذهب للمحاربة في الخارج. قيصر يجمع المال بينما هو يخسر القلوب. لايبد يتزلف الى كليهما ولا يحب احدا منهما، ولا احد منهما يكترث له.

مناقراط: قيصر ولابيد هما في حالة حرب ويقودان جيوشا هزيلة.
بومبايوس: كيف علمت بذلك؟ هذا غير صحيح.
مناقراط: سيليوس اخبرني، يا مولاي.
بومبايوس: هو يحلم، بينما انا أعلم بأنهما كليهما في روما بانتظار انطونيوس. ولكن كل مفاتن الحب، يا كليوباترا الشهوانية، يذبل شفتيك الناعمتين وينزع عن جمالك روعة السحر، لان الدعارة تمرّغ المهج في الاوحال، وتزج المتهتك في دهاليز الخلاعة والمجون، وتغلف دماغه بالدخان الخانق. وإذ يفتح الطباخون شهيته بألذ المآكل المهيجة لا يزيده الجشع الى النوم وطيِّب المآكل الا تخمة قاتلة فيُطرح اخيرا في بحر العدم والنسيان. يا فاريوس...

(يدخل فاريوس)

فاريوس: ان ما سأعلنه هو في غاية الاهمية: مارك انطونيوس منتظَر في روما من ساعة الى اخرى. يا مناس، لم اكن اظن ان هذا الشره في الحب سيتدخل في هذه الحرب الصغيرة. انه كجندي يساوي اثنين من كلا الطرفين الآخرين. ولكن لا نفاخر بأننا من اول حركة استطعنا ان ننتشل من مياه نهر مصر انطونيوس العاشق الذي لا يرتوي.
مناس: انا لا يسعني ان أصدّق ان قيصر وأنطونيوس يتفقان معا. ان زوجة انطونيوس التي ماتت من عهد قريب قد سببت الحرج لقيصر، فان اخاها قد حاربه بدون ان يكون انطونيوس قد حرضه على ذلك.
بومبايوس: لست ادري، يا مناس، كيف أدت الخصومات الطفيفة الى التهادن في العداوات الكبيرة. لو لم نناهضهم جميعا، لكان من البديهي ان يتشاحنوا فيما بينهم، لان لهم دوافع كافية لشهر سيوفهم. انما كيف السبيل الى انهاء انقساماتهم بالخوف الذي نوحيه اليهم، والى شفاء جروح خلافاتهم الداخلية؟ هذا ما لا نعلمه بعد. ليكن ما تشاؤه الآلهة، لان خلاصنا يقتضي ان لا نضنّ بأية وسيلة. تعال، يا مناس!

(يخرجون)

المشهد الثاني

روما — في منزل لابيد

(يدخل انوبربوس ولابيد)

لابيد: ايها الشجاع انوبربوس، سيكون صنيعك مشكورا لائقا، اذا التمست من رئيسك كلاما ليِّنا ومسالما.

انوبربوس: سأطلب منه ان يجيب بما يناسب الموقف، اذا أثاره قيصر وليتشامخ انطونيوس على قيصر، وليتكلم بصوت اعلى من صوت الإله مارس. بحق الاله المشتري لو كانت لي لحية انطونيوس لما حلقتها اليوم.

لابيد: ليس الان وقت الحزازات الشخصية.

انوبربوس: كل حين صالح لخلق مثل هذه المشاكل.

لابيد: لكن المسائل الصغيرة يجب ان تختفي امام القضايا الكبيرة.

انوبربوس: انا لست من هذا الرأي، اذا جاءت الصغيرة اولا.

لابيد: لهجتك نابعة من غايتك. ارجوك ان لا تحرك الرماد فتزكي وهج النار. ها هوذا النبيل انطونيوس قادم.

(يدخل انطونيوس وفنتيديوس)

فنتيديوس: ثم، هناك قيصر.

(يدخل قيصر من جهة ثانية وبصحبته ماسان واغريبا)

انطونيوس: اذا اتفقنا هنا، علينا ان نسرع الى جماعة البارثيين. هل تسمع يا فنتيديوس؟

قيصر: انا لا اعرف، يا ماسان، ماذا اطلب من اغريبا.

لابيد: ايها الاصدقاء النبلاء، ان الموضوع الذي اجتمعنا كلنا لاجله هو في غاية الخطورة، فلا نفسح في المجال لاسباب تافهة ان تخلق شقاقا

فيما بيننا، ولنستمع بهدوء الى الشكاوي التي تقام. اذ عندما نناقش خلافاتنا المسكينة بعنف نقترف جريمة قتل بينما نحن نحاول ان نضمد الجروح. هكذا يا زملائي الافاضل، أستحلفكم بالحاح ان تبلسموا أثخن الجروح بألطف الالفاظ، فلا يتفاقم الغضب والتناحر.

انطونيوس: هذا كلام جميل. لو كنا على رأس جيوشنا، وعلى أتم الاستعداد للقتال، لتصرفنا على هذا النحو.

قيصر: اهلا بكم في روما.

انطونيوس: شكرا.

قيصر: إجلس.

انطونيوس: تفضل اجلس، يا سيدي.

قيصر: هات ما عندك

(يجلسان).

انطونيوس: بلغني انك ترى الاشياء قبيحة على خلاف ما هي، او تعتبرها كأنها لا تعنيك.

قيصر: اكون سخيفا لو كنت لاجل لا شيء او لاجل القليل أعتبر نفسي مهانا، ومعك بنوع خاص اكون اكثر سخافة لو كنت رشقتك بنعوت غير مُرضية بدون ان يكون لي غاية من ذكرها.

انطونيوس: لو بقيت انا في مصر، هل كان الامر يؤثر عليك، ايها القيصر.

قيصر: ليس اكثر من تأثير مكوثي هنا في روما عليك وأنت مقيم في مصر. على كل حال، لو تآمرت هناك على سلطتي لكان وجودك في مصر يشغل بالي.

انطونيوس: ماذا تعني بالتآمر؟

قيصر: يمكنك ان تدرك فكرتي بسهولة من مجرد ما جرى لي. ان زوجتك وأخاك اعلنا عليّ الحرب. وكانت عداوتهما تحوم حول شخصك، لأنك كنت محور دسائسهما.

انطونيوس: انت على ضلال. لم يستهدفني اخي ابدا في تصرفاته. وعلى

ما علمتُ من مخبرين صادقين، انه استل السيف عوضا عنك، وإلا ما هاجم سلطتي وبالوقت نفسه سلطتك ايضا. أوَلم يعارض رغباتي لان قضيتك هي قضيتي انا؟ وعلى هذا الاساس أشدت بك في رسائلي. فاذا اردت ان تكف عن مخاصمتك التي ليس لها من داع، فابحث عن حل آخر.

قيصر: انت تبرر نفسك بإلقائك عليّ تبعة تقديرك الخاطىء وتختلق هذه الاعذار الواهية.

انطونيوس: كلا، ثم كلا. انا أعلم علم اليقين بأنك تستطيع التنصل من بداهة هذا المنطق: انا الشريك في القضية، ما كنت لأرى بعين الرضى هذه الحرب التي تقض مضجعي. اما زوجتي، فكنت أود ان تكون انت قرين مثل هذه المرأة. فثلث العالم يخصك وأنت توجهه بكل سهولة كما يحلو لك. انما هذا لا ينطبق بتاتا على مثل هذه المخلوقة. كلا.

انوبربوس: قيضت لكم الآلهة ان تحظوا جميعكم بمثل هذه الزوجة. عندئذ يتسنى للرجال ان يعلنوا الحرب على النساء.

انطونيوس: اجل، ايها القيصر، فالهزات التي لا ترحم والتي كانت تسببها لي قلة صبرها بالاضافة الى مداخلات سياسية معينة يؤلمني ان لا انكر انها اقلقتك كثيرا ولكن عليك ان تعلم ان لا حيلة لي فيها.

قيصر: كتبت لك ايام حفلاتك الخلاعية الى الاسكندرية. فدسست رسائلي في جيبك، وصرفت رسولي بعد اهانته وإساءة معاملته.

انطونيوس: مولاي، لقد داهمني بغتة بدون استئذاني، بينما كنت أحتفي بتكريم ثلاثة من الملوك، وأنا في حالة غير التي كنت عليها صباحا. لكنني في اليوم التالي بينت له حسن نيتي وكأنني أقدم له الاعتذار. فليظل هذا المرافق بعيدا عن مشاكلنا. واذا كان لا بد من خصامنا فاشطبه من القضية.

قيصر: انت نقضت التعهد الذي اقسمت على تنفيذه. ولذا لا يحق لك ان توجه لومك اليّ.

لابيد: مهلا، ايها القيصر.

انطونيوس: لا، يا لابيد. دعه يتكلم. اني أقدس الشرف الذي يتحدث عنه،

والذي يفترض هو اني تنصلت منه. أكمل ايها القيصر. ان هذا التعهد...
والقَسم...
قيصر: كان لتعيرني اسلحتك ومؤنك عند اول طلب مني. ولكنك رفضت تقديم اي عون.
انطونيوس: قل بالحري اني تقاعست. كنت اذ ذاك في ساعات حرجة أنستني نفسي. دعني أعبر لك عن كل أسفي. انما ثق بأن امانتي لن تخون عظمتي بقدر ما تستغني هذه العظمة عن الامانة. والحقيقة هي ان فولفيا لكي تضطرني الى مغادرة مصر، اعلنت عليك الحرب هنا. وأنا المسبب البريء أقدم لك كل الاعتذار الذي يسمح لي شرفي بالنزول اليه في مثل هذا الوضع.
قيصر: هذا كلام نبيل.
ماسان: ارجوك ان لا تلح اكثر من ذلك على الاضرار المتبادلة، فان تناسيها دليل على ان الضرورة حاليا تقتضي مصالحتكم.
لابيد: هذا كلام لائق، يا ماسان.
انوبربوس: او على الاقل تظاهر بالمودة في الوقت الحاضر، وحالما تنقطع عنك أخبار بومبايوس المقلقة يمكنك ان ترد لهذه المودة اعتبارها. فأمامكما متسع من الوقت لتتخاصما عندما لا يكون لديكما اي عمل آخر.
انطونيوس: انت لست سوى جندي، فاسكت.
انوبربوس: لقد نسيت ان على الحقيقة ان تكون خرساء.
انطونيوس: انت تسيء الى هذا الاجتماع الهام. لذلك عليك ان تلزم الصمت.
انوبربوس: تابع اذاً، لان سامعك من حجر.
قيصر: انا لا أعترض على المعنى في حديثك بل على المبنى. ولذا يستحيل ان نظل اصدقاء ما دامت أقوالنا لا تنسجم مع افعالنا. مع ذلك، لو كان هناك سلسلة تربطنا، كي نبقى متحدين من اقصى العالم الى أدناه، لكنت بحثت عنها.
اغريبا: اسمح لي ايها القيصر.
قيصر: تكلم، يا اغريبا.

اغريبا: انت لك اخت من أمك، هي اوكتافيا اللامعة. وها هو مارك انطونيوس العظيم قد ترمل.
قيصر: لا تقل هذا يا اغريبا. لو سمعتك كليوباترا لنعتتك فورا بقلة الحياء.
انطونيوس: انا لست متزوجا، ايها القيصر. دعني أنصت الى اغريبا.
اغريبا: لكي تظلا صديقين الى الابد وتكونا أخوين بكل معنى الكلمة ويرتبط قلباكما بوثاق محبة يستحيل حله، على انطونيوس ان يتخذ اوكتافيا زوجة له. لأن الزوج الذي يقتضيه جمالها، يجب ان يكون على الأقل مثال الرجولة وأن تتجلى فضيلته وجميع شمائله بأنبل مظاهرها. وبفضل هذا الزواج تزول كل بوادر هذا الحسد الذي يبدو الان متفاقما وتزول ايضا جميع امارات الخوف الذي اضحى اليوم خطرا. فالحقائق ذاتها تغدو أنصاف اكاذيب بينما أنصاف الاكاذيب حاليا هي الحقائق كاملة. والحب الذي تكنه اوكتافيا لكما معا يحيي المودة المتبادلة بينكما وتعلق الجميع بكما. سامحني على صراحتي. فهذه ليست خاطرة مرتجلة بل فكرة مدروسة طويلا ومدعومة بالامانة والاخلاص.
انطونيوس: هل هو قيصر الذي يتكلم؟
قيصر: كلا، ليس قبل ان اعرف ما هو شعور انطونيوس حيال ما سمعته في هذه الساعة.
انطونيوس: أي سلطان سيكون لاغريبا في حال تحقيق اقتراحه، اذا اعلنت موافقتي؟
قيصر: سلطان قيصر، وسلطاني على اوكتافيا.
انطونيوس: أتمنى عدم وقوف اي حجر عثرة في طريق تنفيذ هذا المشروع الطافح بالوعود الجميلة. هات يدك وتمم هذا العمل الرائع. ومن الان وصاعدا، ليوجه القلب النابض بالأخوة مودتنا الصادقة وينظم مصيرنا المشترك المجيد.
قيصر: هاك يدي. أستودعك أختا أحبها كما لم يحبها اخ في الدنيا. ولتحيا حتى تتحد امبراطوريتنا وقلوبنا، ولتظل عواطفنا متعانقة مدى الدهر.
لابيد: وأنا اقول باغتباط: آمين!
انطونيوس: لم يخطر يوما ببالي ان أجرد حسامي في وجه بومبايوس، لانه

غمرني بحفاوته الفائقة. عليّ اولا ان أشكره كي لا أشوه سمعتي المتسمة بعرفان الجميل، وبعد هذا الشكر أتحداه.
لابيد: الوقت يداهمنا. هيا بنا نسرع للبحث عن بومبايوس، وإلا جاء هو للبحث عنا.
انطونيوس: اين هو؟
قيصر: في جوار جبل الميزان.
انطونيوس: كم تبلغ قواته البرية؟
قيصر: هي عظيمة ومتزايدة باستمرار. اما في البحر فهو السيد المطلق.
انطونيوس: هذا ما يعتقده الجميع. ليتنا كنا تحدثنا في الامر قبلا. لنسرع الان. ولكن قبل ان نشهر السلاح لنعجل في اتمام ما اتفقنا عليه.
قيصر: بكل سرور، ادعوكم الى زيارة شقيقتي، وها انا أصحبكم اليها.
انطونيوس: لا تحرمنا من رفقتك، يا لابيد.
لابيد: ايها النبيل انطونيوس، حتى المرض لن يقعدني عن ذلك.

(تصدح الموسيقى ويخرج انطونيوس وقيصر ولابيد).

ماسان (لأنوبربوس): اهلا بك في مصر، يا مولاي.
انوبربوس: حبيب قلب القيصر، ايها الجليل ماسان، صديقي الجزيل الشرف أغريبا!
اغريبا: انوبربوس الكريم!
ماسان: نحن سعداء بأن تكون الامور سوِّيت هكذا حسنا. ان تصرفاتك في مصر خيِّرة ومشكورة.
انوبربوس: نعم، يا سيدي، كنت انام معظم ساعات النهار واختصر سهر الليل بالشراب.
ماسان: يقال ان ثمانية خنازير مشوية التهمتموها برمتها في غداء واحد يضم اثني عشر شخصا فقط. هل هذا صحيح؟
انوبربوس: هذا غيض من فيض، وذبابة بالنسبة الى نسر. فلقد اقمنا ولائم اضخم منها بما لا يقاس وتستحق الذكر اكثر منها.

ماسان: واذا كانت الاقوال مطابقة للافعال والحقيقة، فان هذه المرأة النادرة لا تقاوم.

انوبربوس: منذ مقابلتها الاولى لانطونيوس على نهر سيدنوس، أسرت قلبه وسلبت لبه.

اغريبا: لقد ظهرت فعلا في ذلك المكان، ان لم تخدعني تقاريري.

انوبربوس: اعلمك ان المركب الذي كانت فيه يشبه عرشا براقا متلألئا على صفحة الماء. فمقدمته من الذهب المطروق، وأشرعته من الارجوان المعطر الى درجة ان الرياح تهاوت نشوى عليها المجاذيف الفضية تتحرك بانتظام على انغام الناي فتضطر المياه التي تطردها المجاذيف الى الرجوع بسرعة اقوى كأنها تعشق ضرباتها. اما شخصها فيعجز عنه كل وصف. كانت مستلقية في مقصورتها على شرشف مذهَّب كأن صورتها تحجب جمال فينوس التي فيها الفن قد فاق الطبيعة، والى جانبها جوقة اولاد آية في البهاء، يشبهون إله الحب كوبيدون البسَّام وهم يمسكون بمراوح متعددة الالوان، وأنفاسهم تبدو كأنها تلهب الوجنات الزاهية التي يبردونها وتعيد الى الوجود ما قد أزالوه.

اغريبا: يا له من مشهد ساحر فتن انطونيوس.

انوبربوس: ونساؤها نظير حوريات البحر او عرائس الجن يطعنها من مجرد نظرة وينحنين امامها برشاقة. اما دفة المركب فتمسك بها حورية كأنها هي التي تقوده، وحباله المصنوعة من الحرير ترتعش لمجرد لمسها بالايدي المرنة كالازهار الندية التي تقوم بتحريك الدفة. ومن المركب ينبعث عطر فيه نشوة تسحر الارصفة المحاذية. فحين خرج سكان المدينة لملاقاتها، كان انطونيوس الجالس على عرش في وسط الساحة العامة وحيدا يرسل صفيرا ناعما في الهواء الذي راح، لو صح القول، يتأمل معجبا في كليوباترا وقد ترك وراءه فراغا كبيرا في أجواء الطبيعة.

اغريبا: في الحقيقة، هذه المصرية ليس لها من مثيل.

انوبربوس: عندما نزلت الى اليابسة ارسل انطونيوس يدعوها الى العشاء. فكان ردها بأن الأفضل ان يكون هو ضيفها، وقد اقنعته بذلك. اما صاحبنا

انطونيوس، اللبق الذي لم ترفض امرأة له طلبا ولم تقل له لا، والذي يحلق عشر مرات في اليوم لفرط اناقته، فأقبل على الوليمة مغتبطا، ومنح قلبه ثمنا لما التهمته عيناه من مفاتنها بشوق ولهفة.

اغريبا: يا لها من ملكة عاهرة، كانت قد حملت قيصر العظيم على وضع سيفه جانبا في فراشها، وعندما زرع حقلها اعطته حصادا خصبا.

انوبربوس: لقد شاهدته مرة في الشارع يقفز اربعين خطوة على رجل واحدة. وبعد ان تقطعت أنفاسه شاءت ان تكلمه، فوقفت وهي خافقة القلب زاهية المحيا، وقد زادها تراخيها جمالا وراحت أنفاسها العطرة تشع منها فتنة، تستجدي منه العطف والحنان.

ماسان: اما الان، فأنطونيوس مضطر الى التخلي عنها حتما.

انوبربوس: لن يتركها ابدا، لان تقدمها في السن لا يذوي رونقها، ولا العادة تستنفد تنويعاتها التي لا حصر لها. سواها من النساء يشبعن ما يغذين من قابليات في الرجال، اما هي فانها بقدر ما تروي الغليل تراها تستنفد الاشواق النهمة. وكل ما فيها من انحطاط يغوي حتى الكهنة القديسين الذين يباركونها عندما تسترسل في دعارتها.

ماسان: اذا كانت بمفاتنها وحكمتها ووداعتها تقوى على أسر قلب انطونيوس فان اوكتافيا هي له بمثابة ثروة لا تنضب.

اغريبا: لنذهب. يا انوبربوس الكريم، كن ضيفي طوال مكوثك هنا.

انوبربوس: اشكرك، يا مولاي.

(يخرجون).

المشهد الثالث

روما ـــ في قصر قيصر

(تدخل اوكتافيا مصحوبة من جهة بقيصر ومن جهة احرى بانطونيوس. عرّاف وخدم يتبعونهم).

انطونيوس: ان العالم ومناصبي الرفيعة تقتلعني احيانا من بين ظهرانيكم.

اوكتافيا: اذاً سأجثو على ركبتيّ بدون انقطاع امام الآلهة متضرعة لاجل سلامتك.

انطونيوس (لقيصر): ليلتك سعيدة، يا مولاي. يا اوكتافيا لا تشملي مساوئي في قصص العالم. فأنا حتى الان لم اتبع النهج القويم. ولكني في المستقبل سأسلك السبيل السوي. ليلتك سعيدة، يا سيدتي العزيزة.

اوكتافيا: ليلتك سعيدة يا مولاي.

قيصر: ليلتك سعيدة.

(يخرج قيصر وأوكتافيا وخدمهما)

انطونيوس (للعرّاف) : فاذاً أيها الغبي، أنت تتمنى أن تكون في مصر؟

العراف : ليت الآلهة لم تسمح لي بالخروج من تلك البلاد، وأن لا تكون قد أتيت انت الى هنا.

انطونيوس: قل لي، ان امكن، ما هي حجتك؟

العرّاف: انها كامنة في رغبتي، اذا لم تلفظها شفتاي. ولكن، عليك ان ترجع سريعا الى مصر.

انطونيوس: اخبرني، من منا، انا او قيصر، سيكون صاحب الحظ الاوفر في النجاح؟

العراف: هو قيصر. فلا تظل اذاً الى جانبه، يا انطونيوس. لان شيطانك، أعني الروح الذي يحرسك، هو نبيل وشجاع ومترفع وغير قادر حيث يوجد

شيطان قيصر. انما بقربه لن يكون نصيب ملاكك المثقل بالمهام العسيرة، الا الهلع. لذلك، عليك ان تبتعد عنه قليلا.

انطونيوس: لا تتحدث بهذا ابدا بعد الان.

العراف: لن ابوح به لغيرك مطلقا الا في اثناء وجودك. فاذا سايرته بأية لعبة ستكون انت الخاسر حتما. فحظه وافر الى درجة انه يتغلب عليك بصورة اكيدة في كل الظروف. لان مشعلك يخبو نوره حالما يشع بقربه. أكرر عليك ان روحك يخشى ان يوجهك وأنت الى جانبه. انما في غيابه ستكون احسن حالاً.

انطونيوس: امضِ وبلّغ فنتيديوس اني أود ان أحدثه (يخرج العراف). يجب ان يذهب لمواجهة البارثيين. وسواء عن علم او صدفة، فقد باح بالحقيقة. لان زهر اللعب يطاوعه. وفي ألعابنا كل تفوقي يتبخر امام توفيقه. واذا اقترعنا فيكسب حتما. وديوكه تغلب دوما ديوكي، وان كانت جميع الحسابات مخالفة. ودائما صقوره تتغلب على صقوري في حومة الوغى. أريد ان اعود الى مصر. لقد قبلت بهذا الزواج لضمان طمأنينتي. أجل، ولكن عيشي الرغيد هو في الشرق.

(يدخل فنتيديوس)

آه! تعال يا فنتيديوس. عليك ان تذهب لمواجهة البارثيين. ان مهمتك جاهزة فاتبعني لتوليها.

(يخرجون).

المشهد الرابع

روما ــ في ساحة عامة

(يدخل لابيد وماسان واغريبا)

لابيد: لا تزعج نفسك اكثر مما فعلت. ارجوك ان تنضم الى قوادك.
اغريبا: مولاي، ليذهب مارك انطونيوس ويعانق اوكتافيا كي ننطلق.
لابيد: الى ان اشاهدك في البزة العسكرية التي تليق بكليكما، اقول لك الوداع.
ماسان: حسب توقعاتي لهذه السفرة، سنسبقك الى جبل الميزان، يا لابيد.
لابيد: ان الطريق الذي ستسلكه هو أقصر. وأموري ستؤخرني كثيرا. لذلك ستتقدمون عليّ مدة يومين.
ماسان واغريبا: نتمنى لك النجاح، يا مولاي.
لابيد: الوداع

(يخرجون).

المشهد الخامس

الاسكندرية ــ في القصر

(تدخل كليوباترا وشرميون وإراس وأليكسان والخدم)

كليوباترا: اعزفوا لنا الموسيقى، فهي غذاؤنا الشجي نحن العشاق.
خادم: موسيقى، يا جوقة.

(يدخل مارديان)

كليوباترا: دعونا من هذا، ولنذهب الى لعب البلياردو. تعالى، يا شرميون.
شرميون: ذراعي تؤلمني. لاعبي بالحري مارديان.
كليوباترا: بالنسبة اليّ كامرأة أفضِّل ان ألاعب خصيا على ان ألاعب امرأة. (لمارديان) تعال هل تريد ملاعبتي، يا سيد.
مارديان: بقدر امكاني، يا مولاتي.
كليوباترا: وحالما يظهر حسن النية، وان لم يكن كافيا، فالشريك له حق العفو. ولكن، لا، لم اعد أريد. اعطني قصبة الصيد. سنتوجه نحو النهر، وهناك ستعزف موسيقاي من بعيد، وسأجهز الطعم للاسماك ذات الزعانف القوية، فتخترق سنارتي المنحنية اشداقها اللزجة، وكلما اصطدت سمكة سأتصور انها انطونيوس وأهتف: ها انت قد وقعت في الفخ.
شرميون: كم كان مرحا ذلك اليوم الذي راهنت فيه على من يفوز بصيد أوفر وقد علّق غطاسك بصنارة انطونيوس سمكة مالحة سحبها بحماسة لا توصف.
كليوباترا: يا لتلك الاويقات السعيدة! كنت أهزأ به وأجعل صبره ينفد. وعندما يأتي المساء كنت أسخر منه بشكل يعيد اليه طول أناته. وفي صباح اليوم التالي قبل الساعة التاسعة كنت أرده سكران الى فراشه. ثم أغطيه بأثوابي ومعاطفي بينما كنت أتقلد السيف الذي حمله في فيليبوس.

(يدخل رسول)

يا ايطاليا، كدسي اخبارك السارة وانقليها الى أذني التي طال شوقها الى سماعها.

الرسول: سيدتي، سيدتي.

كليوباترا: انطونيوس مات. فاذا صرحت بهذا، يا غريب الاطوار، تكون قد قتلت سيدتك. اما اذا كان حرا وبصحة جيدة، وقدمته لي هكذا، فلك هذه الحفنة من الذهب. هذه يدي الملكية قبّلها كما قبّلها قبلك ملوك وهم يرتعشون.

الرسول: اولا، هو بخير، يا سيدتي.

كليوباترا: ها هي حفنة اخرى من الذهب. ولكن، انتبه، ايها المغفل! نحن من عادتنا ان نعلن بأن الاموات هم بخير. فاذا كان هذا ما تفعله، سأذوّب الذهب الذي اناولك اياه وأصبه في حنجرتك لأسدها الى الابد.

الرسول: اصغي اليّ، يا سيدتي الكريمة.

كليوباترا: حسن. اني موافقة. لكني لا ارى خيرا في سحنتك. واذا كان انطونيوس حرا طليقا وبصحة جيدة، فلماذا هذا العبوس البادي على وجهك الذي ينبيء بأسوأ الاخبار. واذا كان في حالة يرثى لها كان عليك ان تصل الى هنا بهيأة إله الغضب الذي تتوّجه الافاعي لا بصورة البشر.

الرسول: هلا تكرمتِ بالاصغاء اليّ؟

كليوباترا: نفسي تسوّل لي بأن اضربك قبل ان تتكلم. ولكن اذا اعلمتني بأن انطونيوس حي ومعافى، وانه صديق قيصر لا اسيره، سأمطرك وابلا من الذهب وبرَدا من اللؤلؤ الناعم.

الرسول: هو بخير، يا سيدتي.

كليوباترا: نِعمَ ما قلت.

الرسول: وهو صديق قيصر.

كليوباترا: انت رجل شريف.

الرسول: انه هو وقيصر لمن أخلص الاصدقاء.

كليوباترا: اربح مني قدر ما تشاء.

الرسول: ولكن، يا سيدتي...

كليوباترا: انا لا احب لفظة « لكن » هذه، لانها تضعف هذه الفاتحة البديعة. اني اكره لفظة « لكن » لانها نظير السجان الذي يقفل الابواب على المجرمين الخطرين. ارجوك يا صديقي ان تفرغ في أذني ما في جعبتك من كلام الخير والشر على السواء. انه صديق قيصر ومعافى وحر، كما قلت لي؟

الرسول: كلا، يا سيدتي، هو ليس حرا. انا لم أصرح ابدا بذلك، لانه متدله بأوكتافيا.

كليوباترا: ولماذا؟

الرسول: لكي يخدمها في السرير على الوجه الافضل.

كليوباترا: لوني اخذ يشحب، يا شرميون!
الرسول: يا سيدتي، هو مقترن بأوكتافيا.
كليوباترا: ليصيبك الطاعون الاشد ضراوة.

(تضربه وترميه ارضا).

الرسول: صبركِ عليّ، يا سيدتي الفاضلة.
كليوباترا: ماذا تقول؟ (تضربه ايضا). أخرج من هنا، ايها الغبي الحقير. سأفقأ عينيك وأدحرج حدقتيك عند قدميّ. سأجرد رأسك من الشعر. (تهزّه بعنف). وسآمر بجلدك لا بالسوط بل بالحديد، ثم بالقائك في خلقين من الماء الساخن وبنقعك بالمرق المالح.
الرسول: سيدتي الجميلة. ان كنت جئتك بالخبر المزعج، فأنا لم أعقد قرانه.
كليوباترا: صرح لي بأن هذا لم يتم فأهديك اقليما، وأجعل حظك من اسعد الحظوظ. ان الضرب الذي انلتك اياه يعفيك من الغيظ الذي أثرته فيّ، وسأغدق عليك جميع العطايا التي تستجديها بخساسة.
الرسول: هو متزوج، يا مولاتي.
كليوباترا: يا شقي، لقد عشت اكثر من اللزوم.

(تشهر عليه سكينا).

الرسول: اذاً ما لي الا الهرب. بماذا تدّعين، يا سيدتي. انا لم أقترف ذنبا.

(يهرب).

شرميون: يا سيدتي الكريمة، هدئي روعك، فالرجل بريء.
كليوباترا: هناك ابرياء لا ينجون من الصواعق. لتسقط مصر في مياه النيل، ولتتحول جميع المخلوقات الخيِّرة الى حيات. نادوا هذا العبد. فمهما انتابني من الغضب لن أعاقبه. نادوه.

(يخرج احدهم)

شرميون: انه خائف ولا يريد الرجوع.

كليوباترا: لن أذيه. ان يديّ تفقدان نبلهما بضرب من هو أصغر مني. مع اني انا ذاتي وضعت نفسي في مثل هذا المأزق.

(يعود الرسول)

اقترب يا سيد. قد تكون شريفا. انما ليس صالحا من يأتي بالخبر السيء.

إضفِ على الرسالة المفرحة لهجات متعددة، واجعل الانباء المشؤومة تصل الينا من تلقاء ذاتها بصحبة النكبة التي تحل بنا.

الرسول: انا قمت بواجبي.

كليوباترا: اخبرني، هل هو متزوج؟ سأصب عليك جام غضبي ان اجبت ثانية بنعم.

الرسول: اجل، يا سيدتي، هو متزوج.

كليوباترا: لتمسخك الآلهة! ألا تزال متشبثا بهذا القول؟

الرسول: هل تريدينني ان اكذب، يا سيدتي.

كليوباترا: أجل، أريدك ان تكذب عندما يغوص في النيل نصف مصر التي تخصني، ويؤلف حوضا للافاعي القاتلة. هيا اخرج من هنا. وعندما يغدو محياك شبيها بالنرجس ستظل قبيحا في نظري. تقول انه متزوج؟

الرسول: انا ألتمس عفو سموّك.

كليوباترا: انه متزوج؟

الرسول: لا تعتبري كلامي اساءة ضدك. فاني ابعد الناس عن الإقدام على ازعاجك، ومعاقبتي على ما تسببينه اليّ هي منتهى الظلم. نعم، هو مقترن بأوكتافيا.

كليوباترا: ما اغباك، اذا كان مثاله أُوحى اليك ان تكون خبيثا على خلاف حقيقتك؟ هل انت واثق من ذلك؟ اخرج من هنا. ان البضاعة التي جلبتها معك من روما باهظة الثمن عليّ، فاحتفظ بها لتجر عليك الوبال.

(يخرج الرسول)

شرميون: تصبّري، يا صاحبة السمو!

كليوباترا: حيال الثناء على انطونيوس، لا يسعني الا النيل من مقام قيصر.
شرميون: لقد كررتِ ذلك مرات عديدة، يا سيدتي.
كليوباترا: وصلني حقي الان. تعالي نغادر هذا المكان. اني أشعر بالانهيار. آه! يا إراس، يا شرميون... لا اريد شيئا. اذهبي الى ملاقاة هذا الرجل. يا اليكسان الكريم، مره بأن يحدد لنا عمر اوكتافيا وأن يصف ملامحها وميولها، بدون ان ينسى لون شعرها وأن يبلغني خير الكلام سريعا. (يخرج اليكسان). بل بالحري لنقلع عن هذا الى الابد. لا، يا شرميون ان كانت سحنته تدل من جهة على المسالمة فانها من الجهة الاخرى، تشير الى الخصام. (لمارديان) قل لأليكسان ان يفيدني عن طول قامتها. إرثي لحالي، يا شرميون، ولا تحدثيني بشيء. خذيني الى حجرتي.

(تخرجان).

المشهد السادس

قرب رأس الميزان

(بومبايوس ومناس يصلان من جهة على وقع الطبول والابواق، ومن جهة اخرى يصل قيصر ولابيد وانطونيوس وأنوبربوس وماسان مع حاشية وجنود).

بومبايوس: لدي رهائنك ولديك رهائني، وسنتباحث بأمرهم قبل بدء المعركة.
قيصر: من العدل ان نتباحث اولا. ولذلك ارسلنا لك سلفا اقتراحاتنا المكتوبة. ومهما كان الوقت قصيرا لتفحُّصها، أعلمنا ان كانت كافية لرد سيفك الغاضب الى غمده وإرجاع كل هذه الشبيبة الى صقلية والا هلكت هاهنا.
بومبايوس: اصغوا اليّ انتم الثلاثة، يا شيوخ هذا العالم الواسع والمنتدبون السامون من قِبل الآلهة. انا لا أفهم لماذا يفتقر ابي الى منتقمين، ما دام قد خلّف ابنا وأصدقاء، ولا سيما عندما وجدكم يوليوس تعملون هنا لحسابه،

بعد ظهوره لبروتوس وفيليبوس. من حرض كاسيوس الممتقع اللون على التآمر؟ من حمل الجزيل الشرف رومانوس بروتوس الشهير باستقامته، ورفاقه في السلاح وأنصار الحرية، على تضريج الكابتول بالدماء؟ انهم لم يشاؤوا ان يروا في القائد الا رجلا. وهذا ما حدا بي الى تجهيز هذا الاسطول الذي يجعل ثقله البحر يرغي ويزبد غضبا، وبه انوي ان أعاقب جحود روما الحاقدة التي جرّت الشقاء على والدي الفاضل النبيل.

قيصر: تصرّف كما يحلو لك.

انطونيوس: لن تتمكن من ترويعنا بكل هذه الاشرعة يا بومبايوس. فنحن نعرف كيف نرد لك الصاع صاعين بحرا وبرا، وأنت لا تجهل ما ينقصك عنا.

بومبايوس: في البر، انت لديك بالفعل اكثر مني بيت ابي، ولأن بعض العصافير تلجأ الى غير عشها، يمكنك ان تبقى فيه بقدر ما تستطيع.

لابيد: تفضل وقل لي (لان كل هذا خارج عن الموضع) ما هي نظرتك الى العروض التي قدمناها لك؟

قيصر: هذا هو المهم.

انطونيوس: لا تتخذ قرارك بقصد ارضائنا، بل اختر من الفريقين من يجدر بك ان تفضله.

قيصر: ما هي العاقبة التي يفرضها عليك طموحك الى المصير الاوفر حظا في نظرك؟

بومبايوس: لقد عرضتَ عليّ صقلية وسردينيا، بشرط ان نطهر البحر من القراصنة، وأن نرسل الى روما كميات من القمح. هذا الاتفاق، عندما يتمم، يقضي علينا بأن نفترق بدون اية ضربة من سيوفنا وبدون اي خدش على تروسنا.

قيصر وأنطونيوس ولابيد: هذه هي عروضنا.

بومبايوس: إعلم اذاً انني قدمت الى هنا ووقفت امامك كإنسان مستعد لقبول اقتراحاتك. لكن مارك انطونيوس افقدني صبري قليلا. (لانطونيوس) وان كنت سأفقد ما أستحق اذا ذكّرتك، أعلمك بأن والدتك جاءت الى صقلية حين كان قيصر وأخوك متشابكين وقد لاقت ضيافة الأصدقاء.

انطونيوس: علمت بذلك، يا بومبايوس، وأنا على أتم الاستعداد لان أقدم لك اصدق الشكر الذي اراني مدينا به لك.

بومبايوس: هات يدك. انا لم أتوقع ان ألتقي بك هنا، يا مولاي.

انطونيوس: ان الاسرّة في الشرق ناعمة ومريحة. فأشكرك على ارجاعي الى هنا في مدة أقصر مما كنت أحسب. وهكذا اكون قد ربحت.

قيصر (لبومبايوس): بعد آخر مرة شاهدتك فيها، ألاحظ عليك بعض التغيير.

بومبايوس: حقا انا اجهل ماذا خط حظي العاثر على جبيني. على كل حال، لن تجتاح الاحزان صدري، حتى تجعل من فؤادي تابعا له.

لابيد (لبومبايوس): اجتماع موفق.

بومبايوس: ارجو ذلك، يا لابيد. وهكذا نكون على أتم التفاهم. انا اطلب ان تكون عهودنا مكتوبة وممهورة بخاتم كل واحد منا.

قيصر: هذا اول ما يجب علينا عمله.

بومبايوس: ليهنىء بعضنا بعضا قبل ان نفترق. ولنقترع لنرى من منا يكون البادىء.

انطونيوس: سأكون انا، يا بومبايوس.

بومبايوس: كلا، يا انطونيوس. دع مصيرنا يقرر ذلك. ولكن، ان كنت انت الأول او الاخير سيستسيغ الجميع مآكلك المصرية اللذيذة. بلغني ان قيصر سمن وهو يشترك في الولائم هناك.

انطونيوس: لا بد ان تكون اطّلعت على انباء اخرى.

بومبايوس: ان افكاري دائما صائبة، يا سادتي!

انطونيوس: وأقوالك ايضا.

بومبايوس: هذا ما بلغني، كما بلغني ان أبولودور حمل...

انوبربوس: هذا يكفي، وقد اصبح من الماضي.

بومبايوس: ماذا حمل؟ ارجوك.

انوبربوس: ملكة معينة الى قيصر ضمن فراش.

بومبايوس: الان عرفتك. كيف حالك ايها الجندي؟

انوبربوس: على ما يرام، ومن المحتمل ان اظل هكذا لأنني أتوقع الاشتراك في اربع ولائم.

بومبايوس: دعني أصافحك. انا لم اكرهك ابدا. فقد شاهدتك تقاتل وقدّرت براعتك.

انوبربوس: وأنا لم احبك كثيرا في يوم من الأيام، يا سيدي. غير اني اثنيت عليك عندما كنت تستحق المديح عشرة أضعاف ما كلته لك.

بومبايوس: أهنئك على صراحتك، فهي تليق بك. اني ادعوكم جميعا الى سفينتي. فتفضل وسر في الطليعة يا مولاي.

قيصر وأنطونيوس ولابيد: دلنا على الطريق ايها السيد!

بومبايوس: تعالوا.

(يخرج بومبايوس وقيصر وأنطونيوس ولابيد، ووراءهم الجنود ورجال الحاشية).

مناس (لنفسه): والدك، يا بومبايوس، ما كان تسنى له ان يعقد معاهدة كهذه، يسودها الوئام. (بصوت عال لأنوبربوس) كل واحد منا يعرف الآخر جيدا يا سيدي.

انوبربوس: يوم كنا في البحر، على ما أعتقد.

مناس: في الواقع، يا سيدي.

انوبربوس: ولقد اتيت بالمعجزات فوق المياه.

مناس: وأنت، على اليابسة.

انوبربوس: اني أمتدح دائما من يثني عليّ. لذلك، لا سبيل الى نكران ما قمت به على الأرض.

مناس: ولا ما حققته فوق البحار.

انوبربوس: بلى. هناك امر تستطيع تجاهله لاجل سلامتك، اذ كنت لصا لا يضاهى في البحر.

مناس: وأنت كذلك، على اليابسة.

انوبربوس: في هذه الحالة، انا أنكر خدماتي. فهات يدك، يا مناس لنتصافح.

اذ لو كان لانظارنا صلاحيات السلطة، لكانت ألقت القبض حالا على لصين متعانقين.

(يمد يده الى الآخر).

مناس: ان وجه الرجل لا يكذب مهما اقترفت يداه من السيئات.
انوبربوس: مقابل ذلك، ليس من امرأة جميلة لا يعرف محياها المحاباة.
مناس: انه لا يختابهن، لانهن يسرقن القلوب.
انوبربوس: لقد جئنا الى هنا لنقاتلكم.
مناس: من ناحيتي، انا حانق لان القضية انقلبت الى حفلة شراب. واليوم بومبايوس يخسر نصيبه ضاحكا.
انوبربوس: ان صح ذلك، فمن المؤكد انه لن يربح باكيا.
مناس: انت قلت، يا سيدي. ونحن لم نكن ننتظر مشاهدة مارك انطونيوس هنا. قل لي: هل اقترن بكليوباترا حقا؟
انوبربوس: ان شقيقة قيصر تدعى اوكتافيا.
مناس: اجل، يا سيدي. وقد كانت امرأة غايوس مارسيلوس.
انوبربوس: لكنها الان زوجة مارك انطونيوس.
مناس: ماذا تقول، يا سيدي.
انوبربوس: هذه هي الحقيقة.
مناس: فاذاً، هو وقيصر مرتبطان الى الابد.
انوبربوس: لو طلبت اليّ ان أنبئها بمصير هذا الزواج لما كشفتُ لها عن مستقبلها هكذا.
مناس: أعتقد بأن للسياسة اثرا في هذا الزواج يفوق ما للحب.
انوبربوس: انا ايضا أعتقد بذلك. انما لا ننسَ ان الوثاق الذي يبدو كأنه يربط صداقتهما، هو الذي سيطيح بهما. لان اوكتافيا رهيبة الملمس، مع ما هي عليه من البرودة والهدوء.
مناس: ومَن مِن الرجال لا يود ان تكون امرأته هكذا؟
انوبربوس: الرجل الذي لا يعتبر نفسه هكذا، اي مارك انطونيوس الذي سيعود الى سمكته المصرية. حينئذ تؤجج اوكتافيا نار غضب قيصر. وكما

قلت منذ لحظة، فالسبب الذي وطد صداقتهما سيغدو سبب القطيعة بينهما قريبا. لان انطونيوس مازال محتفظا بمودته حيث هي، ولم يتزوج هنا سوى الفرصة السانحة.

مناس: قد يكون الامر كذلك. هيا بنا. هل تأتي يا سيدي الى السفينة؟ فأنا أود ان أشرب نخبك.

انوبربوس: وأنا استجيب دعوتك، يا سيدي، وقد اعتدنا على الشراب في مصر.

مناس: هيا نمضي.

(يخرجان)

المشهد السابع

على متن سفينة بومبايوس ــ بقرب رأس الميزان

(عند جسر خشبي يصل الممشى)

موسيقى يدخل اثنان او ثلاثة من الخدم حاملين مائدة مملوءة اطعمة.

الخادم الأول: هم قادمون، يا صاح، ولقد أصابهم الاعياء، والعديد منهم يشعرون كأن أقدامهم قد اقتلعت من أمكنتها، وان أخف ريح ستجرفهم امامها.

الخادم الثاني: أما لابيد فراياته مرفوعة في عالم النشوة.

الخادم الأول: ولقد جعلوه يتقبل مزاجهم السمج.

الخادم الثاني: عندما يقرص احدهم الآخر في موضع حساس يصيح بهم: كفى. وفيما هو يرجوهم ان يتهادنوا يعود هو الى الشرب.

الخادم الأول: ولكنه بذلك يحفر هوة بينه وبين الذوق السليم.

الخادم الثاني: كل هذا له حساب في مجتمع الرجال المتفوقين. اما انا

فأفضِّل ان أمتلك قصبة استعين بها، من رمح ثقيل لا اقوى على رفعه وتحريكه.
الخادم الأول: لعمري. ان قبول المرء في الدوائر العليا بدون الاشتراك في فعاليتها، لشبيه بمحجرين ليس فيهما عينان، غيابهما يحدث في الوجه فراغا مشوها يستدعي الشفقة المذرية.

(موسيقى. يدخل قيصر وأنطونيوس وبومباريوس ولابيد واغريبا وماسان وانوبربوس ومناس وغيرهم من الضباط، والجميع يجلسون الى المائدة).

انطونيوس (لقيصر): هكذا يتصرف الناس، يا مولاي. يقيسون فيضان النيل بجهاز معين نسبة الى الهرم، ويعرفون حسب المنسوب المرتفع أو المنخفض أو المتوسط من مجرى النهر، ان كان هناك مَحل أو خصب. فكلما تعالت مياه النيل ازدادت خيراته، وحالما ترجع مياهه الى مستواها الطبيعي، يبذر الفلاح الحَب في الأرض الموحلة ليجني الغلال ايام الحصاد.
لابيد (بصوت مخمور): هل عندكم هنا حيات غريبة؟
انطونيوس: نعم يا لابيد.
لابيد: اما حيَّتك المصرية فقد ولدت في الاوحال تحت أشعة شمسك كما هي حال تمساحك.
انطونيوس: هذا لا يقبل المغالطة.
بومبايوس: تعال نجلس ونشرب نخب لابيد.
لابيد: انا لست مرتاحا كما يجب ان اكون. ولكني لن أفقد ابدا رشدي.
انوبربوس (على حدة): ليس قبل ان تنام. وحتى ذلك الحين اخشى عليك من الارق.
لابيد: لقد بلغني ان اهرامات بطليموس رائعة للغاية ولا منافس لها، على ما سمعت.
مناس (بصوت خافت لبومبايوس): بومبايوس، كلمة واحدة.
بومبايوس (بصوت خافت لمناس): اهمس قولك في أذني، ماذا تريد؟
مناس (بصوت خافت لبومبايوس): ألتمس منك ايها الضابط ان تنهض عن مقعدك لأقول لك كلمة.

بومبايوس (بصوت خافت لمناس): انتظرني لحظة. (بصوت عال) هذه الجرعة نخب لابيد.

لابيد: ما هو نوع تمساحك؟

انطونيوس: هو، يا سيدي، مكوّن من نفسه وهو سخي بقدر ما يحويه من كرم، وهو عادل بقدر ما هو نشيط، ويطير بأجنحته الذاتية ويحيا بما يزدرده من طعام وحالما تنحلّ عناصره يسعى للهجرة الى روضة جديدة.

لابيد: ما هو لونه؟

انطونيوس: من لونه ذاته.

لابيد: هذا ثعبان عجيب.

انطونيوس: أجل، ودموعه مبللة.

قيصر (بصوت خافت لأنطونيوس): وهل سيرضيها هذا الوصف؟

انطونيوس (بصوت خافت لقيصر): نعم. والآن، بصحة بومبايوس الذي يؤمّنها لها. وإلا سيكون متزمتا صعب المراس.

بومبايوس: (بصوت خافت لمناس): هيا، امضِ واشنق نفسك، هيا... عمَّ تكلمني ؟ الى الوراء. أطع أمري (بصوت عال): اين الكأس التي طلبتها ؟

مناس: (بصوت خافت لبومبايوس): اكراما لخدماتي، واذا شئت ان تصغي الي، قم عن مقعدك.

بومبايوس (بصوت خافت لمناس): انت ساذج على ما ارى. ما الامر؟

(ينهض ويتنحى جانبا برفقة مناس).

مناس: لقد انحنيت على الدوام احتراما لتفوقك.

بومبايوس: لا أنكر انك خدمتني دائما بأمانة مشكورة. وبعد؟ (للضيوف): امرحوا، يا سادتي.

انطونيوس: لابيد، احذر الرمال المتحركة لئلا تغرق في جوفها.

مناس (بصوت خافت لبومبايوس): هل تريد ان تكون سيد الكون؟

بومبايوس (بصوت خافت لمناس): ماذا تقول؟

مناس: أكرر، هل تريد ان تكون سيد الكون بأسره؟

بومبايوس: كيف السبيل الى ذلك؟

مناس: إقبل فقط. ومهما تظن انني مسكين، فأنا رجل قادر على منحك الكون بكامله.

بومبايوس: اراك بالغت في الشراب.

مناس: كلا، يا بومبايوس. لقد ابتعدت عن الكأس. انت لو تجاسرت لكنت الإله المشتري على وجه الأرض، وكل ما تحويه البحار وما تتضمنه السماء هو ملكك، اذا شئت.

بومبايوس: بحقك أرني كيف السبيل الى تحقيق ذلك.

مناس: ان مقتسمي الأرض هؤلاء، أعني مثلث الحكام، هم في مركبك الآن. فدعني أحل الحبال، ومتى صرنا في عرض البحر نخنقهم فيؤول كل ما لهم اليك وحدك.

بومبايوس: كان عليك ان تتصرف بدون ان تعلمني. لان ذلك من جهتي انا يُعتبر نذالة. أما من جهتك انت فيعتبر خدمة جليلة. لا يغرب عن بالك ان مصلحتي ليست برهان شرفي، بل شرفي هو دليل مصلحتي. لا تأسف على كون لسانك خان بدون قصد عملك، بل تصرف متجاهلا علمي بذلك وسأعدّ عملك صنيعا جميلا لن أنساه، مع اني في هذه اللحظة عليّ ان أدينه. لا تهتم للامر واشرب.

(يقترب من الضيوف).

مناس (على حدة): بما ان المسألة هي هكذا، فأنا لا اريد ان اغدو أسير حظك المتدهور. من يسعى الى شيء ويرفضه حالما يحصل عليه، لن يحظى به مرة ثانية.

بومبايوس: أشرب نخب لابيد.

انطونيوس: خذوه الى الشاطىء، فسأقتص لك منه، يا بومبايوس.

انوبربوس (في يده كأس): نخبك، يا مناس.

مناس: بكل طيبة خاطر، يا انوبربوس.

بومبايوس (للعبد الذي يصب الشراب): أسكب حتى تطفح الكأس.

انوبربوس (مشيرا الى عبد يحمل لابيد): ها هوذا رجل شديد البأس، يا مناس.

مناس: لماذا تحكم عليه هكذا؟

انوبربوس: ألا تلاحظ انه يحمل ثلث العالم، يا عزيزي؟

مناس: اذا كان ثلث العالم ثملا، فلماذا لا يكون السكر مسيطرا عليه كي تتمكن من المضي في عملنا بسهولة؟

انوبربوس: هيا، اشرب اذاً وساعدني على تنشيطه.

بومبايوس (لانطونيوس): أوَليست هذه الحفلة مصرية؟

انطونيوس: هي شبيهة بها. هيا، املأوا الكؤوس، ولنشرب نخب قيصر.

قيصر: انا في غنى عن ذلك، لان هذا التصرف جهنمي. انتم تقصدون غسل دماغي، ولكنكم لا تزيدونني الا تصميما.

انطونيوس: سايروا الظروف الحاضرة.

قيصر: اشربوا اذاً، وأنا أجاريكم. انما أفضِّل الامتناع مدة اربعة ايام، بعدها اكرع الكل دفعة واحدة.

انوبربوس (لانطونيوس): يا امبراطوري الباسل، ما رأيك في ان نرقص الان على الانغام المصرية، وننعم بالنشوة؟

بومبايوس: حبا وكرامة، ايها الجندي الشجاع.

(ينهض الجميع عن المائدة).

انطونيوس: هيا بنا نشبك ايدينا بعضها ببعض حتى يُغرق مفعول الخمر حواسنا في بحر النسيان الهادىء الممتع.

انوبربوس: فليُمسِك كل منا بيد جاره. ولتعزف لنا الموسيقى الشجية لحنا يشنف آذاننا. وفي هذه الاثناء نعود جميعنا الى امكنتنا. ثم ينشد هذا الولد، وكل واحد منا يردد اللازمة بصوت عالٍ بقدر ما تسمح به حناجرنا.

(تصدح الموسيقى، ويُجلِس انوبربوس جميع الضيوف، ويد كل منهم في يد جاره).

نشيد:

تعال، يا ملك الخمرة،
يا باخوس المصطبغ الخدود بالحمرة
يا برّاق العيون وأهيب السمرة
أغرق همومنا في براميلك
ولتكلل رؤوسنا عوض الغار عناقيدك.
الجميع يرددون معا:
صب لنا حتى يسكر العالم،
صب لنا حتى يسكر العالم.

قيصر (وهو ينسحب): ماذا تريدون فوق هذا؟ ليلتك سعيدة يا بومبايوس. (لانطونيوس) اخي العزيز، دعني أصطحبك. فان اعمالنا الخطيرة مقذعة بسبب كل هذه التصرفات الرعناء. لنفترق، يا سادتي الكرام، فكما ترون، وجناتنا ملتهبة كالنار، والجبّار انوبربوس هو أضعف من الخمر، ولساني متلعثم بألفاظه. ولا ينقصنا سوى القليل حتى تسلبنا استهتاراتنا المتطرفة عقولنا جميعا. فما بنا من حاجة الى كثرة الكلام. ليلتك سعيدة، يا انطونيوس الكريم، هات يدك.

بومبايوس: أود ان أسهر عليك حتى بلوغ الشاطىء.

انطونيوس (وهو يتمايل): اشكرك، يا سيدي، هات يدك.

بومبايوس: انطونيوس، لديك منزل ابيك. أولسنا اصدقاء؟ هيا اصعد الى المركب.

انوبربوس: احذروا السقوط. (بومبايوس وقيصر وأنطونيوس وحاشيتهم يصعدون الى المركب). مناس، أنا لن تطأ قدماي الأرض.

مناس: لا، هيا الى حجرتي. اقرعو الطبول، وانفخوا في الابواق، وأسمعونا حنو الناي. هيا. وليسمعنا الاله نبتون نودّع بضجة هؤلاء الاصدقاء الاوفياء. اقرعوا الطبول. ليقضِ الطاعون عليكم. اقرعوا.

(تقرع الطبول وتصدح الموسيقى).

انوبربوس (ينادي الصاعدين الى السفينة): يا جماعة، انظروا الى قبعتي.

(يهز قبعته).

مناس: تعال يا صاح، تعال ايها الضابط النبيل، تعال.

(يخرج انوبربوس ومناس).

الفصل الثالث

المشهد الأول
في سوريا

(يدخل فنتيديوس كمن أحرز النصر، يصحبه سيليوس ورومانيون آخرون من ضباط وجنود. ويحضر له جسم باكوريوس بن أورودیس ملك البارثيين).

فنتيديوس: وأخيرا، يا بارثيا، رغم سهامك الحادة، ها انتِ مغلوبة. وأخيرا ها هو حسن طالعي قد جعل مني المنتقم لمرقس كراسوس. فليُحمل جسم ابن الملك هذا، ليعرض امام جيشنا. ان باركوس اورودیس قد دفع الينا بمرقس كراسوس.

سيليوس: ايها النبيل فنتيديوس. ان سيفك الذي لا يزال حارا من دم البارثيين، مستمر بمطاردة الهاربين عبر بلاد ميديا وما بين النهرين وكل المخابىء حيث تبعثر المهزومون. سيضعك قائدك الكبير انطونيوس على عربة النصر ويتوج رأسك باكليل الظفر.

فنتيديوس: سيليوس، يا سيليوس، لقد قمتُ بما يلزم. لاحظ جيدا ان الضابط الصغير يستطيع انجاز الكثير من المهام. ولا تنسَ يا سيليوس، ان الاجدر بنا ان نبقى بلا حراك من ان نكتسب بأعمالنا مجدا رفيعا في اثناء غياب

من نخدمهم. فان قيصر وأنطونيوس احرزا بواسطة ضباطهما نجاحا أوفر مما حققاه شخصيا. وسوسيوس، سلفي في سوريا، نائب انطونيوس، قد فقد الحظوة في عيني سيده من جراء نيله شهرة مكتسبة بسرعة. ان من يفوق قائده شجاعة في الحرب يصبح قائد قائده. والطموح وهو فضيلة الجندي، ان افضى الى الانكسار يظل معه هذا الانكسار افضل من الانتصار الذي يقضي على الطموح. انا لا اتأخر عن بذل ما بوسعي لخير انطونيوس. لكن هذا يغيظه، وغيظه لا يلبث ان يحطم بطولاتي.

سيليوس: فنتيديوس، انت تملك المزايا التي بدونها يكاد الجندي لا يمتاز عن سيفه. هل تنوي ان تكتب الى انطونيوس؟

فنتيديوس: سألمِّح له بتواضع الى ان ما صنعناه باسمه ان هو الا صرخة حرب مدوية. وسأروي له كيف بفضل راياته المرفوعة وجنوده البسلاء كبحنا جماح الحصان البارثي.

سيليوس: اين هو الان؟

فنتيديوس: هو متجه الى آثينا. وهناك، سنظهر امامه بقدر ما يسمح لنا ثقل الغنائم من السرعة. فهيا، الى الامام.

(يخرجون).

المشهد الثاني
روما في بلاط قيصر

(يدخل اغريبا من جهة وانوبربوس من جهة ثانية)

اغريبا: ماذا جرى؟ هل افترق هؤلاء الاخوة؟

انوبربوس: لقد تخلصوا من بومبايوس الذي انتهى امره. وها هم الثلاثة

قد عقدوا معاهدة فيما بينهم. اوكتافيا تنتحب لمغادرتها روما، وقيصر حزين، ولابيد، منذ وليمة بومبايوس، هو بحسب قول مناس، مضطرب بسبب كآبته.

اغريبا: ما انبل لابيد!

انوبربوس: انه لرجل ممتاز، وكم يحب قيصر.

اغريبا: أجل، ولكنه يعبد مارك انطونيوس.

انوبربوس: قيصر عملاق بين الرجال.

اغريبا: وأنطونيوس جبار بين العمالقة.

انوبربوس: أتتكلم على قيصر؟ انه فريد لا يُضاهى.

اغريبا: انطونيوس؟ آه! انه طائر فينيق بلاد العرب.

انوبربوس: ان شئتَ ان تمتدح قيصر، فما عليك الا ان تلفظ اسم قيصر وكفى.

اغريبا: في الحقيقة، هو متفوق على الجميع وغني عن الثناء.

انوبربوس: لكن لابيد يقدس قيصر، مع انه يحب انطونيوس. فلا قلوب ولا ألسنة ولا أرقام ولا كتَّاب ولا منشدين ولا شعراء يستطيعون ان يتخيلوا او يعبِّروا او يقدّروا او يكتبوا او يرنموا او يصفوا تعلقه بأنطونيوس. أما في حضور قيصر، فليس الا السجود على الركبتين باعجاب.

اغريبا: انه يحب الاثنين.

انوبربوس: كلاهما جناحا نسر محلق. وعلى هذا... (تعزف الموسيقى) ها هو صوت النفير. وداعا ايها النبيل اغريبا.

اغريبا: أتمنى لك حظا سعيدا، ايها الجندي الباسل. الوداع.

(يدخل قيصر وأنطونيوس ولابيد وأوكتافيا)

انطونيوس (لقيصر): لا نذهب الى أبعد مما وصلنا اليه، ايها المولى الكريم.

قيصر: انت تحرمني جزءا كبيرا من ذاتي. عاملني بالحسنى لاجلها. أختاه! كوني كزوجة، حسبما تتخيلك خواطري في الحلم، دوما على مستوى من الرفعة شامخ يليق بطموح آمالي ووعودي. ايها النبيل انطونيوس، لتكن الفضيلة ــ المثال التي تقوي الروابط بيننا، ميثاق مودة يجمعنا باستمرار،

ولا يتحول الى اداة لهدم قلعة وفائنا. اذ من الافضل لصداقتنا الاستغناء عن هذا الوثاق، ان لم يكن عزيزا على قلبينا معا.

أنطونيوس: انك تهينني بتحديك هذا.

قيصر: لقد صرحتُ بما يجول في خاطري.

انطونيوس: لن تجد، مهما كنت سريع التأثر، عذرا يبرر القلق الذي يبدو عليك. لذا ارجو ان تحفظك الآلهة وتلهم مهج الرومان الاخلاص لمشاريعك. لنفترق عند هذا الحد.

قيصر: كوني سعيدة يا اختي العزيزة. كوني سعيدة. ولتؤازرك الظروف في تحقيق امانيك.

اوكتافيا: (تغرورق عيناها بالدموع): اخي النبيل!

انطونيوس: ان نيسان يزدهر في نظراته. وها هو ربيع الحب كالغيث المنهمر يروي ورود نياته. فتعزّي ولا تكتئبي.

اوكتافيا (لقيصر): مولاي كن خيِّرا على بيت زوجي و...

قيصر: ما هذا القول يا اوكتافيا؟

اوكتافيا: سأهمس في أذنك

(تكلم أخاها بصوت خافت).

انطونيوس: لسانه يأبى ان يطاوع قلبه، وقلبه لا يقوى على ضبط لسانه. لان ريش البجع الذي يطفو فوق الموج عندما يكون على أشده في المد والجزر، لا سبيل الى تجميد حركته او توجيهه.

انطونيوس (لأغريبا بصوت خافت): هل سيبكي قيصر؟

اغريبا: ان سحابة دكناء تحوم حول محياه.

انوبربوس: لو كان حصانا لقصمت ظهره النكبات، فكيف به وهو انسان.

اغريبا: آه! يا انوبربوس! عندما تعرّف انطونيوس الى يوليوس قيصر ميتا لم يسعه الا اطلاق صيحات الأسى والتفجع، ولا امساك دموعه عندما تعرَّف ايضا الى بروتوس ميتا في فيليبوس.

انوبربوس: لقد أصيب، هذه السنة، ببرد شديد، وتحسَّر بمرارة على ما

قوّضه هو بمحض ارادته. يمكنك ان تصدّق دموعه، عندما تذرف الدموع عيناي انا.

قيصر: لا، يا عزيزتي اوكتافيا. ستصلك اخباري باستمرار، ولن يسبق الزمان افكاري المتسارعة اليك على اجنحة الطير.

انطونيوس: هيا، ايها المولى، هيا. سأزاحمك على الحب. دعني أعانقك ثم أغادرك وأستودعك الآلهة.

قيصر: الى اللقاء. أتمنى لك السعادة.

لابيد (لأنطونيوس): لتضيء سبيلك مجموعات النيِّرات بأسرها.

قيصر: الوداع، الوداع.

(يعانق اوكتافيا).

انطونيوس: الوداع.

(تعزف الموسيقى، ويخرجون).

المشهد الثالث

الاسكندرية ـــ في القصر

(تدخل كليوباترا وشرميون وإراس وأليكسان)

كليوباترا: اين الرجل؟

اليكسان: انه نصف مذعور من المجيء.

كليوباترا: هيا، هيا. تعال الى هنا، سيدي.

(يدخل رسول)

اليكسان: يا صاحبة الجلالة المبجلة. ان هيرودوس ملك اليهودية لا يجرؤ على رفع نظره اليك، الا اذا كنتِ مستعدة لتقبُّل احتراماته.

كليوباترا: اني اطلب رأس هيرودوس هذا. ولكن كيف السبيل الى تحقيق ذلك الآن، بعد ان فقدت انطونيوس الذي كنت، عن طريقه، أفرض مشيئتي؟ إقترب.

الرسول: صاحبة الجلالة الفاتنة!

كليوباترا: هل لمحت اوكتافيا؟

الرسول: أجل، ايتها الملكة المرهوبة.

كليوباترا: اين؟

الرسول: في روما، يا سيدتي. ونظرتُ اليها وجها لوجه، ورأيتها تمشي بين اخيها ومارك انطونيوس.

كليوباترا: هل هي طويلة القامة مثلي؟

الرسول: كلا، يا سيدتي.

كليوباترا: هل سمعتها تتكلم؟ هل صوتها ناعم ام خشن؟

الرسول: سمعتها تتكلم يا سيدتي، وكان صوتها خشنا.

كليوباترا: لا رخامة في صوتها اذاً. لذلك لن تستطيع الاحتفاظ باعجابه طويلا.

شرميون: ان الاستئثار باعجابه، بحق إيزيس، لأمر مستحيل.

كليوباترا: انا على يقين، يا شرميون، بأن صوتها أجش، وأن قامتها قصيرة جدا كالاقزام. فأين الأُبهة في مشيتها؟ وهل لكِ ان تتذكريها عندما تشاهدين الجلالة الملكية الأصيلة؟

الرسول: هي تجر ذاتها جرا، ومشيتها وقعودها سيان. جسمها يفتقر الى المرونة والحيوية، بل هي تمثال جامد اكثر مما هي كائن حي.

كليوباترا: هل هذا صحيح؟

الرسول: أجل، او اكون عديم التمييز تماما.

شرميون: ليس في مصر بأجمعها ثلاثة رجال يتفحصون الامور أفضل منه.

كليوباترا: هو ماهر في هذا الباب، على ما ارى. فلا صفة حسنة فيها. وهذا الرجل يحكم بصدق ودراية.

شرميون: ممتاز.

كليوباترا (للرسول): ارجوك ان تخمن عمرها.

الرسول: كانت ارملة، يا سيدتي.

كليوباترا: ارملة؟ أتسمعين يا شرميون؟

الرسول: وأعتقد انها تناهز الثلاثين من عمرها.

كليوباترا: هل تتذكر صورة وجهها وأوصافها؟ هل هي طويلة؟ هل هي سمينة؟

الرسول: سمينة الى أقصى حد.

كليوباترا: معظم من هم هكذا تغلب عليهم السذاجة. وما هو لون شعرها؟

الرسول: خرنوبي، يا سيدتي. وجبهتها ضيقة تدل على البلادة.

كليوباترا (ترمي اليه كيس نقود): لك هذا الذهب. وإيَّاك ان تستخف بما يهمني. وإلا جعلتك تندم. انا اجدك مناسبا للعمل الذي أنتظره منك. فاذهب وتهيأ لأن رسائلي جاهزة.

(يخرج الرسول).

شرميون: انه حقا رجل ملائم.

كليوباترا: نعم، في الحقيقة، وأنا آسفة جدا لاني عاملته بغلاظة. اذا صدقناه، تكون هذه المخلوقة غير ذات قيمة.

شرميون: هي لا شيء، يا سيدتي.

كليوباترا: لا بد لهذا الرجل من ان يكون قد شاهد العظمة، وأن يعرف تماما ما هي.

شرميون: تقولين: ان كان قد شاهد العظمة؟ ايه، يا إيزيس الكريمة! وهو في خدمتك منذ زمن طويل.

كليوباترا: لدي سؤال سأطرحه عليه، يا عزيزتي شرميون. ولكن لا اهمية لذلك. ستوافيني به الى حيث انا ذاهبة لأكتب. كل الامور العالقة ستسوّي على أحسن وجه.

شرميون: أؤكد لك ذلك، يا سيدتي.

(يخرج الجميع).

المشهد الرابع
آثينا ــ في قصر انطونيوس

(يدخل أنطونيوس وتتبعه أوكتافيا)

انطونيوس: لا، لا، يا اوكتافيا، ليس هذا فقط. ان هذه الاساءة لا تستبعد العفو، نظير الف غيرها في مثل اهميتها. ولكنه اشترك في حرب جديدة تُشنّ على بومبايوس. وقد كتب وصيته وأذاعها. وكاد ان لا يأتي فيها على ذكري. بينما كان يتوجب عليه حكما ان يؤدي لي شهادة مشرّفة ادلى بها ببرود مرغما. ولم يُثنِ عليَّ الا بمقدار زهيد، مضيِّعا هكذا افضل الفرص للاطراء بي، ولم يمتدحني الا باستخفاف.

اوكتافيا: مولاي الكريم، لا تصدّق كل ما يقال، وان اردت ان تصدقه برمته فلا تغضب. ليس من امرأة أتعس مني اذا حدث هذا الانفصال. ما اشقاني لو وجدت نفسي بين فريقين كان عليّ ان أصلي لاجل كليهما. فان الآلهة الصالحة ستسخر من صلواتي، عندما سأتوسل اليها قائلة: « باركي مولاي زوجي ». وعندما أعكس هذا الدعاء، سأصيح بها بأعلى صوتي: « باركي اخي ». فالتماس التوفيق للزوج وللشقيق أمران متناقضان هنا، وليس بينهما من مجال رجاء وسط.

انطونيوس: يا اوكتافيا الحلوة، دعي تفضيلك يميل الى جهة من يبذل جهدا أوفر لاكتسابه. فاذا خسرت انا سعادتي أضعت نفسي. الاجدر بك ان لا تحصلي عليّ ابدا من ان تحصلي عليَّ هكذا منحط الكرامة. ولكنك حسب طلبك تستطيعين ان تتدخلي بيننا. في هذه الاثناء سأكمل الاستعدادات للحرب التي ستوقف اخاك عند حده، يا سيدتي، فتصرّفي بكل ما أوتيت من حنكة. وهكذا تستجاب رغباتك.

اوكتافيا: شكرا لك، يا مولاي. سيعينني الاله القدير المشتري، انا المرأة الضعيفة كي اكون واسطة صلح وسلام. لأن الحرب بينكما ستجعل الارض

تنشقّ وتحدث هوة سحيقة لا سبيل الى ردمها الا بأكداس الجثث.
انطونيوس: حالما تقفين على الدوافع، ستقابلينها بالاشمئزاز والاستنكار. لان أخطاءنا لا يمكنها ان تتعادل، ما دامت مودتك تسبح بينهما متساوية. استعدي للرحيل، واختاري موكبك، ثم اطلبي ما يستهويك مهما كلف وغلا ثمنه.

(يخرجان)

المشهد الخامس
آثينا ــ في قسم آخر من القصر

(أنوبربوس وآروس يلتقيان)

انوبربوس: ما وراءك من الاخبار، يا صديقي آروس؟
آروس: لقد حدثت أمور غريبة، يا سيدي.
انوبربوس: ما هي؟ هل تتعلق بالرجل؟
آروس: قيصر ولابيد اعلنا الحرب على بومبايوس.
انوبربوس: هذا خبر قديم. وما هو المخرج؟
آروس: ان قيصر، بعد ان استخدم لابيد في الحرب التي شنها على بومبايوس، أنكره كزميل مساوٍ له، ولم يشأ ان يقاسمه شرف كسب المعركة، واذ اغاظه ذلك، اتهمه بأنه كتب سابقا بعض الرسائل الى بومبايوس. ثم بناء على تأكيداته وحدها اعتقله. وها هو ركن من مثلث السلطة قد وضع في غياهب السجن حتى ينقذه الموت البطيء.
انوبربوس: هكذا، يا دنيا، فتحتِ شدقيك اللذين مهما ألقيت فيهما مما تختزنينه من طعام ستظل أسنانك تصطك بعضها على بعض. اين انطونيوس؟
آروس: يتنزه في الحديقة، ويسحق الأوراق اليابسة التي يدوسها بأقدامه،

وهو يصرخ: آه من هذا الساذج لابيدا! ويهدد ممسكا بخناق مَن مِن ضباطه اغتال بومبايوس.

انوبربوس: ان أسطولنا الكبير مجهز احسن تجهيز.

آروس: ليهزم ايطاليا وقيصر. عدا هذا، ان دوميسيوس، يا مولاي، يستدعيك في الحال. أما أنبائي فعليّ ان أرجىء اذاعتها الى حين آخر.

انوبربوس: هذا الامر، بدون شك، لا يستحق كبير اهتمام. ولكن، لا بأس، خذني الى انطونيوس.

آروس: تعال، يا مولاي.

(يخرجان).

المشهد السادس

روما في بلاط قيصر

(يدخل قيصر وأغريبا وماسان)

قيصر: لقد أقدم على كل هذا كرها منه لروما. وفوق ذلك، اليك ما جرى في الاسكندرية. في الساحة العامة، وعلى منصة محكمة مفضضة، تم تتويجه مع كليوباترا بأبهة، على عرشين من ذهب، وقد جلس عند أقدامهما قيصرون ابن والدي، وجميع الاولاد غير الشرعيين الذين انجبتهم الدعارة السائدة عليهما، اذ أوكل الى كليوباترا امر تدعيم المُلك داخل مصر ثم في سوريا السفلى وقبرص وليديا، ونصَّبها مولاة مطلقة الصلاحيات.

ماسان: ولقد تم ذلك رسميا على رؤوس الاشهاد.

قيصر: في الساحة الكبيرة حيث تجري التمارين. ثم نادى بأولاده ملوكا على سائر الملوك. أما ميديا وبارثيا وأرمينيا فمنحها للاسكندر. ووهب سوريا

وكيليكيا وفينيقيا لبطليموس. وها هي اليوم تتزيًّا بلباس الإلهة إيزيس وغالبا ما تستقبل زائريها به، على ما يقال.

ماسان: يجب اعلام روما بالامر.

اغريبا: وروما ذاتها تتقزز من هذه الوقاحات، وستحجب اعتبارها عن انطونيوس.

قيصر: والشعب، وقد بلغته اتهاماته، يدري بكل شيء.

اغريبا: يتهم من؟

قيصر: يتهم قيصر، ويشكو من تجريد سكستوس بومبايوس من حقه في صقلية. بينما انا لم أبخسه حقه في الجزيرة. ثم يدّعي انه أعارني سفنا لم أردها مطلقا اليه. وأخيرا حنق من اقالة لابيد من مثلث الحكم، كل ذلك من امساكنا عنه جميع عائداته.

اغريبا: مولاي، لا بد من الرد فورا على هذه الافتراءات.

قيصر: لقد قضي الأمر، ومضى الرسول، بعد ان صرحت له بأن لابيد أصبح شديد الصلف، وأنه تمادى في تسلطه فاستحق اقالته. أما فتوحاتي انا فاني أنوي منحه حصته منها، شرط ان لا يُمسك عني حصتي من أرمينيا ومن فتوحاته في الممالك الاخرى.

قيصر: اذاً، لن أوافق على طلبه.

(تدخل أوكتافيا)

اوكتافيا: سلام عليك يا قيصر، سلام عليك يا مولاي، سلام عليك يا عزيزي.

قيصر: من كان باستطاعته ان يتنبأ بأني سأعتبرك مهجورة؟

اوكتافيا: انت لم تدعُني ابدا بهذا الاسم، ولم تترك مجالا لان اكون هكذا.

قيصر: لماذا اذاً، انتِ تفاجئينني على هذه الصورة؟ انت لا تأتين اليّ كشقيقة قيصر. وزوجة انطونيوس يجب عليها ان تكون مصحوبة بجيش من الحجّاب، يبشر صهيل الخيل باقترابها طويلا قبل اطلالتها على اشجار الطريق المثقلة بالناس، وقد طال انتظار المستقبلين وهم يتوقون الى قدومها البطيء. أجل، لا بد لغبار الطريق من بلوغ عنان السماء وقد أثارته أقدام المواكبين لها.

غير انكِ جئت الى روما كأنك احدى غواني السوق، وسبقت مظاهر حبي لك، ناسية ان المودة المتوارية غالبا ما تظل مجهولة. وكان عليّ ان آتي للترحيب بك برا وبحرا رافعا الى شخصك المفدّى، عند كل مرحلة، تبجيلا جديدا لائقا.

اوكتافيا: مولاي الكريم، لم اكن مضطرة للمجيء هكذا، بل تصرفت على هذا النحو عن طيب خاطر. مولاي، ان مارك انطونيوس، عندما علم بأنك تستعد للحرب، نقل الخبر الى مسمعي المفجوع، ولذا التمستُ منه نعمة العودة.

قيصر: أولم يمنحك اياها بسرعة لانك كنت عقبة في سبيل تهتكه؟

اوكتافيا: لا تقل هذا يا مولاي.

قيصر: لن يغيب عن نظري، وأنباء أفعاله تصلني مع الريح. هل تعلمين اين هو الان؟

اوكتافيا: في آثينا، يا مولاي.

قيصر: كلا، يا اختي المظلومة. لقد نادته كليوباترا باشارة منها، فسلَّم زمام امبراطوريته الى عاهرة. وها هما يحرضان الان جميع ملوك الارض على محاربتي. ولقد ألَّب عليّ باخوس ملك ليبيا، وارخلاوس ملك كبادوكيا، وفيلادلفوس ملك بفلاغونيا، وأدالاس ملك تراقيا، وملخوس ملك الجزيرة العربية، وهيرودوس ملك اليهودية، وميثريدات ملك كوماجين، وبيليمون ملك ميديا، وأمينتاس ملك ليكوانيا، مع ملحقات واسعة لهذه الصولجانات.

اوكتافيا: ما أتعس قلبي الموزع بين قريبين يدين احدهما الآخر.

قيصر: اهلا بك. ان رسائلك أخرت انفصال احدنا عن الآخر، الى ان ادركت كم كنت حزينة، وكم عرّضك اهمالي الى الخطر. استعيدي شجاعتك، ولا تدعي الكمد يستولي عليك ويهدم سعادتك. بل اصمدي واتركي الامور تأخذ مجراها الطبيعي الذي يرسمه القدر. اهلا بكِ في روما يا أعز الناس على قلبي. ان الاهانة التي لحقت بك تتعدى كل الحدود، والآلهة لكي تنصفك، اختارتني للتعويض لك بمعاونة جميع من يحبونك. تعزّي وحلي فيما بيننا على الرحب والسعة.

اغربيا: اهلا بك، يا سيدتي.
ماسان: سيدتي العزيزة، اهلا بك. جميع القلوب في روما تعشقك وترثي لحالك. وحده اللقيط انطونيوس ينبذك لأنه نذل منحط الاخلاق، وقد تخلى عن جبروته لامرأة نجسة تحرضه على تحدينا. أوليس هذا صحيح؟
قيصر: لا أصح من ذلك. اهلا بك، يا اختي، ارجوك ان يتسع صدرك، ايتها الشقيقة الحبيبة.

المشهد السابع
معسكر انطونيوس قرب اكسيوم

(تدخل كليوباترا يتبعها انوبربوس)

كليوباترا: كن على يقين بأني لا أشك في قيامك بواجبك.
انوبربوس: ولكن، ماذا يدعوك الى هذا القول؟
كليوباترا: انك تعارض خوضي هذه الحرب، وتؤكد انها غير ملائمة.
انوبربوس: بحياتك، أوليست كذلك؟
كليوباترا: لا ادري. قل لي لماذا يجمل بي ان لا اكون هنا شخصياً؟
انوبربوس (على حدة): انا ادرى بما يمكنني ان اجيب. اذا خضنا الحرب على متن جيادنا وأفراسنا معا، تغدو الاحصنة غير نافعة بتاتا لان الأفراس ستحمل عندئذ كل واحدة فارسا وجواده.
كليوباترا: ماذا تقول؟
انوبربوس: حضورك من شأنه ان يربك انطونيوس، ويستأثر بقلبه وعقله ووقته، ويشغله عن كل واجباته. هو متهم بالخفة، ويشاع في روما ان نساءكِ والخصي قوتان هم الذين يديرون رحى الحرب.
كليوباترا: لتسقط روما، ولتُقطع جميع الالسنة التي تهاجمنا. انا ايضا أحمل

وزر هذه الحرب، وأنا مدين للمملكة التي أتربع على عرشها. كف عن معاندتي فاني لن أظل ابدا في المؤخرة.

انوبربوس: فاذاً، انتهى امري. ها هوذا الامبراطور.

(يدخل انطونيوس وكانيديوس)

انطونيوس: ألا ترى غرابة، يا كانيديوس، في ان يشق بحر ايونيا من تارانت وبراند، وأن يحتل طورينا؟ (لكليوباترا) أتعلمني ذلك يا فاتنة؟

كليوباترا: لا احد يعجب بالسرعة اكثر من الكسالى والمقعدين.

انطونيوس: كلامك قصيدة عصماء تشرّف أبسل الرجال وتهمز تقاعسنا. نريد ان نحاربه بحرا، يا كانيديوس!

كليوباترا: أجل، بحرا. وهل ذلك ممكن في مكان آخر؟

كانيديوس: لماذا هذا التصميم، يا مولاي؟

انطونيوس: لانه يتحدانا.

انوبربوس: مولاي هو الذي تحداه وجره الى معركة وضيعة.

كانيديوس: أجل، وأنت مهدت له الاشتباك في فرسال حيث تطاول قيصر على بومبايوس. وبما ان عروضك لم تكن لصالحه رفضها. فما عليك الا ان ترفض انت ايضا عروضه.

انوبربوس: ان سفنك غير مجهزة كما يجب، وملاحيك هم سواقو بغال وحصّادون، وجميعهم جُنِّدوا مكرهين. بينما يحارب على متن أسطول قيصر بحّارون مدربون طالما ناهضوا بومبايوس. ثم ان سفنه مرنة سهلة القيادة، أما سفنك فهي ثقيلة بطيئة. فليس من عار عليك، اذا ابيت القتال بحرا، وأنت على أتم الاستعداد له برا.

انطونيوس: فالى القتال بحرا.

انوبربوس: مولاي المبجل، انت هنا تعرقل الخطة البارعة التي رسمتها للمعركة في البر. انت تقسم جيشك المؤلف من مشاة ذوي شكيمة قوية وتترك خبرتك المعهودة جامدة، وبتخليك عن أفضل ضماناتك، تلقي بنفسك تحت رحمة الظروف والصدف.

انطونيوس: سنقاتل بحرا.
كليوباترا: لدي ستون سفينة، ليس لدى قيصر أمتن منها.
انطونيوس: سنحرق ما لا نحتاج اليه من أسطولنا. وبالباقي، الكامل التجهيز، سندحر قيصر في نتؤ اكسيوم، اذا حاول ان يتقدم. واذا لم نفلح، يتوجب علينا حينئذ ان نتحرك برا. اين رسالتك؟
الرسول: النبأ غير كاذب، يا مولاي. فقد ظهر العدو للعيان، واحتل قيصر تيرونا.
انطونيوس: هل من الممكن ان يوجد هناك شخصيا؟ هذا مستحيل. ومن الغريب ان تكمن قواته هناك. كانيديوس، ستقود، في البحر، كتائبنا التسعة عشرة وخيّالتنا الاثني عشر الفا. نحن صاعدون الى السفينة. هيا بنا، يا ثاتيس!

(يدخل جندي)

ايه، ايها الجندي الشجاع.
الجندي: ايها الامبراطور النبيل، لا تقاتل بحرا. لا تخاطر فوق ألواح مهترئة. هل تشك بحد هذا السيف وبآثار جراحي هذه؟ دع المصريين والفينيقيين يمخرون عباب اليمّ. اما نحن فقد تعودنا ان ننتصر واقفين بأقدام ثابتة على الأرض اليابسة، وأن نقاتل شبرا بعد شبر.
انطونيوس: حسن، حسن. هيا بنا.

(يخرج انطونيوس وكليوباترا وأنوبربوس).

الجندي: بحق هرقل، انا واثق بأني على صواب.
كانيديوس: أجل، ايها الجندي الامين. غير ان اعماله لم تعد تخضع للقواعد الشرعية. ان قائدنا ولي، وغدونا نحن جنودا للنساء.
الجندي: ان تحت إمرتك برا جميع الكتائب والخيالة. أليس كذلك؟
كانيديوس: مرقس اوكتافيوس، وماريوس يوستايوس، وبوبيكولا، وسيليوس كلهم يقاومون بحرا. وأنا تحت إمرتي جميع القوات البرية. لكن سرعة قيصر تفوق كل تصور.

الجندي: حين كان لا يزال في روما، اخذ جيشه يتوجه فرقا صغيرة بطريقة ضللت جميع طلائعنا.
كانيديوس: هل تعرف من هو نائبه؟
الجندي: رجل يدعى طوروس، على ما يقال.
كانيديوس: اني اعرف هذا الرجل.

(يدخل رسول)

الرسول: الامبراطور يطلب كانيديوس.
كانيديوس: الساعات حبلى بالاحداث وستلدها في كل دقيقة.

(يخرجون)

المشهد الثامن
سهل قرب اكسيوم

(يدخل قيصر وطوروس وضباط وجنود)

قيصر: طوروس.
طوروس: مولاي.
قيصر: لا تتحرك برا. إبقَ صامدا، ولا تبدأ المعركة، قبل ان ننتهي من الاشتباك البحري، ولا تتخط الاوامر التي يتضمنها هذا المكتوب. (يقدم له ملفا). ان نصرنا يتوقف على سير هذه المغامرة المصيرية.

(يخرجون).

المشهد التاسع

يدخل انطونيوس وأنوبربوس

انطونيوس: لنضع سفننا في هذه الناحية من الأكمة، قبالة جيش قيصر. ومن هناك يتسنى لنا ان نكتشف عدد سفنه ونتصرف بحسب مقتضى الحال.

(يخرجان).

المشهد العاشر

تدخل من جهة فرق انطونيوس بقيادة كانيديوس، ومن جهة اخرى، فرق قيصر بقيادة طوروس. بعد عرضها تسمع ضجة معركة بحرية. موسيقى تحذيرية. يدخل انوبربوس.

انوبربوس: عدم، عدم، كل شيء يؤول الى العدم. لا استطيع ان ارى غير هذا المصير. « الانطونياد » سفينة الاميرالاي المصري تدير دفتها نحو وجهة اخرى وتهرب مع ستين سفينة شراعية مزودة بالمجاذيف، ولدى مشاهدتي ذلك خلتُ عينيّ كأنهما أصيبتا بالعمى.

(يدخل اسكاروس)

اسكاروس: أنجدينا ايتها الآلهة والإلاهات ويا ايها المجمع السماوي.
انوبربوس: من اين لك هذه التقوى؟
اسكاروس: اجمل ثلث من العالم قد ضاع، عن قلة مهارة. فخسرنا الممالك والاقاليم.
انوبربوس: كيف يتجه سير القتال؟
اسكاروس: حولنا نحن، كانت تحوم جميع دلائل الطاعون التي تسبق الموت

عادة. فليقضِ البرص على هذه العاهرة المصرية الذميمة. انها في منتصف المعركة، عندما كانت الفرصتان متوازيتان، ان لم تكن امكاناتنا هي المتفوقة، ولا ادري اية ذبابة سامة عقصتها مثل بقرة في شهر حزيران، ما كان منها الا ان اطلقت ساقيها للريح ولاذت بالفرار.

انوبربوس: انا شاهد على ذلك، وعيناي رهن سحرها الذي لا يقاوَم. لقد انتفضت اجنحة انطونيوس في البحر، وكأنه بطة مروعة طار وراءها تاركا المعركة وهي حامية الوطيس. ولم أبصر في حياتي قضية مشينة اكثر من هذه. فالخبرة والقدرة والشرف لم تخدع ذاتها مثلما فعلت في هذه المعمعة.

(يدخل كانيديوس)

انوبربوس: وا أسفاه، وا خجلاه!

كانيديوس: لقد تقطعت أنفاسنا في البحر وانكسرنا شر كسرة يُرثى لها. لو استخدم قائدنا بسالته كما في الماضي لسار كل شيء على ما يرام. غير انه اعطى المثل القبيح في الحرب بجبانته.

انوبربوس: يسوؤني ان تكونوا وصلتم الى هذا العجز. والآن عمت مساء.

كانيديوس: لقد لاذوا بالفرار الى جزر البيلوبونيز.

اسكاروس: لان الطريق اليها سهل. سأمضي الى هناك لانتظار الحدث الاليم.

كانيديوس: سأسلم نفسي الى قيصر مع كتائبي وخيالتي. وقد سبقتني ستّة ملوك الى الخضوع.

(يخرجون).

المشهد الحادي عشر
الاسكندرية ــ في القصر

(يدخل انطونيوس وعدة خدم)

انطونيوس: اسمعوا. ان الارض تحذرني من ان أطأها، لأنها تخجل من حملي. اقتربوا مني يا اصدقائي. لدي هنا سفينة محملة ذهبا. خذوه واقتسموه واهربوا واعقدوا الصلح مع قيصر.

الخدم: نحن نفر؟ ابدا.

انطونيوس: انا ذاتي هربت، وعلّمت الجبناء ان ينجوا بأنفسهم ويولوا الادبار. اذهبوا، يا اصحابي، لاني انا ذاتي قررت ان اسلك سبيلا لا أحتاج فيه اليكم. اذهبوا. ان كنزي في المرفأ، فخذوه. آه! لقد سعيت وراء ما أخجل الان من مجرد ذكره، وشعر رأسي ذاته يتمرد عليه، لان الابيض فيه يلوم الاسمر على جسارته، وهذا يندد بذاك على جبانته وقلة مهارته. أمضوا يا اصدقائي. ستحملون رسائلي الى بعض الاصحاب الذين سيحولون دون وصولكم الى قيصر. فأرجوكم ان لا تلبسوا مسرح الحزن، ولا تعارضوني. اقبلوا النصح الذي يفتقر اليه جناني. وتخلوا عمن تخلى عن نفسه. هبوا بسرعة الى الشاطىء، لأسلمكم هذه السفينة وهذا الكنز. أرجوكم ان تغادروني لبعض الوقت. أجل، ارجوكم ان تغادروني، لاني فقدت الحق بالقيادة، ولذا ارجوكم. سألحق بكم قريبا.

(يجلس).
(يدخل آروس ثم تدخل كليوباترا تساندها شرميون وإراس).

آروس(لكليوباترا): ايه ايتها السيدة الكريمة، اذهبي وعزيه.

إراس: هيا، يا مليكتي العزيزة.

شرميون: اذهبي. فما عساكِ تفعلين أفضل من هذا؟

كليوباترا: دعوني أجلس. يا إلهة الزواج جينون.

(ترتمي متهالكة. آروس يدل انطونيوس عليها).

انطونيوس: كلا، وألف كلا.
آروس: تمهل، يا مولاي.
انطونيوس: تبًّا لها.
شرميون: سيدتي.
إراس: يا سيدتي. ايتها الامبراطورة الكريمة!
آروس: مولاي، مولاي.
انطونيوس: نعم، يا سيدي، نعم. ففي فيليبوس، كان يمسك بسيفه مثل الراقص، حينما ضربت انا كاسيوس النحيل المجعد الوجه. وأنا اعدمت هذا المعتوه بروتوس، بينما هو لم يكن يعمل الا من خلال نوابه. ولم يشترك في اية معركة حربية جريئة، مع انه اليوم... هذا لم يعد مهما.
كليوباترا (تستقيم في جلستها): هيا، اصطفوا.
آروس (لانطونيوس): الملكة، يا مولاي، الملكة!
إراس:اذهبي اليه، يا سيدتي، وكلميه. فالذل يكاد يقضي عليه.
كليوباترا: هيا. اسندوني. آه!

(تقف ثم تسير ببطء نحو انطونيوس تساندها ساؤها).

آروس (لانطونيوس): ايها المولى النبيل، انهض فالملكة تتقدم ورأسها ينحني، ويكاد الموت يختطفها. انكَ بكلمة تعزية فقط تنقذها.
كليوباترا: انا ليس لي نصيب بالمجد. فيا ويل تقهقري المشين!
آروس: مولاي، ها هي الملكة.
انطونيوس (وهو يستدير): آه! الى أي درك أوصلتِني ايتها المصرية؟ أنظري كيف لا اقوى على اخفاء مذلتي عن العيان، واذا تطلعتُ حولي أبصر أنقاض سعادتي.
كليوباترا: مولاي، مولاي. سامحني على تخوّفي. انا لم أعتقد يوما بأنك ستتبعني.

انطونيوس: ايتها المصرية، كنتِ تعلمين جيدا بأن نياط قلبي جميعها مرتبطة بدفة مركبك، وانك ستقطرينني خلفك أينما رحلت. كنت تعلمين مقدار سيطرتك على نفسي، وان اشارة واحدة منك تحملني على عصيان اوامر كل الآلهة.

كليوباترا: العفو، يا سيدي.

انطونيوس: بقي الان عليّ ان أوجه التماسا وضيعا الى هذا الشاب، وان أتعهد له بالانحناء والزحف على جميع دروب الانحطاط، انا الذي كنت أتلهى بحكم نصف العالم، انا الذي كنت أمنح وأحرم السعادة والثروة. انك تدرين الى أي حد ملكتِ صميم فؤادي، وتعلمين بأن سيفي الذي اضعفته لهفتي وأشواقي اليك يخضع لنزواتي المتهافتة.

كليوباترا: سامحني، يا مولاي، سامحني.

انطونيوس: لا تبكي يا حبيبتي، فان كل واحدة من دموعك العالية تساوي عندي جميع ما كسبناه وخسرناه. امنحيني قبلة أعتبرها افضل تعويض لي عن كل ما فقدته. لقد ارسلت معلم اولادنا في مهمة، فهل عاد، يا حبيبتي؟ لست ادري ماذا يثقل على صدري كالكابوس. اسكبوا لي خمرا، يا اصحاب، وهيا الى العشاء. ان طالعي المتقلب لعلى يقين بأنه كلما هددني بالتعاسة والشقاء كلما سخرت انا منه واستخففت به.

(يخرجان).

المشهد الثاني عشر
معسكر قيصر في مصر

(يدخل قيصر ودولابيلا وثيريوس وغيرهم)

قيصر: احضروا لي مبعوث انطونيوس (لدولابيلا) هل تعرفه؟
دولابيلا: ايها القيصر، هو استاذي ايام دراستي، ويمكنك ان تحكم كم هو معدم، بما انه يرسل اليك بريشة هكذا حقيرة من جنحه، هو الذي كان يحيط به ملوك عديدون كتلامذة، منذ بضعة اشهر فقط.

(يدخل افرانيوس)

قيصر: اقترب وتكلم.
افرانيوس: مهما كنت وضيعا، اني آت من قبل انطونيوس. منذ عهد قريب كنت رفيع الشأن بأهدافي السامية، نظير قطرة الندى الضائعة على ورقة نبتة الصبر بالنسبة الى هذا البحر المترامي الاطراف.
قيصر: والآن، ما هي مهمتك؟
افرانيوس: ان انطونيوس يحيي فيك سيد مصيره، ويطلب ان يعيش في مصر. وفي حال رفضك، يختصر ويرجوك ان تدعه يتنفس بين السماء والأرض كشخص فرد في آثينا. هذا في ما يتعلق به. أما في ما يتعلق بكليوباترا، فهي تعترف بعظمتك وتخضع لسلطانك، وتلتمس منك لأولادها تاج سلالة بطليموس الذي أضحى الآن تحت رحمة عطفك.
قيصر: ان أذني صماء بالنسبة الى طلب انطونيوس. اما بالنسبة الى ما ترجوه الملكة فاني أوافق على استجابتها وارضائها بشرط ان تطرد من مصر حبيبها الذي فقد مكانته، او ان تنهي حياته. حين يتم ذلك، لن يضيع التماسها سدى. هذا جوابي النهائي على كليهما.
افرانيوس (منحنيا): ليكن التوفيق حليفك.

قيصر: اعيدوه عبر خطوطنا (يخرج افرانيوس تحت الحراسة. لثيروس) لقد حان الاوان لكي تظهر بلاغتك. اذهب بسرعة. باعد بين كليوباترا وأنطونيوس. عدها باسمي بتحقيق كل طلباتها، وأضف عليها عروضا من لدنك ايضا. لان النساء، حتى السعيدات منهن، لسن قنوعات ولا حصينات، ما دام الطمع يراود حتى الكاهنات الخاليات من الدنس. أرني حسن تصرفك وبراعتك، يا ثيريوس. اما مكافأتك، فأنت ذاتك ستدبج الوثيقة التي تشاؤها فأوقعها وتصبح عندي كشرعة.

ثيريوس: انا ماض، ايها القيصر.

قيصر: لاحظ كيف سيتقبل انطونيوس سقوطه، وراقب جميع الحركات التي ستبدر منه كردة فعل.

ثيريوس: سمعا وطاعة، ايها القيصر.

المشهد الثالث عشر
الاسكندرية في القصر

(تدخل كليوباترا وانوبربوس وشرميون وإيراس)

كليوباترا: ماذا علينا ان نعمل، يا انوبربوس؟

انوبربوس: نتأمل ثم نموت.

كليوباترا: هل هو انطونيوس ام انا من يجب ان يكون متهما بذلك؟

انوبربوس: انطونيوس وحده شاء ان يجعل رغبته سيدة عقله. ليس المهم هربه من جبهة القتال الهائل، حيث الصفوف المتقابلة تتقاذف الويلات، بل المهم هو لماذا لحق بكِ. ان جحيم مودته لم يكن ليثير في اعماقه اضطراب القائد في اللحظة الخطيرة الحاسمة حين تصادم نصفا العالم، وكان

مصير امبراطوريته في الميدان فلحقه العار كما حل به الدمار، لانه تبع اهواءك الهاربة وتخلى هناك عن أسطوله المذعور.
كليوباترا: ارجوك ان تمنحني الامان.

(يدخل انطونيوس وأفرانيوس)

انطونيوس: هل هذا هو رده الاخير؟
افرانيوس: أجل، يا مولاي.
انطونيوس: هكذا تحق للملكة كل اللياقات، اذا كانت تنوي التضحية بي.
افرانيوس: هذا ما قاله لي.
انطونيوس: يجب ان تعلم هي بذلك (يشير برأسه الى كليوباترا) أرسل للولد قيصر هذا الرأس الشائب، وهو سيلبي تمنياتك بالمُلك.
كليوباترا: هذا الرأس، يا مولاي!
انطونيوس (لافرانيوس): عد اليه وقل له ان يضع على جبينه وردة الشباب، لان العالم يترقب منه بعض الاعمال الرائعة. فان ماله وسفنه وكتائبه تخص رجلا جبانا، ونوابه ينتصرون في خدمة ولد محظوظ كأنهم تحت امرة قيصر العظيم. لذلك أتحداه هو ان يوفر حسناته الباهرة، وهم ان يقيسوا أذواقهم بأنطونيوس، بعد ان أعرضوا عن مقارعة السيف بالسيف فردا لفرد. سأكتب اليه في هذا الموضوع. اتبعني.

(يخرج انطونيوس وافرانيوس).

انوبربوس: أجل، كم يبدو طبيعيا ان يرغب قيصر، وهو في قمة المجد، ان يقلص سعادته وأن يعرض عضلاته في مشهد يبرز اشتباكه مع مقارع بالسيف. اني ارى بوضوح حكم الرجال يختلط بشخصيتهم، والاعتبارات الخارجية تجر المواهب الباطنية وراءها في الانحدار والسقوط. كيف تسنى له ان يحلم وهو يتمتع بذهنية النسبيات التي يقيس قيصر بموجبها بحبوحته وحرمانه. لقد غلبتَ حجته ايضا ايها القيصر.
الخادم: رسول من قبل قيصر.

كليوباترا: ما هذا؟ أيأتي بدون رسميات؟ انظرن، يا نسائي، ان الذين كانوا يعجبون بالوردة يوم كانت برعما، اخذوا يسدون أنوفهم امام عطرها الفواح حين تفتحت. أدخِله، يا سيدي.

(يخرج الخادم).

انوبربوس: انا واستقامتي بدأنا نتشاجر. لان الامانة التي تظل مخلصة للمعتوهين تجعل من ايماننا جنونا مطبقا. مع ذلك، من يتسنى له ان يحافظ على اخلاصه لسيده المندحر، لهو المنتصر على سيده، ويدخل التاريخ من بابه الواسع.

(يدخل ثيريوس)

كليوباترا: ما هي مشيئة قيصر؟
ثيريوس: ستعلمين بها على حدة، بصورة خاصة.
كليوباترا: ليس هنا سوى اصدقاء. تكلم، ولا تخشَ شيئا.
ثيريوس: ربما هم ايضا اصدقاء انطونيوس.
انوبربوس: هو يفتقر الى الاصدقاء بمقدار ما يحتاج اليه قيصر، يا سيدي. وإلا نكون نحن حياله بدون اي جدوى. فان رضي قيصر، سارع مولانا الى اظهار صداقته له. وهكذا، كما تعلم، نخص من يكون هو تابعا له، وحينئذ يكون قيصر قد ربحنا.
ثيريوس: ليكن كما تقول. أنصتي اليّ اذاً، ايتها الملكة اللامعة. ان قيصر يستحلفك بأن تنسي كل شيء في وضعك الحاضر، ما عدا كونه قيصر.
كليوباترا: أكمل، فهذه أريحية ملكية.
ثيريوس: هو يعرف انك لم تتعلقي بأنطونيوس عن حب بل عن خشية.
كليوباترا: اواه!
ثيريوس: وهكذا، تكون الجروح التي اثخن بها شرفك قد اثارت فيه الشفقة، نظير الكلوم التي أحدثها غضبك، ولكن عن غير قصد منك.
كليوباترا: قيصر هو إله، ويدري بما جرى في الواقع. وشرفي لم اتنازل عنه ابدا، بل غُلب على امره.

انوبربوس (على حدة): لكي أستوثق من ذلك، سأسأل انطونيوس. يا سيدي، انت تحيط نفسك بالمياه من كل جانب، وما علينا نحن سوى ان ندعك تغوص وتغرق، ما دام كل ما هو عزيز عليك يهجرك.

(يخرج).

ثيريوس: هل أنقل لقيصر ما ترغبه منه؟ فهو يلتمس الطلبات كي يلبيها. وسيسره جدا ان تتخذ من امكاناته عصا لتتوكأ عليها. وكم ستكون مودته اعظم اذا بلغه عن لساني انك تركت انطونيوس ووضعت نفسك تحت حماية سيد الكون.

كليوباترا: ما اسمكَ؟

ثيريوس: اسمي ثيريوس.

كليوباترا: ايها الرسول الحبيب، قل لقيصر الكبير اني عن طريقك أقبِّل يده الظافرة. قل له اني على أتم الاستعداد لوضع اكليل عند قدميه وللركوع امامه. قل له ان كلمة منه تدلني على مصير مصر.

ثيريوس: انت تميلين الى الجانب القادر النبيل. وعندما تزاحم الحكمة تقلبات الحظ، اذا لم تجسر الأولى على تحقيق ما تستطيعه، فلا سبيل لأي صدفة ان تزعزع أركانها. دعيني، من فضلك، اضع شرفي بين يديك.

كليوباترا: غالبا ما كان والد قيصرك، بعد ان يحلم بالممالك التي ينوي فتحها، يضع شفتيه على هذا المكان اللائق وتنهمر القبل كالمطر.

(يطبع تيريوس قبلة على يدها).
(يدخل انطونيوس وأنوبربوس باستعجال)

انطونيوس: ما هذا الا تزلف، قسَما بحق الاله المشتري الجبار. ما اغربك.

ثيريوس: انه ينفذ اوامر الرجل الاقوى والاجدر بالطاعة الآن.

انوبربوس: انت تستحق الضرب بالسياط.

انطونيوس (مناديا): ليأت احد اليّ (لثيريوس) يا لك من طائر كاسر. بحق الآلهة والابالسة، ألا تجد ان السلطة تذوب امام عينيّ؟ في الماضي

عندما كنت اصيح: « اليَّ » كان الملوك، نظير الاولاد يتزاحمون ويندفعون نحوي هاتفين: « لبيك. بماذا تأمر؟ » أوليس لكم آذان؟ انا لا ازال انطونيوس. (يأتي بعض الخدم). خذوا هذا الجلف واجلدوه بالسياط.

اتوبربوس: لمن الافضل ان يلاعب المرء شبلا من ان يداعب اسدا مسنا ينازع.

انطونيوس: أستحلفكم بحق القمر والنجوم ان تجلدوه بالسياط، حتى عندما يحضر الى هنا عشرون من كبار الرعايا الذين يعترفون بقيصر، وان وجدتموهم هكذا وقحين تجاه هذه المرأة التي لم اعد أعرف اسمها الجديد منذ لم تعد كليوباترا. اجلدوه بالسياط، يا رفاق، حتى تشاهدوه متجهم الوجه مثل صبي محروم ينتحب ويلتمس الرحمة والعفو. هيا، خذوه.

ثيريوس: مارك انطونيوس!

انطونيوس: جروه، وبعد ان تجلدوه بالسياط، اعيدوه اليّ. ان خادم قيصر هذا سيوصل الى مولاه رسالة من قبلي. (يأخذ الخدم ثيريوس. لكليوباترا): كنتِ نصف ذابلة عندما عرفتك. هل تركت انا في روما وسادة الزواج بدون ان ادوسها بقدمي؟ هل انا ابَيت اذاً ان تكون لي ذرية شرعية من لؤلؤة النساء، حتى تخدعني مخلوقة مثلك لا يحيد نظرها عن الخدم؟

كليوباترا: مولاي الكريم!

انطونيوس: لقد عهدتك دوما مرائية. لكن، حالما يتأصل الشر فينا، يا للبؤس، تغمض الألهة الحكيمة عنا عيونها، وتدفن منطقنا السليم في نفاياتنا الكريهة وتجعلنا نعبد اخطاءنا، فلا يبقى مقدار ذرة من انفسنا عندما نتدهور في هوة دمارنا.

كليوباترا: هل بلغ بك اليأس الى هذا الحد؟

انطونيوس: لقد وجدتك كقطعة حجر باردة في حوزة قيصر الميت. ماذا اقول؟ كنتِ بقية من كنايوس بومبايوس. وما عدا الساعات الدافئة البعيدة عن السمعة المريبة التي لوثتها دعارتك، انا واثق، ان كنتِ اهلا لان تحذري كيف تكون الفضيلة، بأنك تجهلين ما هي.

كليوباترا: لماذا كل هذا التهجم؟

انطونيوس:لفسح المجال امام ساذج ان يقبض اجرا، وأن يقول داعيا: السماء

ترده لك أضعافا. كن لطيفا مع رفيقتي في اللعب، وفي اصبعك الخاتم الملكي الذي يضمن سماحة القلوب الكبيرة والصدور الرحبة. من انا على جبل بازان حتى اصرخ بصوت اعلى من قطعان المواشي ذات القرون؟ لدي احتجاج مزعج، عندما افصح عنه من الوجهة الانسانية، اكون كالمحكوم الذي، وحبل المشنقة ملتف حول عنقه، يشكر الجلاد الذي ينفذ فيه حكم الاعدام.

(يعود ثيريوس مع الخدم)

انطونيوس: هل جُلد؟

الخادم الأول: بشدة، يا مولاي.

انطونيوس: هل صرخ؟ هل التمس العفو؟

الخادم الأول: نعم، طلب العفو، يا مولاي.

انطونيوس (لثيريوس): لو كان والدك لا يزال على عقيد الحياة لندم على كونك لم تخلق بنتا، وأنت اسفت لكونك تبعت قيصر على أثر انتصاره، ولكونك جُلدت بالسياط بسبب التحاقك به. من الان فصاعدا ستصيبك الحمى على يد المرأة البيضاء، وسترتجف عظامك لمجرد وقوع نظرك عليها. عد الى قيصر وارو له كيف استقبلناك، ولا تنسَ ان تبلغه بأنه يثير أعصابي بما يأتيه من غرائب الأمور، وقد ظنني شخصا آخر بانقضاضه على ما انا حاليا، متناسيا ما كنت عليه في الماضي القريب. وأنه يثيرني حينما اكون، من جراء ضعفي، بعيدا عن الغضب، وعندما تكون النجوم راضية، وهي التي كانت حتى الان ترشد خطاي، اراها قد حادت عن مدارها، وألقت بنيِّراتها في هوة الجحيم. وان وجد شرا في ما اقول وأفعل، قل له ان امامه « هبَّارك » عبدي المعتوق، يستطيع ان يجلده بالسياط على هواه، وأن يشنقه او يعذبه حتى نغدو كلانا متساويين. ألح على ذلك بنفسك، واذهب وشاراتك على ظهرك.

(يخرج ثيريوس).

كليوباترا: هل انتهيت من الكلام.

انطونيوس: يا للاسف، الان اصاب قمر ارضنا الخسوف. وهذا وحده يكفي لاعلان سقوط انطونيوس.

كليوباترا: لننتظر اذاً حتى النهاية.

انطونيوس (لكليوباترا): بقصد التزلف الى قيصر، تتبادلان النظرات، انتِ وساذج غبي لا يساوي شروى نقير.

كليوباترا: انت لا تعرفني بعد.

انطونيوس: هل انتِ بالنسبة اليّ الا قطعة من جليد؟

كليوباترا: آه! يا عزيزي. اذا كنت انا هكذا، فلتمطر السماء من قلبي المجلّد برَدا مسموما على ينبوعه، ولتسقط اول حبة برد في حلقي فتذوب وتودي بحياتي، وثاني حبة لتصب قيصرون. وتدريجا لتُرجَم ثمار أحشائي مع المصريين البسلاء بما تقذفه هذه العاصفة المجنونة، وليظل الجميع مطروحين ارضا بدون قبور حتى تلتهمهم ذبابات النيل وحشراته ولا يدفنون.

انطونيوس: انا راض، اذ يصبح قيصر تحت حكم الاسكندر، فأتشفى بمصيره. ان قواتنا البرية قد قاومت بنبل، وأسطولنا المشتت في البحار قد تجمع ليواصل تهديده من فوق الامواج. فماذا حل بشجاعتي؟ اسمعي، يا سيدتي، اذا عدت مرة ثانية من ساحة الوغى لتقبيل هذه الشفاه، كم أود ان اكون مضرجا بالدماء! فأنا وسيفي نصرّ على ان ينطوي تاريخنا على الامجاد الخالدة، ولا يزال امامنا فسحة من الأمل لتحقيق مرامنا.

كليوباترا: ها هوذا اخيرا، مولاي الشجاع.

انطونيوس: ان عضلاتي، وقلبي وأنفاسي وامكاناتي ستتضاعف بل ستتثلّث. فأريد أن أقاتل بلا رحمة ولا شفقة. عندما مرت ساعاتي بدون هم ولا مناوأة، كان المهزومون يشترون مني حياتهم بكلمة طيبة. اما الان، فاني أصرف بأسناني، وسأطرح في ظلمات الجحيم كل من يعترض سبيلي. هيا بنا نقضي هذه الليلة بالفرح والمرح. وليناد الخدم لي جميع ضباطي الحزانى، وليملأوا لنا الكؤوس. لنهزأ بأجراس منتصف الليل مرة جديدة.

كليوباترا: اليوم ذكرى مولدي. فاعتقدت بأني سأحتفل بها كئيبة بائسة.

ولكن، بما ان مولاي انطونيوس، قد استعاد شخصيته، فأنا أريد ان اكون ثانية كليوباترا.

انطونيوس: كل الامور ستسير حسنا.

كليوباترا: نادوا جميع ضباط مولاي النبلاء ليحيطوا به من جديد.

انطونيوس: فليكن، أود ان أكلمهم. وهذا المساء سأجعل الخمرة تنبع من جروحهم. تعالي، يا مليكتي، فالنسغ لا يزال يسري في اعماقي. وحينما أقاتل في المرة المقبلة سأجعل حبيبي يعشقني، لأني سأنافسه على استعباد الرجال.

(يخرج انطونيوس وتتبعه كليوباترا والخدم).

انوبربوس: ها هو مصمم على القاء الصاعقة. يا له من كائن غضوب. انه لم يعد يهاب المنايا لشدة ما زرع من الرعب في القلوب. وبهذه النفسية نرى الذبابة تهاجم النعامة. انا اراه دائما يكتسب القلوب عندما يشحذ زناد فكره. فتتغلب القيم على العقول ويواري الخنجر الذي به يحارب. كم أود أن أغنم نفسي ولن اعدم وسيلة لمغادرته.

(يخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

معسكر قيصر في الاسكندرية

(يدخل قيصر وهو يتلو رسالة، يتبعه اغريبا وماسان وغيرهما)

قيصر: هو يعاملني كالاولاد، ويهددني كما لو كان له سلطة على طردي من مصر. لقد ضرب رسولي بالقضبان، وتحداني بوضاعة كي أنازله، محرضا هكذا قيصر على انطونيوس. ليعرف المتهتك النذل بأن لدي طرقا عديدة غير هذه لأموت. وبانتظار وفاتي، انا اهزأ بتحديه.

ماسان: يجب على قيصر ان لا ينسى ان الانسان عندما يسيطر عليه الغيظ، لا بد من ان يكون في ضيق شديد. لا تهادنه، بل اغتنم عاجلا فرصة ضياعه، لان الغضب لا يريح ابدا صاحبه.

قيصر: اعلِم أفضل قوادنا بأن آخر معاركنا العديدة ستجري غدا. ففي صفوفنا كثير من الجنود الفارين من جيش انطونيوس، ويودون ان يذهبوا ليأتوني به. فاسعوا الى تتميم ذلك، وأعدوا وليمة للرجال لان لدينا الوافر من المؤن، وهم قد استحقوا هذا التكريم. مسكين انطونيوس.

(يخرجون).

المشهد الثاني
الاسكندرية ــ في القصر

(يدخل انطونيوس وتتبعه كليوباترا. ثم يدخل انوبربوس مع شرميون وإراس واليكسان وغيرهم).

انطونيوس: دوميسيوس لا يريد ان يحاربني؟
انوبربوس: كلا.
انطونيوس: ولأي سبب؟
انوبربوس: هو يفكر، بما ان طالعه افضل عشرين مرة من حظك، فان مغامرته معك سيكون ربحها بنسبة واحدة الى عشرين.
انطونيوس: غدا ايها الجندي، سأقاتل برا وبحرا وسأظل حيا او أعطي لمجدي المنازع حمَّام دم يحييه الى الابد. هل انت مستعد للمعركة الضارية؟
انوبربوس: سأضرب وأنا اصيح: لا خلاص للمغلوب.
انطونيوس: هذا قول محترم. هيا بنا، نادوا اهل البيت، ولتكن وليمتنا سخية هذه الليلة.

(يدخل الخدم فيمد لهم يده لمصافحتهم بالتتالي)

اعطني يدك فأنت كنت على الدوام امينا. وأنت أيضا، وأنت، وأنت. جميعكم خدمتموني باخلاص، وكان لكم في ذلك رفاق من الملوك.
كليوباترا (على حدة لانوبربوس): ماذا يعني هذا؟
انوبربوس (على حدة لكليوباترا): هذا واحد من اطواره الغريبة التي يقدها الالم من نفسه.
انطونيوس: وأنت ايضا خادم امين. أود ان اكون رجلا متعدد الاشخاص لكي أتمكن من خدمتكم جيدا كما خدمتموني انتم.
الخدم: قدّرتكم الآلهة على ذلك.
انطونيوس: هيا، يا رفاقي الصالحين، ساعدوني هذه الليلة ايضا. لا توفروا

كؤوسي، وعاملوني كما فعلتم يوم كانت الامبراطورية بكاملها رفيقة لكم، ونفذوا اوامري.

كليوباترا (على حدة لانوبربوس): ماذا يدّعي؟

انوبربوس (على حدة لكليوباترا): يود ان يستنهض همم اصحابه.

انطونيوس: ساعدوني هذه الليلة ايضا. فلربما كانت خاتمة خدماتكم لي، او انكم لن تروا فيّ الا أشلاء مهشمة. وربما غدا تخدمون سيدا غيري. اني انظر اليكم جميعا كرجل يودع أعز اصحابه. يا اصدقائي الامناء، انا لا أصرفكم. انما كسيد قد ارتبط بخدمتكم الامينة لن أتخلى عنكم الا عند موتي. ساعدوني اذاً هذه الليلة مدة ساعتين لا اكثر. ولتكافئكم عني الآلهة.

(جميع الخدم تعرورق عيونهم بالدموع).

انوبربوس: ماذا تدّعي يا مولاي. لماذا تثبط عزيمتهم هكذا؟ انظر اليهم كيف ينوحون. وأنا، يا لي من حمار، كأن في عينيّ بصلة. من قبيل الحياء، لا تحولنا الى نساء.

انطونيوس: كفى، كفى. لتحملني الساحرة الى الجحيم ان كان هذا مقصدي. لتنبت بزور الفرح حيث تسقط هذه الدموع. يا اصحابي الاوفياء، انتم حملتم ما تفوهت به على محمل اكثر ألما مما هو في الواقع. لقد كلمتكم لكي أشجعكم عندما طلبت منكم ان تحرقوا هذا الليل الدامس بالمشاعل. لكن، اعلموا يا أعزائي، بأن لي بالغد وطيد الامل. واذا قدتكم الى المعركة فلأني أترقب النصر والحياة لا الموت والمجد. هيا بنا. لنتعشّ ونغرق هذه الأفكار في الشراب.

(يخرج الجميع).

المشهد الثالث

الاسكندرية ــ امام القصر

(يدخل جنديان)

الجندي الأول: ليلتك سعيدة يا اخي، غدا هو يومنا.
الجندي الثاني: أجل، وهو يقرر مصير الجميع. أتمنى لك حظا سعيدا. أولم تسمع بحركة غريبة في الشوارع؟
الجندي الأول: ابدا. ما وراءك من أخبار؟
الجندي الثاني: هناك مجرد اشاعة. ليلتك سعيدة.
الجندي الأول: هيا بنا، يا عزيزي. تصبح على خير.

(يدخل جنديان آخران)

الجندي الثاني (للقادمين الجديدين): ايها الجنديان، انتبها الى هذه النقطة.
الجندي الثالث: انتبه انت ايضا. ليلتك سعيدة، ليلتك سعيدة.

(الجنديان الاولان يستلمان الحراسة في صدر المسرح).

الجندي الرابع (للثالث): نحن هنا. (يقفان في مقدمة المسرح). اذا تغلب غدا أسطولنا، فأنا مقتنع كل الاقتناع بأن رجالنا سيصمدون كالابطال في البر.
الجندي الثالث: انه جيش باسل، كله حماسة وتصميم على الانتصار.

(موسيقى من آلة مفردة خارج المسرح).

الجندي الرابع: اصمت قليلا. ما هذا الصوت؟
الجندي الأول: اصغ، اصغ.
الجندي الثاني: انا لا أفهم ما يحدث.

الجندي الأول: هذه أنغام في الهواء.
الجندي الثالث: بل تحت الأرض.
الجندي الرابع: هذه علامة خير. أليس كذلك؟
الجندي الثالث: كلا، لا اظن.
الجندي الأول: اهدأوا قليلا، قلت لكم. ما معنى هذا؟
الجندي الثاني: هذا هو الإله هرقل الذي يحبه انطونيوس كثيرا والذي يتخلى عنه اليوم.
الجندي الأول: لنتقدم، ولنرَ ان كان جميع الحراس يسمعون مثلنا.

(يتقدمان نحو نقطة اخرى).

الجندي الثاني (ينادي): ايه، يا رفاق!
عدة جنود (يسألون معا): هل سمعت انت ايضا؟
الجندي الأول: نعم. أليس هذا غريبا؟
الجندي الثالث: هل تسمعون يا اصحاب؟ هل تسمعون؟
الجندي الأول: لنتبع الضجة الى حدود منطقتنا، ولنرَ كيف ستنتهي.
عدة جنود: بطيبة خاطر. هذا أمر غريب حقا.

(يخرج الجميع).

المشهد الرابع
الاسكندرية ـــ في القصر، عند طلوع النهار

(يدخل انطونيوس وتتبعه كليوباترا ثم شرميون وإيراس وغيرهما)

انطونيوس: اعطني درعي، يا آروس!
كليوباترا: ارقد قليلا.
انطونيوس: كلا، يا حبيبتي. تعال اذاً يا آروس وناولني درعي.

(يدخل آروس وهو يحمل درعا)

تعال، ايها الشجاع، وغطني بالحديد. فاذا لم يحالفنا الحظ هذا اليوم، سنواجه مصيرنا ببسالة. هيا.

(يبادر آروس الى تجهيز انطونيوس).

كليوباترا: انا ايضا أريد ان أمد يد العون، انا ايضا (تأخذ قطعة من الدرع) اين توضع هذه؟
انطونيوس: دعي عنك، دعي عنك. انت درع قلبي. ليست هذه، لا، ليست هذه، بل تلك.

(يشير انطونيوس الى قطعة من الدرع، فتناولها كليوباترا لتضعها عليه).

كليوباترا: تمهل. أريد ان أساعدك. انظر كيف يجب ان توضع.
انطونيوس: حسن، حسن. سننجح الآن. هيا، ايها الشجاع، تجهز انت ايضا.
آروس: أوليس هذا محكم الاغلاق؟
انطونيوس: تماما، تماما. ان من سيفك هذه الدرع قبل ان اشاء انتزاعها عني لأرتاح، سيكون قد أثار العاصفة عليه. انت تجس الدرع جسا، ومليكتي أمهر منك في المساعدة. لنعجل. يا حبيبتي، هل لك ان تريني وأنا أقاتل

اليوم، وتشاهدي تصرفاتي الملكية، فتوقني أي رجل أنا.

(يدخل ضابط مسلح)

نهارك سعيد، اهلا بك. يبدو عليك انك تأتي اليّ بمهمة حربية. اننا، نظرا لتعلقنا بعملنا قد تعودنا ان ننهض باكرا وأن ننجز ما علينا بفرح وسرور.
الضابط الأول: ألف من المحاربين، يا مولاي، وان يكن قبل الاوان، قد لبسوا دروعهم وهم بانتظارك عند الأبواب.

(هتافات تختلط بصوت الأبواق).
(يدخل ضابط وجنود)

الضابط الثاني: الصبيحة رائعة. نهارك سعيد، ايها الضابط.
الجميع: نهارك سعيد ايها الضابط.
انطونيوس: هذا كلام جميل، يا اولادي. ان الصباح، نظير النبوغ المبكر في دماغ فتى مصمم على جعل الناس يتكلمون عليه، يبدأ في ساعة مبكرة. (لآروس الذي ينهي تسليحه) هكذا، هكذا. هيا اعطني هذا، بهذه الطريقة. حسن (لكليوباترا) كوني سعيدة يا سيدتي، مهما حل بنا. (يتعانقان). هذه قبلة جندي محارب. غير اني أستحق أحقر اللوم وأعنف التوبيخ ان أصغيت الى الثناء، ولو كان في محله. عليّ ان أغادرك الان. وأنا متسربل بالحديد. وبما انك تبغين القتال، فاتبعيني عن كثب، فأقودك الى المعركة. وداعا.

(يخرج انطونيوس وآروس والضباط والجنود).

شرميون: أتودين ان تنسحبي الى مخدعك؟
كليوباترا: رافقيني. انظريه كيف هو ذاهب بشجاعة. آه! لو قرر، هو وقيصر، هذه الحرب في معركة فردية، لكان حينئذ انطونيوس... ولكن حاليا... هيا نواصل طريقنا.

(تخرجان).

المشهد الخامس

معسكر انطونيوس قرب الاسكندرية

(يسمع صوت الأبواق. يدخل انطونيوس يرافقه آروس. يلتقي بالجندي الذي قاطعه في أكسيوم).

الجندي: لتبارك الآلهة هذا النهار اكراما لانطونيوس.

انطونيوس: كم انا آسف لعدم اتباعي نصائحك وتقديري آثار جروحك حين قاتلت برا.

الجندي: لو كنت عملت بنصحي، لكان الملوك الذين ثاروا، والجندي الذي غادرك هذا الصباح، لا يزالون في صفوفك.

انطونيوس: من هرب من المعسكر هذا الصباح؟

الجندي: شخص كان دوما الى جانبك. لا تناده يا انوبربوس، لانه لن يسمعك، وهو في معسكر قيصر، ولسان حاله يقول: انا لم أعد من رجالك.

انطونيوس: ماذا تقول؟

الجندي: يا مولاي، انه مات في صفوف قيصر.

آروس: مولاي. لقد ترك خزائنه وكنوزه جميعها هنا.

انطونيوس: هل مضى حقا؟

الجندي: ليس أصدق من هذا النبأ.

انطونيوس: اذهب يا آروس، ورد له كنوزه. عجِّل ولا تدع هنا قشة تخصه. انا أحرِّم عليك ان تمس ما له. اكتب له رسالة وداع، وضمنها أرق العواطف، فأوقعها لك. قل له اني أتمنى من الان وصاعدا ان لا يكون لديه سبب لابدال سيده. ما أتعس حظي الذي أفسد الرجال الشرفاء. أسرع يا انوبربوس.

(يخرجون).

المشهد السادس
معسكر قيصر تجاه الاسكندرية

(موسيقى. يدخل قيصر يصحبه اغريبا وأنوبربوس وغيرهما)

قيصر: امض يا اغريبا وباشر في القتال. واعلِم الجميع ان مشيئتي هي أسر انطونيوس حيا.
اغريبا: سمعا وطاعة ايها القيصر.

(يخرج).

قيصر: ان يوم السلم في العالم قريب. واذا كانت نهاية هذا النهار سعيدة، فثلاثة أرباع الدنيا ستحمل تلقائيا أغصان الزيتون.

(يدخل رسول)

الرسول: لقد وصل انطونيوس الى ساحة المعركة.
قيصر: اذهب وقل لاغريبا ان يطلب من الجندي وضع الغار في مقدمة الجيش، حتى ينفس انطونيوس غضبه المحقون وينفذ انتقامه في من كان احد رجاله.

(يخرج قيصر وحاشيته).

انوبربوس: أليكسان قد خان حين أرسِل الى اليهودية لاجل مصالح انطونيوس، وأقنع هيرودوس بأن ينتقل الى جانب قيصر ويغادر سيده انطونيوس، وكعقاب له أمر قيصر بشنقه. كانيديوس ومن فروا معه قد حصلوا على عمل، ولكنهم فقدوا الثقة المشرّفة. انا اسأت التصرف، وأدين نفسي بمرارة لا تدع للاطمئنان سبيلا الى صدري.

(يدخل احد جنود قيصر)

الجندي: انوبربوس، أرسل لك انطونيوس جميع ثروتك وفوقها ما تكرّم به عليك. فقد جاء رسوله تحت حراستي، وهو الان في خيمتي ينزل الاحمال عن بغاله.

انوبربوس: اني اعطيك اياها بأجمعها.

الجندي: لا تسخر مني يا انوبربوس، فأنا لا أقول لك الا الحقيقة. الأولى بك ان تواكب الرسول حتى مدخل المعسكر. انا مضطر الى العودة الى مركزي وإلا لقمت انا بهذه المهمة بنفسي. ان امبراطوركم هو دائما كالإله المشتري.

(يخرج)

انوبربوس (وحده): انا الوغد الوحيد في هذا الكون، وأنا اول موقن بذلك. يا انطونيوس، انت منجم من السخاء. أي ثمن كنت ستدفع لخدمي الأوفياء، انت الذي توجت نذالتي بالذهب. ان قلبي ينتفخ، وان لم يحطمه وخز الضمير المبرح فان وسيلة أعنف ستخيب وخز الضمير، وأعتقد ان هذا العذاب يكفي لمعاقبتي. أأنا أحاربك؟ كلا ثم كلا. يجدر بي أن أبحث عن حفرة أدفن فيها دناءتي، وأقبح ميتة هي الفضلى لأنهي بها حياتي.

(يخرج).

المشهد السابع
ساحة قتال ــ ضجيج معركة. طبول وأبواق

(يدخل اغريبا يتبعه مقاتلون آخرون)

اغريبا: لننسحب. اننا توغلنا في التقدم اكثر مما ينبغي. فقيصر ذاته لديه مشاغل عديدة، والمقاومة تخطت ما كنا نتوقعه.

(يخرجون).
(ضجة معركة. يدخل انطونيوس واسكاروس جريح)

اسكاروس: ايها الامبراطور الباسل، هذا ما يسمى قتال. لو كنا تصرفنا منذ البدء هكذا لكنا دحرناهم حتى مواقعهم وعلى أجسادهم أسمال بالية.
انطونيوس: انت تنزف بغزارة.
اسكاروس: كنت اشعر بجرح صغير هنا، واذا بالجرح يتسع.
انطونيوس: هم يتراجعون.
اسكاروس: سنطردهم ونردهم الى أوكارهم. انا لا أزال أحمل ستة جروح.

(يدخل آروس)

آروس: لقد هزمناهم، يا مولاي. ويسرني ان يكون النصر من نصيبنا.
اسكاروس: لنقطع أوصالهم ولنمسك بهم من مؤخرتهم كالارانب، ونرميهم بعيدا. حقا، لا لذة تعادل تعذيب جندي فار.
انطونيوس: سأكافئك مرة على نكتتك المرحة وعشر مرات على شجاعتك. تعال.
اسكاروس: سأتبعك وأنا أعرج، مائلا تارة الى اليمين وطورا الى اليسار.

المشهد الثامن
تحت أسوار الاسكندرية

(يدخل انطونيوس في مشية عسكرية واسكاروس وكل الجيش يتبعه)

انطونيوس: لقد طاردناه حتى معسكره. ليسرع احد الى الملكة ويبشرها بما اتيناه من نصر وبطولات. غدا قبل ان تشرق الشمس سنريق الدماء التي لم تتسن لنا اراقتها اليوم. اشكركم جميعا على ما اظهرتموه من شجاعة نادرة. فقد قاتلتم لا كما لو كنتم تخدمون الآخرين، بل كأن قضيتي تخص كل فرد منكم. فبرزتم جميعكم أبطالا ميامين. ادخلوا الى المدينة وعانقوا نساءكم وأصحابكم وقصوا عليهم تفوقكم، بينما هم يغسلون بدموع فرحهم آثار الدماء العالقة بجروحكم ويطبعون عليها القبلات الشافية المشرّفة. (لاسكاروس) اعطني يدك. (تصل كليوباترا مع حاشيتها). لهذه الحورية، أريد ان أطنب في الاشادة ببطولتك لكي تباركك بعرفانها جميلك. (لكليوباترا) انت يا ضياء النهار الساطع طوقي عنقي المكبل بأفضالك، وارسلي اشعاعك الخيِّر، من خلال درعي هذه، الى قلبي المشغوف لكي ترفرفي معه في أجواء الظفر والمجد.

كليوباترا (تأخذه بين ذراعيها): يا سيد السادة، يا بطل الابطال. ها قد رجعت بعد ان نجوت من ضراوة الرجال.

انطونيوس: يا بلبلي، لقد طاردناهم حتى عقر دارهم (يرفع يده الى شعرها) ايه، يا بنيتي، مع ان الشعيرات البيضاء اختلطت قليلا بشقيقاتها السمراء، نحن لا نزال نحتفظ بهمة تغذي نشاطنا لنقف في وجه الشباب. (يشير الى اسكاروس). انظري الى هذا الرجل ومدي اليه انامك اللطيفة ليطبع عليها قبلة الاحترام والتقدير. قبِّل هذه اليد الناعمة ايها المحارب. لقد قاتلت اليوم كأنك إله عادل يقتص من جنس البشر، فخضت الحرب لتحطم وتهدم مظاهر الفساد.

كليوباترا: يا صديقي، سأعطيك درعا من الذهب كانت تخص احد الملوك.
انطونيوس: انه يستحقها، وان كانت مرصعة بالاحجار الكريمة نظير عربة فابوس المقدسة. اعطيني يدك وتعالي نسير عبر الاسكندرية في نزهة مرحة مريحة. ولنحمل امامنا تروسنا المخدشة نظير اصحابها. لو كان قصرنا واسعا يكفي لنعسكر فيه هذا الجيش اللجب لكنا تعشينا معا وشربنا كلنا نخب ما يخبئه لنا الغد من أخطار ملكية. ايتها الابواق أصمي آذان اهل المدينة بموسيقاك النحاسية، وليمتزج قرع طبولنا لجعل السماء والأرض ترددان صدى التصفيق الحاد الذي يتعالى تحية لاقترابنا.

(يخرجان).

المشهد التاسع
معسكر قيصر في اثناء الليل

(جنود يحرسون. يدخل انوبربوس)

الجندي الأول: اذا لم نتبدل بعد ساعة، علينا ان نعود الى فرقتنا. الليل مقمر، ويقال اننا سنبدأ المعركة حوالي الساعة الثانية صباحا.
الجندي الثاني: النهار كان قاسيا جدا علينا.
انوبربوس: ايها الليل، اشهد على كلامي.
الجندي الثالث: من هو هذا الرجل؟
الجندي الثاني: لنقترب ونستمع اليه.
انوبربوس: كن شاهدا ايها القمر المقدس، على ما يخلعه التاريخ على الخونة من ذكرى مشينة، كن شاهدا على المسكين انوبربوس الذي ندم امام وجهك المنصف.

الجندي الأول: انوبربوس!
الجندي الثالث: اسكت ولنستمع الى ما يقوله.
انوبربوس: يا سيدة الكآبة العميقة، اسكبي عليّ سموم الليل الرطبة حتى تمعن هذه الحياة في تعذيبي، وقد تمردت على ارادتي هذه الظروف الحاضرة. ارمي صخرة خطيئتي الصلبة على قلبي الجاحد كي يتسحق ويمسي غبارا متطايرا فأتخلص من غصة ألمي الشديد ومن كل افكاري القاتمة. انطونيوس! يا من انت اكرم من تمردي الخسيس، سامحني على ما ألحقته بك من شقاء ومهانة، انا الذي سجلني العالم بين الجنود الفارين المنحازين الى صفوف الاعداء. انطونيوس، انطونيوس!

(يموت).

الجندي الثاني: لنكلمه.
الجندي الأول: لنصغ اليه جيدا، لان الامور التي تحدّث عنها لا بد من ان تهم قيصر.
الجندي الثالث: أجل، لكنه ينام.
الجندي الأول: أعتقد انه بالحري مغمى عليه، لان حسرة مؤثرة مثل هذه لم تمنح النوم ابدا.
الجندي الثاني: هيا نذهب اليه.

(يقتربان من الجثة).

الجندي الثالث: استيقظ، يا مولاي، استيقظ وكلمنا.
الجندي الثاني (يهزه): هل تسمعني يا مولاي؟
الجندي الأول: لقد اختطفته يد المنون (يسمع قرع طبول بعيد) اسمع قرع الطبول يوقظ رسميا جيشنا النائم. لنحمله الى مركز فرقتنا. يبدو عليه انه احد الاعيان. لقد انتهت مهمتنا في الحراسة.
الجندي الثالث: هيا بنا نحمله. فلربما عاد الى وعيه.

(يخرجان حاملين الجسم).

المشهد العاشر

أرض متعرجة بين المعسكرين. منظر غابة صنوبر على مرتفع

(يصل انطونيوس واسكاروس تتبعهما فرق من المشاة)

انطونيوس: اليوم كل استعداداتهم تستهدف معركة بحرية، لاننا لم نعجبهم في البر.

اسكاروس: لنقاتلهم برا وبحرا، يا مولاي.

انطونيوس: كنت أود ان نقاتلهم بجميع الوسائل ونهاجمهم هنا ايضا. ولكن اسمع. ان مشاتنا المنتشرين على المرتفعات المجاورة للمدينة سيظلون معنا. وقد أعطيتُ الأوامر للاسطول الذي غادر رصيف الميناء. تعال نبحث عن موقع يمكننا منه ان نستخلص توجيهات المعركة ونراقب سير العمليات.

(يخرجان).

المشهد الحادي عشر

يدخل قيصر على رأس جنوده

قيصر: سنمكث في البر بدون حراك. الا اذا هوجمنا. وأنا واثق بأننا لن نهاجَم، لان أفضل رجاله يُستخدمون في السفن الكبيرة. لنسرع اذاً الى الاودية ولنحتفظ بالمواقع التي تلائمنا.

(يخرجون).

المشهد الثاني عشر
يعود انطونيوس واسكاروس

انطونيوس: لم يتواجه الجيشان بعد. من تحت تلك الصنوبرة، سأكتشف كل ما يجري، وسأعود لأقول لك حالا كيف تبدو الامور.

(يخرج).

اسكاروس: ان السنونو قد بنت أعشاشها في اشرعة سفن كليوباترا. والتوقعات تشير الى انهم لا يعلمون بالتدابير ولا يستطيعون الكلام. مظهرهم عابس، ولا يجرؤون على التعبير عن افكارهم. أما انطونيوس فهو شجاع ومغلوب، وفوق ذلك كله ارى ان مصيره المضطرب يملأه أملا وخوفا معا لدى مقارنته ما له وما عليه.

(ضجة بعيدة تدل على حدوث معركة بحرية).
(يعود انطونيوس)

انطونيوس: ضاع الأمل. هذه المصرية السوداء قد خانتني. اسطولي استسلم الى العدو، وها هم بحارتي هناك يقذفون قبعاتهم غيظا في الهواء، ويشربون جميعهم معا كأنهم اصدقاء قدماء تلاقوا بعد طول غياب. يا لك من عاهرة مثلثة. انت التي سلمتني الى هذا اللئيم. وقلبي لن يحارب بعد الان الا شخصك الذميم وحده. (لاسكاروس) قل لهم جميعا ان يهربوا لاني حالما أنتقم من فاتنتي اكون قد اتممت مهمتي. قل لهم جميعاً ان يهربوا. هيا. (يخرج اسكاروس). ايتها الشمس، لن ارى بعد اليوم طلوعك. فالحظ وأنطونيوس يفترقان هنا كأنهما على طرفي نقيض. فلنتصافح، ولينته كل شيء عند هذا الحد. ان القلوب التي كانت تزحف عند أقدامي والتي كنت أستجيب رغباتها تجود بعطرها وترشه على قيصر الظافر المكلل بالغار. ويبقى عاريا ذاك الارز الشامخ الذي كان يظللهم جميعا. لقد حطمتني خيانة المصرية السوداء الجسم والنفس. تبا للفاتنة المشؤومة التي كانت

نظراتها ترسلني الى الحرب او تستبقيني في البيت، تلك التي كان صدرها ملاذي ومنتهى املي. يا لها من غجرية خداعة جرتني بحيلها ومكائدها الى العار والدمار. تعال يا آروس.

(تدخل كليوباترا)

ايتها الساحرة السافلة اليك عني. ابتعدي.

كليوباترا: لماذا، يا مولاي، انت غاضب على حبيبتك؟

انطونيوس: اغربي من وجهي، وإلا ناولتك ما تستحقين، وأسأت الى انتصار قيصر. ليأخذك هو ويعرّضك لهتافات مواطنيه بل للعناتهم. اتبعي عربته عربونا لأفدح خزي يلحق بجنسك المنافق. ايتها الذئبة الخبيثة، ليتفرج عليك الاغبياء لقاء أحقر وأصغر قطعة من النقود. ولتخدش اوكتافيا المترفعة وجهك القبيح بأظافرها (تجرح كليوباترا). حسنا فعلت بهربك اذا كان مقدرا لك ان تحيي بعد. كان الأولى بك ان تخري صريعة غضبي عليك، لان هذه الميتة كانت وفرت عليك الف ميتة اشنع منها. يا آروس، حلت عليك اللعنة! ايها السيد العجوز علمني السخط الشديد حتى أتمكن انا ايضا من القاء ليخاس على قرني الثور، وبيديه الرافعتين أضخم هراوة، وأتوصل الى تهشيم رأسي انا برباطة جأش. هذه الساحرة لا بد من ان تموت اذ باعتني بأبخس الاثمان لهذا القزم الروماني وسحقتني بدهائها الفظيع. لذلك لا بد لها من ان تموت. اليّ، يا آروس.

(يخرج).

المشهد الثالث عشر
الاسكندرية ــ في قصر كليوباترا

(تدخل كليوباترا وشرميون وإراس وماردیان)

كليوباترا: النجدة، يا نسائي. انه حاقد اكثر من ابن تيلامون الذي سلب منه ترس أخيل: والخنزير البري الذي روّع تساليا لم يكن شرسا ومرغيا مزبدا اكثر منه.

شرميون: اذهبي الى المدفن واحبسي نفسك فيه، وارسلي من يخبره بأنك قضيت نحبك. وكوني على يقين بأن افتراق النفس عن الجسد لا يؤلم اكثر من فقدان الكرامة والعظمة.

كليوباترا: الى القبر. يا ماردیان، اذهب واعلمه بأني فارقت الحياة. قل له ان كلمتي الاخيرة كانت: انطونيوس. وأرجوك ان تروي له مأساتي بأسلوب يجعله يرثي لحالي. امض يا ماردیان، وعد سريعا لتخبرني كيف تلقى نبأ وفاتي. هيا الى القبر، هيا.

(يخرج الجميع).

المشهد الرابع عشر
الاسكندرية ـــ في بلاط انطونيوس

(يدخل انطونيوس وآروس)

انطونيوس: آروس، ألا تزال تراني؟
آروس: أجل، يا مولاي الكريم.
انطونيوس: احيانا، أشاهد غيمة تشبه تنّينا، وأحيانا بخارا له شكل دب او اسد، او قلعة عالية الابراج، او صخرة معلقة، او جبلا متعدد القمم او شاطئا مرتفعا اخضر تكلله الاشجار الوارفة الظلال وجميعها تبهر الانظار وتوهم المتأمل المعجب فيها كأنه في عالم سحري. ولا بد ان تكون انت ايضا شاهدت هذه الظواهر الطبيعية: فهي رؤيا « فاسبار » الكئيب.
آروس: نعم، يا مولاي.
انطونيوس: وبلمح البصر وسرعة الفكر الذي يسابق البرق، تمّحي الغيمة التي كانت منذ قليل بهيأة حصان وتتحول الى شكل غير واضح المعالم كأنه ماء يصب في الماء.
آروس: هذا هو الواقع، يا مولاي.
انطونيوس: أجل، يا خادمي الامين آروس. ان ضابطك لا يختلف عن هذه الاجسام. انا لا ازال انطونيوس، غير اني لم أعد قادرا على الاحتفاظ بشخصيتي المرموقة. آه! يا خادمي! لقد حاربت لاجل هذه المصرية، هذه الملكة التي ظننت اني امتلكت قلبها الى الابد، كما امتلكت هي فؤادي (فؤادي الذي لو بقيت انا سيده لكان امتلك مليونا من القلوب المتيمة). هذه الملكة، يا آروس، خلطت اوراق اللعب لقيصر واختلست مجدي لينتصر عدوي. هيا لا تبك، يا آروس الحنون. لم يبق سوانا نحن القانطين، فلنضع حدا لوجودنا.

(يدخل مارديان)

انطونيوس: آه! من سيدتك الخسيسة. لقد سرقت مني سيفي وشجاعتي.
مارديان: كلا، يا مولاي انطونيوس: سيدتي تهواك، ومصيرك ارتبط دون تحفظ بمصيرها.
انطونيوس: اليك عني ايها الخصي الوقح. أصمت. لقد خانتني ولاجل ذلك هي تستحق الموت.
مارديان: الموت دَين لا يسدده الانسان الا مرة واحدة. ولقد دفعت ثمن اخلاصها لك من عزتها وكرامتها وحياتها. ان ما قصدت ان تفعله قد تم، وآخر كلماتها كانت: انطونيوس. ايها النبيل انطونيوس، سرعان ما حشرج في حنجرتها اسمك العالق بين قلبها وشفتيها، وأسلمت الروح محتفظة بذكراك في صدرها كذخيرة ثمينة كي تدفنها معها في مثواها الاخير.
انطونيوس: هل حقا ماتت؟
مارديان: أجل، ماتت.
انطونيوس: آروس، انزع عني سلاحي. فان مهمة نهاري الطويل قد انتهت، وعليّ ان انام. (لمارديان) اذهب من هنا سليما معافى واعتبر انك غنمت نفسك ونجوت من العقاب. اذهب (يخرج مارديان). هيا، انزع عني هذا الحمل الثقيل (يرفع عنه آروس الدرع قطعة قطعة). اما ترس أجاكس ذي الجلود السبعة فلا يسعه ان يتحمل دقات قلبي. تمزقي يا أحشائي. وأنت يا فؤادي كن اقوى من ضلوع صدري وحطم قفصك النحيل. اسرع يا آروس. اسرع. انا لم أعد جنديا، يا أشلاء درعي، مع اني حملتك بنبل وبسالة. دعني لحظة. (يخرج آروس). سألحق بك يا كليوباترا، وأنا ألتمس منك العفو. نعم لا بد من التسامح لان كل مهلة أضحت بعد الان عذابا لا يطاق، وكل المساعي ستذهب أدراج الرياح. مهما كانت القوة خارقة لا بد لها من ان ترتبك بما تبذله من جهود تضنيها. ضع خاتمي على وثيقة موتي وينتهي كل ما عانيته، يا آروس. انا قادم اليك يا مليكتي. آروس، ساعدني. انتظريني، يا حبيبتي. فحيث تتكىء النفوس الكبيرة على زهور الغبطة سنمضي كلانا، يدي في يدك، وسنبهر الارواح بظهورنا المجيد. ان ديدون وحبيبته ايني سيتأخران عن موكبهما ويضلان

السبيل، وقافلة الاطياف ستسبقنا الى النعيم. هيا بنا. آروس، آروس.

(يعود آروس)

آروس: ماذا تريد يا مولاي؟

انطونيوس: منذ موت كليوباترا، وأنا اعيش في مذلة حملت الآلهة على كرهي لدناءتي، انا الذي بسيفي كنت أقطِّع العوالم وأوزعها، وعلى ظهر « نبتون » الاخضر كنت أجعل من سفني مدنا، اتهم الان نفسي بأني لم اعد أتحلى حتى بشجاعة امرأة، وصرت أقل سماحة من التي، وهي تلفظ أنفاسها الاخيرة، صاحت بقيصر: انا لم يغلبني احد سوى نفسي فقط. لقد قسمتَ يا آروس بأن الاحوال اذا حتمت (وهي تحتم الآن)، اذا ما شعرت بالهوان والهلع يسيطران عليّ. ستقتلني حينئذ، تنفيذا لاوامري المشددة. افعل ذلك عندما يحين الاوان. انت لن تسلبني الحياة شخصيا بل تجرد قيصر ذاته من عدالته. اطمئن بالاً وليتورد خداك.

آروس: لتشلّ الآلهة يديَّ، ان انا قمت بما لم تستطع جميع سهام البارثيين صنعه مع انهم اعداء ألداء.

انطونيوس: هل ترغب، يا آروس، ان تحصل على نافذة في روما العظيمة وأن ترى منها سيدك يمر مكتوف اليدين، مثقل العنق بوقر العقاب، متجهم المحيا بفعل المذلة المرهقة بينما أمامه يتدحرج على دواليب العز عرش المحظوظ قيصر وهو يتشفى ويتلذذ بعار الاسير؟

آروس: كلا، لا أريد مطلقا.

انطونيوس: اقترب مني اذاً، لاني لن اذوق طعم الطمأنينة الا اذا تلقيت الجرح البليغ الذي أتمناه. فامتشق هذا الحسام الشريف الذي تقلدته ولم تخدم به بلدك.

آروس: عفوك، مولاي.

انطونيوس: عندما أعتقك، ألم تقسم لي بأن تطيعني طاعة عمياء. فلا تتأخر عن الوفاء بوعدك. وإلا يكون اخلاصك لي صدفة غير مقصودة او نفاقا. هيا امتشق سيفك واقترب.

آروس: أدر عني وجهك النبيل الذي يفيض مهابة وجلالاً.
انطونيوس (يدير وجهه): هيا.
آروس: ها قد استللتُ سيفي.
انطونيوس: اضرب اذاً بسرعة ضربتك التي انتضيت حسامك لاجلها.
آروس: سيدي العزيز، يا قائدي وامبراطوريِ المفدى. دعني قبل ان اقوم بهذه المهمة الدامية مكرها، ان اقول لك الوداع، يا أحب الرجال اليّ.
انطونيوس: وأنا ايضا اقول لك الوداع، يا صديقي.
آروس: الوداع ايها القائد الجريء. هل أضرب الآن؟
انطونيوس: الآن عجّل، يا آروس.
آروس: هيا، تلقَّ اذاً (يهجم وسيفه مشهر) هكذا أتخلص من الالم الذي يبرّح بي، من جراء قتلي انطونيوس.

(يموت).

انطونيوس: يا صديقي، انت ثلاث مرات أنبل مني، وها انت تثبت أمانتك لي، يا آروس الشجاع. ان الواقع يحتم عليّ ان اقوم انا بما لم تقوَ انت على تنفيذه. ان مليكتي وآروس يذكِّرانني بمثالهما وقدوتهما ما يجب عليّ ان أتحلى به من كرامة. انا أريد ان أعانق المنية وأن اسرع اليها كما أبادر الى سرير حبيبتي. هيا، يا آروس. ان سيدك يسفك دم تلميذك في الشهامة. هذا ما علمني اياه وفاؤك. (يهجم على سيفه). لماذا لم أمت بعد، لماذا. ايها الحراس، أجهزوا عليّ.

(يدخل دارسيتاس وبعض الحراس)

الحارس الأول: ما هذه الضجة؟
انطونيوس: لم أنجح في اتمام عملي، يا اصحاب، أكملوا ما بدأت به.
الحارس الثاني: ها هو النجم يهوي.
الحارس الأول: والازمنة تنقضي.
الجميع: يا للاسف، يا للمصيبة.

انطونيوس: من يحبني عليه ان يجهز عليّ بضربة قاضية.
الحارس الأول: لن اكون انا.
الحارس الثاني: ولا انا.
الحارس الثالث: لا احد منا.

(يخرج الحراس).

دارسيتاس: ان موتك ومصيرك يحملان أنصارك على الهرب. (ينتشل من الأرض سيف انطونيوس). اذا نقلتُ هذا السيف الى قيصر مع هذا النبأ انال الحظوة في عينيه.

(يدخل ديوماد)

ديوماد: اين انطونيوس؟
دارسيتاس: هنا، يا ديوماد، هو هنا.
ديوماد: ألا يزال حيا؟ ألا تريد ان تجيب، يا رجل؟

(دارسيتاس يخرج).

انطونيوس: أهذا انت يا ديوماد؟ إمتشق سيفك وناولني ضربة كافية للقضاء عليّ.
ديوماد: مولاي المبجل، ان سيدتي كليوباترا ارسلتني اليك.
انطونيوس: منذ متى؟
ديوماد: الآن، يا مولاي.
انطونيوس: اين هي؟
ديوماد: هي حبيسة في ضريحها. كانت تخشى وتتوقع ما حصل، عندما عاينت عاقبة حذر لا مبرر له. انت تشك بأنها عاونت قيصر. وهي تعلم ان غضبك لا يكظم، فأرسلت تقول لك انها قضت نحبها. ولكن منذ ذلك الحين هي تخاف هذا النبأ. فكلفتني بأن اعلن لك الحقيقة. وأخشى ان اكون قد وصلت متأخرا.

انطونيوس: متأخر انت، يا ديوماد الكريم. ارجوك ان تنادي حارسي.
ديوماد: يا حارس الامبراطور، يا حارس، تعال، سيدك يدعوك.

(يدخل عدة حراس)

انطونيوس: احملوني يا اصحابي الكرام. اين انزوت كليوباترا؟ هذه هي آخر خدمة أطلبها منكم.
الحارس الأول: يؤلمنا جدا، يا مولاي، ان لا تعيش بعد آخر أنصارك الاوفياء.
الجميع: ما هذا اليوم الحزين؟
انطونيوس: يا رفاقي البسلاء، لا تدعوا المصير القاسي يفرح بتألمكم. استقبلوا بحفاوة هذا الخصم الذي جاء يعاقبنا، ولنعاقبه نحن بعدم الاكتراث بوهلته. ارفعوني، فأنا غالبا ما ازكيت حماستكم. واحملوني بدوركم، يا اصحابي الكرام، ثم اقبلوا خالص شكري.

(يخرج الحراس حاملين انطونيوس).

المشهد الخامس عشر

الاسكندرية ـــ امام ضريح له نوافذ في قسمه الاسفل

(كليوباترا وشرميون وإراس يظهرون تجاه النافذة الرئيسة)

كليوباترا: لن اخرج ابدا من هنا، يا شرميون.
شرميون: اقبلي تعازيّ القلبية، يا سيدتي العزيزة.
كليوباترا: لا، لا أريد. اني أرحب بكل الاحداث الغريبة الهائلة، وأحتقر التعازي. أما آلامي، فلكي تكون على مستوى الكارثة يجب ان اكون مثلها كبيرة (يصل ديوماد) أخبرني، هل مات؟

ديوماد: الموت جاثم على صدره، يا مولاتي، ولكنه لم يمت. انظري الى جوانب ضريحك تري الحراس آتين به.

(يدخل انطونيوس يحمله الحراس)

كليوباترا: ايتها الشمس احرقي الكرة الواسعة التي تنيرينها، ولتغمر الظلمات وجه الأرض المتقلبة باستمرار. انطونيوس، يا انطونيوس. شرميون، ساعديني، يا إراس، أنجديني، انتم يا اصحابي الواقفين هناك اصعدوا اليّ.

انطونيوس: اصمتي. ليست مهارة قيصر التي قلبت ظهر المجن لانطونيوس. انما انطونيوس هو الذي انتصر على ذاته.

كليوباترا: هذا ما كان يجب ان يتم. لا احد غير انطونيوس كان عليه ان يتغلب على انطونيوس. ولكن ما اسوأ ان تحدث فاجعة مثل هذه!

انطونيوس: انا أنازع يا مصر، انا أنازع. غير اني ألتمس من الموت مهلة حتى اضع على شفتيك فوق ما سبق من آلاف القبل، قبلة الوداع الاخيرة.

كليوباترا: لا اجرؤ، يا عزيزي (عفوا يا مولاي العزيز)، لا اجرؤ على النزول خوفا من الاعتقال. لن يضاعف وجودي رونق عرض الامبراطور السعيد قيصر. اذا كانت السكاكين والسموم والافاعي والانياب والاشواك لها مفعول حينئذ احظى بالخلاص. ان زوجتك اوكتافيا بنظراتها المتشامخة وبرودة طبعها الجامد لن تحظى بشرف مجابهتي. لكن، تعال، تعال يا انطونيوس. ساعدنني يا نسائي، علينا ان نصعده. هيا انجدوني، يا اصدقائي الامناء.

(ترمي من النافذة الحبال التي يربط بها الحراس انطونيوس. ثم تشد هذه الحبال بمساعدة نسائها).

انطونيوس: اسرعوا، وإلا ما بقي لي طاقة على الاحتمال.

كليوباترا (تشد الحبال): ما أشق هذا العمل، في الحقيقة. وكم هو ثقيل مولاي! ان قوانا ذهب بها الحزن الذي يجثم على صدورنا كالكابوس الرهيب. لو كانت لي مقدرة الإلهة جينون القوية لساعدت الاله عطارد على حملك على اجنحته الجبارة وإجلاسك بجانب الإله المشتري. تعال،

نحن لا نزال نحتاج الى قليل من الجهد. وما كانت التمنيات دوما الا مهازل سخيفة لا يؤبه لها. هيا، تعال، تعال. (تشد انطونيوس اليها وتضمه الى صدرها) أهلا بك، اهلا. مت حيث عشت ثم عد الى الحياة بفضل قبلاتي المنعشة. آه لو كانت لشفاهي قوة احيائك، لما تأخرت لحظة في اللجوء اليها بدون امهال.

الجميع: يا للمشهد الحزين الذي يقطع نياط القلوب ويفتت الاكباد!

انطونيوس: انا اموت، يا مصر، انا اموت. ألا اعطني خمرا كي اقوى على الكلام قليلا.

كليوباترا: كلا، دعني أتكلم. دعني افوه بمثل هذه الالفاظ المهينة المقذعة التي تهدد طالعي الجحود ومشاكساته.

انطونيوس: كلمة واحدة وأخيرة، ايتها الملكة الحبيبة اقولها لك بصدق واخلاص: أمني لدى قيصر شرفك وحياتك.

كليوباترا: هذان امران مختلفان لا يتفقان.

انطونيوس: اصغي اليّ يا فاتنتي: من جميع الذين يتقربون الى قيصر، لا تأمني الا جانب بروكيليوس.

كليوباترا: لن اركن الا الى اقتناعي والى زندي. ولن أثق بأي انسان يتقرب الى قيصر.

انطونيوس: لا تنتحبي ابدا لاجل ما اصابني من حظ عاثر في آخر ايام حياتي، بل رفهي عن هواجسك بتذكارات السعادة التي اختزنتها في الماضي القريب، في حمى اقوى وأمجد امير في الكون. اني اموت الان بلا حسرة، وبلا جبانة أرد سيفي الى مواطن روماني مثلي، وقد غلبني هذا الروماني بشجاعة. في هذه اللحظة تفارقني روحي لاني لم اعد قادرا على الاحتمال.

(يموت).

كليوباترا: لقد متَّ اخيرا، يا انبل الرجال! فهل فكرت بمصيري؟ وكيف ابقى في هذه الدنيا الزرية التي لا اجد فيها من بعدك سوى القمامة؟ ايه، يا نسائي. تدحرج تاج العز، يا مولاي، وذوى غار المجد ونكس لواء

الجندي الباسل. وبات الاولاد الصغار من بنات وصبيان في مستوى الرجال وزال كل تفوق. ولم يبق تحت ضوء القمر ما يستحق الذكر.

(يغمى عليها).

شرميون: هدئي روعك، يا سيدتي.
إراس: لقد ماتت ايضا مليكتنا.
شرميون: سيدتي.
إراس: مولاتي.
شرميون: لهفي عليك، يا سيدتي.
إراس: يا مصر الملكية، ايتها الامبراطورة الجليلة!
شرميون: اصمتي يا إراس.
كليوباترا (تعود الى وعيها): انا لست سوى امرأة، أخضع لذات المشاعر البائسة التي تحس بها بائعة الحليب مثلا في اثناء قيامها بأبسط اعمالها. لا بد لي من القاء صولجاني في وجه الآلهة التي سامتني مر الذل والاسى. سأصارحها بأن عالمنا ساوى عالمها قبل ان تسرق منا كنوزنا. كل ما في الحياة آل الى العدم وأضحى الصبر حماقة، وقلة الصبر لم تعد تلائم حتى الكلب المصاب بالكلَب. فهل تُعتبر جريمة ان يسارع المرء الى الارتماء في أحضان الموت المحاط بالاسرار العويصة قبل ان يأتي الموت ليحصد روحه. كيف تجدن ذلك يا نسائي؟ هيا، تشجعي، يا شرميون، ويا بناتي النبيلات. ايتها النساء الحكيمات انظرن الى المشعل الملتهب كيف ينطفىء حالما يخبو وهجه. (للحراس الذين ظلوا تحت) تشجعوا انتم ايضا يا اصحابي الاوفياء، وتعالوا ندفنه. وهذه البادرة الكريمة التي تعد في الحقيقة شجاعة نبيلة، سنقوم بها على الطريقة الرومانية فنجعل الموت فخورا بنا. هيا نخرج من هنا. فغلاف هذا الروح امسى باردا. ايتها النساء تعالين. لم يبق لنا من نصير سوى شجاعتنا، ولا من ملاذ سوى هذه الآخرة العاجلة.

(يخرجن حاملات جسم انطونيوس).

الفَصل الخامِس

المشهد الأول

معكسر قيصر تجاه الاسكندرية

قيصر: اذهب اليه، يا دولابيلا، وانذره بأن يستسلم. قل له انه في انعزاله هكذا عن المقدرة والسلطة يفرض علينا مماطلات مضحكة.
دولابيلا: انا رهن اشارتك ايها القيصر.

(يدخل دارسيتاس حاملا سيف انطونيوس)

قيصر: ما معنى هذا؟ من انت حتى تجسر على المثول هكذا امامي.
دارسيتاس: انا ادعى دارسيتاس وقد خدمت مارك انطونيوس الرجل الذي يستحق ان يُخدم على افضل وجه. ولقد ظل سيدي واقفا على قدميه اطول مدة ممكنة ورفع صوته بالحق. وما تمسك بأهداب الحياة الا ليقاتل اعداءه. فان شئت ان تقبلني في صفوفك اكون لك ما كنت له، التابع الامين. واذا لم يعجبك عرضي، فاني اضع حياتي بين يديك.
قيصر: ماذا تقصد بهذا الكلام؟ افصح.
دارسيتاس: اقول ايها القيصر، ان انطونيوس مات.
قيصر: ان انهيار مثل هذا الشخص العظيم، كان لا بد من ان يحدث

ضجة اقوى من هذه. فانقلاب الكون ظهرا على عقب لا بد من ان يقذف الاسود الى الشوارع، والمواطنين الى أتون النار. فوفاة انطونيوس ليست كارثة عادية. لان اسمه كان يملأ أسماع نصف الدنيا.

دارسيتاس: لقد مات ايها القيصر. ولكن لا بخنجر العدالة ولا بسكين مأجور، بل بيده هو ذاته، بتلك اليد التي خطَّت المجد والسؤدد في كل ما كتبته من صفحات مجيدة. فأنطونيوس مزق قلبه الكبير بالشجاعة نفسها التي اوحاها اليه هذا القلب. وها هوذا سيفه الذي اقتلعته انا من جرحه العميق. انظر فهو لا يزال مخضبا بدمه الزكي.

قيصر: تفجع كما يحلو لك يا صاح. ولتعاقبني الآلهة اذا لم يغرق هذا النبأ الحزين مآقيّ الملكية بالدموع.

اغريبا: امر غريب ان تضطرنا الطبيعة البشرية الى تدب انتصاراتنا التي وقفنا لها معظم عمرنا واستعداداتنا الطويلة.

ماسان: في عمرنا القصير، يا مولاي، تتوازن التنديدات والتقديرات في مختلف اعمالنا.

اغريبا: لم يتسن لروح قادر نادر كهذا ان يقود الانسانية الطماحة. ولكنك ايتها الآلهة لا ترددين في وصمنا ببعض الضعف كي تخلقي منا رجالا أكفاء. وقيصر عينه لم يحد عن هذه الحكمة.

ماسان: عندما توضع مرآة كبيرة امام اي شخص لا بد له من ان يرى نفسه فيها.

قيصر: انطونيوس، انا الذي أوصلتك الى هذا المصير. هناك امراض مستعصية يلزمها مبضع قدير ماهر لكي يشفيها. فلم اجد مناصا من ان ادعك تعرّضني لفداحة مثل هذا السقوط او ان اسعى انا الى اسقاطك، اذ لم يكن في وسع كلانا ان نظل واقفين على قدم المساواة في هذا الكون. على كل حال دعني ابكيك بدموع ثخينة لم ينزف بها قلبي من قبل. لانك في الواقع اخي، وشريكي في النضال، وزميلي في الامبراطورية، وصديقي ورفيقي في الحروب وذراعي اليمنى في مساعيّ، وقلب قلبي الذي اضرمت فيه

العواطف والبطولات التي لا سبيل الى الاخلال بتساويها فيما بيننا. اصغوا الي يا اصدقائي الكرام.

(يدخل رسول)

سأبيّن لكم ذلك في فرصة أنسب. ان ملامح هذا الرجل تدل على انه يحمل رسالة. فلنسمع ما يقول. من اين انت قادم؟

الرسول: انا لست سوى مصري مسكين. سيدتي الملكة المنزوية في المكان الوحيد المتبقي لها وهو ضريحها، تود ان تعرف نياتكم سلفا في ما يتعلق بالسبيل المتحتم عليها ان تسلكه.

قيصر: قل لها ان تطمئن. ستعلم قريبا عن طريق احد منا، اية معاملة لائقة وودية نريد ان نخصها بها، لان قيصر لا يمكنه ان يكون الا سخيا.

الرسول: فلتحفظكم الآلهة يا مولاي.

(يخرج).

قيصر: اقترب يا بروكيليوس. اذهب وقل لها ان لا تخشى من جهتي اي سوء. قدم لها التعزية التي تحتاج اليها من جراء كارثتها الاليمة، خوفا من ان تصاب بصدمة قاتلة بسبب كبريائها وعنفوانها. كليوباترا، وهي تعيش في روما، ستكون لنا انتصارا خالدا. اذهب، وعد بسرعة، واعلمنا بما يكون جوابها، وأفدنا عن رأيك انت فيها.

بروكيليوس: سمعا وطاعة، ايها القيصر.

(يخرج).

قيصر: يا غالوس، امض معه (يخرج غالوس). اين هو دولابيلا لكي يساعد بروكيليوس.

اغريبا وماسان (يناديان): دولابيلا!

قيصر: دعكما منه. سأتذكر الان بأية مهمة هو مكلف. سيكون متأهبا في الوقت اللازم. تعالا معي الى خيمتي. ستريان بأي كره باشرنا الحرب،

وكم من الهدوء واللين اظهرت دائما في رسائلي. تعالا معي. ستريان البراهين التي استطيع ان اقدمها لهذه الغاية.

(يخرجون).

المشهد الثاني
داخل الضريح، وفي مؤخرته شبكة من الحديد

(تدخل كليوباترا وشرميون وإراس)

كليوباترا: من خلال حزني اخذت أسترجع شجاعتي. ما اشقى الانسان ان يكون قيصر، لا الحظ حليفه، بل خادمه المطيع وأسير أهوائه. بالمقابل، ان وقف تنفيذ أي عمل لهو اعظم من العمل ذاته، وهذا العمل الذي تقيده المفاجآت وتعرقله التقلبات، يزيد الركود ويمرغ في أوحال يغوص فيها المتسول وقيصر على السواء.

(بروكيليوس وغالوس وجنود يدخلون الى صدر المسرح ويقفون خلف الشبكة).

بروكيليوس (من الخارج): قيصر يرسل سلاما لملكة مصر، ويدعوها للتفكير في ما ترغب ان يمنحها اياه.

كليوباترا (من داخل الضريح): ما اسمك؟

بروكيليوس: بروكيليوس.

كليوباترا: كلمني انطونيوس عنك، وقال لي ان أثق بك. ولا يضيرني ان اكون مخدوعة، لان الامانة لم تعد تفيدني. اذا كان سيدك يود ان يحتفظ بملكة متسولة، اذهب وبلغه ان صاحبة الجلالة حفاظا على مستواها لا يسعها ان تستجدي ما هو أقل من مملكة. واذا شاء ان يمنح ابني بلاد

مصر التي فتحها، يكون قد سلمني على حساب ما يخصني، ما فيه الكفاية لأشكره وأنا جاثية على ركبتيّ.

بروكيليوس: تفاءلي ولا تقطعي حبل الرجاء. انت الان في حمى امير معروف بسخائه. لا تخشي سوءا ولا ترددي في بذل كل ما بوسعك لإرضاء سيدي. فان كرمه واسع يفوق كل ما تطلبينه منه. دعيني أبشره بخضوعك له. وستجدين فيه نصيرا لن يدخر وسعا لاحاطتك بعطفه ورعايته حالما تلتمسين حلمه.

كليوباترا: قل له اني رهن اشارته، واني أنقل اليه السلطة التي استأثر بها وأنوي ان أتعلم الطاعة، كما يسرني ان أقابله وجها لوجه.

بروكيليوس: سأعلمه بذلك ايتها السيدة العزيزة. تشجعي، لاني اعرف ان شقاءك يستدر شفقة من سببه لك.

(في آخر جزء من الحوار، يضع الحراس سلما على نافذة في أعلى الضريح. ولا يكاد بروكيليوس ينهي كلامه حتى يصعد الى اعلى السلّم، يتبعه اثنان من الجنود ويدخل الى الضريح).

غالوس (للجنود الواقفين خارجا): أترون كم كان من السهل ان نفاجئها؟ احرسوها حتى مجيء قيصر.

(يبتعد).

إراس (تشاهد بروكيليوس): يا مليكتي!

شرميون: كليوباترا. ها قد اخذت على حين غرة، يا مليكتي.

كليوباترا (منتضية خنجرا): عجلي، عجلي، يا يديّ المنقذتين.

بروكيليوس (يمسك بذراعها): لا تفعلي، يا سيدتي النبيلة، لا تفعلي. لا تؤذي نفسك هكذا. انا آت لأخلصك، لا لافقدك.

(بينما بروكيليوس يجرد كليوباترا من الخنجر، يفتح الجنديان اللذان تبعاه الشبكة، ويشتركان بالحراسة مع سائر الحراس الذين يدخلون مجتمعين).

كليوباترا (لبروكيليوس): انت تنقذني من الموت الذي يخلص حتى الكلاب من الالم؟
بروكيليوس: كليوباترا، لا تخيبي رجاء سيدي بانهاء حياتك. دعي العالم يشاهد ظهور نبل نفسه ولا تجعلي موتك يقف حائلا دون ذلك.
كليوباترا: اين انت، يا موت؟ تعال، تعال وخلصني. فأنا الملكة قد تساويت بالبائسين والمشردين.
بروكيليوس: هدئي روعك، يا مولاتي.
كليوباترا: يا سيدي، انا لا اريد ان آكل، ولا اريد ان اشرب. وبما ان عليّ ان اضيع الوقت في مناقشات لا طائل تحتها، لا أريد ايضا ان انام. سأهدم هذا المقام الفاني رغم انف قيصر. أدرك هذا يا سيدي. انا لا اريد ان اظهر مكبَّلة في بلاط مولاك، ولا اريد ان اكون ذليلة في نظر اوكتافيا السخيفة المتشامخة. أيظن المنتصرون انهم سيجرونني ويعرّضونني لسخرية حثالة روما الوقحة؟ اني أفضِّل، الف مرة، حفرة صغيرة في مصر على اي ضريح فخم. كما أفضِّل ان اكون ملقاة عارية تماما على اوحال النيل، وأن اكون طعما فظيعا للبعوض، وان يكون مكان عذابي أعالي اهرام بلدي، وأن اكون مشنوقة بالسلاسل، على ان اكون ملهاة وأضحوكة للمنتصرين عليّ.
بروكيليوس: اراك تستسلمين لما تختلقينه لنفسك من الأرهاب الذي ستثبت لك سماحة قيصر انه بالغ المغالاة وليس له من وجود.

(يعود دولابيلا)

دولابيلا: بروكيليوس، ان سيدك قيصر يعلم بما فعلت ويرسل في طلبك. أما الملكة فأنا أتولى حراستها.
بروكيليوس: فليكن، يا دولابيلا. وليس لدي من مانع. فكن رحوما حيالها. (لكليوباترا) سأقول لقيصر ما تريدين، اذا قبلت وساطتي بينكما.
كليوباترا: بلِّغه اني اريد ان اموت.

(يخرج بروكيليوس).

دولابيلا: ايتها الامبراطورة النبيلة، لا بد من ان تكوني سمعت احدا يتكلم عني.

كليوباترا: لا يسعني ان اؤكد او ان أنفي ذلك.

دولابيلا: انت حتما تعرفينني.

كليوباترا: غير مهم، يا سيدي، ما سمعت وما عرفت. انك من الذين يقهقهون ضاحكين عندما يحكي ولد او تحكي امرأة حلما. أوليست هذه من عاداتك؟

دولابيلا: لا أفهم، يا سيدتي.

كليوباترا: اذاً، حلمت بأن هناك امبراطورا يدعى انطونيوس. وكم أتمنى ان احلم بمثل هذا الرجل!

دولابيلا: ارجوك.

كليوباترا: كان محياه كصفحة السماء حيث يسطع قمر وشمس، وفي مسيرتهما يضيئان سطح الأرض الصغيرة.

دولابيلا: يا لك من مخلوقة سامية!

كليوباترا: كان يجتاز المحيط بخطوة واحدة، وذراعه المرفوعة تزين الدنيا، وصوته الرخيم يشبه ترانيم السماء. ولكنه عندما كان يقصد اجتياح الكون والسيطرة عليه كان صوته يُسمع اقوى من هزيم الرعد وزمجرة العاصفة. وكانت أريحيته لا قوارس شتاء بل ربيعا خصبا غنيا بالغلال والحصاد، ومتعته تقتصر على الحوريات التي تهبط من الجنان. ببذته كانت تتباهى التيجان وأقواس النصر، وكنوز الممالك والبحار تتناثر من جيوبه.

دولابيلا: كليوباترا!

كليوباترا: هل تعتقد ان في الوجود رجلا واحدا نظير الذي حلمت به؟

دولابيلا: كلا، يا سيدتي الفاتنة.

كليوباترا: لقد كذبت انت على الآلهة. لان مثل هذا الرجل يفوق مقاييس الحلم. فالطبيعة غالبا ما تكون عاجزة عن مجاراة ما يبتدعه الفكر الخلاق. ولكنها عندما تكوّن شخصا نظير انطونيوس تتفوق الطبيعة على الفكر وتبدد في غياهب العدم كل ما يتخيله النبوغ.

دولابيلا: اصغي الي يا سيدتي. ان فقدانك شاق بقدر رفعة شأنك، وألمك يتجاوب بين حنايا صدرك الرحب. فهل لي ان احظى بما أتمناه من نجاح ان لم تخترق حقا سهام تفجعك كردة فعل، صميم فؤادي.
كليوباترا: اشكرك يا سيدي على عواطفك. هل تعلم ما يخبئه لي قيصر؟
دولابيلا: انا لا يسرني اعلامك بما تودين معرفته.
كليوباترا: ارجوك، يا سيدي.
دولابيلا: مهما كان قيصر حليما...
كليوباترا: هو مصمم على جرّي وراء أمجاده.
دولابيلا: نعم هو مصرّ، يا سيدتي، وأنا واثق من ذلك.
صوت (من الخارج): افتحوا الطريق لقيصر.

(يدخل قيصر وغالوس وبروكيليوس وماسان وسلوكوس وأشخاص آخرون من الحاشية).

قيصر: اين ملكة مصر؟
دولابيلا (لكليوباترا): ها هوذا الامبراطور، يا سيدتي.

(كليوباترا ترتمي على أقدام قيصر).

قيصر: انهضي. لا تركعي على ركبتيك. ارجوك ان تظلي واقفة، يا ملكة مصر.
كليوباترا: مولاي، ان الآلهة شاءت هكذا. وما عليّ الا الاذعان. سيدي ومولاي.
قيصر: انزعي من رأسك كل فكرة مؤلمة. فالاهانات التي وجهتها الي، وان كُتبت ذكراها بدمائنا، لم تعد بالنسبة الي سوى صدى صدفة.
كليوباترا: ايها المولى المهيمن على الدنيا، انا لست بقادرة على عرض قضيتي بشكل يجعلها محقة. انما أعترف بأني تخاذلت بسبب ضعفي الذي يعتبر عارا على جنسنا نحن بنات حواء.
قيصر: كليوباترا، اعلمي انني مستعد لتخفيف الوطأة لا لتضخيمها. فاذا امتثلت لنياتي التي هي بالنسبة اليك في غاية العطف ستجدين خيرا عميما في هذا التغيير. اما اذا حاولت ان تلقي مسؤولية النكبة على عاتقي، كما

فعل انطونيوس، فستحرمين نفسك من جودي وتعرضين اولادك للهلاك الذي لن أنجيهم منه الا اذا وثقت بي. أستأذنك الان بالانصراف.

كليوباترا: يمكنك ان تذهب الى مختلف بقاع الدنيا، فهي لك، ونحن وأعلامك وانتصاراتك نبقى ثابتين في المكان الذي يعجبنا. (تسلمه ورقة). اليك يا مولاي الكريم.

قيصر: سأطلب مشورتك في كل ما يخص كليوباترا.

كليوباترا: هذه لائحة بالمبالغ والاواني الفضية والمجوهرات الموجودة في حوزتي، وهو جدول كامل يكاد لا ينقصه شيء. اين سلوكوس؟

سلوكوس: هنا، يا سيدتي.

كليوباترا: هذا هو امين خزانتي، يا مولاي. اطلب منه ان يخبرك، على مسؤوليته، ان كنت احتفظت لنفسي بأي شيء. قل الحقيقة، يا سلوكوس.

سلوكوس: سيدتي. أفضّل ان اخيط شفتيّ على عدم قول الحق.

كليوباترا: انا، ماذا اخفيت عنك؟

سلوكوس: ما يكفي لشراء كل ما تشائين.

قيصر: لا تحمري خجلا، يا كليوباترا. انا أوافقك على تحفظك.

كليوباترا: انظر ايها القيصر، انظر كيف يستقطب النجاح كل ما حولك. فان رجالي اصبحوا من الان فصاعدا يخصونك. واذا غيرت انا وضعي فان رجالك سيخصُّونني انا ايضا. ان جحود سلوكوس هذا يرهق أعصابي. يا له من عبد شرير غير اهل للثقة والمودة كأنه احد المرتزقة (تتقدم نحوه وهي تهدده. فيتراجع سلوكوس امامها) آه منك! اراك تمشي القهقرى. فمهما تراجعت، اؤكد لك اني سأمسك بعينيك ولو كان لهما جناحان وسأقتلعهما، ايها الوغد، ايها الدنيء، ايها الكلب الاجرب.

قيصر: ايتها الملكة الفاضلة، أتوسل اليك...

كليوباترا: ايها القيصر. ما هذا التحقير المزعج؟ انت جئت لتراني هنا وتختال بعظمتك أمام مخلوقة هزيلة مثلي. كان ينقصني أن يتطاول خادمي عليّ ويكذبني، وأنا في مذلتي، ويزيد نذالته باهانتي. لنفترض ايها القيصر الكريم، اني احتفظت لنفسي ببعض لوازم الزينة النسائية التي لا قيمة لها، وببعض

هدايا صغيرة لصديقة حميمة. ولنفترض اني وضعت جانبا بعض التحف لأقدمها الى ليفيا او اوكتافيا علني احظى بوساطتهما، فهل من العدل ان يشي بي رجل اكل من خبزي؟ ايتها الآلهة، ان هذا التصرف يعمق سقوطي. (لسلوكوس) ارجوك ان تذهب، او أؤجج نار غيظي المغطاة برماد شقائي. لو كنت رجلا لاشفقت عليك.

قيصر: انسحب يا سلوكوس.

(يخرج سلوكوس).

كليوباترا: ليعلم الجميع بأننا نحن عظماء هذه الأرض، معرضون دائما للملامة عما يجنيه غيرنا، وحالما نسقط تقع علينا مسؤولية اخطاء سوانا. كم نستحق ان يرثى لحالنا.

قيصر: لا شيء مما كتمته او اعلنته يوازي ما يوضع في محاذاة فتوحاتنا. انك لا تزالين تمتلكين ما يخصك، فتصرفي به كما تشائين. كوني على يقين بأن قيصر ليس الرجل الذي يساوم على توافه تشترى من الباعة. اطمئني بالا، ولا تحبسي نفسك في سجن وهمي. كلا، ايتها الملكة العزيزة. اني لا اريد ان احكم على مصيرك الا بما ترضين. كلي ونامي. ان اشفاقي على حالك مضمون حفاظا على صداقتك. الوداع.

كليوباترا: سيدي ومولاي.

قيصر: لا تتركيني هكذا. الوداع.

(يخرج قيصر وتتبعه حاشيته).

كليوباترا: بما انه يتزلف الي، يا بناتي، بت اشعر كأني فقدت كرامتي. ولكن، اسمعي، يا شرميون.

(تكلم شرميون بصوت خافت).

إراس: لننه المسألة، يا سيدتي، فالنهار الساطع قد ولى وأدركتنا وحشة الظلام.

كليوباترا (لشرميون): امضي مسرعة. لقد اصدرت اوامري، وكل شيء

امسى جاهزا. اذهب وقل لهم ان يستعجلوا.
شرميون: سمعا وطاعة، يا سيدتي.
دولابيلا: اين الملكة؟
شرميون (تشير الى كليوباترا): هل تراها، يا مولاي؟

(تخرج شرميون).

كليوباترا: دولابيلا.
دولابيلا: يا سيدتي، لكي أظل امينا على قسمي الذي فرضته عليّ، وأن تكون مودتي دافعا الى الوفاء بعهودي، ألفت انتباهك الى انك ستعرضين نظيري في روما مع الحرفيين المعدمين وهم بثياب عملهم حاملين زواياهم ومطارقهم القذرة، ونكون في متناول جميع الانظار اللائمة والانفاس الثقيلة المتأتية عن تغذية سيئة تنشر الغيوم حولنا فنضطر الى تنشق بخارها الكثيف الخانق.
إراس: لا سمحت الآلهة بذلك.
كليوباترا: انا على يقين من ذلك يا إراس. فان الحجّاب اللئام يغلظون معاملتنا كأننا بنات هوى، والالسنة القذرة تلوك سمعتنا وترذلنا بردّات مهينة، والمهرجون يرتجلون المهازل للهزء بنا وبحفلات المجون التي كنا نقيمها في الاسكندرية فيقلد انطونيوس وهو في حالة السكر، كما يقلد بعض الصبيان الصاخبين كليوباترا العظيمة الفاتنة وكأنها في اوضاع المومسات.
إراس: ايتها الآلهة.
كليوباترا: هذا مؤكد.
إراس: لن ابصره بعد اليوم، لاني على يقين بأن اظافري هي اقوى من عيوني.
كليوباترا: طبعا، هذه هي الوسيلة الوحيدة لتقويض استعداداتهم ولتهديم مشاريعهم السخيفة. (تدخل شرميون) اين انت يا شرميون؟ يا نسائي، زيّنني كملكة. اذهبن واجلبن لي اجمل ثيابي، لأذهب الى ملاقاة انطونيوس. اسرعي، يا إراس. يا شرميون الوفية، آن لك ان تتدبري خلاصك، وعندما تتممين المهمة سأصرفك الى يوم الدينونة. (لإراس) هاتي تاجي وسائر

زينتي (تخرج إراس. وتُسمع ضجة في الخارج) من اين هذه الضجة؟

(يدخل حارس)

الحارس: هنا، رجل من الريف يصر على المثول بين يديك يا صاحبة السمو، وهو يحمل اليك سلة تين.
كليوباترا: ليدخل. (يخرج الحارس). ما أنبل هذا الصنيع الذي يسهل تحقيقه بوسيلة حقيرة، والذي يأتيني بالحرية المرتقبة. لقد اتخذت قراري، ولم يبق في صدري شيء من حساسية المرأة الرقيقة الشعور. فأنا من الان فصاعدا قطعة جامدة من الرخام مجردة من الحنان كما ان القمر المتطور لم يعد كوكبي المفضل.

(يعود الحارس، بصحبة الفلاح حاملا سلة تين)

الحارس: ها هوذا الرجل.
كليوباترا: انسحب واتركني وحدي (يخرج الحارس، ثم تقول للفلاح): هل جلبت زحافة النيل الجميلة التي تقتل بدون ان تسبب أي ألم؟
الفلاح: هي معي. غير اني أسألك ان لا تلمسيها بتاتا لان لسعتها مميتة. ومن تلدغه، لا تعود اليه الحياة ابدا او نادرا ما تعود اليه.
كليوباترا: هل تتذكر احدا سببت له الموت؟
الفلاح: أتذكر اشخاصا عديدين، رجالا ونساء. وقد بلغني يوم امس ان الاكاذيب الخسيسة تحوم حول امرأة فاضلة، الامر الذي أستنكره وان زادها ذلك شرفا. لقد ماتت على اثر عقصة زحافة أذاقتها ألما لا يطاق. لعمري هذه معلومات دقيقة عن الزحافات. انما من يصدق تبجحات النساء لن ينجو من نصف ما يدبرنه له من مكائد. اما ما لا يقبل اي خطأً هو ان هذه الزحافات فريدة من نوعها.
كليوباترا: اذهب من هنا. وداعا.
الفلاح: أتمنى لك كل الخير من الزحافات.

(يضع السلة على الأرض).

كليوباترا: الوداع.
الفلاح: علي ان أذكّرك بأن الزحافات تأتمر بغريزتها فقط.
كليوباترا: أجل، فهمت. الوداع.
الفلاح: هذه الزحافات، لا بد لها من ان تظل في عهدة شخص حريص، اذ لا رحمة ترجى من حيوانات نظيرها.
كليوباترا: لا تقلق. سأسهر وأكون يقظة.
الفلاح: حسنا تفعلين. والأهم ان لا تطعميها شيئا لانها لا تستحق الغذاء.
كليوباترا: وهل تأكلني انا؟
الفلاح: لا تظنيني بسيطا الى حد ان اجهل ان ابليس ذاته لا يأكل المرأة. انا اعلم بأن ابنة حواء تستحق ان تكون طعام الآلهة عندما لا يغرها الشيطان. في الحقيقة، ان زبانية الجحيم هؤلاء يسيئون الى الآلهة من خلال خداع النساء. اذ على عشرة تخلقها الآلهة يفسد الشياطين خمسا منهن.
كليوباترا: حسن. اذهب. الوداع.
الفلاح: من جهتي، انا أتمنى لك اوفر المتعة بهذه الزحافات

(يخرج).

(إراس تحمل معطفا ملوكيا، وتاجا وشارات اخرى تساعد كليوباترا على ارتدائها وتواصل الحديث وتمهل في مد يدها الى داخل السلة حيث توجد الافاعي وتسحبها بدون ان تدع سيدتها تنتبه الى ذلك).

كليوباترا: اعطني قفطاني، وكللي بالتاج رأسي، لاني اشعر في اعماقي برفعة خالدة. من الآن فصاعدا لن يبل عصير كرمة مصر شفتيّ. تأني، تأني يا إراس الطيبة، بل عجلي. يخيل الي اني اسمع صوت انطونيوس يناديني، وأراه يهبّ واقفا ليثني على تصرفاتي النبيلة، وأسمعه يهزأ بسعادة قيصر، هذه السعادة التي يمنّ بها الآلهة على الرجال لتبرير الغضبة المقبلة. انا آتية اليك ايها الزوج الحبيب. أتمنى ان ينفخ فيّ اسمك الحلو بسالة تحيي اعذب آمالي. فأنا من هواء ونار جوهري، وعناصري الاخرى اتركها لوجود تافه لم يبق له عندي اي اعتبار. حسن. هل انتهيت؟ تعالي اذاً، واقطفي آخر حرارة من شفتيّ. الوداع، يا شرميون، وأنت يا إراس. وداعا طويلا

(تعانقهما. فتميد إرسا وتسقط ميتة). هل توجد على شفتي افعى؟ ماذا ارى؟ أتسقطين هكذا بسرعة؟ ان كنت تفارقين الحياة بهذه السهولة، تكون شوكة الموت كضمة العاشق التي تجرح المهج ونتمناها. مالي اراك بلا حراك؟ ان أغمي عليك، فانك تعلنين للملأ ان الدنيا لا تستحق الوداع.

شرميون: ايتها الغيوم الدكناء اهطلي غيثا حتى أتمكن من القول ان الآلهة ذاتها تنتحب وتبكي.

كليوباترا: ان جثتها الهامدة تتهمني بالخيانة. لانها اذا لاقت هي اولا انطونيوس في دوامته، فستنتقل اليه أخباري وتمنحه قبلة تساوي أفراح الجنة. (للافعى التي تضعها على صدرها) تعالي ايتها القاتلة الشقية والمباركة معا، وحلي بأنيابك المميتة عقدة حياتي البائسة، ايتها الزحافة السامة أنفثي واستعجلي. لماذا لا تحسنين الكلام كي اسمعك تسمين قيصر الكبير حمارا غبيا.

شرميون: يا نجمة الشرق!

كليوباترا: اصمتي، اصمتي. ألا ترين طفلي يرضع ثديي كي ينام؟

شرميون: هيا، الخلاص، الخلاص!

كليوباترا: هذا اعذب من البلسم، وألطف من النسيم العليل. وأحن.. يا انطونيوس (تضع افعى اخرى على ذراعها) هيا بنا. أريد ان آخذك معي انت ايضا. لماذا ابقى؟

(تموت).

شرميون: لقد امسى الكون مقفرا. فالوداع اذاً، الان بامكانك ايها الموت ان تتبجح بأن في حوزتك مخلوقة ليس لها مثال (تغمض عيني كليوباترا). ايتها الستائر المزركشة انزلي. ارجو ان لا يتأمل الإله الذهبي فابوس بنظرة ملكية أرق وأحلى. ان تاجك منحرف قليلا، سأحكم وضعه، ثم أتمم اللازم.

(يدخل باستعجال حراس عديدون)

الحارس الأول: اين الملكة؟

شرميون: تكلم بصوت منخفض لكلا توقظها.

الحارس الأول: قيصر ارسل...

شرميون: رسولا في غاية البطء. (تضع على جسمها افعى) هيا عجلي. ها اني اشعر بأنيابك.

الحارس الأول: تعالوا بسرعة. لقد وقعت كارثة هي خيانة بحق قيصر.

الحارس الثاني: دولابيلا وصل في هذه اللحظة من قبل قيصر. نادوه.

الحارس الأول: (يتأمل كليوباترا): ما هذا التصرف الجنوني؟ يا شرميون، هل هذا معقول؟

شرميون: معقول جداً، ولائق بأميرة تتحدر من سلالة العديد من الملوك. آه! ايها الجنود!

(تموت).
(يدخل دولابيلا)

دولابيلا: ماذا يجري هنا؟

الجندي الثاني: كلهن مائتات.

دولابيلا: ايها القيصر، لقد تحققت توقعاتك. اتيت لتشاهد تنفيذ ما خشيته وبذلت جهدك لتحول دونه.

اصوات (من الخارج): افتحوا الطريق لقيصر، افتحوا الطريق لقيصر.

(يدخل قيصر وحاشيته)

دولابيلا: آه! يا مولاي. كنت متشائما ولم تخطىء. فقد وقع ما كنت تخشاه.

قيصر: انها لنهاية بطولية، تخطت نياتنا. وكملكة اصيلة قررت ما تشاء على هواها. كيف لاقين حتفهن؟ اني لا ارى اثرا لدماء.

دولابيلا: من منكم أيها الحراس غادرهن آخرا.

الحارس الأول: فلاح بسيط جاءهن ببعض التين، وها هي سلته.

قيصر: هذا التين كان اذاً مسموما.

الحارس الأول: ايها القيصر، شرميون هذه كانت لا تزال على قيد الحياة،

منذ قليل، واقفة تتكلم. وأبصرتها تحكم وضع تاج سيدتها الميتة. وكانت في غاية الاضطراب، وفجأة انهارت.

قيصر: يا لنبل ضعفها! ان كانت ابتلعت سما فذلك يتبين من بعض الورم الخارجي. لكن كليوباترا تبدو نائمة كأنها تود اصطياد انطونيوس آخر في شباك فتنتها الفائقة.

دولابيلا: هنا، على ثديها آثار دم وتورم خفيف. والعلامة ذاتها تظهر على ذراعها.

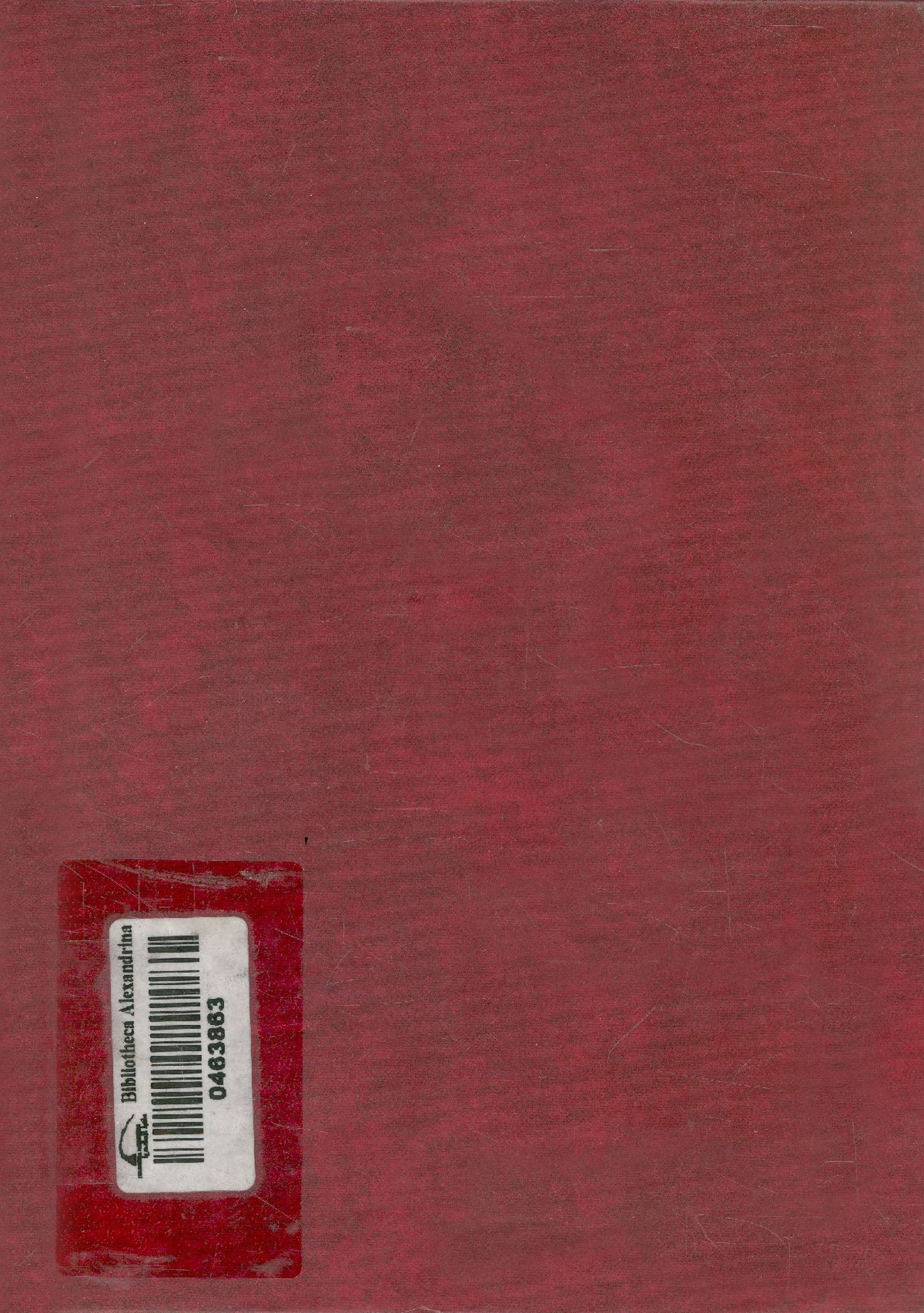
الجندي الأول: هذه آثار افعى. وأوراق التين هذه تحمل آثار ريق تتركه الافاعي في مغاور النيل.

قيصر: فمن المحتمل جدا ان تكون ماتت بهذه الطريقة. لان طبيبها قال لي انها بحثت عبر اختبارات لا تحصى، عن ألطف انواع الموت. انقلوها الى سريرها، وأخرجوا هؤلاء النساء من الضريح. سنتولى دفنها الى جانب صاحبها انطونيوس. لان ليس في الدنيا من قبر ضم زوجين هكذا لامعين. ان أحداثا هامة كهذه تقضي دائما على صانعيها، فتحيا قصتهم طويلا كالمجد الذي حاك من نهايتهم مأساة اليمة مؤسفة. سيرافق جيشنا موكب الجنازة الرسمي حتى روما. هيا، يا دولابيلا، ستسهر بنفسك على جعل كامل الأبهة والنظام يهيمنان على هذا التشييع الملكي الى المثوى الاخير.

(يخرجون).

(تمت)




Bibliotheca Alexandrina
0463863